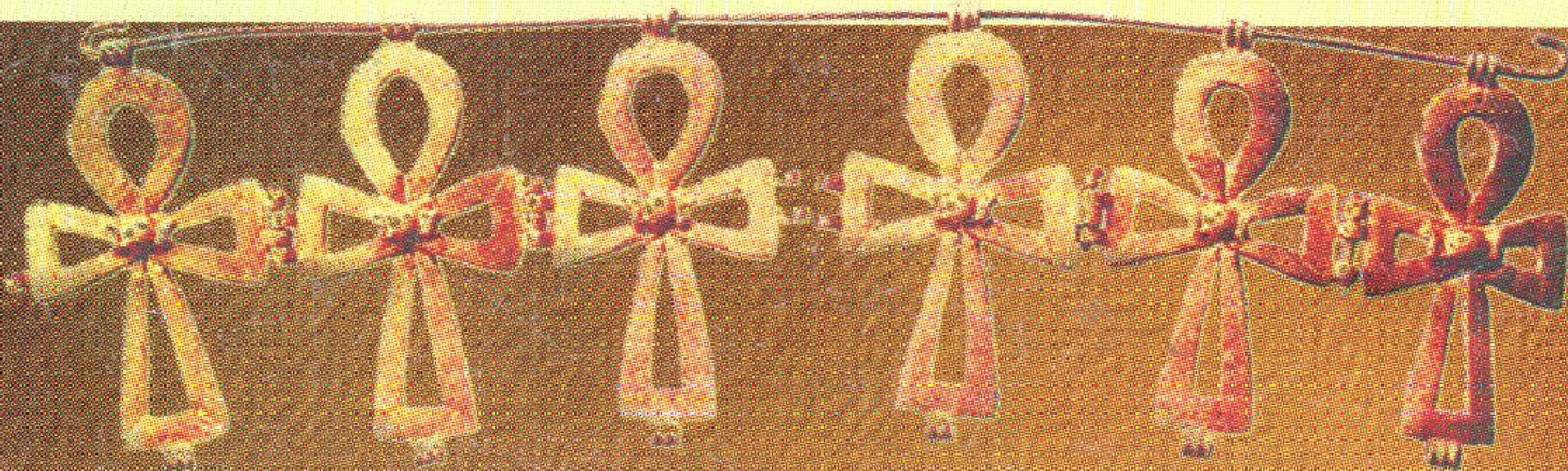
النادي القبطي بالخرطوم

يقدم

النوبة وطن الذهب



الاب القمص فيلوثاوس فرج





إهـــــــداء ٢٠٠٧

الأب القمص / فيلوثاوس فرج

جمهورية السودان

النوبة وطن الذهب

الأب القمص فيلوثاوس فرج

الفهرس

النوبة وطن الذهب

المقدمات

المقالات

المقدمات

١ - النادى القبطى الرمز والمعنى

طائر الروح

عبّر الفنان القبطى عن أرواح الشهداء بنسر محلق ، يقبض بمنقاره على رمز الإيمان (صليب أو كرمة)، ويضع حول رقبته قلادة الفوز، ويضم بين مخالبه غصن الزيتون وهو يطير فى إتجاه وينظر فى الإتجاه المضاد.. وأشهر نماذج هذا الرمز قطعة من الحجر الجيرى وجدت أصلا فى مدينة (إدفو) وتحفظ حالياً بالمتحف البريطانى، وقطع من النسيج القبطى الملون محفوظة بمتحف ركلنهاوزن بألمانيا تمثل (طائر الروح) وهو يظلل مجموعة من المصلين..

والنســـــر: هو أقوى الطيور وأعلاها تحليقاً عند الطيران ، فهو يرمز لسمو الشهداء وبسالتهم، والنسر يُغير ريشه بإنتظام، فهو يرمز لتجديد الحياة فى المسيحية، وعن هذا المعنى يقول داوُد النبى فى المزمور ١٠٣ (الذى يملأ بالخير عمرك، فيجدد مثل النسر شبابك)..

والميدالية: هي (الجعالة) التي تحدث عنها بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (ألستم تعلمون إن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحداً يأخذ الجعالة، هكذا أركضوا لكى تنالوا) (كورنثوس الأولى٩: ٢٤)..

كان الرسول يخاطب مجموعة من أبناء الشعب اليونانى الذى إبتدع فكرة الألعاب الأولمبية فشبه لهم السعى للفوز بالحياة الأبدية بالمجاهدة فى ميادين الرياضة، والتى تنتهى بمنح الفائز ميدالية تُعبّر عن تقدير المجتمع للتفوق القائم على الإجتهاد والمثابرة..

وأما غصن الزيتون: فيمثل البشارة بقرب إنقضاء الضيقة وفقاً لما حدث لأبينا نوح عندما أطلق الحمامة ، (فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها، فعلم نوح إن المياه قد قلت عن الأرض) (تك ٨: ١١)

ويسعد النادي القبطي أن يهدى هذا السفر النفيس " النوبة وطن الذهب " إلى القارىء السودانى خاصة وإلى كل محب للثقافة والحضارة، والذي يقدم له مجموعة مميزة من الأدباء والمثقفين، ويبدأ بتقديم أسقفنا المُكرم الأنبا إيليا.. ولقد بدأت الجهود الفعالة لإنشاء النادى القبطى فى ١٨ فبراير عام ١٩٦٩ م بتكوين لجنة للتأسيس برئاسة السيد/ باسيلى بشارة وعضوية الدكتور/ أديب عبد الله وكل

من السادة: كمال سلامة ، وفؤاد روفائيل، وفوزى ميخائيل، وإدوارد عبد السيد.. وقد سعت هذه اللجنة لحشد الجهود وجمع الأموال والإستعانة بأصحاب الخبرات..

وقامت بتشكيل العديد من اللجان المتخصصة التى ظلت أعمالها تتابع لأكثر من تسع سنوات حتى إكتمل بناء النادى وتم إفتتاحه رسمياً فى ٣٠ مايو ١٩٧٨ م بحضور السيد محافظ الخرطوم، نائباً عن السيد رئيس الجمهورية ، وبمباركة نيافة الأنبا دانيال مطران الخرطوم، وبمشاركة ممثلين لمجلس إدارة نادى المكتبة القبطية بالخرطوم، ومجلس إدارة الجمعية القبطية بالخرطوم.. وهكذا كانت البداية التى أعقبتها الإنطلاقة..

وكان أول مجلس إدارة منتخب للنادى القبطى مكون من :-

السيد وديع حبشى.......... رئيساً

السيد أديب جندى.........نائباً للرئيس

السيد لمعى سدرة..........أميناً للصندوق

السيد أنسى حبيب.........سكرتيراً

وعضوية كل من السادة:-

أنطون حبيب ، موريس لبيب ، هرفى العبد ، رمسيس نصيف ، هلال فخرى، وبعد هذا إستمرت المسيرة من مجلس إدارة إلى آخر بالإنتخاب المباشر، ومجلس الإدارة الآن يتكون من :

دكتور إميل فوزى أبادير...... رئيساً

صلاح تادرس .... نائباً للرئيس

رفعت حكيم أندراوس .... سكرتيراً

رضا رزق الله ..... أميناً للصندوق

وعضوية أمير أديب جندي، جرجس حشمت فوزى، نبيل مكرم تادرس، رونى مكرم إسحق، جرجس مجدى أرمانيوس.. وصلوا لأجلنا لكى نؤدى رسالتنا خير آداء بدعواتكم وبركاتكم..

مجلس إدارة النادي القبطي

بإسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

٢ - اسقف الخرطوم في وطن الذهب

كتاب " النوبة وطن الذهب" ، وإن كان قد بدأ فى مقالات منفردة إسبوعياً فى الجرائد اليومية الأيام ، أخبار اليوم ، الوطن ، السودانى، إلا إن تجميعها قد كوّن لنا موسوعة فى غاية الجمال والثراء.. إننى رأيت الكتاب كمن يرى ضوء النهار الأبيض وهو ينكسر على بللورة فتعطى ألوان الطيف جميعاً ، هذه البلورة هى وطنى الحبيب متعدد الأعراق والألوان والثقافات.. وألوان الطيف هى ما يستهوى كل من هذه التعددية مهما كانت، والنوبة وطن الذهب والسودان كله وطن من ذهب، ورجال من ذهب..

وفى هذا الكتاب حديث شيّق عن "رجل روحانى على تلال من ذهب " هو نيافة المطران الأنبا دانيال مطران الخرطوم الذى عشنا عظاته الروحية الذهبية.. دُعاؤنا للأب القمص فيلوثاوس فرج " مُحب الله " بعمر مديد وصحة موفورة وإنتاج غزير وفكر عامر ولود يكنز لقادمات الأيام والدهور ما أثمرت بلاد النيل وما أتت من العلم والجهد فى أحضان الحب والسماحة والدين.. وفقنا الله وإياكم إلى ما فيه رضاه..

الأنبــا إيليـــــا

أسقف الخرطــوم والجنوب

الخرطوم يناير ٢٠٠٧ م

٣- حزمة مقالات في عقد بهي منفرط

القمص فيلوثاوس فرج وجه مجتمع تعرفه الخرطوم وتألفه معه يحلو السمر، وهو شخصية متعددة الأبعاد وضمن هذه الأبعاد لا يمكن أن يخطيء عين المراقب فيلوثاوس فرج الكاتب الصحفى، البانورامى متعدد الإهتمامات والمواهب..

ولقد سرنى أن دفع إلىّ (أبونا) القمص فيلوثاوس فرج مخطوطه" النوبة وطن الذهب" طالباً منى أن أتشرف بتقديمه جنباً إلى جنب أساتذة وعلماء أجلاء، وما لطلب يأتى من شخص أبونا أن يُرد.." النوبة وطن الذهب" حزمة مقالات تحوى من

التنوع ما لا يجعل عقدها البهى منفرطاً ، فللنوبة وطن الذهب خيط جامع وقاعدة مشتركة..

المقالات التى بين دفتى المخطوطة بحث غزير المعلومات، عميق التحليل، حول بلاد النوبة التى هى سوداننا الراهن، ولقد كتب أبونا مقالات هذه المخطوطة المهمة مستنداً على معرفة واسعة بقضايا الشأن العام فى بلاد وادى النيل متنقلا ما بين التاريخ وعلم الآثار والجغرافيا والأديان والأعراق وعلم الإنتروبولوجيا..

وفى المخطوطة من السياسة والثقافة طرف، ولها مع الأخوانيات والظرف نسب، والمخطوطة مع ذلك حزمة إنذارات مبكرة وتنبيهات إلى لزوم ما يلزم.. نفر غير قليل من الكتاب والقراء يستتفه تصيير مقالات متفرقة سبق أن نُشرت فى صحف سيارة أو لم يسبق ذلك ، كتاباً جامعاً هذا رأى فى ظننا مردود لأن الصحافة السيارة تملك من التأثير بما تنشره مالا تملكه فى بعض الأحيان مدونات لها من الثراء قسمة ونصيب..

أما سفر أبونا ذو المقالات المائة فهو جدير بأن يُقرأ كتاباً واحداً فى حد ذاته، ذلك إنه غذاء لطلاب العلم ، مفيد ولأنه سمر لأنصار الإبداع والمؤانسة لن يحفل أحد بالإستغناء عنه، ولأنه مع هذا وذاك علم نافع يبقى فى الأرض..

وختاماً : أجدنى حفياً بهذا الكتاب الإضافة النافعة، متشرفاً هذا الإسهام المتواضع تقديماً له، وواثقاً إن القارىء الكريم موعود بغير قليل من متعة وثقافة وفكر ومعرفة..

والســـــــلام..

د. محمد محجوب هارون
أستاذ علم النفس- جامعة الخرطوم
مدير مؤسسة إتجاهات المستقبل
للدراسات الإستراتيجية والحوار

٤ - حقاً وطنٌ من ذهب

طلب منى الأب فلوثاوس فرج هذا الرجل الطموح والمتواصل للتسامح والمواطن السودانى الأصيل الذى يحب السودان وأهله ويعشق ويبذل الجهد فى

سبيل رفعة بلاده، طلب منى أن أتناول بالتعليق مبحثه الجيد وسفره الممتاز" النوبة وطن الذهب" وعلى الرغم من إن الفترة التي وصلني فيها الكتاب كانت مليئة ومزدحمة بالأحداث السياسية والإقتصادية والمؤتمرات، ولا يجد المرء الذى يشتغل بالصحافة وقتاً مناسباً لقراءة كتاب بتمعن وتبصر إلا إننى حرصت أن أطوف على محطاته المختلفة والجميلة حيث وجدت إننى أمام مرجع مهم ، وموضوعات جيدة كتبها ورصدها الأب فيلوثاوس فرج حوت آراءه وآراء مفكرين وباحثين مرموقين في بلادنا..

وتأكد لى من خلال الإطلاع على هذا السفر إن الموضوعات رتبت بعناية فائقة، وإن القضايا التى تناولها تستحق البحث والتقصى ، وهي قضايا ترتبط بالوطن وتاريخه الناصع والأصيل ومستقبله المشرق بإذن الله.. فالكاتب والباحث فيلوثاوس فرج حرص كل الحرص على إبراز تاريخ السودان القديم، والتأمين على عراقة السودان وفضله وفضل أهله على العالمين..

فتأتيك عبارات منسابة ترجعك إلى الوراء، مُذكرة بكبرياء الوطن والأجداد، وتدفعك إلى الأمام مستنهضة لمكونات قطر متفرد متعدد المكونات، متعدد الأثنيات، متوحد الإرادة والهدف، فهى تتناول النوبة وطن من ذهب، والنوبة والنيل والسودان، وأصل الحضارة الإنسانية- صلة النوبة بالأنبياء، رابطة التعاطف الوثيقة التى تجمع بين السودان ومصر..

وأنا أتأمل هذا الكتاب خرجت برؤى واضحة أكدّها وجسدها هذا السفر..

- إن السودان هو موطن الذهب فى هذه الدنيا، وإن الذهب كان دوماً هو مجال إطماع الآخرين فى خيرات السودان..
- إن من يريد أن يكتب عن الذهب فى السودان لا يمكن تخطى هذا الكتاب الذى حمل عشرات المقالات عن الذهب، وربط بينه وبين أهل السودان العظماء..
- الكتاب جسّد لدور المرأة السودانية السياسى والإقتصادى منذ فترات تاريخية سحيقة، وإنها أي المرأة لعبت دوراً مُقدّراً في تاريخ السودان، وأسهمت فى نهضته الثقافية والإجتماعية والسياسية..
- الكتاب أكدّ بصورة واضحة أيضا على مسألة التعايش الدينى فى السودان، وسماحة أهله المترامية، والتى تشابه مساحته المترامية والمنبسطة أيضا..
- كما أكدّ الكتاب على أن الهوية السودانية هوية منفتحة والثقافة السودانية لا تعرف التعصب، وإن العُقد التى ظهرت وأزمت بعض العلاقات الإجتماعية فى السودان سببها الإستعمار فى كل مراحله وأنواعه..

- الكتاب نوّه وأكدّ على مسألة مهمة تتعلق بوجود هجمة منظمة الآن على إرث السودان، ومحاولة تشويه صورته السمحة، وهز صورة التعايش الدينى الفريدة فيه..
- الكتاب لم ينسى أشياء أخرى جميلة لدى الكاتب والمؤلف والباحث والراصد الرائع هى: عشقه للخرطوم ولقيادات ورموز طائفته القبطية بالسودان، ولقائد الحركة الشعبية الذى عاجله الموت مبكراً " د. جون قرنق دى مابيور "..

الفاتح السيد الحاج أحمد
نائب رئيس إتحاد الصحفيين

٥ - كلمة لابد منها حول
(النوبة وطن الذهب)

في صباح سعيد من أيام الوطن وجدت نفسى أقف مباشرة أمام رجل يرتدى الزى الكنسى المميز، وبه سمتّ أنيق الملامح، ووجه صبوح يفوح منه أريج الفكر والعلم والإخاء والمحبة، ولم أكن أدرى إن هذا الإنسان سيكون أحد الذين سيثيرون إهتمامى عبر سنوات عمرى القادمات، حييته فى ذلك الصباح فهبّ من كرسيه فى الصفوف الأمامية بقاعة الصداقة ليحيينى بأجمل مما قلت، وكانت المناسبة قومية جمعت العديد من أهل السودان، على رأسهم رئيس الجمهورية، وشاغلو المناصب الدستورية الحساسة فى السودان، ورتل من أعضاء السلك الدبلوماسى الراقى، والعلماء والمفكرين، وقبل أن أبحث عن الكلمات التى حاولت أن أطوعها لتليق بالمقام أجلسنى على مقعده وتحول للمقعد الذى يليه فى تواضع وأدب عجيب لم أر مثله قبل سنوات طويلة..

وبدون مقدمات عرفنى على شخصه الذى لم أكن أحتاج لتعريفه بحكم أن الجميع وأنا منهم ظلوا يطالعون سطوره الرائعة عبر الصحف السيارة لسنوات عديدة ، وأكبر ما بهرنى فى ذلك الصباح البهيج سودانية الرجل التى فاضت حتى النخاع.. وإعتزازه وعمقه فى إدراك ما يدور فى وطنه الذى حمله بين حدقات

العيون، وبالطبع إزدادت بهجتي بتلك السانحة لأننى جلستُ كالتلميذ الصغير أتعلم من الأب العظيم فيلوثاوس فرج..

أحسست لأول مرة كيف أن يكون حوار الأديان نهراً يقطر كالماء الزلال مادام على قمة الكنيسة فى وطننا رجل مثله، وأيقنتُ إن نبينا بن مريم عليه الصلاة والسلام عندما قال : من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر" إنما كان يدركُ إن هناك من سيكونون مثالا صادقاً لحمل هذا اللواء فى التسامح والمحبة والجمال..

وتوالت الأيام والشهور والسنوات لأغوص فى أعماق الرجل العظيم والصديق الوفى والأب الحانى والرفيق العزيز القمص فيلوثاوس فرج لأدرك تماماً إن وطناً كالسودان يمكنه أن يكون نموذجاً لبلاد الله الواسعة شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، فى حمل رسالة المحبة والإنسانية بأكملها وليس فقط حوار الأديان إنه يحمل البذرة الحقيقية لتلاقح الأديان وتصافح الأديان وتواصل الأديان..

كان كل هذا مدعاة لأن أغوص فى فكره العميق وعباراته القوية، وأفقه الواسع، ومراميه البعيدة، حيث درج منذ أن أطل على عالم الكتابة على تمحيص الإرث الثقافى والفكرى والمعرفى، وإنتقاء ما تجود به قريحته المتقدة لإعطائه للناس فى قالب ميسور يتمثل فى مقال أو عمود أو كتاب يُخلد على مرّ الزمان.. ولم يزل هذا هو ديدنه وأسلوبه الذى جعل كثيراً من فكره وآرائه جنيناً ينمو ويترعرعُ بين الصفحات، ثم كائناً يمشى على ساقين، وإمتلأت ساحات المعرفة الذى ما قصد من ورائه إلا تعريف العالم بهذا الفكر الذى لابد له أن يُخلد على مر الزمان..

وأحسبُ إن الكاتب العزيز فيلوثاوس فرج قد نجح فى أمرين أساسيين هما طرح الفكر السودانى للقارىء العربى والمحلى، وثانيهما إنه أزال رهبة الإنسان البسيط من التعامل مع الكنيسة وفكرها الذى ما كان الناس يدرون ما فيه بحكم غشاوات الخوف الموروث الذى حمله المسلمون عن المسيحيين، وبنفس القدر قد علم شباب المسيحيين كيف يغوصون فى فكر الإسلام ويستنبطوا منه الجمال الذى غيبه عنهم عنصر الخوف المتوارث من الإسلام، وأحسبُ إنه بذلك قد أسهم فى فتح آفاق أكبر وأوسع من التآلف والتعارف التى يتحدث عنها البعض على إستحياء، وقد شهد له كل أهل السودان بذلك..

واليوم أسعد إننى قد غصتُ قبل الآخرين فى صفحات مخطوط جديد لصديقى العزيز فيلوثاوس فرج بعنوان" النوبة وطن الذهب" أدهشنى فى هذا المخطوط أمران أولهما غزارة المعلومات التى إستقيتها من بين السطور وخطورة الأمر الذى طرحه

عبر مائة عنوان كاملة أسهمت جميعها فى خلق نسيج متكامل من المعرفة لا يستغنى عنه أحد من الباحثين والكتاب وطلاب المعرفة، والأمر الثانى هو الكيفية التى وصل بها الكاتب إلى كل هذا الكم من الحقائق أجزم إن معظم القراء سيقفون عليها لأول مرة..

وتساءلت بينى وبين نفسى كيف وجد الكاتب الوقت لسبر أغوار كل هذا الكم الهائل من الأحداث والأخبار والمعلومات الدقيقة والمهمة والغريبة فى نفس الوقت، ولكن بالنسبة لى فإن الدهشة تزيلها معرفتى اللصيقة بالصديق فيلوثاوس فرج الذى خبرته باحثاً من الطراز الأول، وتلميذاً متواصل الإجتهاد فى مجال المعرفة التى نذر نفسه لها طوال العمر، كأنه يؤكد حديث نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم "خذوا العلم من المهد إلى اللحد،" وأحمد له إنه قد متعنا بإعادة الذهب، وطاف بين الطولونيين، وصموئيل باسليوس، وتكريم أحمد دياب،آبياً إلى نجاح النخبة السودانية التى ترنح كبرياؤها عند منصور خالد كنخبة تدمن الفشل..

والكتاب سيلٌ من المسير الذى يتزيا بملابس المرويات، ويتمخطر فى ميدان أبو جنزير، ليبدأ جولته الملوكية فى شوارع أم درمان، ويجلس القرفصاء مع فيليفل والصاوى فى ندوة المجتمعات الأفريقية.. وبين هذا وذاك يطرق أبواب النوبة فى حضرة الصوفية ورهبان الليل وفرسان النار، فيجد القارىء بعد أن يغوص فى أعماق المسيحية فى أفريقيا، إن الصوفية نشوة دينية، وإن حرية التكامل فى وادى النيل لابد لها أن تسمق مثلما سمقت مملكة مروى فى الماضى التليد..

وفى الحقيقة لقد إستوحيتُ هذه العبارات من عناوين الكتاب الذى بين يدى القارىء الآن، ومن خلال البحث الدؤوب فى صفحاته الغنية ، سيجد القارىء العديد من مكنونات التاريخ والحاضر والمستقبل التى رأى المؤلف أن يضعها بين أيدى الناس من خلال هذا الكتاب، ولعل مما يلفت الإنتباه أيضا إهتمام هذا الكتاب بكثير من الأمور التى أغلفها الكُتاب الآخرون.. وهى التوثيق لحقب تاريخية مهمة من زوايا غير مطروقة ، فضلا عن الحديث عن حياة بعض من الأحياء من الوطنين أو العلماء الذين يعيشون بين الناس، حيث درج بقية الكتاب والمؤلفين على إلقاء الضوء على أهل المعرفة بعد رحيلهم إلى دار الخلود، ولكن هذا الكتاب نهج أسلوباً مغايراً فى تحقيق الشخصية، ودراسة عطائها ودورها الفاعل أثناء حياة هذه الشخصية، وهذا فى تقديرنا أفضل بكثير لكوكبة القراء الذين يجدون معلومات موثقة بالشواهد الحية، كل هذه المعطيات دارت بخلدى وأنا أتصفح مخطوطة هذا الكتاب القيم، وبعد ذلك أدركت أهمية أن أشارك فيه بهذه السطور المتواضعة..

ومما لاشك فيه إن القارىء سيستفيد من هذا الكتاب أيما فائدة، وذلك لثلاثة أسباب رئيسية أولها: إنه حوى تاريخاً مفصلا لواحدة من أهم حقب تاريخ السودان، وثانيها : إنه تناول كماً هائلا من الأحداث المهمة فى مجال السياسة والفكر والأدب والأكاديمية عن السودان فى مختلف مراحله، وقد كان مسرح حياة الشخصيات التى تناولها مسرحاً مفتوحاً بعناية لمن يريد إدارك البعد الثالث فى الشخصيات، فبرز وكأنه شاهد عصر حقيقى على الأحداث، وثالثاً: لأن الكتاب قد تناول جانباً من معالم بقعة نابضة بالحياة والعلم من بقاع السودان الشهيرة وهى بلاد النوبة التى خلدت فى التاريخ كإحدى منارات العلم والدين والثقافة.. حيث أوضح الكتابُ بعض التفاصيل الدقيقة لنمط الحياة فيها، مُركزاً على أمور هى فى غاية الأهمية ويجهلها الكثيرون..

شىء آخر جعلنى أسعد بالتقديم لهذا الكتاب وهو إنه قد صدر من شخص له خبرته الطويلة فى مجال العمل الإعلامى بشتى ضروبه المقروءة والمسموعة والمرئية، فضلا عن عمله الروحى والدينى كمسئول عن أكبر الكنائس بالسودان.. حيث عرفه قراء الصحف ومستمعو الإذاعة ومشاهدو التلفزيون وخبروا عطاءه منذ سنوات طويلة دون إنقطاع، وأهم من هذا وذاك دخوله فى حياة الناس البسيطة فهو مشارك فى كل الملمات والأفراح للمسلمين قبل المسيحيين.. والقليلون جداً يعرفون عطاءه السخى للعديد من الأسر التى تحتاج لمثل هذا العطاء فى خفاء لا تدرى فيه شماله ما فعلت يمينه، وكلما أتمناه عندما يخرج هذا الكتاب للقراء أن يضيف جديداً لحصيلة أمتنا المعرفية وهى الأمة التى إشتهرت بحب المعرفة وإدمان القراءة، كما أرجو أن يفتح باباً واسعاً للبحث والدراسة لكثير من المواضيع بين القراء وأهل التاريخ والسياسة، والأنثروبولوجيا، والآداب المختلفة، والذين سيجدون فيه بلاشك مرجعاً متفرداً ومفيداً بإذن الله تعالى..

د. عوض إبراهيم عوض
بروفسور مشارك، أستاذ الإعلام
بجامعة أفريقيا العالمية

٦ - مقدمة بروفسور دياب

يصدر الآخ الأب فيلوثاوس فرج ، سفره هذا تحت عنوان محبب للنفس والروح والعقل ، وعندى النوبة ، النيل ، والذهب ثلاثة مترادفات تضىء شيئاً واحد ، وهو هذه الأرض التى تمتد من ضفاف النيلين الأزرق والأبيض وروافدهم ووديهم حتى المصب.. والتى وصفها السير ونستون تشرشل فى كتابه " حرب النهر" فى الصفحة الأخيرة والذى ألفه سنة ١٨٩٨ بقوله: (إذا نظر القارىء إلى خريطة حوض النيل، لن يسعه إلا أن يندهش لِمَ بينها وبين شجرة النخيل من شبه كأنها غصون وأوراق تنتشر فى منطقة الدلتا الخضراء الخصبة ، كأنها غصون وأوراق النخلة، أما الجزع فيتلوى قليلاً لأن الليل ينحنى إنحناءة كبيرة فى مجراه عبر الصحراء.. ولكن الشبه يعود كاملاً جنوبى الخرطوم ، وتبدأ جذور النخلة فى الإمتداد بعيداً فى أعماق السودان، وإنى لا أستطيع أن أتخيل أحسن من هذا التصوير لرابطة التعاطف الوثيقة بين مصر والسودان.. ومزايا هذه الرابطة متبادلة ، إذ أن السودان جزءاً لا يتجزأ من مصر، وكذلك فإن مصر هى أيضاً جزء لا يتجزأ من السودان..)

وقد جاء إسم النوبة أو كوش وتهاستى ومروى والمريس والمقرة وعلوة ودنقلا وغيرهم من الأسماء فى الكتب المقدسة ، إبتداءاً من العهد القديم (الزبور، التوراة، وفى القرآن وفى الأحاديث النبوية).. فالنوبة عندى تعنى النيل والذهب ، ولا أقصد الأرض، بل أهلها وساكنيها، وليس سكانها.. فهم الذهب أصالة فى قيمهم وأخلاقهم ومثلهم وكرمهم.. فالسيدة هاجر والدة سيدنا إسماعيل جد العرب ، نوبية أهدتها ملكة النوبة إلى السيدة سارة زوجة نبى الله إبراهيم ، الذى أنجب منها إبنه البكر إسماعيل وهى التى أقامت الحوض أو (البا) حول زمزم ثم جاء سيدنا إبراهيم وبنى (الكا) أى البيت ، وهى الكعبة بجوار (البا).. وفى هذا البحث الكثيرً عن النوبة وصلتهم بالأنبياء، منذ إبراهيم حتى سيدنا موسى ، الذى وضعته أخته على النيل.. الذى أبحر به من أرض النوبة شمالاً إلى طيبة.. أليس كل هذا الذى سردته يدل على عظمة هذه الأرض، وما يجرى فوقها ويعيش عليها؟.. لقد كتب الأخ الأب القمص فلوثاوس، هذه الدراسة بعد أن تزوجت روحه عقله، وولد هذا الزواج ما بداخل عمقه من ألم محبٍ للنيل وواديه، مصره وسودانه.. وأرض الذهب.. أرض النوبة..

أسأل الله أن تتزوج روح كل ساكنى هذه الأرض الطيبة ، مصرى أو سودانى.. عقله ، فقد زاملت الأخ القمص فيلوثاوس بجامعة القاهرة فرع الخرطوم ، وكان

يدرس علم الإجتماع.. لأنه العلم الذى يهتم بالإنسان ، روحه وعقله ، ومجتمعه وتراثه.. ومنذ ذلك الحين فهو المحب لأرض النيل، والمقدم ذاته إلى خدمتهم فى كل ثانية من حياته ، وواهباً نفسه ونفيسه لله عزّ وجلّ وتعالىَ..

بروفسور: أحمد إبراهيم دياب
رئيس قسم الدراسات التاريخية، جامعة الأزهرى

قالوا عن المؤلف

وقد عرفت للقمص فيلوثاوس مواقف شارحة لمطالبته عجلت بتأييدى غير المتحفظ لها إذ مضى بيننا زمن إمتد فيه الحوار وتواثقت فيه رؤى وأفكار حول كثير من القضايا التى كان فيها الوطن واسطة العقد وغاية العهد.. وشكرته يوماً عندما زار مكتبى ببعثة السودان بالعاصمة البريطانية لندن على تركيزه لأهل الإنقاذ وهم فى نشوة إنتصاراتهم إن بينهم أقباطاً مسالمون، أخافت بعضهم شعارات عالية النبرة غالبة الخصوصية فهاجروا فى صمت ، ولكنهم لم ينسوا سودانيتهم فغادروا بذات الصمت والهدوء، عندما إستقرت القناعة بطول السلام فى وطن السلام، والتقنية مرة فى مطار الخرطوم فرحب بمقدمى بأريحته المعهودة، مما دفع مرافقى للسؤال عن تقييمى الموضوعى لأدواره فقلت عن الأب فيلوثاوس: إنه نقابى ينافح عن طائفته بعناد الصعايدة وصبر وكبرياء الفراعنة، ويمشى بين الناس بقيم موقعه الدينى، ولا ينسى نصيبه من الدنيا تجارة وزراعة وسبل كسب العيش الأخرى، فهو مع الجميع من المؤتمر الوطنى حتى الصداقة الشعبية ومجالس التعايش الدينى، ولا يترك مناسبة إلا ويعلن حضوره فيها تأكيداً لحضور الأقباط بيننا..

دكتور الصادق بخيت الفقيه
المستشار الثقافى بسفارة السودان بلندن
عن جريدة الرأى العام ٢٢/١١/٢٠٠٦ م

لقد عشتُ مع قدس أبونا فيلوثاوس فترة طويلة، وكنت ملتصقاً به فى مواقف كثيرة، وهو مثال للرعاية الساهرة النشطة، قدم نفسه مثالا طيباً للراعى الصالح مما أكسبه محبة الجميع، إهتم وساعد كثيراً فى تعمير الكنائس فى السودان، فعَلت مناراتها وكثرت أثمارها الروحية بالرغم من أن الكنائس طريقها محفوفاً بالمخاطر.. فهو يخدم بكل أمانة موجهاً ومعلماً.. مفكراً ومنفذاً.. سائلا عن الجميع..

إننا نقول للأب فيلوثاوس: أنت فى عقولنا وقلوبنا ما حيينا ومهما الزمن بالحلو أو بالمر فرقنا.. سنظل نذكرك ونحبك كلما أراد الله وأبقانا والرب يحفظك لنا أباً وراعياً محباً وساهراً.. إن الأب القمص فيلوثاوس فرج رجل جمع فى شخصه

صفات كثيرة وكبيرة.. أصيلة وعميقة.. إنه فى طهارة يوسف، وحكمة سليمان.. وشجاعة يوحنا المعمدان..

إنه فى عطائه وسخائه كالأنبا إبرآم، إنه فى وقار الأنبا بولا.. إنه رجل الكتاب المقدس الملتزم بتعاليم الإنجيل، سريع الخدمة لكل أحد المريض والحزين والمحتاج والمتضايق والمتألم..

مولانا سمير ساوس
قاضي محكمة الإستئناف الخرطوم
جريدة المصري سيدني

في الرواية المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين إن نبي الله والأب الثانى للبشرية سيدنا نوح عليه السلام عندما بدأت مياه الفيضان فى الإنحسار أرسل الحمامة لتستطلع الأمر، ولما عادت كان في رجليها طين وفى منقارها غصن زيتون، وكان الوقت مساءاً، وكما ورد فى سفر التكوين " فأتت إليه الحمامة عند المساء " وكانت هذه رسالة السلام والأمان للإنسان، ومنذ تلك اللحظة الفاصلة فى حياة البشرية أصبحت الحمامة رمزاً للسلام، والرخاء، والنماء.. وهى الطائر الوحيد الذي يعايش الإنسان بدون تدجين..

وفي صورة جميلة يظهر الأب فيلوثاوس فرج بوجهه البشوش الذي يفيض بالسماحة والذى يبدو فى إبتسامة كبيرة لا تقتصر على الفم وحده، وعلى كتفه الأيمن حطت حمامة بطمأنينة تعكسها نظرتها الهادئة.. ربما تبحث عن غصن الزيتون .. والأب فيلوثاوس فرج من أشهر الشخصيات القومية السودانية وله مزايا يتفرد بها، فهو إلى جانب كونه من الرموز الدينية الوطنية بإعتبار موقعه القيادى في الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، وفي طائفة الأقباط السودانيين يعتبر من رموز العمل العام والوطنى دون تقيد بأى إلتزام حزبى أو إطار تنظيمى مغلق، ولا يحسب على أيديولوجيا سياسية أو نظام..

ورغم ذلك فهو ساطع الحضور في كافة مناشط ومواقع العمل العام والوطني والإجتماعى، وإلى جانب ذلك فإن الأب فيلوثاوس فرج معروف بكتاباته الراتبة في الصحف اليومية، وهى كتابات تنضح بالمحبةوالدعوة للسلام للتعايش بين الأديان، وله كذلك إجتهادات مُقدرة في مجال البحث المقارن بين الإسلام والمسيحية،

ويحتفى أيما إحتفاء بمناسبات المسلمين الدينية، هذا بالإضافة إلي عطائه الثرى كبرلمانى مُقتدر، وقد أثرى إلي حد كبير التجربة البرلمانية الحالية منذ فترة المجلس الوطنى الإنتقالى..

أ/ أحمد عبد الله حنقه
السودان اليوم

الأب فيلوثاوس فرج شخصية سودانية معروفة، تجمع ما بين النخوبة والجماهيرية، وتشهد على نخبويتها كتاباته وكتبه ووجوده ومساهماته في المؤتمرات والمنتديات الفكرية، وتشهد على شعبيته إنه رجل دين ، قس، وأب يعمل وسط الناس العاديين، يحل مشاكلهم ويسعى بينهم، والأب لا يملك إلا أن يكون من طينة الناس وخاطبة الأديان، الخلق بهذا اللفظ الناس والإنسان، ومن دائرة الناس إتجهت إلى دائرة المؤمنين إلى الصديقيين والحواريين والرسل (نخبة النخبة)، وتكون هذه الدراسة قد حققت أهدافها حتى وإن لم توافق الكاتب على فرضياته ونتائجها لأنها تكون قد فتحت لك نافذة للتعرف على الإسلام والمسيحية، والثقافة الإنسانية..

مرحباً بالأب فيلوثاوس فرج في منتدى " حوار الأديان " وحوار المتدينين، وحوار الحياة ، وحوار النخب والعقول، وبالحوار نكسب المعرفة ويتقدم الإنسان، ويتحقق مقصد كرامة الإنسان..

بروفسور دكتور حسن مكى
أستاذ كرسى البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة أفريقيا العالمي

الأب القمص فيلوثاوس فرج إنسان سودانى حتى النخاع، وهو محب لوطنه لدرجة الوله، لذلك فهو حينما يكتب فى شتى مواضيع الكتابة تجد السودان يطل من خلال سطوره وجمله.. والوطن هو محور الأشياء في حياته وكل مدارات الكتاب عنده تدور فى محور السودان الوطن الواحد، والكتابة عنده هواية وليس إحترافاً،

لذا ونحن نطالع كتاباته نجد الإنسيابية والسلاسة والمتعة، وكل سطر من سطوره يقودك للسطر التالي في نسيج أنيق الشكل والمضمون..

والأب فرج وحدوي الأيدويولوجية و تطل شخصيته الدينية كداعية للإيمان المطلق لله الواحد الأحد، وهو متصالح مع ديانات السماء، ولعل شخصية المعلم التى عاشها فى بواكير شبابه أضفت على كتاباته ألق المعلم صانع الأجيال، وهو رجل مجتمع دائم الحضور في المناسبات الرسمية والشعبية.. وهذا هو السبب الذى أكسبه عمقاً معرفياً للناس..

وعاصمتنا المثلثة شهدت للأب فيلوثاوس حضوراً ومعاصرة فوق كل ذلك فهو مندفع نحو الثقافة بمعناها الشامل، وقارىء عميق حصيف متنوع القراءات، وله تاريخ ومعاصر للرموز الدينية في باقي الكنائس..

الدكتور/ التيجاني حاج موسى
رئيس المصنفات الأدبية

من أصعب الأشياء أن تقدم لعمل رجل بقامة الأب فيلوثاوس الرجل المدرسة من حيث خفة ظله ورقة عبارته وسماحة نفسه.. تلقاه لأول مرة فتشعر في دخيلة نفسك إنك تعرفه منذ سنوات ، وتحادثه فيتدفق الدفء من بين حروف كلماته، ويكتب فتدفق أفكاره دون حاجز كالماء الرقراق..

وكتاباته قطوف من المعرفة والخبرة، ومزيج من التاريخ والقصة والحكاية والأدب والدين وهذا ديدنه، لا يفصل بين جزئيات الحياة لأنه يعيش حياته بكل جوانبها الروحية والمادية.. ولقد عرفته فى السودان وخارجه طيب المعشر ودود يحبه كل من يلقاه، يطرق القلوب دون حاجز..

مألوف الوجه، طيب الجنان، وكذا كلماته وحروفه التى يسطرها ، وهو أم درمانى بأشواقه ، خرطومى بقامته، ولأم درمان نكهة فى كتاباته شأنه شأن زميله ورفيق دربه أستاذنا البروفسور أحمد دياب، ومهما كتبت لا أملك سوى القول بأنه : قد ملك ناحية القلم، كما ملك ناحية السلام، فأصبح سفيراً عالمياً ، له شهادة الأباعد قبل الأقارب..

فهنيئاً للسودان والأقباط، وهنيئاً له بما كتب وسطر، وأحدث من أثر وما تمكن من كسر الحواجز والسدود بين أبناء الملتين..

بروفسور/ سيد أحمد على العقيد
أستاذ مشارك فى التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة النيلين ، كلية الآداب

إن كتابات الأب القمص فيلوثاوس فرج تتصل بالحياة السودانية قديماً من عهد نبتة ومروى، وحديثاً حتى عهد الإنقاذ، وطرائف وشئون أخرى تناولها قلم المُحب للسلام والمحبة والتسامح بين الأديان، والإعتراف بحقها فى حياتنا.. ولقد سعدت بلقاءات خاطفة بالتعرف على الأب القمص فيلوثاوس فرج فى الندوات الفكرية والأدبية، فهو نشط محب للناس يصدر عن طبع أصيل، وإزدادت العلاقة وأخذت شكلها النهائى لدى تكريم الراحل جورج مشرقى شنودة ، وجورج بالنسبة للأم درمانيين الذين عرفوه وإقتربوا منه شخصية أم درمانية فريدة لها مآثر جمة..

إن هذا الأب المحترم فعلا إستحق لقب" سفير السلام" الذى منحوه له فى نيروبى، فأطروحاته تلهث وراء السلام مخلصة وتعمل على ترسيخ ثقافة السلام وإرساء قوام الوحدة الوطنية.. وعند قراءتها رجعت بالذاكرة مستعرضاً حياتنا في الأولى وما تلاها. وبعد سأظل أحمل راية التسامح بين الأديان السماوية حتى لا تعود أداة شر في أيدى بعض الضعفاء الذين تدفعهم أنانيتهم المقيتة فيسخرونها لإذلال الناس وإرهابهم، ولعل القصيدة التى ألقيتها فى مسرح البقعة تكريماً للمواطن " جورج مشرقى " الذي عرفناه مواطناً صالحاً، ونظرنا إلى الجوهر في حياته، وأشحنا عن القشور التى تذهب جفاء والمطلع الأول فيها يقول بهذه المعانى السامية وهو :-

ملتقانـــا عنـــد جـــورج
عندمـــا يأتـــى المســـاء
حيـــث نلقـــى عنـــده
مـــا يُنجـــى مـــن عنـــاء
عنـــده نلقـــى الصديـــق
ونلاقـــى الزمـــــلاء
فى حديـــث ممتـــــع
يتداعـــى فـــى صفـــاء
وهنـــاك المبدعـــــون

إتخذوا ركنـــاً قصيـــاً
فى هـــــدوء يجلسون
بإهتمــــام يبحثــون
فلهــم أغلى قضيـــــة

أرجو أن تروق لكم هذه الكلمات، فهى من قلبى صادقة ، ولك منى التحية والتقدير..

صديق مدثر أبو القاسم
شـــاعر وأديب سودانـــى
أم درمان ٢٠٠٧/١/٩ م

- عرفت الأب فيلوثاوس فرج أو كما يحلو لنا أن نطلق عليه منذ أن عرفناه للمرة الأولى قبل قرابة الثلاثين عاماً لقب" أبونا".
- وهو رجل منذ أن عرفناه منذ ذلك التاريخ المبكر الإبتسامة لا تفارق محياه" السمح" والوقار لا يفارق " سمته" المهذب.. وكان ولا زال يشكل بالنسبة لنا نموذجاً حياً للتمازج والتعايش الدينى عامة بين المسلمين والمسيحيين خاصة فى بلادنا ، وظل يساهم معنا بالكتابة الصحفيةِ الراتبة ، وبلا مقابل مادى منذ ذلك التاريخ، وعرفنا مقالاته ونحن نعمل بصحيفة" الأيام" الحكومية وقتها، وبصحيفة " الأسبوع" التى كنا من ملاكها في ذلك الوقت.. وأخيراً"بأخبار اليوم" والتى يواصل فيها نشر مقالاته الإسبوعية كل سبت حتى الأن، كما أنه صاحب قلم نشط ولديه عدة أعمدة إسبوعية راتبة بعدد من الصحف اليومية السياسية..

ومن الملاحظ أن أبونا فيلوثاوس فى كتاباته سواء إن كانت" الدينية المسيحية التبشيرية " أو " السياسية " أو الإجتماعية" .. فإنه يميل دائماً للتركيز على ما يجمع وليس على ما يفرق كما أنه يركز فى مقالاته على ترسيخ ودعم ودفع التعايش الدينى ببلادنا ، ويوجه فى كتاباته إنتقادات قوية ومهذبة للمظاهر السالبة فى حياتنا السياسية والإجتماعية والثقافيـــة .. وفوق هذا وذاك فهو رجل مجتمع من طراز فريد .. تجده حاضراً لدفن الموتى من ، أصدقائه ومعارفه داخل مقابر المسلمين.. وتجده داخل المساجد حضورا

لعقود القران.. وفى حفلات الأفراح " مبشراً" وفى منازل العزاء معزياً ، مما أكسبه شعبية واسعة وسط السودانيين، وهو منهم ويعتز بسودانيته .. فالتحية " لأبونا" فيلوثاوس فرج ، وأطال الله عمره .. والله من وراء القصد.

أحمد البلال الطيب
رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير
أخبار اليوم السودانية اليومية المستقلة
٢٠٠٥/٨/٢٠ م

# ١.	النادي القبطي وتربية الضمير

مهرجان النادي: يحتفل النادى القبطى بالمهرجان الثالث والعشرون نوفمبر ٢٠٠١م إحتفالا ثقافياً يشبع كل المستويات من خلال ندوات روحية ، ومناشط رياضية، ومنابع ثقافية، حيث فى قاعة النادى معرض شيق وممتاز للثقافة القبطية مع عدة لوحات تجسد الفن القبطى مستفيداً بتاريخ السودان فى مرحلته المسيحية والتى أخذت من الزمن ألف عام، والتى هي نتاج الفكر القبطى حيث أن الكنيسة النوبية هى جزء لا يتجزأ من الكنيسة القبطية، حتى الآن من يرغب في دراسة تاريخ النوبة عليه أن يدرس اللغة القبطية حيث كتبت اللغة النوبية بحروف قبطية..

وكانت فرحة مهرجان هذا العام فرحة تتواكب مع إهتمام والى الخرطوم بإعادة تنظيم المنطقة والعمل أن يكون إمتداد الدرجة الأولى فعلا درجة أولى، كما أن الوالى قد حسم أمراً قديماً وأضيف للنادى مساحة سبعمائة وخمسون متراً لكى يتسع نشاطه، وقد كانت هذه فرحة للجميع ، ولقد طلب السيد جمال حكيم رئيس مجلس إدارة النادى من الأسقف الأنبا إيليا لكى يعلن للعضوية هذا الخبر السعيد فى حضور نيافة الأنبا صرابامون أسقف أم درمان الذى كان له القدح المعلى فى هذا العمل الكبير..

شعار المهرجان: أما السيد رفعت حكيم وهو مهموم بالدراسات القبطية، متحمس لأجداده الأول ، فاهم لقيمة تراثهم المجيد، فقد أخذ شعار النادى من التراث القبطى ممثلا فى الأيقونة الأثرية التى تمثل رئيس الملائكة ميخائيل وهو يقف بمهابة ووقار وقد إرتسمت على وجهه سمات الدعة والورع وهو يقبض بيمناه على صولجان بالغ الطول ويمسك بيسراه ميزان العدالة الذي يذكر الإنسان بأنه تأتي ساعة وهي الساعة يقدم فيها كل إنسان حساب وكالته..

الفنان القبطى: ويقدم رفعت حكيم شرحاً وتحليلا لهذا الشعار يقول فيه : إن الفنان القبطي تجنب رسم مناظر الرعب فى الدينونة وعمليات تعذيب الشياطين التى إهتم بها المصورون الأوربيون فى رسمهم للملاك وهو ينقض بجبروت على الشيطان الأسود ملوّحاً له بسيف من نار، بينما الفنان القبطي يستوحى رسمه تقاليد الحضارة المصرية القديمة التى تصور عملية المحاسبة بعد الموت، وهى تتم بإتزان شديد وفي عدالة فائقة حيث يضع " أنوبيس" قلب المتوفى على إحدى كفتى الميزان وفى الكفة الأخرى يضع علامة الحق " معات" التى يرمز لها بالريشة، وفى أعلى الميزان يجلس الفرد " تحوت" وهو يسجل النتيجة..

وعندما تبدأ المحاسبة يردد المتوفى الكلمات التى سجلها لنا كتاب الموتى يدافع الإنسان عن نفسه بقوله : أنا لم أرتكب ما يغضب الإله ، لم اتسبب فى بكاء احد ، ولم أتسبب فى حرمان إنسان من حق له ، لم أنقص المقياس ، ولم أطفف فى الميزان ، لم أختطف اللبن من فم الرضيع ، ولم أطرد الماشية من مراعيها ، لم أصد الماء فى موسم جريانه ، ولم أقم سداً فى مجراه ، لم أطفىء شعلة فى وقت الحاجة إليها ، ولم أعترض على إرادة الله..

معرفة الله: ويطرح شعار النادى سؤالا حول معرفة الله عند أجدادنا الأقباط الفراعين، وتؤكد الإجابة إنهم كانوا يعرفون الله ، وكانوا يؤمنون أيضا بوحدانية الله ، ويؤكد هذا ما تذكره لنا الكنيسة في قصة دخول القديس مرقس الرسول كاروز أفريقيا إلى مصر ، فقد كان حذاؤه قد تمزق من كثرة السير فمال إلى إسكافى المدينة وإسمه " إنيانوس" ليصلح له الحذاء ، وفيما هو يصلحه دخل المخراز فى أصبعه فصرخ قائلا : " إيوس ثيئوس" ، وهذا يعنى " ياالله الواحد" ، وكانت هذه العبارة هى مدخل القديس مرقس لتبشير إنيانوس بالإيمان المسيحى ، وصار هو أول من آمن بالمسيحية، وأول بطريرك للكرازة المرقسية، حيث تعمد الإسكافى وكل بيته ، وصار بيته هو أول كنيسة قبطية فى مصر ، وتظل عبارة الله الواحد التى قالها قبل أن يسمع كرازة مرقس هى دليل على أن الإله الواحد كان معروفاً عند الأقباط الأول من قبل دخول المسيحية ..

وهنا أذكر العالم الجليل في القبطيات الدكتور سامي جبره رئيس قسم الدراسات المصرية القديمة فى جامعة القاهرة ، وكان أستاذى فى الكلية الإكليريكية ، كان يتكلم فى حماس عن إيمان الفراعنة كانوا وثنيون، وعندما كنا نرغب فى إثارته ليس كطلبة أشقياء فقط إنما كأذكياء كنا نقول: عندما كانت مصر القديمة فى الوثنية ، كان لا ينتهرنا فقط وإنما مع الإنتهار يحمر وجهه ويعلو صوته ويبرز الأدلة المقنعة بحضارة الوحدانية فى حضارة أقباط وادى النيل من مصر والنوبة والإسكندرية وسوبا ومروى..

تربية الضمير: إن حضارتنا القديمة لها الفضل في إبتداع فكرة ميزان العدالة سلوكاً نحو تربية الضمير الصالح، وقد أخذت هذه الفكرة بعدنا شعوب العالم ، وذلك سعياً نحو وازع أخلاقى مضمونه إن التدين هو الأخلاق الفاضلة والإلتزام بالضوابط وحب الخير للجميع، وإمتلاك القلب النقى للإنسان السالك فى طريق التقوى، وكان أجدادنا الفراعنة يقولون : أطع الإله الذى فى قلبك ، ويقول سليمان الحكيم : يا إبني أعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقى(أمثال ٢٣:٢٦).. أما المزمور فيقول : قلباً نقياً أخلق فىّ ياالله وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى .. أما القديس بولس

فيقول: أنتم هياكل الله وروح الله ساكن فيكم.. تهانينا للأقباط بعيد النادى القبطى، وشكراً لأنهم فى كل مرة يفتحون نافذة يأتى منها عبير التراث القديم ورائحة القيم النبيلة الذكية..

٢. النوبة وطن الذهب

أمجاد النوبة : إن النوبة هى مجد سودانى قديم ، وتاريخ مشرق يحتاج منا الى تسليط الأضواء عليه، والأمل أن تتجه الدراسات العليا التاريخية والأثرية نحو النوبة، ويحتاج دارس تاريخ النوبة إلى التعرف على اللغة القبطية والكنيسة القبطية.. فلقد كـتـب النوبيون بالحروف القبطـيـة وفي العصر المسيحى كانت الكنيسة القبطية هي التى ترعى كنيسة النـوبة.. صلوات..ورسامات.. وإدارة.. وإتجاه نحو الشرق.. وفهم للأبديـة وتطلع إليها.. وتمسك بالمبادىء الروحية نسكا ورهبنة .. وداعة وإتضاعـا.. ولم يـزل البحث عن النوبة تنقصه المراجع، لأن ما وصـل إلينا عـن النوبه هو قليل من كثير جداً لم نعرفه بعد.. والأمل كبير فى كشوفات اثرية جديدة وفى فهم عمـيق لآثار النوبة.. إن النوبة باقية حتى الأن فينا في رموز معينة ، في طقوس متعددة.. في بعض اللوحات الفنية الرائعـة..

وفي متحف السودان القومى هناك أثاراً كثيرة عن النوبة ، ولكن ما هو خارج المتحف أكثر مما هو فى المتحف.. إن أثارنا هاجرت منا الى الخارج وإستقرت فى متاحف عالمية متعددة.. وأقترح أن يجهز لنا نماذج هي صورة طبق الأصل مما هو موجود في المتاحف العالمية حتى يتمكن الدارسون من دراسة تاريخ النوبة من خلال أثارها.. حيث نبدأ تربية قومية وطنية لأجيالنا فيها يتعرفون على كنوزنا القديمة والتى هى أساس لحاضرنا المجيد وقوة تدفعنا إلى مستقبل سعيد..

وطن الذهـب: والنوبة هي وطن الذهب.. ولنا تاريخ ذهبي ساطع.. الذهب في النوبة كثير وأصيل، وفي صفاء ونقاء.. وهذه بعض محطات تؤكد لنا أن النوبه وطن الذهب..

١. إن إسم النوبة، يعنى الذهب.. ولقد كان حلم الفراعنة أن الذهب فى ربوع وادي النيل، ولهذا بينما سُمى الجنوب إثيوبيا، الحبشة أي ذوي الوجوه المحرقة، أطلق المصريون على الجنوب إسم بلاد الذهب.. وقدموا اليها على المستوى الرسمى. وعلى المستوى الشعبى مهاجرين ثم مستقرين فيها، بل هناك آراء تقول: إن سكان مصر هم فى الأصل نوبيون.. وهناك من يقول: إن سكان النوبة في الأصل

مصريون.. ولكن بالرجوع إلى الأصحاح العاشر من سفر التكوين نعلم أن مصرايم أب المصريين وكوش أب النوبة كلاهما أشقاء من أب واحد وأم واحدة..

٢. يقول كتاب التفسير التطبيقى للكتاب المقدس وهو لمجموعة من علماء متعددين فى التاريخ والجغرافيا والآثار وفى الخط التاريخى للأحداث الدينية والمدنية ، يقول : إنه في سنة الفين وأربعمائة ٢٤٠٠ق.م .. إستورد المصريون الذهب من أفريقيا.

٣. في معجم الحضارة المصرية القديمة لمؤلفه جورج بوزنر ، ترجمة أمين سلامه مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ م وتحت كلمة ذهب، وكيف إنه المعدن اللامع وغير القابل للفساد ، ومصدر إنبعاث الآلهة ، وكيف كان الفراعنة يجلون هذا الأصفر البراق ،ويحنح الوزراء عقودا من ذهب والجنود الأكفاء ذبابات ذهبية.. كان الذهب في رأي فرس، هو عند المصريين تراب على الطرق.. وكان يعتقد أن ملك مصر جبل ذهبى يضىء المملكة كلها مثل إله الأفق.. ولهذا إهتم الفراعنة بالنوبة المنتجة للذهب والتى رأى فيها سفراء فارس أن جميع الأسرى والمساجين مقيدون بسلاسل من ذهب..

٤. عندما حاول عمرو بن العاص دخول النوبة وكان هذا أمرا صعبا عليه بسبب الجنود الأشاوس رماة الحدق.. وحاول بعده عبد الله بن أبى السرح ولم يوفق، فرأي أن النوبة ليست دارا للحرب .. وليست دارا للإسلام ، ولهذا عقدت معاهدة البقط والتى لم تشر إطلاقا إلى الذهب.. ويبدو أنه لم يكن مهما لدى العرب..

٥. ولكن يبدو أن العرب فيما بعد لم يقدروا على مقاومة هذا الأصفر اللامع.. وهناك إشارات تؤكد هذا بل تقول: أن حملات العرب إستهدفت ثروات الذهب ، ونذكر من هذه الإشارات :

أ- في حملة إبن الجهم على البجا ، تخلف من الحملة كثيرون وآثروا البقاء في العلاقى حيث بهرتهم معادن الذهب..

ب- بعد حملة إبن الجهم لست سنوات فى عام ٨٤٧ .. وفدت جماعات من ربيعه وجهينه الى العلاقى ، بعد أن وصلتها أنباء الذهب فى ذلك الوادي..

ج- عندما ثار العرب على البجه وقتلوا كثيرين منهم فى مناجم الذهب بالعلاقى، إنتدب الخليفة المتوكل قائدا حربيا هو محمد بن عبد الله القمى سنة ٨٦١.. فسار القمى فى عشرين ألف جندى أضاف اليهم ثلاثة آلاف من العربان، وذلك حماية للذهب.. وبعدها إزدادت هجرات العرب لإستغلال مناجم الذهب والزمرد ، وصنعت خرائط لها..

د- فى أيام إبن طولون أوكل إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى ، قيادة حملة حربية كبيرة لم تهدف الى تأديب النوبة فقط ، إنما لإكتشاف مناجم جديده.. وظل العمرى منجذبا إلى الذهب.. حتى ذهب من العالم وفقد عمره..
هـ- إستقر عرب من ربيعه بالعلاقى مع قبيلة مضر وتميم .. فى محاولة للإستقرار وتكوين إمارة إسلامية.. وعن طريق المصاهرة تملكوا الأراضى واستولوا على ذهب العلاقى وزادت ثروتهم..
و- يقول الأب فانتينى أن نيوتى ملك النوبة .. كان يحمل قضيبا ذهبيا فى يده، ويبدو أن هذه عادة الملوك، وايضا ذكر الأب : إن الملك زكريا وعد أربعة رجال إن ناصروه ، أن يعطيهم وزن أجسادهم ذهبا.. إن النوبة وطن الذهب والذهب ليس الأصفر اللامع فقط ، إنما هو الملوك الأتقياء والجنود الأقوياء.. وكلام من الذهب هو تعبد وتنسك أمام الله من الملوك والشعب..

٣. النوبة سلة غذاء العالم

لوحة المجاعة: يذكر الدكتور شوقى الجمل ، فى كتابه تاريخ سودان وادى النيل الجزء الأول .. أن أول مرة يذكر فيها إسم بلاد النوبة فى عصر الدولة المصرية القديمة.. كان فى زمان الملك زوسر فى الأسرة الثالثة .. حيث عثر فى جزيرة سُهيل جنوب أسوان ، على لوحة من الجرانيت سُميت بإسم لوحة المجاعة.. ورغم أنها كتبت فى عصر البطالة، إلا انها تحدثت عن مجاعة طويلة حدثت أثناء حكم الملك زوسر (٢٩٠٠ ق.م) ولم يجد هذا الملك حلاً للمجاعة التى حلت على أرض مصر.. إلا فى جاره السودانى جنوب الوادى.. وقد إضطر هذا الملك الى مصادرة محصولات النوبة وإرسالها الى مصر لتخفيف حدة هذه المجاعة.. ويرى شوقى الجمل إن مصر بعد أن إتحدت إتحادا داخليا كاملا ، بدأت تهتم بالشعوب المتأخمة لحدودها ، ومدت سلطانها على شعب النوبة الشمالية وسيطرت عليه بشكل ما ، حيث لا يذكر أن الأمر تم من خلال حملة حربية.. والأكثر قبولا أن النوبة كانت قبل زوسر واقعة تحت سيطرة مصر ومن ثم لجأ الملك لمصادره .. وقد وصلت حدود الملك زوسر إلى بلدة" المحرقة" من أقاليم النوبة السفلى .. وقد أوقف الملك عُشر محصول أراضى تلك المنطقه ، وحبس خيراتها وغلاتها جميعا على معبد " خنوم " رب الشلال الأول، وحامى منبع النيل..

وطبعا لم يكن الفراعنه قد وصلوا الى منابع النيل، إنما كانوا يعتقدون أن النيل ينبع من الجنة ، وأن " خنوم " هو الإله الذى يحمى هذا المنبع عند الشلال الأول..

ويبدو أن غزو مصر للنوبة كان قد بدأ قبل تاريخ المجاعة ، حيث يذكر حجر "بلرمو" وهو كتلة من الحجر الأسود أقامها أحد ملوك الأسرة الخامسة واثبت على وجهها أسماء الملوك منذ فجر التاريخ حتى وقت كتابتها.. ومدد حكمهم وبعض ما وقع فى عهدهم من أحداث ومنشآت، وذكر السنوات الهامة المرتبطة بالأحداث التى يراد تخليدها لكل ملك مثل سنة تعداد الماشية وسنة إرسال سفن لإحضار الأخشاب..

وعام الفيضان ذكر في هذا الحجر الأسود أن الملك " سنفرو " من ملوك الأسرة الثالثة .. قد غزا بلاد النوبة وأسر سبعة الآف من الرجال والنساء وغنم مائتين ألف من الثيران والعجول والأغنام .. ولما جاء الى مصر إستخدم الرجال في أعمال الحكومة والنساء فى القصر الملكى ، أما الثيران والعجول فبعضها ذبح للطعام والبعض الأخر إحتفظ به لتربية نتاجه لجودة نوعه.. وسمى ذلك العام ، عام غزوة بلاد النوبة والإنتصار على النوبين وإحضار غنائم لا حد لها من الماشية ورؤساء القبائل المهزومة..

أما الملك زوسر الذي حدثت فى عهده المجاعة ، فقد فتح منطقة يبلغ طولها ١٤٣ كيلو من جزيرة فيلة في أسوان فصاعداً.. وليست هذه هي المرة الوحيدة التى تستفيد فيها مصر من محاصيل النوبة .. فإن " حرفوف " حاكم الجنوب في أيام الملك " مون رع " يذكر إنه فتح طريقا الى السودان وأحضر كل المحاصيل التى تحصد من هذه المنطقة..

سلــة غــذاء : كانت مصر يوما سلة غذاء العالم بعد الرؤيا التى حلم بها فرعون مصر والمذكورة في سفر التكوين الإصحاح الحادي والأربعون ، حيث رأى فرعون نفسه ، وإذا هو واقف عند النهر وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم ، فإرتعت فى روضة .. ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة من النهر وراءها قبيحة المنظر ورقيقة اللحم وقفت بجانبها ثم أكلت السبع بقرات السمان .. وحلم ثانية بأنه هوذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحد سمينة وحسنة ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية ، هذه أكلت السنابل السمان.. وخرج يوسف من السجن ليفسر الحلمين. وهما رمز لمجاعة قادمة ينبغى الإستعداد لها.. وأعطى فرعون يوسف بعد السجن أن يعتلى العرش ليكون بعد فرعون ويدير أمر المجاعة.. وبهذا يصبح أول إقتصادى فى العالم وأول مدير لأزمة المجاعة.. وبعد هذا صارت مصر مخزنا للغلال للبلدان التى تحيط بها..

ولكن كانت النوبة هي سلة غذاء مصر.. ولقد تنادى حكام السودان، بأن السودان هو سلة غذاء العالم.. وأعلن آخرون أننا سوف نأكل مما نزرع.. ونادى مفكرون بأن يستيقظ الوطن ليؤدى رسالته للعالم ، كسلة غذاء تشبع إحتياجات العالم.. ونادوا أن صح النوم يا وطن..

وما زلنا حتى الأن نحتاج إلى إستراتيجية تؤكد دورنا بأننا سلة غذاء ، وخير للعالم.. وأنا أتوقع بمشيئة الله.. وبعد إتفاقيات السلام وإيقاف نزيف الحرب ، أن السودان سوف لن يتنازل على دوره كسلة غذاء للعالم وسوف يتعاون معنا بمشيئة الله كل العالم، حتى نظل كما كنا سابقا.. وكان أجدادنا فى النوبة هم الحل الأمثل للمجاعات ، كما سجلت لوحة المجاعة هذه...

٤ . النوبه وحديث الوثائق

حديث الوثائق : يأتى إلينا تاريخ النوبة من خلال حديث الوثائق.. وكان ملوك كوش يسجلون ما يحققون من إنتصارات وإنجازات على صخور المعابد والأهرامات والمقابر..

وحديثنا نركزه عما وجد على مقابر حكام الجنوب خلال الأسره السادسة، وهم بالتحديد : أونى.. وحرخوف.. وبيبى نخت.. وسبنى.. وسوف أستفيد بما ذكره البروفسور" شوقى الجمل "فى حديثه عن العلاقة العامرة بين ..

النوبه ومصر :-

١ * نلاحظ أن بلاد النوبة كانت محاجر تقطع منها الأحجار والصخور.. وقد ذهب " أونى" حاكم الجنوب على رأس جيش كبير من عشرات الآلاف ، الى النوبة.. ومن هناك أرسل " جرانيت" بكمية لبناء هرم " مون رع "..

٢ * أشرف "أونى" أيضا على عمل هندسى كبير وهو فتح خمسة مسالك في صخور الشلال الأول وهي من الجرانيت لتسهيل المواصلات بين مصر والسودان..

٣ * إستفاد " أونى" من خشب السنط وصنع منه أربعة قوارب تجر بالحبال، وأيضا ثلاث نقالات..

٤ * كان السودان متقدما في صنع " زيت الكافور " وتصديره الى مصر كما تقول وثيقة " حرخوف" حاكم الجنوب.. ويحتاج السودان الأن الى إعادة إنتاج " زيت الكافور " ذو الفوائد الجمه من شجر الكافور أو البان..

٥ * كانت العلاقة بين مصر والسودان خلال الأسرة السادسة ، علاقة قوية وكانت مصر ترسل الحملات الى الجنوب .. وقام قادة الحملات بنقش قصص حملاتهم على صخورالجرانيت الممتدة جنوب الشلال الأول..

٦ * من حساب الأيام للرحلات ، يمكن أن نستنتج الى اى مدى وصلت هذه الرحلات الى قلب أفريقيا ، فالرحله من أسوان الى دنقلا كانت تستغرق من شهر الى خمسين يوما ذهابا وأيابا.. والى جبل البركل خمسة وسبعين يوما.. والى سنار ٢١٠ يوما.. ويقول:"خوف حور" إن له رحلة إستغرقت ٢٤٠ يوما .. وهذا يعنى أنه توغل فى جنوب السودان ، غير أنه لا يوجد ما يثبت أن الفراعنه وصلوا الى سنار.. كما تتأرجح المسافات بين الزياده والنقصان بسبب ما كانت تتطلبه من حوار مع رؤساء القبائل وإسترضائهم..

٧ * لم تكن الرحلات ، رحلات فتح وغزو بقدر ما كانت تبادلا إقتصاديا.. ولم تستعمل القوه إلا عند اللزوم.. وفي حالة الضرورة، ولكن كانت هناك قوة.. أما السلع التى تحتاج اليها مصر، فهى الزيوت، البخور ، والمر، الذى كان يستعمل فى التحنيط وجلود الفهود ، التى كانت تستخدم لملابس الكهنة.. والعاج.. والأبنوس.. وفي المقابل كانت سلع مصر،هى العقود والعطور وعسل النحل والمنسوجات وورق البردى..

٨ * كان هناك مركز تجارى بنى من الطوب اللبن وتم إكتشافه بواسطة البعثة الأمريكية. ووجد فيه أوانى من المرمر للعطور، نُقش عليها إسم " بيبى الأول " وأيضا أوانى حجرية يحتمل أنها كانت لعسل النحل..

٩ * كانت الحمير هي وسائل النقل.. وكانت الأحصنة تستعمل فى الحرب للفرسان.. وذكر عن الملك قيرقاص ، أنه عندما إتجه بحملته الى مصر، كان معه مائة الف فارس ، ومائة ألف فرس.. ومائة الف جمل.. فى منتصف القرن الثامن الميلادى.. وكانت الخيل قصارا كالحمير.. وعندما دخل السيد المسيح ملكا على أورشليم.. كان راكبا على حمار، لكى يؤكد أنه ما جاء محاربا كالفرسان ، إنما جاء فى وداعة الشجعان..

١٠ * كانت أسوان هى مركز التبادل التجارى وكلمة أسوان تحريف للفظ " سوون " بمعنى السوق.. وكلمة سونت المصرية القديمة معناها التجارة.. وكان طريق البر وطريق النيل.. وكان الفراعنة يستخدمون الحمير التى لا تحتمل مثلما يتحمل الإبل...

١١ * الأسماء التى أطلقت على بلاد النوبة هى: أسماء قبائل كانت تعيش هناك مثل الواوات والمازوى...

١٢* عندما لم يجد أهل النوبة قوة ، مقابل قوة فرعون.. كانوا يعتمدون الدبلوماسية ويكتفون بأخذ هدايا من القوافل التى تمر بهم ، وهذا لا يعنى إنهم لم يستعملوا القوة بل كثيرا ما كانت القبائل تباغت حملات فرعون، فيرسل لردعها. غير أن الـــردع لم يكن العامل الفاعل بقدر العلاقات الشخصية..
١٣* كانت تخوم النوبة ممتدة حتى بلاد الصومال والمنطقة الواقعة جنوب البحر الأحمـــر. ولهذا بنى الفراعنة السفن بميناء البحر الأحمر ومن سنط النوبة .. وكان حاكم فيله هو المسئول عن إدارة هذه العلاقات، بل أن حكام الجنوب كانوا يتخذون من أسوان مقرا لهم .. بل أن بعضهم من أمراء فيله..
١٤* كان هناك جيش ثالث فى مصر من المرتزقة تحت إدارة " مدير القوافل " وكان هؤلاء الجنود من النوبة وعرفوا بإسم " نحسى " ويرى المؤرخ سليم حسن فى كتابه " مصر القديمة " أنه ربما تكون كلمة " نحاسة " مشتقة من " نحس " .. وقد حظى مديرو القوافل بمكانة كبيرة وسلطان واسع وضياع .. وكانت هذه الوظيفة تورًث داخل الأسر

٥ . القلم الذهبي لوطن الذهب

محجوب صالح : يستحق الأستاذ محجوب محمد صالح أن يكون صاحب القلم الذهبى فى وطن الذهب السودان الذى حمل إسم النوبة .. والنوبة كلمة قبطية تعنى " الذهب".. وقد نال محجوب هذا اللقب وأمسك بالقلم الذهبى من المنظمة العالمية للصحافة فى هذا العام بدورتها المنعقدة فى العاصمة الكورية سيول.. وليست هذه هى المرة الأولى التى يمسك فيها بالقلم الذهبى ، لأنه منذ آمد طويل تميز لأكثر من نصف قرن ، كان يكتب كلاما ذهبيا فى وطن الذهب وسعيا لأن يظل وطن الذهب حراً كريماً.. كانت التحديات صعبة ، ولكن قلب الذهب إخترق كل المجالات وقدم أعظم التضحيات لكى يظل السودان عاليا فى قيمه وسموه ونبل حضارته ، وفى عالم كبير فى سمائه نجوم كُثر للكلمة والصحافة ، يتألق نجم المواطن السودانى محجوب محمد صالح لكى ينال هذه الجائزة الكبيرة.. وتكريم محجوب هو تكريم لزملائه وهم معه يكونون ثالوثا محترما ، متحديا ، مقتحما ، حيث بدأ هؤلاء فى ثالـــوث واحد ، وكأنهم رجل واحد وقلم واحد منذ أكثر من نصف قرن يعملون.. ويجاهدون.. ويكتبون كلاما ذهبيا يعرضهم للسجن والتشريد وإغلاق دور صحيفة الأيام .. ولكن مهما كانت المحاربات تظل الأيام على مدى الأيام صرحا شامخا

للإدارة والعزم والحرية وقبول الأخر وإحترام التعددية وثالوث جريدة الأيام هو ، محجوب محمد صالح ومحجوب عثمان.. وبشير محمد سعيد..

فـم الذهـب: يذكر لنا تاريخ القرن الرابع ، قصة شاب وثنى أحب المسيحية يوما فصار خطيبها البارع وسمى يوحنا ذهبى الفم .. وعندما سُئل " ليبانيوس" أعظم خطباء عصره فى أنطاكيه عن خليفة له أجاب وهو يتنهد " يوحنا لو لم يسلبه المسيحيون " ولم يسرق المسيحيون يوحنا، ولكنهم إجتذبوه إليهم ، وكانت أمه السورية قد كرست حياتها لإبنها بعد زواج لمدة اربع أعوام.. بعدها فارق الأب الحياة.. وأعطت الأم لإبنها كل شيء حتى قال نفس الخطيب ليبانيوس " لله در النساء عند المسيحين " .. وبدأ يوحنا عمله محاميا يدافع عن قضايا المظلومين والفقراء ببلاغة وفصاحة.. وبعد هذا إنجذب نحو محبة الله .. وبدأ حازما فى حياته الروحية الجادة حتى قيل عنه أنه لم يحلف قط ولا إفترى على أحد قط.. ولا نطق بكلمة باطلة ولا سب ولا حتى سمح بأى مزاح طريف.. أى أنه كان جادا للغاية .. وإتجه نحو الخطابة الروحية فكانت كلماته قيمة مثل قيمة الذهب ، لها بريق الذهب، ولها أناقة وأعماق هذا المعدن الجذاب.. وبعد هذا إعتكف للعبادة والتهدج راهبا ، ثم رسم أسقفا، عملا بمنطق يقول خير للإنسان ان يكون أقل فضيلة ويهدى خلاص غيره.. من أن يسكن الجبال ويرى إخوته يهلكون.. والكلام له لأنه كان يسكن المحبة التى فى أعماقه لحياة الوحدة..

وبعد هذا بدأ خدمته أسقفا ولم يكن طريقه هادئا ولا مسيرته بدون حجار.. تعثر ولكنه كان محبوبا من الناس وأعطته الكنيسة لقب " يوحنا ذهبى الفم "..

وطـن الذهب : إن القلم الذهبى الذى حاز عليه الصحفى اللامع محجوب محمد صالح هو هدية إحترام وتقدير للسودان وطن الذهب.. والسودان لا يحمل بإعتباره النوبة وطن الذهب كإسم، إنما فعلا.. كان السودان ولم يزل وطن الذهب.. والذهب هنا.. هو الذهب فعلا.. كما أن الذهب هو كلام من ذهب يعيشه أهل السودان .. ذهب العفو والعافيه ذهب السماحة والتسامح.. ذهب الوقوف مع المكلومين والحزانى.. ذهب الإهتمام بالمرضى.. وهناك تجذب الإلتفاف أمام المستشفيات وفى سرادق التعزيات.. تتمثل فى تجمعات كبيرة وتلقائية تؤكد تعاطف المواطنين معا.. وهذا له قيمة أغلى من الذهب...

والذهب ايضا يتمثل فى جنود أشاوس أقوياء كانوا يوما ما قوة الجيوش وسبب نصرتها الغالبة ، فكانت مصر القديمة عندما تأسر أحدا من الجنوب ، تضم الأسرى إلى الجيش ، لأنهم جنود أقوياء.. ولم يقدر العرب على فتح النوبة ، رغم شراسة

السلاح واستمرارية الفتوح، وذلك لأن الجندى السودانى قوى باسل رغم أن سلاحه لم يكن سوى قوس وسهم..

وفى العصر الحديث ، طلب نابليون جنودا من السودان يحاربون معه فى المكسيك ، وتحقق طلبه.. وقديما قالوا عن مصر " إن الذهب فى مصر مثل الرمال على شاطئ البحر"..

ولقد عرف الفراعنة كيف يجمعون الذهب من السودان ويحتفظون به فى مصر، وكانوا يستعملونه فى توابيت الموتى من الملوك ، بل كانوا يسمون بيوت التحنيط، بيوت الذهب.. وظل بريق الذهب يجذب الإلتفات ومنذ القدم.. وفى أيام إبن طولون فى القرن التاسع، أعد حملة حربية إلى بلاد النوبة وأرض البجه.. بقيادة عبد الرحمن العمرى وهو رائد أول من رواد الثقافة الإسلامية، وكان أستاذا فى الحديث، ولقد ترك هذا كله سعيا وراء الذهب.. ووجه أنظار العرب إلى النوبة وطن الذهب.. وكان هدف حملته هو الكشف عن مناطق جديدة للذهب وبالتحديد فى الشلة قرب " شنقير" ، وحتى عندما وصل بجيشه إلى "إدفو " رجع ثانية إلى المناجم.. حتى مات مقتولاً بيد عربى من قبيلة مصر..

لقد أهدى القلم الذهبى لمواطن من وطن الذهب، هو محجوب محمد عثمان.. لك كل التهنئة ولكل صحفى أمين .. ولكل إعلامى مؤمن برسالته.. ولكل أهل وطن الذهب..

٦ . النوبة في تراث الشايقية

عرش السودان : فى سلسلة مقالات دعوة محبة على صفحات جريدة الأيام الغراء .. كتبت موضوعاً بعنوان " أمهات وملكات على عرش السودان " وفى يوم السبت ١٨ يونيو ٢٠٠٥ وفى الصفحة السادسة من جريدة الأيام جاء تعقيب من الأستاذ محمد عوض الله حمزه.. وقد أعجبت جدا بهذا التعقيب ، وهو من شخص له قامة علمية متميزة.. وحماس وطني دافق أعجبنى أولا أنه قرأ.. وفهم .. ثم عقب كاتبا .. وهذا رفع لمعنوياتى ، سعدت جدا به.. كثيرون يلتفون بى ويعبرون عن إعجابهم بما أكتب.. ولكن قليلون هم الذين يسجلون إعجابهم بالقلم أو بالسطور المكتوبة.. وأعجبنى ثانية لأنه أضاف إلى معلوماتى المتواضعة الكثير مما حواه علميا.. ودخل من الباب الذى يقول : إنى تركته مواربا.. وأورد ما جعلنى أزداد إعجابا .. فهو يرى أن فنون النوبة إنتقلت إلى تراث الشايقية والى غناء

أمدرمان.. كما يرى أن جلوس الأم على يمين إبنها الملك صار تقليدا جرت عليه العادة.. وأريد أن أقول له : إن ملكة سبأ والتى ملكت اليمن ، هى ملكة سودانية أبا عن جد.. إنهابحسب الإصحاح العاشر من سفر التكوين حفيدة سبأ إبن كوش إبن حام .. وكانت سودانية تحكم اليمن وهى التى ذهبت الى سُليمان وكانت تُلقب بملكة الجنوب .. وهى بلقيس المذكورة فى الأدب النوبى أو الحبشى أو الأثيوبى أو الكوشى. وكلها مترادفات لكلمة واحدة تعنى السودان .. بوابة أفريقيا..

النوبة والشايقيـــة : ويرى محمد حمزة أن آ ثار" الملكة بلقيس" في سبأ وفي مروى ونورى والشايقية على ضفتى النيل عن يمين وشمال ، حيث كان لسبا بلقيس جنتان وحيث لا يزال فكر الأمومة ومجتمعها سائدا لدى الشايقية وموثقا فى تراثهم وإرثهم الثقافى الشامل الذى تعاقبت عليه المراحل النوبية قبل بلقيس وبعدها.. وأن الشاعر الأستاذ محمد الحسن سالم حميد ، إستلهم من ذلك ومن خلال ظاهرة تراكم الوعى التاريخى بطولة بلقيس وفكرها ويستند الى أحلامها وينطق بهذه الأحلام على لسان بطلته الأنثى " الأم نورا" ويقول: نورا تحلم بى عوالم.. زى رؤى الأطفال حوالم.. لا درادر لا عساكر.. لا مظاليم لا مظالم..

وهنا يرى أن نورا الشايقيه تبحث عن مجدها وسعدها ووطنها الضائع.. ويرى الأستاذ حمزه أن تاريخنا عن هذه المرحلة دخل دائرة العزلة والتهميش..وأنا معه ، ولكن لماذا نترك أمورنا وتاريخنا وحضاراتنا للتهميش ؟.. علينا أن نرفع صوتنا عاليا.. ونتكلم ونملأ الدنيا حديثا عن حضارتنا الكبيره وصفحاتنا المجيده.. ونطالب معا بإعادة النظر فى دروس التاريخ.. تاريخ السودان.. ونوجه الأنظار الى كتاب التاريخ للرابعة وسطى.. والذى صدر عن بخت الرضا والذى زين الغلاف بصورة لأسقف نوبى يمسك عصا الرعاية والصليب فى يده..

لقد إختفت هذه المرحلة التاريخية من مناهج التاريخ الجديدة .. وهذا أمر لن يسكت عليه كل محب لوطنه.. وكل عاشق لتاريخ وطننا العظيم..

ويستمر التعقيب ويوجه الأنظار إلى أمدرمان التى طالتها سياسة التهميش والإقصاء.. ويذكر شاعرها النابض الحى عبد المنعم عبد الحى، الذى ترفع أمدرمان بكلماته الشعرية راية التحدى فى أنين وشكوى حتى تخرج أمدرمان ثانية للملأ بثياب العُرس ، بعد ما طال العبس بها.. والعبس فى وجهها.. فأمدرمان هى أيضا أرض ملوك النوبة وملكاتها على طراز بلقيس.. وأمانى شيختو ، تلك الملكه التى هزمت جيوش القصر الرومانى والتى رسمها الفنان النوبى نقشاً وهى تمسك بيدها عصا وبالأخرى تجمع جماعة من الأسرى.. وقد سجلت الريشة الفنية نصر الملكة على المقبرة.. وهى توثق لما يأتى:-

١ * ظاهرة الأم الملكة النوبية المسيطرة على مقاليد الأمور فى مملكتها.. سلما وحربا.. وأسجل هنا كيف كان ماضينا مجيدا.. فنحن أول من أعطى للمرأة مكانتها.. وبينما كانت المرأة سقط المتاع لا تسجل حتى فى الإحصائيات.. وينتظرون قدومها لكى تدفن حية.. حتى لا تجر العار على المجتمع.. كان السودان يجعل من المرأة " ملكة "، قائدة، يسلمها إدارة شئون البلاد السياسية..
٢ * عنصر الفن التشكيلى رسما وكتابة ، كواحد من فنون النوبة المستقلة او المتميزة..
٣ * أدوات الغناء والعزف المروى النوبى التي عثر عليها لاحقا ضمن مقتنيات نفس الملكة أو حفيدتها..
٤ * العلاقة بين توثيق التاريخ وصناعته..
دعوة للتفاؤل : وبقدر ما أسعدنى هذا التعقيب الموثق تاريخا وشعرا ونثرا وأغانى حقيبة ودعوات صالحات .. فإننى متفائل جدا وأقف فى أول صفوف المتفائلين بأن وطننا العظيم سوف يخرج من المأزق.. مأزق شتات الإحتراب.. ونبدأ بعد هذا في مرحلة عودة الوعى، ويعود إلينا الوعى بتاريخنا المجيد وحاضرنا السعيد.. ومستقبلنا الواعي.. وسوف نستنهض الهمم ، لنبنى وطنا عظيما واحداً.. رغم التعددية التي فيه..

وسوف يكون لتعددية الأديان والثقافات والأعراق .. أثراً فى عزف سيمفونية قوية حماسية .. لا يتسرب إليها اليأس ولا الملل.. سيمفونية سودان كوش .. والنوبة مخزن الخير العميم لكل بلدان العالم.. وشكرا لهذا التعقيب.. وشكرا لجريدة الأيام .. وعلى صفحاتها نلتقى فى دعوة محبة...

٧. إكتشافات بعثات آثار النوبة

حُمىً البحث : عندما أطلقت حكومة السودان نداءاً عالميا .. طالبة المساعدة الدولية فى إنقاذ آثار النوبة التى سوف تطمرها المياه بعد السد العالى.. بدأت فى العالم فترة سُميت " حمى البحث عن الآثار".. وفى عام ١٩٦٠ كانت هناك ست بعثات قد بدأت أعمال التنقيب فى المنطقة .. وإرتفع العدد الى إثنين وعشرين بعثة من سبعة عشر قطراً.. وقد تمكنت هذه البعثات من إكتشاف الجديد وهذه بعض الإكتشافات :-

١ * فى مدافن بوهين تم العثور على مدافن بالغة الأهمية ، يرجع تاريخها الى فتـــــرة المجموعة

" أ " وكانت حالة هذه المدافن بحالة جيدة ووجدت الآثار المدفونة مـــــع الأموات سليمة..

٢ * في جزيرة" كسانارتى" وهي أول منطقة كانت سوف تواجه الطوفان على مسافة ٢٥ كيلو متر من وادى حلفا، كشف عن آثار، تعود الى العهد المروى.. والعهد المسيحى ..

٣ * في جزيرة " مينا رتى " وهي تبعد عشر كيلو مترات جنوب حلفا.. ومن أكثر المستوطنات المسيحية أهمية فى منطقة النوبة .. وجدت مجموعة من الآثار ترجع الى الفترة المروية والمسيحية وفترة دخول الإسلام الى النوبة.. وقد عثر فيها على ١٢٤١ قطعة آثرية هي من أجمل ما تم العثور عليه من خزفيات حتى الأن في منطقة النوبـــة وتوجت حفريات هذه المنطقة باكتشاف كنيسة عتيقة ذات لوحات ورسومات بالجبص ونقوش نوبية تعبر عن تطلعات الفنان النوبي وسعة الأفق التي تظهر في فنه المميز.

٤ * كشفت البعثة البولندية في منطقة " فرص " عن كنيسة عظيمة ، بُنيت بناءً ضخماً وُجدت تحت رمال فرص .. وعُرضت اللوحات والرسومات في نيويورك ، وكانت كنيسة فرص معرضا للوحات البديعة.. وقد وُجدت رسومات كثيرة فوق بعضها وإنتزعت من الحوائط بطريقة علمية دقيقة. ولم تتلف لوحة واحدة.. وكان عدد اللوحات ستة وثمانون لوحة.. عُرضت فيما بعد بمتحف " وارسو".. وألقت الضوء على حقبة الحضارة المسيحية في منطقة النوبة.. وعثر على عظام بيضاء لجثة مطران نوبى..فى مدخل الكنيسة الشرقي.. ويوجد فى الكنيسة القبطية أم الكنيسة النوبية ، طقس بدفن المطارنه فى كنيسة الكتدرائية أو في كنيسة أخرى.. والأن يدفن فى أمدرمان " مطران أمدرمان ، وفي كنيسة مارمينا وهو المطران الأنبـــا إسطفانوس.. ويدفن مطران الخرطوم الأنبا دانيال في كتدرائية العذراء بشارع النيل.

٥ * وفي عام ١٩٦٠ قامت البعثة الفرنسية الأرجنتينية المشتركه .. بأعمال تنقيب لها أهميتها فى منطقة " عكشه" على بعد أحد عشر ميلا من مدينة وادي حلفا.. وقامت بالعديد من الحفريات فى المدافن الفرعونية وفي أحدى المدافن التى ترجع الى ثلاث آلاف سنه قبل الميلاد.. وجدت الأجساد محتفظة بحالتها ولم يصبها أى تحلـــل..ومعالم الأجساد واضحة.. والأعضاء جافة لا يبدو عليها أى علامات للتحلل والتلف..المقل لم تنفزح.. والبطون لم تنتفخ ولم تنفجر.. وعثر أيضا على جثة

طفلة فى الثالثة من عمرها ، محفوظة فى تابوت خشبى .. إلتهم النمل الأبيض الكثير من أجزائه.. ولكن جسد الطفلة ظل سليما وعليه لبسة من قماش .. وحول عنقها قـلادة من الخرز.. وهذا ما يسمى عند علماء الآثار التحنيط الطبيعى.. أي بقاء الجسد كأن محنط دون إستعمال أى مواد كيماوية .. ومثل هذه الظاهرة موجودة الأن فى الكنيسة القبطية ، حيث أن جسد الأنبا بيشوى كما هو منذ القرن الرابع الميلادى وهكذا أجساد لرجال دين آخرين مثل: الأنبا يوساب الأبح. وسيدهم بيشاى رئيـس الشمامسة.. وبجانب ما وجد من أجساد لم تتحلل.. عثر على العديد من التحف، من بينها حلى من المرمر والفخار وقطعة نقدية إسلامية لم يعرف تاريخ سكها..

٦ * ومن أفريقيا كان البلد الوحيد الذى أتى هو وفد من جامعة غانا.. وقام بالتنقيب فى الضفة الغربية للنيل فى منطقة " دبيرة غرب" وكشف وفد الآثار الغينى، عن مستوطنة مسيحية كبيرة بكنائسها وأبنيتها.. وكشف عن المقابر عثر فيها على الكثير من الحُلى الآثرية..

٧ * قامت البعثة الإسبانية بالتنقيب فى ما بين أرقين وقرية " عبكه " وتمكنت من كشف مكثف فى المقابر من العصر المروى .. وعثرت على العديد من الفخار والحُلى .. وإنهمكت البعثة فى مستوطنة مسيحية قديمة بها بقايا آثار لكنيستين وذلك فى جزيرة " كازاريكو" عند حدود الشلال الثانى وعلى بعد عشرة اميال الى الجنوب من وادى حلفا.. ولكن وبكل أسف وجدت اللوحات المرسومة على حوائط الكنيستين لوحات باهتة يصعب نقلها .. ولكن تم توثيقها وتصويرها ، لتحفظ تراثا للأجيال..

٨ * قامت بعثة جامعة " كلورادو" بإجراء مسح آثرى لرقعة تمتد ستة كيلو مترات علـى شاطىء النهر العظيم.. وتضم جزيرة " بروسه " وكان الكشف عن مناطق أثرية ومستوطنات ترجع الى حضارة المجموعة (س) والحضارة المروية والحضـارة المسيحية وعظام حيوانية وآدمية متحجرة ، وأدوات صخرية فوق بعضها.. وكانت أغلب هذه الإكتشافات هى كشف عن العصر المسيحى فى النوبة ، بل فى أفريقيـاوالذى ظل لمدة ألف عام هو كل شىء فى التاريخ.. الحاكم مسيحى.. والمحكـوم مسيحيا .. والكنائس مفتوحة والصور والأيقونات تملأ المنازل وبيوت العبادة...

٨. بعثات للتنقيب في آثار النوبة

إهتمام عالمـــى : تجاوبت بلدان العالم مع نداء السودان لإنقاذ آثار النوبة.. وكان هذا الإهتمام العالمى سببا فى الكشف عن تاريخ السودان القديم.. وأغلب الكشوفات كانت عن العصر المسيحى في السودان والذي غطى الف عام من تاريخنا.. وكشفت الآثار عن الجانب الروحى لأبناء السودان الذين أحبوا بفطرتهم العبادة وإختاروا التدين وتعمقوا في عالم الروح وسعوا نحو الأبدية سعيا حثيثاً.. وكانت مقابرهم وما فيها من آثار هي ، الدليل علـــــى الإستعداد لحياة أخرى بعد الموت..

وقد أكتشفت أجساد موتى لم تتحلل ، بإعتبارها هذا نموذج للأبدية القادمة والتي سوف يحيا فيها الإنسان بالجسد والروح ، عندما يتم البعث وتدخل الروح إلى الجسد تبدأ الحياة الأبدية..

وقد إتسمت عبادة أهل النوبة ، بالنسك والتقشف.. حتى أن بعض الملوك إعتزلوا عن العالم وتركوا عرش الملك وعاشوا لله يبحثون عن خلاص أنفسهم.. كما كشفت آثـــار التنقيب عن وطن يزود عنه المواطن بكل قوته فى إستراتيجية دفاع عن الوطن فى حصون وقلاع.. وشباب هم رُماة الحدق ، يحملون المقلاع ، لكي يدافعوا به عن الوطن ضد أي عدو يهجم عليهم من أى ناحية..

كما كشفت الآثار عن لوحات من الفخار.. وأوانى متحضرة من الفخار الذي يعد صحيا من كل النواحي .. وكشفت أيضا عن أيقونات جميلة، رسمها الفنان النوبى فى الكنائس ونقشها كلاما وصورا على الحوائط.. ونذكر هنا ما لم نذكره عن بعثات التنقيب في أثار النوبة:.-

١ * قامت البعثة البريطانية بأعمال الحفر في مدينة بوهين الآثرية وفيها تم الكشف عن كل بقايا الحصون الحصينة التى أقامها أهل النوبة لحماية بلادهم وبعد رفع كثبان الرمال تم كشف الحصون وكل ما فيها من أنظمة دفاع.. ويعد هذا الكشف رسم لإستراتيجية الدفاع عند كوش ، ليس فى الحصون فقط ، إنما فى الفتحات الدائرية التى يستخدمها رماة السهام.. وقد قدرت كميات الطوب التى إستخدمت فى هذا المبنى العسكرى بنحو خمسة عشر مليون طوبه من القطع الكبيرة..

وفي نفس الموقع تم كشف تاريخى على عظام بيضاء لهيكل عظمى لحصان مطمور فى زاوية من زوايا إحدى الأجزاء الدفاعية بين الرماد تحت طبقة من الرمل على عمق متر ونصف.. ولم يكن هناك شك لدى بروفسير أميري أن الحصان نفق عندما نهب الكوشيون المدينة فى عهد المملكة الوسطى.. وقد أثبت البروفسير نظريته التى تقول : إن أفريقيا عرفت الحصان قبل قرنين من غزو

الهكسوس لمصر.. وهذا يعنى أيضا أن الرأى الذى يقول: إن الهكسوس هم الذين جلبوا الحصان إلى أفريقيا ، رأى غير صحيح.. يرى روفسور نجم الدين شريف ، عالم الآثار السودانى أن عظام هذا الحصان وجدت تحت رسوبيات مرئية ، طبقة على طبقة.. وتحت طبقة من الرماد والفحم.. وهذا يؤكد أنها بقايا حرق القلعة عندما أقتحمت عام ١٦٧٥ ق. م .. وتشير إختبارات الكربون المشع التى أجريت لهذه المواد فى معامل المتحف البريطانى، الى صحة التاريخ الذي نستخلصه لهذا الحصان من الشواهد الآثرية..

وقد كان الحصان في ممالك كوش كثير الإستعمال مع الناقات والجمال.. ويذكر لنا التاريخ أن الملك " قريانوص" عندما غزا مصر لكى يخرج بابا الإسكندرية من السجن ، جاء إلى مصر عن طريق أسوان فى حملة قوامه مائة ألف فرس.. ومائة ألف فــارس.. ومائة ألف ناقة .. ونزل فى مكان سماه العرب " بركة الحبش" ..

ويصف الشماس كاتب سيرة البابا الإسكندرى : أن هذه الأحصنة كانت لها شكل مميز.. ولم تكن مرتفعة ، إنما قريبة فى إرتفاعها من الحمير..

وزادت قيمة أبحاث وتنقيب البعثة البريطانية ، إكتشاف جمجمتين لفرس النهر وبقايا مصنوعات من الحديد الصُلب والنحاس، ومئات من القوالب التى كان يصب فيها الحديد المذاب وأكداس من خام الحديد .. يرجح أنها أستجلبت من جبال بالقرب من قرية "يعكاشه ".. عرفت بأن صخورها غنية بمكونات الحديد .. وتم العثور على جرتا خمر لهما سدادتان من طين ، تشيران إلى تاريخ ومكان صنع الخمر.. كما تم إكتشاف نفق تحت الحائط الشرقى ، يبدأ من داخل المدينة وينتهى عند النهر ، ويُستخدم لنقل إمدادات المياه للمدينة عند حصارها..

وتم الكشف أيضا عن مبنى رئاسة قوات الشرطه والذي يتميز بدرج يقود إلى إستحكامات الحصن.. كما كانت مدينة بوهين مزودة بنظام ملائم لتصريف المياه.. يصب في النهر.. هذا عدا معبد بوهين الفخم.. وهنا نرى كيف كانت حضارة النوبة، تنظيماً وتخطيطاً.. وبوليساً للحماية.. وحصون، وأنفاق.. وتصريفات للمياه..

٢ * البعثة اليوغسلافية.. والتي جاءت موفدة من حكومة يوغسلافيا والتي زار رئيسهــا المارشال " تيتو " موقع وادى حلفا أثناء حملة الإنقاذ.. وقد تمكنت هذه البعثة من نقل رسومات جدران كنيسة عتيقة فى قرية " عبد القادر".. وهذه الرسومات هى حتى الأن فى المتحف القومى بعد كشفها عن الجدران ونقلها إليه..

ولم تزل هناك إكتشافات قامت بها بعثات أتت إلينا من بلاد العالم لتساعدنا فى إنقاذ آثار حضارة سحيقة وعتيقة .. هي حضارة كوش في بلاد النوبة المتأخمة

لمصر والتى إمتدت جنوبا حتى الصومال ، حكما ، وإدارة ، ونظاما دقيقاً.. وحضارة إستقرار بجوار مجرى النيل..

٩. الملك فهد في طريق الملوك

طريق الملوك : في اليوم الأخير من شهر يوليو ، نعى العالم كله خادم الحرمين الشرفين الملك فهد بن عبد العزيز. وعاش هذا الرجل ملكا.. ومضى في طريق الملوك.. والموت لا يفرق بين ملك وغير ملك.. ويموت راعى الضأن فى جهله.. ميتة جالينوس في طبه.. ورب قبر قد صار قبرا مرارا..ضاحكا من تزاحم الأضداد.. ولكن فى قلوبنا أن الملك هو الملك.. وعندما نريد أن نصف دماثة أخلاق شخص ما، فإننا نقول عنه أنه ملك.. وعندما نفتخر بإمرأة ، أما أو أختا أو زوجة نقول : إنها ملكة وأيضا نقول عنها ملك أى واحدة من ملائكة السماء.. وإذا كانت بعض الدول قد تركت النظام الملكى وإعتمدت نظاما أخر بحجة إختيار الشعب، فلو سمح للشعوب الأن أن يختار ، لرجعت الى نظام الملكية.. والتوظيف فى الملكية مدروس ومؤسس ، لأن ولى العهد يكون فى مجلس الملك ومرافقاً له.. وحاضرا لقراراته.. وكما يقولون عن الملك فهد أن مجالس والده هي التى صقلت شخصيته وأخصبت أفكاره.. وقبل أن يكون ملكا ، كان وزيراً أو نائبًا لرئيس الوزراء ، يرأس جلساته.. كان وزيراً للمعارف ووزيراً للداخلية.. وجود المعارف لأن المعرفة هى الطريق.. ولأن رأس الحكمة مخافة الرب.. ونظم الداخلية في ظروف صعبة وقاسية .. وساند الحق عندما ساند الكويت التى فجأة خرجت من الجغرافيا ، ولكن دخل هو ومعه الرؤساء والأخرين الى التاريخ ، لأنهم صمموا أن ترجع الكويت دولة ، قوية ، فتية.. وكلمة ملك هى من الفعل ملك وهى فى العربية كما فى العبرية والآرامية.. وكانت كلمة ملك تعنى ملكا كبيرا.. كما تعنى أيضا ملكا صغيرا..

فلقد كان ملك النوبة يرأس إثنى عشر ملكا هم : حكام الولايات ، وكان الملك في النوبة يلبس تاجا من ذهب.. ويحمل صليبا من ذهب.. وله أيضا سرير من الذهب ، لآن الذهب رفيع القيمة ، ورفعته هي رفعة الملوك ، وقد دعيت الأبدية السعيدة عند المسيحين ، ملكوت السموات حيث يملك الله على قلوب المؤمنين.. وعندما رأى المسحوقون في الأرض أن المسيح ينادى لهم بالحق ويطالب بالحرية، قرروا أن يهتفوا بإسمه ملكا ، وقالوا : مبارك الملك الآتى بإسم الرب..

ولكنه كان ملكا وديعا.. هادئا ، متواضعا.. دخل ليس كالغزاة الفاتحين ، إنما دخل على طريقة الودعاء المتواضعين ، وبدل أن يركب فرسا ، ركب حمارا هادئا. ولقد لقب الله نفسه فى الكتاب المقدس بأنه ملك الملوك ورب الأرباب.. وبأنه ملك الدهور الذي لا يفنى.. وقد جعل الله من المؤمنين به ملوكا وكهنة.. وفي الكتاب المقدس يسمى الموت بأنه ملك الأهوال ، عندما قال أن نور الأشرار ينطفىء ولا يضىء لهيب ناره.. النور يظلم فى خيمته وسراجه فوق ينطفىء ، ينقطع عن خيمته عن إعتماده ، ويساق الى ملك الأهوال أى الموت (أيوب ١٤)..

وفي اليوم الأخير يقول الرب لصانعى الخير.. لكل صانعى محبة وسلام : تعالوا الىَّ يامباركى أبى .. أرثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم...

الملك فهــــد : ولقد سار الملك فهد في طريق الملوك ، سار فى طريق أمجاد وخلود.. وقد كتبت علينا خطى الموت.. خطى كتبت علينا، ومن كتبت عليه خُطى مشاها.. وعندما مات الملك داؤد قال وهو في فراش الموت لإبنه : أنا ذاهب في طريق الأرض كلها فتشدد وكن رجلاً.. أحفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير فى طرقه ، وتحفظ فرائضه ووصاياه، وكما قال برنارد شو : الحياة تساوى بين الناس والموت يبرز فضل الفضلاء.. إنى أموت.. وإذا عشتُ ، فإننى أعيش فى أشخاصكم.. لست خائفا من الموت ، فليأتى على الرحب والسعة..

وسوف يعيش الملك فهد بن عبد العزيز فى خليفته عبدالله بن عبد العزيز ، والذى تربى بجوار الملك فهد وصار الأن فهدا.. وأسداً غضنفراً.. الرب يعزى القلوب وليحيا الملك الجديد فى طريق آبائه . طريق الملوك.. وليكن كل واحد فينا ملكاً على نفسه ، لأن من يملك نفسه ، خير من أن يملك مدينة..

١٠ . النوبة رواق أفريقيا

مرجع تاريخي: يعد كتاب النوبة رواق أفريقيا مرجعا تاريخيا هاما فى تاريخ السودان، والكتاب من تأليف البروفسور" وليم آدمز " ، وصدرت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٧٢ م.. وبعد هذا صدرت الطبعة الثانية عام ١٩٨٤م.. وقام بترجمتها بروفسيور محجوب التجانى محمود ، ليخرج الى النور في عامنا هذا ٢٠٠٥.. والكتاب يعد أهم وأشمل كتاب فى تاريخ النوبة والسودان، منذ نشأة الحضارة الإنسانية حتى بداية العهد الوطنى.. والكتاب يقرب من الألف صفحة، ويحمل بين دفتيه عددا كبيرا من الخرائط والرسومات البيانية والتوضيحية..

ويحتوى على صور عديدة لمواقع الآثار والحفريات في السودان منـــذ بدايتها الأولى، إنتهاء بحملة اليونسكو العالمية لأنقاذ آثار النوبة ، والتى إستمرت عشر سنوات متواصلة من عام ١٩٥٩-١٩٦٩.. وكان البروفسور آدمز مؤلف الكتاب رئيسا لها.. وقد إحتل هذا الكتاب، مكانة علمية مرموقة.. ومكانة أكاديمية جعلت المراكز الأكاديمية تتخاطف هذا الكتاب القيم..

وبصدور الكتاب إحتل بروفسور آدمز، مكانته العلمية المرموقة كأحد علماء علم الإنسان، والآثار، وصار أكثرهم شهرة لعلمه الغزير، وعطائه الثـــر.. ونال هذا الكتاب جائزة أحسن كتاب صُدر فى أفريقيا للعام ١٩٧٨.. وهو كتاب له منهجه الأكاديمى ورؤياه الحضارية، حتى أن المؤلف قال عنه: إنه إنجاز عمره ومولوده الذى لا يحب سواه بمقداره..

تصدير المترجـــــم : ويرى المترجم محجوب في تصديره أن هذا الكتاب يعد تاريخا للسودان أوسع منه تاريخا للنوبة.. فالنوبة بحق هي مدخل البلاد وصدرها الوحيد المتفتح على العالم المعروف إلى عهد كان ولا يزال قريبا.. والرواق المؤدى بأفريقيا إلى مرافىء البحر المتوسط بحيرة الحضارات المأثورة.. وفى إعتقادى أن النوبة ليست بوابة لأفريقيا ، إنما هي أفريقيا ذاتها..

وهذا موضوع أناقشه فيما بعد.. ويستمر المترجم ليقول : إن المؤلف في هذا المجلد الجامع أراد أن يحكى القصة القديمة للنوبة فى طريقة جديدة.. حكاية متواصلة للتطور الثقافى لشعب بمفرده.. ولأن النوبه أضحت مولجا لتاريخ حضارى عريق أستن المؤلف منهجا فارق به علماء الآثار والتاريخ القديم لمنطقة النوبة، إنه يقدم " رؤية متمركزة حول النوبة " إنه يريد أن يوفى أهل النوبة حقهم.. فمن بعد كرمه " حضارة العصر الفضى " الى العصر الذهبي للحضارة الأسرية في النوبة ، يستقرىء المؤلف أحداث التاريخ ليؤكد أن أجداد الأمة السودانية وعلى ما كان بينهم وبين المصريين القدماء من تواؤم سكانى وحضارى يصعب فصمه.. كانت لهم حضارتهم الخاصة بهم قطعا.. كان لهم إستقرارهم الفكري والحضارى.. وكانت حضارتهم ذات قيمة ثقافية.. واهمية سياسية ، ويستدل آدمز على رأيه من خلال ما جمع من مادة آثرية نصا وصرحا، ويرصد المعالم الساحرة لتطور الحياة فى النوبة القديمة، والقوانين الإجتماعية التي خضع لها تطورها لا سيما علاقة التحضر والتوسع الإقتصادى ، والنهوض البور جوازى للطبقة الوسطى ثم البروز الساطع فى قصة الحضارة السودانية العريقة ، لتصاعد حرية المعتقد والعبادة منذ آلآف السنين ، جنبا الى جنب ، مع نهوض الحرية الإقتصادية.. وتداعى الهيمنة الإدارية والسياسية للصفوة الحاكمة وكهنوتها

الديني.. وبالتالى عمق التميز بين الدين والدولة في الحضارة السودانية ، منذ أقدم العصور ، وإرتباطه الوثيق بالتقدم الحضارى والثقافى للسودانيين..
دائرية الثقافـــة: ويرى المترجم أن مؤلف الرواق يقدم منهجا تحليليا ، فكريا مبنى على أسس من دائرية الثقافة .. وإيمان يقوم على البيئة والموضوعية ، فيرى من خلال ذلك تفرد الشعوب وعالمية الحضارات ، ويتحدث عن النعمة المستحدثه التى تمرغت فى ديباجها ، حضارات قديمة وأخرى حديثة..
ويرى وليم آدمز أن مسلك المصريين من العنجهية المبالغة يعود إلى حد ما ، إلى النعمة المستحدثه.. ويذكر آدمز أن نمو وإرتقاء مصر كانت وراءه مساندة السودان .. ويقول بحسم إن الحروب الأوُربية لفليب الثانى كانت ممولة بفضة المكسيك .. كما كانت قوة مصر فى آسيا ممولة بالذهب النوبى.. يشد فى عقدها العنصر النوبى، حيث كانت مصر لا تتمتع بالذهب فقط ، إنما أيضا بالجنود الأشاوس الأقوياء من أبناء النوبة....
لقد وقف المؤلف ضد الإستعلاء على تاريخ السودان ، ويفند بعض العلماء أمثال " برج" الذى قال : إن آثار السودان لم تكن فى الحقيقة سوى عمل يقوم به الأجانب ، ويرد عليه آدمز بقوله : من السخرية إن العام الذى شهد وجهه ، نظرة برج المتشائمة ، شهد كذلك إستهلال البحث الآثارى فى النوبة ، الذي أثبتت أن نظرية " برج " إنما هي خطأ فادح.. فالحضارة الكوشية إستمرت ما يزيد على الألف عام.. وتعتبر بحساب الزمن أطول فترة من أي حضارة أخرى..
لقد رفض إستعلاء علماء الآثار الفرعونية، على حضارة النوبة القديمة، ولكنه لم يرفضه بقبوله إستعلاء أخر ، هو العنصر الإفريقى وتفوقه .. وهو يرى تساوى الحضارات معا.. وحرية الإختيار دون أي إكراه .. فلقد إهتم بأن يؤكد هوية النوبة الثقافية وملامحها وحضارتها ورخائها .. وسودان اليوم يستمد تراثه وشواهق مآثره من آثار النوبة وتاريخها، لأن صناع الحضارة من النوبة كانوا رجالا أقوياء، عاشوا حضارة أصيلة وأمهات مباركات نوبيات ، يتمتعن بالجمال خلقة .. والجميل أخلاقا .. ولم يذكر التاريخ سوى تعاطفهن حنانا ومساندة للرجل.. ملكا أو فردا من أهل النوبة...

١١ . إتفاقية القاهرة وثالوث تكملة المسيرة

إتفاقية القاهرة: في مركز المؤتمرات لمدينة نصر في قاهرة المعز، تم قهر قوات الشر التى قهرتنا فى حرب ضروس طويلة، ومذلة كان توقيع إتفاقية القاهرة للسلام ما ين الحكومة السودانية والتجمع..

وبهذا طوى ملف النزاع الشمالى بعد أن طوى ملف النزاع الجنوبى الشمالى، ويأتى كل هذا فى عام واحد ، هو العام الخامس من الألفية الثالثة لميلاد السيد المسيح.. وعدد خمسه التى يمثلها، عام السلام كما قال الرئيس البشير، هو عدد رمز، وله مدلولات كبيرة ، فحواس الإنسان خمس حواس، ومعجزات السيد المسيح فيها معجزة " الخمس خبزات والسمكتين " وجراح المسيح خمس جراحات : إثنان في يديه وواحد في قدميه وأخر فى جنبه ، وخامس هو إكليل الشوك على رأسه.. وعندما وقف الصبى المؤمن صاحب الصوت الجميل ، والنغم العذب ، داؤد النبي والملك ، أمام جليات الجبار، كان لايملك سوى خمس حجارة ملساء فى كنف معلق فيه.. وبحجر واحد في مقلاع واحد، كان موت جليات، عندما وصل الهدف الى جبهة الجبار، فسقط صريعا أمام صبى أعزل، يستمد قوته من إسم الرب العظيم.. ويقول للجبار: أنت تأتى إلىَّ بسيف ورمح وترس.. أما أنا فآتيك بإسم رب الجنود.. وسوف يظل العام الخامس موكب سلام فى تاريخ السودان وسوف تعتز به الأجيال القادمة كنهاية لصراع جعلنا نحيا في صراع الضياع، وتضيع منا سنوات عمر كان يمكن أن تكون مرتكزا لتنمية دائمة.. ولكن الحمد لله وكما قال السيد رئيس الجمهورية : أننا قادمون على عهد جديد، خالٍ من النزاعات ، موحد لشعب السودان ولأرض السودان ..

كان التوقيع بين طرفى النزاع هم إخوة أشقاء عن الحكومة، رجل السلام على عثمان محمد طه، وعن التجمع رجل الإيمان الصوفى الزاهد محمد عثمان الميرغنى.. والذي كان صاحب أول مبادرة للسلام مع الجنوب، حملها إلينا فى عصر الديمقراطية الثالث ، ولكنها تعثرت بسبب كثرة الكلام، ولم تعط الفرصة المواتية حيث أصيبت الديمقراطية فى مقتل.. ومرت الأيام بعدها وإزدادت التوترات وكثرت الصراعات.. وفى مباركة ، مبارك وبشارة البشير ، وحضور الشقيق للسلام الزعيم جون قرنق ، تم توقيع إتفاقية القاهرة فى السبت الثامن عشر من شهر يونيو ، للعام الخامس من الألفية الثالثة ، لميلاد السيد المسيح ، ملك السلام ورئيس الطمأنينة، ومودع السلام فى قلوب الناس.. سلاما تحقق بين سماء عانت من التلوث بخطايا البشر التى يصعد من الأرض الى السماء، وسلاما تحقق ليس

بين السماء والأرض فحسب، إنما بين الإنسان ونفسه، التى كاد أن يفقدها.. وإفتقدها .. وبين الإنسان وأخيه الإنسان..
ثالوث تكملة المسيرة : وإتفاقية القاهرة تحتاج إلى خطوات أخرى ، حتى تكتمل المسيره ، هناك أمور لم تنضج بعد .. تحتاج الى حوار ، وتحتاج إلى تخطى كل عقبة كؤود تقف أمام السلام المنشود.. ولهذا تحدد ثالوث من الشخصيات الوطنية، لتكملة المسيرة وهم : طه ، والميرغنى، وقرنق ، والثالوث ، هو ثالوث السلام والوئام .. فلقد تدرب طه على حوار السلام، وأعطاه الله نعمة صبر تحقق السلام ، وهو من الذين يدركون أن السلام ليس مجرد عناق ودى.. وكلمة وردية ، إنما هو حوار أصيل ، وإتفاق محكم، ومناقشة لتفاصيل دقيقة حتى يكون السلام بناءاً قوياً.. على صخر الإخاء والمحبة ، عندما تأتي سيول عاتية ورياح صرصر.. لا تقدر أن تمسه بسوء.. أما الميرغنى ، فهو رجل وقور .. رجل دين محترم.. له أتباع كثر فى كل أنحاء العالم.. وله رؤية روحية تمكن أن يقتنع بها ليس أبناء دينه فقط، إنما العديد من المسيحيين ، حيث تمكن هذا الرجل أن يجمع إليه نفر غير قليل من أقباط السودان ، نذكر منهم : الزعيم الوطنى الإتحادى الدكتور وديع جيـد موسى الذى كان رئيساً للجمعية القبطية بالخرطوم ، والذى فى عهده تم إفتتاح كنيسة الشهيدين، وسط زخم سياسى ممتع، حيث كان فى الكنيسة الحكومه والمعارضه.. رئيس مجلس السياده ، ورئيس الوزراء.. وفى وثيقة كنيسة الشهيدين ، توقيع الزعيم إسماعيل الأزهرى والزعيم محمد محجوب ، بجوار الزعيم القبطى الدكتور وديع جيد .. بل أننى أعلم أن الميرغني دعا واحدا من الأقباط برتبة زعامة دينية ختمية...

أما الثالوث الثالث فى تكميل المسيرة ، فهو الزعيم الشعبى جون قرنق.. المواطن السودانى القوى الأصيل ، الذى لم يلين ولم يقدر أحد أن يستقطبه ، سوى السودان الموحد.. بل السودان الأفريقى ، الذى يعرف مدى إرتباطه بوادى النيل.. وعندما علت هُتافات أثناء كلمته : لا شمال بدون جنوب.. قطع الكلام بقوله : إنهم يقصدون شمال الوادى وجنوبه .. وهنا وضح للجميع أن جون قرنق مواطن وادى النيل العظيم.. الذى لا يرتضى لوطنه هزيمة التقسيم.. صلواتنا مع ثالوث تكملة المسيرة.. تسندهم حتى تتم المسيره ليس فقط مع التجمع ، إنما مع أهل دارفور وأهل شرق السودان.. والرب يسندهم بقوته..

١٢ . السودان في يوم الخمسين

يوم الخمسين: يأتى يوم الخمسين بعد عيد القيامة المجيد بخمسين يوما.. وفى العام الأول لصعود السيد المسيح الى السماء ، كان يوم الخمسين كعيد يهودى يجتمع فيه اليهود من كل بلدان العالم ، حيث كان مفروضا على كل يهودى أن يقضى الثلاثة الأعياد الرئيسية فى هيكل سليمان.. وهو بهذا يظهر أمام الرب فى ألأعياد الكبيره ، عيد الفطير أو الفصح ، وعيد المظال، وعيد الخمسين ، وكان عيد الخمسين هو عيد الحصاد ، توقف فيه جميع الأعمال ويتفرغ الناس للعبادة وعلى مستوى كل أسرة، تعد الأسره رغيفين من الخبز المختمر باكورة للرب.. وكان الخبز يصنع من الحصاد قمحا أو شعيرا.. وكان عيد الحصاد فرحة لكل بيت، كما كان مناسبة تجمع اليهود الذين فى الشتات..

وفي يوم الخمسين اليهودى كانت المناسبة المسيحية العظيمة والتي يذكرها سفر أعمال الرسل ، الإصحاح الثاني، عندما كان تلاميذ المسيح معا بنفس واحدة .. وصار فجأة من السماء صوتاً من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت، موقع الإجتماع حيث كانوا جالسين ، وظهرت ألسنة منقسمة كأنها من نار وإستقرت على كل واحد منهم.. وإمتلأ الجميع من الروح القدس.. وإبتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا.. وحدثت معجزة ترجمة عظيمة حيث كان كل الحاضرين يسمعون الرسل وهم يتكلمون معهم بلغتهم .. مع أن الرسل لم تكن لديهم معرفة باللغات .. وكان الروح القدس يقوم بالترجمة الفورية .. يتكلم التلميذ من الحواريين بلغته، ويسمع المستمع الكلام بلغة أخرى.. واللغة الأخرى لم تكن لغة واحدة ، إنما كانت مجموعة من اللغات لأن الحاضرين كانوا من يهود الشتات الذين عاشوا خارج أورشليم وعرفوا لغة بلادهم التى سكنوها وعبر الحاضرون عن دهشتهم وتساءلوا : أليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين ؟.. فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته ، التى ولد فيها ؟.. فرتيون.. وماديون .. وعيلا.. ميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفرنجيه وبمفيليه ومصر وليبيا والقيروان والرومانيون المستوطنون ، يهود ودخلاء .. والعرب والكريتيون (أهل كريت)..

وقد حاول البعض من الحاضرين أن يفسد هذه الظاهرة الروحية ويتهم المتكلمين بأنهم سُكارى قد إمتلأوا سُلافة .. ولكن بطرس الرسول وقف ورفع صوته وتحدث بصوت عالى وسط هذه الجموع، وأكد لهم أن المتكلمون ليسوا بسكارى لأنها الساعة التاسعة صباحا .. والتي هي ساعة صوم عند اليهود ، إنما

ما حدث هو تحقيق لنبوة النبى " يوئيل " الذي قال: إنه في الأيام الأخيرة يسكب الرب من روحه على كل بشر ، فيتنبأ بنوكم وبناتكم.. ويرى شبابكم رؤى.. ويحلم شيوخكم أحلاما.. والنبوة تمتد لتشمل العبيد والإماء الذين سوف يتنبأون ايضا ويفرحون.. وتحدث بطرس عن السيد المسيح وأحداث الصليب والقيامة . ولما سمع الحاضرون ، نخسوا في قلوبهم وتجاوبوا مع نداء بطرس وسألوا: ماذا يصنعون ؟ وكانت الإجابة : أن يعتمد كل واحد منهم على إسم يسوع .. وفعلا تم في ذلك اليوم تعميد ثلاثة آلآف نفس.. هم الأعضاء الأول ، في الكنيسة المسيحية.. وبدأ بهذا الحدث ، ميلاد الكنيسة الأولى ، التى كانت تتقدم في النعمة وتنمو في العدد ويحيا الأعضاء فيها فرح وبهجة وبساطة قلب، وتسابيح الله، وبعد هذا تزايد العدد إلى أكثر..

السودان هنـــاك : وعندما رجع الثلاثة آلآف بدأوا فى تأسيس كنائس في بلادهم .. بل أن أغلب الكنائس ، بدأتها هذه المجموعة التى إختارت المسيح مخلصا لها.. وفي قائمة البلاد لم يذكر السودان صراحة.. ولكن السودان كان هناك، متمثلا فى يهود مصر الذين كانوا أقوى وأكبر جاليات اليهود في العالم.. والذى قال عنهم الأب "متى المسكين " أنهم مليونا من البشر.. وقالت عنهم دائرة المعارف الكتابية: إنهم ضعف المليون.. وكان عدد كبير من هؤلاء اليهود يقيمون في جزيرة " فيله " ووجد عندهم مخطوطات الألفنتين التى تطابق الكتاب المقدس الذى معنا الأن..

وكان في أسوان وفى جزيرة فيله ، يهود يقومون بعملية التبادل التجارى مع السودان ، فإسم أسوان يعنى(السوق) ولا شك أن العائدين من يوم الخمسين بدأوا فى تأسيس كنيسة في أسوان وقابلوا مؤمنين من النوبة مدخل أفريقيا.. وكان لأهل النوبة علاقة حميمة مع اليهود ، فلقد عاشوا معهم فى مصر، وبعد هذا ذهب إليهم من الرسل فيلبس ومتى.. وهما من تلاميذ المسيح..

وفيما بعد وصل الى السودان نفسه الحبشه ، وزير مالية الملكه كنداكه والتي قيل عنها أنها ملكة الحبشة.. والحبشة هنا تعني السودان.. فلقد كان السودان هناك في يوم الخمسين وحظى بعض الأفراد أن يكونوا من الثلاثة آلآف ، الذين آمنوا بالمسيح..

١٣ . التجانى مترجم الرواق

محجوب التجانى: لم التقى بعد بالمفكر السودانى الراقى محجوب التجانى محمود ، غير أننى معجب جدا بترجمته لكتاب" النوبة رواق أفريقيا ".. للكاتب الأمريكى " وليم آدمز ".. لقد وضع الكاتب الأمريكى كل إمكانياته الأدبية والتراثية والفكرية فى مؤلفه الضخم ، الفخم.. وكان لابد أن تكون للمترجم نفس هذه القامة العظيمة التى للمؤلف الذى كان يتمنى أن يجد أهل السودان من يترجم لهم كتابه ، عن حضارة النوبة ، ولقد قال : لقد ظل حلمي الدائم أن يتاح للسودانيين يوما هذا الكتاب ، يقرأونه بلغتهم ما من ذلك بد .. وجاءت كلماته هذه فى رسالة خاصة الى المترجم، تاريخها ٢٣ يونيو ١٩٩١ م..

ويرى المؤلف إن كتابه عن النوبة ، هو إنجاز عمره ومولوده ، الذي لا يحب سواه بمقداره.. والكتاب بالإنجليزية ، طبع مرتان ، الأولى عام ١٩٧٢.. والثانية عام ١٩٨٤ ..وهي فريدة قد جمعت ما إستجد من معلومات من واقع الحفريات النوبية التى قام فى النوبـــة المؤلف بتغطية جزء منها بنفسه في "كلوبنارتى" KULUBNARTI.. السودانية.. ثم في قصر "إبريم" في النوبة المصرية ، كما ضمت الطبعة الثانية التي أخذ عنها المترجم المعلومات التاريخية الصادرة عن حفريات مماثلة في مصر والسودان..

ولقد حقق محجوب حلم وليم آدمز أن يكون الكتاب مقروءاً باللغة العربية وتحققت بهذا أحلام أبناء وطن بأكمله ، وطن يحب القراءة ومريض بها.. فالقراءة مرضته ورضاه منذ بدأت القرأة .. ويذكر التاريخ أن أول مواطن سوداني آمن بالمسيحية ، كان وزيرا وكان جالسا فى عربته يقرأ وأرسل اليه روح الرب فيلبس المبشر الذى عندما عاينه يقرأ ، سأله : هل تفهم ما تقرأ ؟.. وكان هذا هو المدخل.. القراءة كانت مدخل التعارف وسوف يكون كتاب النوبه رواق أفريقيا ، باللغة العربية هو الكتاب المقروء لعام الخرطوم عاصمة ثقافية .. فلقد أطلا علينا كلاهما فى عام ٢٠٠٥ كما يردد نشيد الخرطوم عاصمة الثقافة العربية والإفريقية.. وترجمة التجانى ، هي قطعة أدبية راقية ، كلمات رفيعة المستوى ، إنتقاها المترجم وتصاعد إلى أسلوب الكاتب الذي يعتبر كتابه أعظم ما كتب .. والمترجم له هو أعظم ما ترجم ، هو أكبر وأعمق تراجمه المنشوره..

الـــرواق : لقد إختار المترجم عنوانا للكتاب " النوبة رواق أفريقيا " وعندما كنت أسأل عن المترجم الضيوف من أخوانى حضروا الى منزلى لمشاركتى بهجة العيد المجيد ، قال العالم الأستاذ حسن طنون : أنه يعرف محجوب وأنه كان يفضل أن

يكون العنوان " النوبة بوابة أفريقيا ".. تحتمل أكثر من معنى ، ولكن المترجم مشكوراً فيما قدم، وفيما كتب " لأن كلمة CORRIDOR. تحمل أكثر من معنى.. فلقد قضى عدة أعوام مابين أمريكا والمملكة العربية السعودية ، يترجم الكتاب العظيم الذى يشتمل على ثمانمائة صفحة باللغة الإنجليزية .. وسأله ضابط مطار جده عن الصور التى يزدان بها غلاف الرواق الخارجي.. وكان يود إستطلاع معانيها وما ترمز إليه زخارف البيت النوبى ، وتعرض لهذا السؤال من كثيرين ، وهذا رمز الى الثروة الثقافية التى يحملها الكتاب..

وفي مقدمة المترجم ، شكر لأساتذة وعلماء ، وهذا أمر عادي ، ولكن هناك شكر خاص لعائلات سودانية في المملكة العربية السعودية ، كانوا يؤازرونه بدعواتهم وإهتمامهم وكرم ضيافتهم .. وهذا أمر ليس بغريب على أهل السودان ، فأذكر أننى كنت فى زيارة لمواطن من غرب السودان في سيدنى بأستراليا وكانت أول مرة أتعرف عليه ، وصممت زوجته السودانية الأصيلة أن نتناول معا وجبة الغداء ولم يكن موعد أكل ، ولكنها أصرت، وعندما إعتذرت بأنى صائم وأن الصوم في المسيحية ليس إنقطاعا عن الطعام فقط ولكنه صوم في الإفطار حيث يحدد نوع معين من المأكولات الخالية من الدسم الحيوانى.. وأجابت إنها تعرف هذا ، وأعدت مائدة محبة لا أنساها.. ومرة أخرى عندما كنت فى الكويت إستضافنى على مأدبة في بيته البروفسور المهندس عبدالله خير ، تكريما لصديقه القبطى رمسيس ، وأعدت زوجته مأدبة في صوم العذراء صيامى ، على مستوى ما تعده المرأة القبطية فى بيتها..

إن المترجم سودانى أصيل.. أستاذ لعلم الاجتماع في أمريكا.. وتم إختياره ضمن أبرز معلمى أمريكا عام ٢٠٠٢ وهو من مواليد أمدرمان العريقة وخريج مدارسها.. وهو رئيس دائرة الأبحاث في المركز الإفريقى للديمقراطية وحقوق الإنسان في جمهورية القامبيا ورئيس المنظمة السودانية لحقوق الإنسان بالقاهره، ومستشار الشئون الإجتماعية فــي حكومة السودان المنتخبة ديمقراطيا ٨٦-١٩٨٨ وعميد كلية السجون ورئيس إتحاد الإخصائيين الإجتماعيين وله مؤلفات بالعربية وترجمات من اللغة الإنجليزية، وقد أهدى ترجمة الرواق إلى روح السفير الأديب إبن سره شرق السفير والوزير الكاتب العربى والمفكر الإفريقى جمال محمد أحمد .. وقد أسعدنى أن نهدى الترجمة إليه حتى نستعيد ذكرى هذا السودانى النبيل، الذي كان سفيرا في حياته.. وبعد رحيله لم يزل سفيراً من خلال مؤلفاته .. التحية لبروفسور محجوب التجانى محمود..

١٤ . النوبة بوابة أفريقيا

عاصمة الثقافة : في إجتماعات التمهيد للخرطوم عاصمة الثقافة العربية والأفريقية، إقترحت أن تطبع كتب معينة مع مجموعة الكتب التي تبناها مركز الخرطوم عاصمة ثقافية.. وقد إقترحتُ إعادة طباعة كتاب الأب فانتيني" المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث " كما إقترحت طباعة كتاب سبعون مقالا عن الملائكة .. ولاقت إقتراحاتى ترحيباً كبيراً ، وبدأنا فى التنفيذ وتمت طباعة كتابى عن الملائكة وسط إعجاب وزير الثقافة الإتحادى ، الأديب اللبيب الوقور، عبد الباسط عبد الماجد والذى قال فى إحتفال عام لإفتتاح معرض الكتاب بحدائق أبريل : إن هذا الكتاب الروحى إزدانت به كعقد فريـــد مجموعة كتب الخرطوم عاصمة الثقافة.. وفى نفس الوقت تحدث الوزير الولائى هاشــم هارون ، عن أثر هذه المقالات التى أكتبها وغيرها فى إرساء ثقافة السلام..

ثم بدأنا بالإتصال بالأب فانتينى ، وعرضت عليه مشروع الخرطوم عاصمة الثقافة ولكنه طلب أن يؤجل أمر الطباعة ، لأن الكتاب قديم ، يرجع الى عام ١٩٧٨ ويحتاج الى مراجعة ، كما يحتاج الى إضافات ، وإحترمت رأيه ، وقد كنت أرغب أن أعيد كتابة ، كتابه عن الإنجليزية .. وذلك لأن اللغة العربية ، ليست اللغة الأم للمؤلف ، وكنت قد جهزت نفسي أن أضيف إضافات لِمَ إستجد ، ولمَ كتبه مؤرخون قدامى .. وذلك فقط فى هوامش الكتاب.. ولما لم يتحقق هذا الحلم ، بدأت أحلم بعمل أخر.. وعلى الأخص ترجمة كتاب عن السودان ، وذلك لندرة المراجع ولأن مرحلة تاريخية مداها الف عام، كان السودان فيه حكومة وشعبا يدينون بالمسيحية، وكانت الكنيسة القبطية خلالها قوة ربط ، بين مصر والسودان.. فلقد كانت تمد السودان بالأساقفة ، ورجال الدين ، وكان الملك يرسل المواطن السودانى، موضوع الإختيار ، لكي يقوم البابا برسامته هناك..

وكان أسقف أسوان القبطى همزة وصل بين الكنيسة المصرية والكنيسة النوبية.. وفى جزيرة فيل" الألفنتين " .. كان أسقف فيلة له دور كبير فى هذه المنطقة التى كانت تصل تجارة وادي النيل شمالا وجنوبا.. وعرفت هذا الأمر فى صالون ثقافى ، نجتمع فيه مع من يرغب بعد الكنيسة يوم الأحد.. وهنا عرضت على الإبنة المباركة ناديه نجيب يسى ،وهىّ مهندسة وفى الوقت نفسه هىّ مهتمة بتاريخ السودان ،على الأخص بتاريخ أقباط السودان ، وهى أيضا شاعرة تكتب شعراً ، فيه أحلى العبارات وأقوى الكلمات .. وكان إقتراحها ترجمة كتاب كانت قد

تصفحته ، وقد عرفت منها أن هذا الكتاب لا يتواجد إلا عند مدير المتحف القومى للسودان شخصيا.. كتاباً وهو NUBIA: CORRIDOR TO AFRICA رواق أفريقيــا : وقد شجعنى مدير المتحف ونائب المدير وأمين المكتبة ، وسلموا لى الكتاب، وبدأنا فى البحث والقراءة الأولى وتكوين خلية للترجمة من أعضائها دكتورة عايدة شفيق التى تتقن الإنجليزية والفرنسية.. والقانونية تريزا نجيب يسى والمهندسة ناديه نجيب والعضوية فى لجنة الترجمة ، قررنا أن تكون مفتوحة لكى تستوعب كل راغب فى إضافة حية لتاريخنا المجيد.. وترجمنا عنوان الكتاب " إلى النوبة مدخل أفريقيا " أو " النوبة بوابة أفريقيا".. وعرضنا الأمر على الدكتور عثمان جمال الدين ، مقرر الخرطوم عاصمة الثقافته، وقد رحب بالإقتراح بنفس القوة التى رحب بها المهندس محجوب السعيد ، بالإقتراح الأول.. وعرضت عليه الكتاب، وقرر أن يصدر خطاب تفويض لنا لعمل الترجمة ، وكتاب يستأذن فيه من مؤلف الكتاب الذى بحثنا عن عنوانه ، وإتضح لنا أنه رجل مهتم جدا بالسودان ، وعاش فيه عدة سنوات مديرا لمجموعة لتنقيب عن الآثار.. ومن حبه للسودان، رأيته فى صورته وكأنه سودانى من الشمال ، فالملامح إفريقية .. وزوجته مدام "نيتى" هى رفيقة كفاحه، NETTI KESLER.. ولكنه أمريك من مواليد كاليفورنيا وزوجته مدام "نيتى" ليس فى الحياة الزوجية فقط ، إنما أيضا فى تأليف هذا الكتاب.. وبدأنا فى الترجمة ، وقبل أن نتعمق فيها كانت المفاجأة المفرحة والتى حمل فيها الىّ مدير متحف السودان خبراً..

إنه رأى ترجمة عربية لهذا الكتاب.. وظللت أتصل بعدد كبير من جامعة الخرطوم ، وكل واحد يرسلنى للأخر مثلما توجه الكرة ، من شخص لأخر.. داخل الفريق الواحد ليحقــق الإنتصار.. وأخيرا وجدت الكتاب مترجما تحت عنوان " النوبة رواق أفريقيا " وهو كتاب ضخم ترجمه السودانى محجوب التجانى محمود ، ترجمة راقية ، وصلت الى أكثر مـــن سبعمائة وعشر صفحات.. والكتاب مطبوع طباعة أنيقة ، فى شركة مطبعة الفاطيما أخوان.. ولم يرى النور سوى فى عامنا ، عام السلام ٢٠٠٥ .. ولم يصل الى السودان إلا مؤذاً.. ولكننى حظيت بالكتاب .. وأحظى بالجلوس إليه لأنه خير جليس فى هذا الزمان وسوف يكون له الأثر الكبير فى كتاباتى لأنه مرجع موثق ومهم ..

١٥ . النخبة السودانية وإدمان النجاح

الدكتور منصور خالد : كتب الدكتور منصور خالد وزير خارجية السودان الأسبق كتابا قيما جدا هو " النخبة السودانية وإدمان الفشل ".. والكتاب من جزءين .. وكل جزء يصل الى ما يقرب من سبعمائة صفحة.. والكتاب له رؤيا معينة ، فهو يعالج تاريخ أنظمة الحكم التى تعاقبت على السودان بدءاً بأكتوبر أربعة وستين فى القرن العشرين ، حيث سقط الحكم العسكرى الأول والذى بكل أسف لم يكن الآخير رغم ما حدث من مواثيق ترفض الحكم العسكرى.. هذا حتى العهد الراهن ، وهو حكم الجبهة الإسلامية العسكري.. والحديث هنا عن دور النخبة الحاكمة أو المؤثرة على الحكم ، فى كل تلك الآنظمة.. فى الجزء الآول من الكتاب ، حديث عن الفترة التى أعقبت سقوط نظام عبود العسكرى والفترة الديمقراطية التى أعقبتها.. ثم نظام مايو الذى يعزو الكاتب نشأته إلى أخطاء تلك الفترة.. وقد كان هو نفسه وزيرا للخارجية تحت مظلة هذا النظام العسكرى..

أما الجزء الثانى ، فإنه يتناول الفترة التى تلت نظام مايو ، وما شهدته من تخبط قاد إلى الحكم الراهن ، والمؤلف صاحب قلم ساحر ، فبيانه سحر.. وخلفيته الأدبية ، واسعة وراقية، وكلماته كلمات منتقاه.. وأسلوبه أسلوب أدبى راقى.. ولا أخفى إطلاقا إعجابى بالكاتب وقامته العالية ومقامه الرفيع ، فهو له فى قلبى وفى قلب معظم أهل السودان مكانة السودانى الشهم ، الذى لا يقبل الإعوجاج.. ولا يداهن أحدا.. ولا يحب أن يكون مع شعراء المديح بكلامهم الفصيح ، عن عظمة الحاكم الذى ليس بعظيم.. وللمؤلف عدة كتب أخرى مثل : حوارمع الصفوة.. لا خير فينا إن لم نقلها.. السودان فى النفق المظلم.. الفجر الكاذب .. نميرى وتحريف الشريعة.. وسوف أحاول إشباعا لإعجابى بتميز الكاتب ، قراءة أفكاره فى الكتب الاخرى..

والأن كلما رأيت مقالا فى الجرائد بقلم منصور خالد ، أسرعت لقراءته ، لأنه يزيدنى علماً.. ويزيدنى تعمقاً.. ويملأنى إعجابا بفيلسوف هذا العصر.. الذى رفض الوزارة..وإنضم إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان ، وأعطاها بُعداً قومياً راقيا.. وهو يهدى الكتاب إلى ذكرى البيه عبدالله خليل.. وذكرى مصطفى الصاوى .. وكلاهما له فى حياة منصور خالد الآثر الخالد والذكر الخالد..

ويبدأ توطئة ومقدمة ، يذكر فيها آبيات شعر لأبى الطيب المتنبى يقول فيها : فيناك من ربع وإن زدتنا كربا.. فإنك كنت الشرق للشمس والغربا.. ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت.. على عينه حتى يرى صدقها كذبا..

ويحدد خالد أزمة السودان السياسية ، بأنها أزمة رؤية.. وأن المأزوم فيها ليس هو المواطن الكادح الصابر، إنما هو تلك الأقلية الإستراتيجية من صفوة المثقفين أو الأحرى المتعلمين، التى إفترضت لنفسها التعبير ، وصنع القرار وتقرير المصير، بإسم هؤلاء جميعا بحكم سيطرتها على الحكم والمال والتعليم، ووسائل الإعلام الحديث.. وبسبب غياب الرؤية، كتب على المغلوبين من أهل السودان، الوقوف فى الظل صفا صفاً.. والكاتب يعترف بدور الصفوة أو النخبة من المتعلمين فى صنع الأمجاد فى تاريخ السودان.. ولكنهم مسئولون عن كل ما أصاب السودان من بلاء وأرزاء.. وآزمة النخبة تعود الى تصدع الذات الذى يؤدى الى فجوة بين الفكر والممارسة، ما يقول المرء وما يفعل..

نحو النجاح: وأعتقد إننا فى هذه الأيام، نسعى نحو النجاح.. وإدمان النجاح.. والدكتور منصور خالد هو أحد صناع هذا النجاح وهو شاهد يرى اليوم لواء النجاح وهو يرفرف ، علماً خفاقاً على بلادنا العظيمة.

والنجاح هو، جمع أبناء الوطن على حب الوطن.. وإزالة الفوارق التى صنعتها أيام المحنة، محنة الإنقسام والإحتراب.. وهذا العام ، هو عام السلام الذى صنعه، صُناع السلام فى سوداننا العظيم.. المسافات التى تباعدت بين الأشقاء، تلاشت ، وحدث التقارب.. وبعد أن كان الحديث عن المواطن السودانى الذى يختلف مع الحكام على انه من الخوارج المارقين الذين غواهم الشيطان .. الأن إختلف الكلام.. وصرنا معا.. نصنع تاريخ السودان.. ونؤرخ للنجاح.. النجاح فى المفاوضات.. النجاح فى إحترام الأخر.. النجاح فى إحترام فكر كل مواطن ، لآن كل مواطن يحب وطنه ولا يمكن لمن يختلف مع الحاكم أن ينعت بأنه خائن أو مارق..

الحمد لله بعد إتفاقية نيفاشا ، ظهر إعلام نظيف يرفض ثقافة الكراهية ويشيع ثقافة المحبة.. وبعد إتفاقية القاهرة يبدأ طريق النجاح لكى تكتمل المسيره ، وبعدها تتم إتفاقية أبوجا لمعالجة مشاكل دارفور.. وربما إتفاقية طرابلس لتعالج مشاكل الشرق.. المهم ألا نفشل ، والمهم أن نتحول من إدمان الفشل الى إدمان النجاح..

والنجاح هبة من الله ، لأن الله لم يعطنا روح الفشل ، بل روح القوة والمحبة والنصح.. من أجل ذلك إذ لنا هذه الخدمة كما رحمنا لا نفشل.. لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى ، فالداخل يتجدد يوما فيوماَ.. وهذا يعنى إننا كلما مر علينا عام.. كلما ضعف الجسد ، ولكن لا نفشل ، لأننا نزداد خبرة فى الحياة ، وتتجدد حياتنا ، ولا نفشل فى عمل الخير، بل يُنجح الرب كل طُرقنا.. أرجو أن يكتب أستاذى الدكتور منصور خالد ، عن التداريب الروحية التى نسلكها ، لكى نُدمن النجاح...

١٦ . النوبة الوسطى

ثلاثة أقسام : يقسم الجغرافيون منطقة النوبة الى ثلاثة أقسام هي : النوبة العليا والتي تبدأ من إلتقاء النيل الأبيض بالأزرق أو المقرن الى دنقله.. والنوبة الوسطى من دنقلة الى وادى حلفا.. والنوبة السفلى من وادي حلفا الي اسوان. وأطلق عليها إسم الواوات.. ونتحدث هنا عن النوبة الوسطى، والتى تمتد من دنقلا الي حلفا، والتي تعد وطناً أساسيا للنوبة.. ويتصف هذا الإقليم بضيق واديه، وكثرة ما يعترض مجرى النيل من جداول وإنحناءات ، ويقلل القيمة الإنتاجية للنوبة الوسطى ضيق الشريط الخصيب على جانبى النيل ، وإرتفاعه كثيراً عن مستوى النهر.. مما يجعل الرى صعبا لأن الماء لا يطلع فى العالى كما يقولون ، ويتحدث بعض الناس عن أن المواطن السودانى كسول لم يزرع أرضه والسبب هنا طبيعى وواضح حيث أن إرتفاع الشريط عن ماء النيل يجعل "الكنتور" معكوساً.. وكان هذا يشكل صعوبة في الماضى ولكنه الأن لا يشكل نفس الصعوبة مع التقدم التكنولوجى ، وهذا أمر لا يمكن أن يتحمل عبئه المواطن السودانى بل الدولة السودانية والمنوط بها توصيل الماء الى الأراضى حتى يتم زراعتها والإستفادة بخيراتها الوفيرة.. ومما يزيد الحياة صعوبة ، وقوع النوبة الوسطى في منطقة تكاد تكون عديمة الأمطار.. كما أن حركة الهواء والأتربة كبيرة ، فتتراوح الأمطار بين الصفر وخمسة مليمترات، وكما يقول كتاب الإسلام والنوبة: إن النوبة الوسطى لا يصيبها إلا بعض الرذاذ الذى يتساقط فجأة ودون أن يكون لسقوطه قيمة تذكر..وأنه بهذا يمكن تصوير مدى قسوة الأحوال الطبيعية فى النوبة الوسطى ومدى إرتباط حياة السكان تماما بالنهر ونوع الفيضان والمستوى الذى يصل إليه الماء.. ويمارس السكان زراعة "السلوكا " فى الأجزاء الضيقه المحدوده التى ينحسر عنها النهر فى مدة إنخفاض المناسيب، وتزرع في هذه الأجزاء المحاصيل دون رى معتمده على ما تتشبع به من رطوبة في موسم فيضان النهر.. ويغلب عليها ان تكون من المحاصيل سريعة النضج.. أما الزراعة الحقيقية فتعتمد على الساقيه التي تروى مساحات محدوده لا تزيد على عشرة أفدنة، والأن إمتدت المضخات إلى هذا الجزء ولكنها لم تجد أرضا فسيحة لخدمتها ، إلا في منطقة الأحواض التى تعرف بإسم حوض دبيره وحوض حلفا..

النوبة الوسطى: وتعد منطقة النوبة الوسطى ، منطقة صعبة وتحتاج إلى تطوير في إمكانيات الدولة .. وهى لا تتعدى شريط النيل فقط ، بينما باقى المنطقة على جانبى النيل صحراء جرداء تنعدم فيها مظاهر الحياة .. إلا فى مناطق الواحات .. وأهم

هذه الواحات ما يمر به درب الأربعين، وهي واحة بير نطرون.. ونخيله.. وسليمه.. ولكن منطقة النوبة الوسطى حظيت بالذهب كما حظيت ايضا بالجنود رماة الحدق، الذين كانوا سدا منيعا أمام من يحاول أن يعتدى على السودان..

وقد وقف هؤلاء الجند أمام حملات العرب التى كان يرجع أغلب المحاربين فيها وقد فقدوا إحدى عيونهم أو كليهما.. وقد أطلق عليهم العرب "رماة الحدق " لأنهم كانوا يصيبون بسهامهم حدقة العين . ولم يكن سلاحهم سوى القوس والسهم والنظر الثاقب وإمكانية تحقيق الهدف للسهام الضاربه.. وقد أطلق الفراعنه على هذه المنطقه إسم " تاستى " أي أرض القسى جمع قوس.. وهي وسيلة النوبه الوسطى في الحروب وسلاحهم الأوحد..

وفي نقوش الدولة المصرية القديمة أطلق على هذه البلاد إسم " خنت " ومعناها الآراضى الجنوبيه ، ويرى الباحث " ريزنر " أن المصريين القدماء أطلقوا إسم الآراضى الجنوبية على الأقاليم المتأخمة لمصر ، من ناحية الجنوب وتمتد الى أواسط أفريقيا وشرقها ، وتضم شعب "بنت " والزنوج في الجنوب.. والنوبيين بوادي النيل .. والليبيين في الصحراء الغربية .. وبدو الصحراء الشرقية..

غير أنه من المعروف أن كلمة نوبه، كلمة قبطية قديمة، تعنى "الذهب".. وقد أشار "إراتوسطينى"الجغرافى اليونانى وأمين مكتبة الإسكندرية ٢٧٦-١٩٦ قبل الميلاد الى أن هذه المنطقة أخذت إسمها من أحد الشعوب.. التي كانت تعيش على الضفة الغربية للنيل.. وهم النوبيون.. ثم صار هذا الشعب فيما بعد سيداً على المنطقة كلها ، طوال العصور الوسطى..

ولقد تعرضت هذه المنطقة إلى تهجير سكانها بدءاً بمشروع خزان أسوان.. ثم السد العالى .. ثم سد مروى .. ورغم قسوة هذا التهجير الإضطرارى إلا أنه كان سبباً فى بعثات التنقيب العالمية عن الآثار .. والتى إكتشفت تحت الرمال حضارة قديمة ومجيدة .. وكنائس عديدة .. وأديرة رهبانية متعددة.. وصوراً ولوحات فنية، ذات طراز مسيحى راقى.. يعبر عن الأفاق الواسعة لدى الفنان النوبى..

١٧ . النوبة السفلى

ثلاثة أقســـام : يأتى تقسيم جغرافيا السودان للنوبة بلاد الذهب والتى كانت تغذى مصر بالذهب الوفير حتى قيل إن الذهب فى مصر مثل الرمال على شاطىء البحر.. يأتى التقسيــم الـــي ثلاثة أقسام: النوبة العليا وتبدأ من المقرن حتى

دنقله.. والنوبة الوسطى من دنقله حتى وادى حلفا.. والنوبة السفلى من وادى حلفا الى أسوان.. والنوبة السفلى هو موضوع مقالنا .. وقد أطلق عليها المصريون القدماء إسم واوات. وتمثل هذه المنطقة المرحلة الأخيرة للوادى الضيق.. وهى منطقة محدودة القيمة ، ففى مدة إرتفاع المناسيب ، يبدو النهر منحصراً بين حائطين جبلين ، شديدى الإنحدار ، ويبدو هذان الحائطان عمودين فى بعض المواضع ويشرف على النهر مباشرة بعض الثغرات التى تمثل فتحات للأخوار والوديان التى تنساب الى النهر من الجانبين الشرقى والغربى... ويتميز مجرى النهر فى هذه المنطقه بأنه معتدل الجريان ، وهو بهذا صالح للملاحة ، كوسيلة للتواصل حيث كان نهر النيل وسيلة تواصل وإتصال ومواصلات بين الساكنين على ضفافه ، غير ان ملاحته النهرية كانت تتعرض كثيراً لمعوقات ، هى صخور وشلالات.. وعندما تنخفض مناسيب النيل فى النوبه السفلى ، ينحسر النهر فى شريط ضيق يظهر هنا وهناك فى أحد الجانبين، وفى هذا الشريط يكثر النخيل ويهبط السكان من حافتى الوادى ليمارسوا الزراعة .. والزراعة فى مساحات محدودة فى الأوقات العادية ، ولكن رقعة الزراعة تتسع فى أيام الفيضان ، ونظراً لفهم السكان لطريق النهر متى يضيق ومتى يتسع ، كانوا يبنون قراهم فيما وراء مستوى التخزين المائى ، بعيدا عن مجرى النهر، وهذه صفة إتسم بها سكان النوبة ومصر عموما ، حتى وإن تم بناء مبانى على شاطىء النهر، فإنها تبنى مرتفعة عن منسوب النيل مثلما حدث فى بناء كنيسة العذراء فى شارع النيل ، فإنه لا يمسها بضرر.. ورغم صعوبة إرتفاع المياه الى فوق ، كان أهل النوبة يعدون المساطب على المنحدرات ويرفعون إليها الماء بالسواقى ويباشرون الزراعة في هذه المساحات الضيقة...

وكانت منطقة النوبة السفلى ، إقليما فقيراً حتى إنها صارت موطنا من موطن العزلة أى منطقة من مناطق الطرد ، ولهذا كان يخرج أهل النوبه متتبعين مجرى النهر شمالا وجنوبا، يتمتعون بالعيش الرخى ، ولكن كان حب الوطن يعود بهم الى بلادهم لكى يعيشوا على خيرهم القليل مع مساعدات تأتى إليهم من ذويهم خارج الوطن.. وعلى ارض النوبه السفلى والنوبه الوسطى ، قامت مملك النوبه الشمالية، واطلق عليها إسم " مقره" وإتخذت دنقله عاصمة لها، ونحن نرفض تسمية دنقله العجوز، إنما نسميها دنقلا العتيقه أو القديمه، مثل مصر القديمه أو العتيقه..

وقد إمتدت هذه المملكة من جنوبى أسوان إلى منطقة الآبواب.. ولا زال النهر ما بين الشلال الأول والسادس ، يعرف بإسم النيل النوبى وهذا يعنى أن النوبيين

خلعوا إسمهم على النهر.. وكان إختيار دنقلا بسبب وقوعها فى منطقة يتسع فيها الوادى مما يسمح بقيام حياة بشرية ، تتسم بالزراعة وما تجلبه من رخاء وإستقرار..

حضارة النوبة السفلى : وكانت هذه المنطقة تمتاز بخشب الأبنوس وخشب السنط.. وقد مهد متاخمة النوبة السفلى لمصر إلى المصاهرة وما تبعها من تداخل فى العلاقات الإجتماعية ، ونقل حضارة المنطقتين ، من المنطقه إلى الأخرى..

ويرى الدكتور شوقى الجمل وهو شيخ التاريخ فى جامعة القاهرة ، وفى كتابه " تاريخ سودان وادى النيل " الجزء الأول أن مملكة أثيوبيا السفلى أو النوبة السفلى، هى التى تأتى موضع الإهتمام لدى المؤرخين.. لأن تاريخها هو فى الحقيقة تاريخ السودان القديم ، وقد عاصرت فى مصر العصر الفرعونى وعصر الفرس وعصر البطالة أو البطالمة والرومان .. كما يرتبط تاريخ السودان القديم إرتباطا وثيقا بالتاريخ الفرعونى ، بحيث يصعب دراسة تاريخ السودان القديم دون إلمام بالتاريخ الفرعونى ، لأن الحضارة الفرعونية القديمة قامت أساسا على ضفاف النيل وإزدهرت فى المناطق الخصبه حول هذا النهر العظيم الذى يجرى فى مصر ، كما يجرى في السودان .. والذى جعل التواصل قويا.. وجعل المنطقة كلها ذات حضارة واحدة ، فيها ملامح خاصة لكل أقليم ، وهى حضارة وادى النيل...

ورغم أن هناك مناطق فى النيل يصعب فيها المرور، فقد كانت القوافل التجارية تعبر الطرق الصحراوية حتى تتخطى عقبات الملاحة النيلية .. وكان يعنى إنتقال مظاهر الحضارة بين شطرى وادى النيل....

وقد أطلق المؤرخون على هذه المنطقة إسم "أثيوبيا" وتعنى ذوى الوجوه المحروقة والكلمة يونانية.. وأول من أطلقها هو "هيرودت" أبُ التاريخ .. وقد أطلق العلامة "ويزنر " على دولة "نباتا" فى مملكة مروي، إسم أثيوبيا، مؤثرا طريقة الكُتاب القدماء الذين عاصروا دولة مروي .. وأطلقوا على ملكها "ملك الأثيوبيين "...

وهذا هو نفسه التعبير الذي إستخدمه نعوم شقير في كتابه " تاريخ السودان "حيث أطلق على النوبة كلها إسم أثيوبيا .. وفي هذه المنطقة قامت مملكة كوش، صاحبة التاريخ القديم .. والملوك الكوشيون الأقوياء الذين حكموا مصر والسودان، مما يسمى "المملكـــة المتحدة " والتى فيها إتجاه واحد، نحو توحد الألهة والإلتفات الى الإله الواحد " آمون " .. مع إحترام الألهة الخاصة لكل منطقة..

١٨ . جون قرنق دعوة محبة مستمرة ومستقرة

إلى أمجاد السماء : في إحترام لجريدتى المحترمة الأيام الغراء ، قرأت كلمة الأيام فى وداع جون قرنق تقول: إنتقل إلى الأمجاد السماوية الفريق أول الدكتور جون قرنق، في حادث قدرى وفي لحظة معضلية من تاريخ السودان، وهذا يترك حسرة في قلب محبيه.. وحزنا مقيما في صفوف أسرته الكبيرة السودان. والتعبير عن الأمجاد السماوية ،هو تعبير مسيحى ولاهوتى، لأن السماء هى وطن الإنسان .. ولأننا خلقنا للسماء وسوف نعود إليها.. ولأن الإنسان هو الكائن السماوى الوحيد الذى يتطلع الى السماء.. إن رحيل جون لأمجاد السماء كان رحيلا مأساويا ولكننا نقول ما قاله أيوب: الرب أعطى والرب أخذ ، فليكن إسم الرب مباركا..

وكان يوحنا فم الذهب يردد مبارك أنت يارب عندما تعطى . ومبارك أنت يارب عندما تأخذ.. والذى يذهب الى السماء عبر الموت ، لا يموت هناك لأن من يغلب ، لا يؤذيه الموت الثانى.. لأن الموت الأول مكتوب على جميع الناس فى كل زمان ، أن يموتوا مرة واحدة ، وبعد ذلك الدينونه.. لهذا نحن نؤمن أن جون قرنق لم يمت، لقد ذهب إلى السماء .. سماء الرب.. والله ليس إله أموات ، بل إله أحياء .. ومع الشاعر نقول ، عن جون قرنق :

لا تقولوا مات... فالموت اليقيـــــن
لا يصيب المؤمنيـــن... العامليـــن
إنما قولوا ... إستجابت روحـــــه
لنداء اللـــه... رب العالميـــــــن
إن فى الذكرى ... حياة للألــــى
تركوا الدنيـــا ... رجالا طاهرين

لقد إنتقل جون الشريك الأصيل في السلام .. من أمجاد السلام فى الأرض.. إلي أمجاد السلام فى السماء .. من أمجاد إلى أمجاد .. وأمجاده في الأرض صنعتها مبادىء السماء.. ولهذا سوف تحفظ السماء مسيرة السلام..

لقد كانت قيادته للسودان، قيادة إلي ينابيع حية من التنمية والتقدم والرفاهية.. وهو الأن في موكب المتسربلين بالثياب البيض.. وقد وصل الى هناك بعد الضيقة العظيمة وهو مع الغالبين الذين لن يجوعوا بعد.. ولن يعطشوا بعد.. ولا تقع عليهم الشمس ولا شىء من الحر.. لأن الله فى وسط العرش يرعاهم.. ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية.. ويمسح الله كل دمعة من عيونهم (رؤيا٧)..

دعوة محبة : إن جون تشرف باسمه من إسم يوحنا.. وكان يوحنا أحد الحواريين الإثنى عشر.. كان قريبا جدا للسيد المسيح حيث أوصاه السيد برعاية مريم العذراء، أم يسوع.. وكان خادما محبا للناس.. وعندما أثيرت الإضطهادات ، نفى يوحنا إلى جزيرة "بطمس " في بحر " إيحه " REVELATION .. بين تركيا واليونان .. وهناك كشف له الرب فى رؤيا عن حوادث مزمع حدوثها في الكنيسة.. وكتب رؤياه فى سفر الرؤيا..

وكان يوحنا شديد الغيرة على الإيمان وكثير المحبة للمؤمنين.. وكان يوحنا يتكلم كثيرا عن المحبة العظيمة التى أحبنا بها الله.. ويطالب المؤمنين " أن أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم أنا.. وعندما تقدمت به الأيام كانوا يحملونه لكى يتحدث مع الناس ، فكان يقول لهم : أحبوا المحبة..

كانت المحبة هى كل شىء فى حياته وحتى مماته.. وقد كان جون سمية جون قرنق ، دعوة محبة ، سوف يكتب لها الإستمرار في مسيرة التاريخ والإستقرار فى قلوب أهل السودان ... وكان جون يزرع المحبة فى وطن المحبة ، وعندما جاء الى الخرطوم زرع المحبة فى كلمات التى هى دعوة محبة ..

وفي مداعباته اللطيفة والتي كانت كلها محبة .. ونحن نعاهد جون قرنق.. أن تستمر دعوة المحبة وتستقر .. وأملنا كبير أن تستمر مسيرة السلام.. وإلى أمجاد السماء ياجون قرنق ، يامن كنت بيننا دعوة محبة مستمرة ومستقرة..

١٩ . ورحل جون إبن الخلود الى عالم الخلود

إبن الخلود :رحل البطل المغوار ، جون قرنق إلى عالم الخلود.. إبن الخلود رحل إلى عالم الخلود.. نحن رواق أفريقيا أبناء الخلود.. فكر أجدادنا في الخلود ، ولهذا كان بناء الإهرامات، وكانت اللوحات.. في السودان ليس هرم واحد.. وليس ثلاثة.. وليس عشرة إنما فى مروى بنى أجدادنا (مائتين وواحد وستين هرما).. وعلى الأهرامات نقشوا سيرتهم، وإنتصاراتهم، ومعاركهم، حتى يعيشوا الذكرى الخالدة..
ولقد توزعت أهرامات مروى على أربع مناطق هي : الكرو.. نوري.. البركل.. مروي.. وكانت هذه الأهرامات شموخا نحو الأبدية المجيدة.. كان أهل أفريقيا تنادي حضارتهم بالخلود.. ويعتقدون أن الملوك يعيشون إلى الأبد.. وأن كل البشر له حياة الأبد..

وكانت الإهرامات مخزن للذهب، يدفن مع الموتى ملوكاً وشعباً، لأنهم كانوا يعتقدون أن الذهب رمز لنقاء السماء.. ورمز لخلود الأبدية .. أما اللوحات فقد رسموا منها الخلود، منبعثا من إرتباط الملوك بالملائكة .. وإرتباط الملكات بالقديسات الراحلات.. وإحدى هذه اللوحات ، لوحة من كنيسة فرس في بداية القرن الى الحادى عشر الميلادي.. وفيها رسم للملكة الأم " مرثا " بجوار مريم العذراء ، تحمل السيد المسيح..

والعذراء أكبر ، إنها وصلت عالم الخلود ولأنها الخالدة أم يسوع الخالد إلى أبد الدهور.. أما الملكة، فهى أصغر، لأنها مازالت تسير فى رحلة الخلود الى العالم الأخر.. وفى هذه اللوحة، تقف الملكة مرثا، عن يمين الملكة العذراء..

وفي لوحة أخرى ، نوبية قد رسمت مريم العذراء وفى باطنها أميرة نوبية هى زوجة الأبرخص الذى كان فى مركز النائب الأول للملك النوبى.. العذراء تحمى الأميرة وتضع يدها الطوباويتين على كتفيها ، حنانا وتعاطفا وحماية ومؤازرة .. وهى لوحة ترسم طريق الخالدين .. فالإنسان تخلده قيمة روحية.. وتخلده أعماله المجيده ، وهو فى رحلة هذه الحياة يبنى طريق الخلود.. حتى أن أجدادنا من كوش والنوبة لم تكن بيوتهم الأرضية تتناسب مع بيوتهم بعد الموت.. أى المقابر التى يدفنون فيها ، وكان الدفن نفسه له فكرة الخلود حيث دفن أهل كوش متجهين نحو مصر.. كما دفن أهل مصر متجهين نحو موقع مملكة كوش.. وفى مسيحية النوبة، دفن الموتى، متجهين نحو الشرق، وذلك إيمانا بأن المجىء الثانى للسيد المسيح، سوف يكون من المشارق، ولأن الشمس تشرق من الشرق ويستمر نورها حتى الغروب.. ولأن الله هو شمس البر.. والشفاء فى أجنحته.. ولكم أيها المتقون إسمى ، تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها..

إلى عالم الخلود : فجأة .. وبدون مقدمات رحل المصادم الجسور ، جون قرنق.. وكانت صدمة لكل العالم ، أن يرحل صانع السلام ، بسلام ، إلى ملك السلام.. رحل وهو بعد صغير .. غربت شمس حياته إذ بعد نهار.. إنه من مواليد ١٩٤٥.. وكان الأمل أن يكون معنـــا..

إنه الفقد الجلل.. لقد كان ، وفي الأرض يسعى إلى رحلة الخلود.. كان رقما وطنياً كبيراً.. كان موقعا مركزيا خطيراً.. كان قادراً على التواصل.. كان محطماً للحواجز.. دخل إلى قلوب الناس.. بدون تحفظ.. وإمتلأت القلوب بحبه.. وحفظوا كلماته. وتمتعوا بنوادره .. وكما يقولون إنه أطلق حماماته في سماء الخرطوم، وإرتحل ، لقد بنى دار السلام قبل أن يمضى بسلام.. لقد شيد صرح الوطن بخير وكفاح وكأنه مع الشاعر يقول : صرح الوطن بخير وكفاح وكأنه مع الشاعر يقول:

لا دار بعد الموت يسكنهـــــا
إلا التى كان قبل الموت يبنيهـــا
فإن بناهـــا بخير طاب مسكنــــه
وإن بناهـــا بشر ، خاب بانيهـــا

مضى عنا راحلاً..النائب الأول لرئيس الجمهورية، جون قرنق. الدكتور في عالم الإقتصاد..رجل الحرب..ورجل السلام..كانت حربه لتحقيق السلام.. وحرية الوطن..

لقد رحل إبن الخلود.. إلى عالم الخلود ، لكى ينضم إلى مصاف الخالدين.. ولا تقولوا قد مات .. كلا.. جون قرنق لم يمت.. لكنه نام فى صمت الموت.. وهو حي فى قلوب الملايين التى أحبتــه..

٢٠. ورحل جون فى زمان السلام

رحل جون : في الأحد الماضى ٢٠٠٥/٧/٣١.. قدمنا إلى النائب الأول ، جون قرنق، دعوة محبة، عنوانها" من الغابة إلى القصر.. والعكس ممنوعاً.. وطالبناه فيها بأن يستمر معنا.. ويستقر بيننا.. وبعد أن كان هو المحارب الأول.. صار رجل السلام.. ولكن أتت الأقدار بغير هذا. أتت الرياح ، بما لا تشتهى السفن.. وكانت الرياح عاتية ، داهمت طائرته الرئاسية، في رحلته من أوغندا إلى جنوب السودان وطنه، الذي عاش فيه.. وحارب من داخله .. ولم يخرج منه.. كان يقول: إنه لم يكن خارج السودان ، إنما داخل السودان.. وكان يقول : أنا الأن مع البشير.. هل نحن فى حلم .. أم فى علم؟.. هذه حقيقة واقعة..

ولكن كانت الفجيعة الكبرى عندما أعلنت رئاسة الجمهورية ، رحيل النائب الأول جون قرنق.. الذى فى فترة وجيزة ، إجتاز كل المسافات .. وأبطل مفعول كل التوترات ودخل الى قلب كل أهل السودان.. في أيام الإحتراب كان السودان ينظر الى جون قرنق ، كأنه معطل لمسيرة السلام.. كانوا يصفونه بالمتمرد.. وبأنه قائد مجموعة الخوارج.. وبأنه دموى.. وبأنه إنفصالى ، ولكن العجب العجاب أن هذا الرجل عندما أتى إلينا يحمل سعف النخيل ، لشعبنا الأصيل ، ويمسك غصن الزيتون.. لوطننا الميمون.. في لحظة واحدة إلتف الكل حوله.. ونسوا ما قالوه.. ولم يعتذروا عن النعوت غير المنضبطه ، إنما غطوا هذا بقبوله فى قلوبهم.. ..

دخل جون قرنق، قلب كل سوداني.. وسكن القلوب.. وبدأت رحلة حب وسلام.. وتحقيق أحلام .. وبطلان أوهام.. وتعلقت به الأفئدة .. وصار ريدا، وحبا، وولها، وعشقا.. وإستقبله أهل السودان بالملايين..قال هو عن عدد المستقبلين فى الساحة الخضراء: أنهم ستة مليوناً من البشر..

زمان السلام : لم يرحل عنا جون قرنق.. في زمان الإحتراب.. إنما رحل بعد أن حقق السلام..

يقول اللاهوتيون : أن سنة ميلاد السيد المسيح ، كانت سنة السلام فى روما ، وهي رمز لسنة الرب ، سنة اليوبيل عند اليهود.. بالنسبة لروما ، لم تكن هناك حرب فى هذا العام.. وكان هيكل الحرب مغلقاً.. وهو هيكل للآلهة ، لا يبدأون الحرب إلا بعد إسترضائها .. أما اليهود فالسنة المقبولة عندهم، هى السنة التى يبشر فيها المسيح، بسنة مقبولة، ويشفـــى المنكسرى القلوب.. وينادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر.. ويرسل المنسحقين فى الحرية ..

في زمن السلام ، رحل جون قرنق ، بعد ان أتى إلينا بالسلام.. سلام للمنسحقين.. للبؤساء ، للمهمشين.. لقد فقدناه ، ولكن ، لم نفقد السلام.. سوف نفتقده ونحن نمشى مسيرته ونحمل رأيته.. ونمسك أغصان النخيل والزيتون.. فإلى راحة السماء ياجون.. ونحن لنا الله.. ولنا الوطن.. وسوف نستمر فى مسيرتك ومعذرة . أن روحك أزعجهـــا فوضى الشارع.. وتعزيات لكل أبناء السودان..

٢١. جنود نوبيون في الجيش الطولوني

الجندي النوبي : عُرف أهل النوبة بالقوة وسرعة الحركة أجسادهم خفيفة.. وعندما يسرعون الخطى كأنهم يطيرون.. ومنذ أيام الفراعنة كانت هناك قناعة بقوة الجندى السودانى .. وعندما سمع الملك حزقيا بأن ترهاقه ملك كوش قد خرج لمحاربته ، خاف جدا إقتناعا منه بقوة جنود كوش .. ولبس الملك حزقيا مسوحا بعد أن مزق ثيابه ودخل إلى بيت الرب لكى يستدر المراحم الإلهية(أشعياء ٣٧)..

وكان هذا فى عام ٧١٥ ق. م. بل أن جيش أبناء يعقوب كان به عدد من جنود النوبة.. وكانوا يعملون فى القصر الملكى .. وذلك بسبب قوتهم وأمانتهم.. ويذكر سفر أرميا أن الكوشى الذى كان فى قصر الملك صدقيا ، هو الذى أسرع وبلغ عن النبى أرميا أنه وضعوه فى جب .. وكان الكوشى سب نجاة أرميا .. ولهذا إهتم

الملك بعد هذا بإنقاذ الكوشى والذى كان حارساً للملك أو من حرس الملك. (أرميا ٢٩،٢٨).. بل هناك كان عتاب من الرب للملك اليهودي لأنه إعتمد على قوة كوش ولم يعتمد على قوة الله.. وكانت حدود كوش يحميها جنود كوش.. وتوجد نبوة ضد طغيان الفرعون الذى قال: النهر لى وأنا عملته ولم يعطى مجدا لله.. وكما ذكر القرآن الكريم: الأنهار تجرى من تحتى (الزخرف ٥١).. وتقول النبوة التى لحزقيال النبى: هانذا عليك وعلى أنهارك ، وجعل أرض مصر خربا ، مقفرة من مجدل إلى أسوان إلى تخم كوش (حزقيال٢٩ : ١٠)

ويذكر كتاب جنود السودان فى المكسيك ، كيف كان هؤلاء الجنود أقوياء، وصنعوا هم إنتصارات نابليون الذى كان يحترم مقدرات الجندى السودانى.. وكان الجندى السودانى حاميا لبلاده ، ضد أي غزوات خارجية..

ولم يكن حكام كوش يرغبون في الإعتداء على أحد ، ولكن المعتدين عندما رأوا قوة الجندى السودانى ، لم يرجعوا فقط الى بلادهم خائبين ، إنما إنتهزوا الفرص لضم جنود من السودان ، وساعدهم على ذلك نظام الرق .. وذلك النظام السخيف المدمر لقيمة الإنسان.. وكان حكام بلاد العالم يشترون الشباب من السودان .. يأخذونهم عبيداً من إفريقيا ويضمونهم أفرادا في الجيش.. وهذا يعنى أن لهم معاملة خاصة .. وعند الفراعنة عندما كانوا يأخذون سبياً من الشباب ، سرعان ما يضمونهم إلى الجيش المصري وإلى الحــرس الملكى لفرعون ...

الجيش الطولونى : يذكر المؤرخون أن صلاح الدين الأيوبي ، رغم مقدراته القيادية، أخطأ عندما عزف عن إستخدام شباب النوبة فى الجيش الأيوبى.. وإستبدلهم بعناصر شمالية ، كردية، وتركية، ودبلمية.. ولهذا كان أهل النوبة ضد صلاح الدين، ولأن الفاطميين أكرموا النوبة فلقد حاول النوبيون إستعادة مجد الفاطميين.. ولكن إبن طولون، يعد أول من إستخدم الجنود السودانيين فى الجيش الطولوني.. لقد بلغ عددهم فى الجيش ، أربعين ألف جندياً. وهو عدد لا يستهان به.. وقد أقطعهم إقطاعا، عُرف بإسمهم .. وبلغ من كثرة عددهم حداً.. إستوجب معه تعيين حاجب خاص لصرف جراياتهم.. ويقول المقريزى: أن إبن طولون حصل على هذا العدد الضخم بواسطة الشراء.. وهذا يعنى أن بلاد النوبة تعرضت لحملات عنيفة من جانب تجار الرقيق وخاطفيهم..

وقد كان في جيش مصر جنود كثر من السودان.. وتردد في بعض المراجع شكوى أهل مصر من ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بالجند السودانيين.. وقد إستمر ولاة مصر فى ضم السودانيين إلى الجيش .. وفي عهد المستنصر بالله قامت أمه وهى سودانية بجلب ما يزيد على خمسين ألفاً من أبناء جلدتها..

وكان للمرأة السودانية .. زوجة الجندى السودانى أو الذي له عمل آخر.. لهن دور هام فى الحياة المصرية.. وكان للسودانيين أسماء خاصة ، وحارات خاصة ، بهم في مصر..

٢٢ . السودان أكثر من مليون ميل

مساحة السودان: نحن نتحدث اليوم عن مساحة السودان وهى مليون ميلاً مربعاً.. ونقول: إن المواطن السودانى ينبغى أن يكون فى أحشائه قلب كبير مثل سعة السودان.. وأن السماحة فى الأخلاق هى سمة سودانية ..لأن السودان نفسه بهذه المساحة المترامية الأطراف ، هو وطن متعدد الأعراق والأجناس والثقافات والأديان.. وهو وطن متحضر ، لأنه أكد إمكانية التعايش .. وإن إختلاف الأديان والثقافات ليس سبباً للإختلاف ، إنما هو عامل إئتلاف..

وإن التنوع لا يفرقنا ، إنما يجمعنا ، فنحن أول من آمن بأن الله واحد.. وبأنه خلقنا أمماً وشعوباً.. لكى نتعارف..وان الله صنع من دم واحد كل أمة من الناس، يسكنون على كل وجه الآرض.. وحتم بالأوقات المعنية وبحدود مسكنهم ، لكى يطلبوا الله ، لعلهم يتلمسونه ، فيجدونه ، مع أنه عن كل واحد منا ، ليس بعيداً ، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد..

ونحن ذرية الله كما قال الفيلسوف بولس الرسول .. ونحن خلفاء الله أو الإنسان خليفة الله على الأرض كما يقول القرأن الكريم.. وهناك من يقول : إن السودان أكبر من هذا بكثير. وأن القائم بالمسح الجغرافى كاد أن يهلك عندما وصل إلى هذا الرقم المذهل .. ولم يدرك منتهى مساحة السودان فقال لهم بعد ان إلتقط أنفاسه بصعوبة، ودون بعسر أرقامه : هذه مساحة قارة ، لا وطن..

ولكننا فى السودان ما زلنا نغنى : بكره يا سوداننا تكبر .. ويردد له الكورس: تكبر ، تكبر .. ولكن البعض يسألون : يكبر تانى يمشى وين .. وهذا طبعا رأى صحفى أديب هو الطاهر حسن التوم ، كتبه تحت عنوان : تحت الشمس " فى مجلة الخرطوم الجديده مارس ٢٠٠٥.. وطبعا هذا النوع من الأدبيات ، والأدب فضلوه على العلم.

أكثر من مليون : السودان الان مساحته مليون ميل مربع.. ولكن قبل هذا كان اكبر من هذا بكثير... كان السودان يبدأ من أسوان ويتوغل حتى أعماق أفريقيا.. حتى الصومال.. أرأيت قارة أفريقيا الكبيرة العظيمة ؟.. لقد كان يطلق عليها السودان...

وكان ينظر إلى النوبة على إنها مدخل أفريقيا أو بوابة أفريقيا... وهذه المساحة تعنى أن السودان أكبر من مليون ميل مربع بكثير، أنه فعلاً قارة بأكملها.. وعند الأسرة الكوشية كان السودان أوسع وأكبر من هذا بكثير.. لأن الملك " بعانخى" قرر أن يؤسس أول مملكة متحدة. وهى مملكة مصر والسودان.. والسودان زمان والذى دخل إلى أعماق أفريقيا..

وفي العصر المسيحى تم إندماج مملكتى " نوباطيا والمقره " .. وأتخذت دنقلا عاصمة للمملكة القوية الفتية ، التى دخلت حتى اعماق أفريقيا.. وهذه المساحة الكبيرة كانت تحتوى على الكثير من المعادن ، من ذهب وزمرد وحديد ونحاس..

وكانت غابات السنط مصدرا للوقود والفحم والمباني... حيث بنيت منه مراكب الأسطول النوبى والمصري.. وبعد هذا صنعت منه فلنكات السكه الحديد.. ويكثر الحجر المحاط بالحديد فى التلال المحيطة بمنطقة مروى ..

لقد كانت صناعة الحديد دعامة الإقتصاد السودانى القديم.. وقد وجدت تلال من نفايات الحديد تؤكد أهميته فى الإقتصاد منذ القرن السادس قبل الميلاد.. ووجدت أفران صهر الحديد من داخل المدينة.. والفرن مكون من جزءين بحائط مغلق مع مكان واحد لفتح النار لكلا الفرنين.. وهذه الأفران مشابهة لأفران صهر الحديد الحاليه.. وأستعمل الحديد فى تسليح مروى.. إن السودان الأن مساحته مليون ميل مربع.. وكان سابقا أكبر من هذا بكثير.. وبكره يا سوداننا تكبر فى الفهم.. في الوعى.. في العمل.. في التوادد.. في التعاطف .. في المحبة...

٢٣. مكتبة في القطار السوداني

محمد مكاوي: في الدار السودانيه للكتب ، هناك إلتقيت بالسيد عبد الرحيم محمد مكاوي ، وسألته : هل ما زال السودان يقرأ ؟.. فأجاب بالإيجاب: نعم يقرأ.. وأضاف الى معلوماتى المتواضعه ، شيئا جديدا فقال لى : إن القطار السودانى كان فيه عربة للمكتبة .. وكانت المكتبة إستعارية .. وفي رحلات القطار الطويلة ، كان المسافر يذهب إلى المكتبة ويقرأ فيها أو يستلف كتاباَ يقرأه ثم يرده ثانية.. إن خير جليس في الزمان ، الكتاب ..

ولقد كان لهذا آثره فى ثقافة أهل السودان ، وفى ثقافة أهل عطبرة بالذات، فلم يكن العمال يقوون عضلاتهم وأجسادهم بالعمل ، بل كانوا ينمون أفكارهم وعقولهم عن طريق القراءة... وطبعا السكه الحديد الأن غير زمان، ورغم إننا كنا نقول :

إنه لا بديل للسكه حديد ، غير السكه الحديد.. فإن هذا الناقل الوطنى الأن تخصص فى نقل البضائع ، وإنزوى قليلا عن نقل الركاب.. أذكر في الستينات إننا عندما كنا نسافر إلى مدنى نأخذ معنا زاداً للطريق ، فيما يسمى زوادة .. وعندما كنا بعد مدنى نسافر إلى كوستى أو الأبيض ، كان الأهل والأحباء ينتظروننا ومعهم الزواده.. وكان السفر إلى عطبره قطعة من العذاب.. ورغم ما نجهز أنفسنا كثيراً ما كنا ننقطع فى الطريق..

ولقد صارت الزوادة جزءاً من تراثنا .. وأذكر في عام ٢٠٠٣ .. أنني كنت في أمريكا فى ضيافة العم وليم إبراهيم.. وعند مغادرتنا غابت عنا السيده زوجته وهى من غزلان المسالمه وإسمها فيكتوريا.. وكان يحلو للسودانيين تسميتها إنتصار.. غابت هذه المرأة عن وداعنا ونحن لا نعلم لماذا؟ وكنا لابد أن نركب عربات الى بافلو.. والمشوار طويل .. وبافلو على الحدود مع كندا .. وكنا بصحبة بعض الأحباء السودانيين هناك.. وفجأة وصلت المرأة وذهب زوجها وليم إبراهيم للعتاب.. ولكن خجل من نفسه وتوقف عن الكلام ، عندما رأى أن زوجته قد أحضرت زواده للسفر.. وإختارت أن تحضر لنا طعاماً آسيوياً من أحد المطاعم الصينية .. وهنا تذكرنا السفر والزواده.. وتذكرنا أيضا ما قاله : عبد الرحيم محمد مكاوى ، صاحب الدار السودانية للكتب ، عن مكتبة قطار السكة حديد..

الكنيســـة مع المكتب : كان قطار السكة الحديد فيه عربة للمكتبة وعربه للكنيسة.. والكنيسه كانت هى الكنيسة الإنجليزية.. والسبب أن هناك عدد كبير من الإنجليز كانوا يعملون فى أقاليم السودان.. ولذلك فى بعض القطارات كانت هناك عربة الكنيسة وبها واحد من قسوس الكنيسة .. وكان القطار ينتظر عربة الكنيسة حتى يحضر المصلون ويصلوا القداس ثم يأخذون من سر الشركة.. ولا مانع من عظة روحية أو أسئلة لاهوتية ، يجيب عليها قس الكنيسة.. ولهذا كان القطار الذى به عربة للكنيسة يتأخر كثيراً.. ومن هنا بدأ تقليد يؤكد أن القطار عندما يركبه أحد القساوسة لابد أن يتأخر..

وإستمر هذا فى رؤوس الناس راسبا حتى عندما بدأ الناس في إستعمال الطائرات.. كلما تأخرت الطائرة وكنت أنا فيها أو أحد زملائى من الكهنة أو الأساقفة يتهموننا نحن بأننا نؤخر الطائرات .. ولكن فى مرات عديدة كانت الطائرة تقلع فى موعدها... وتصل فى موعدها.. وتعود فى موعدها.. فكنت أقول : كلا أنا منضبط وأحب النظام وأحترم الوقت .. لهذا فإن طائرتى بالذات لا تتأخر..

وطبعا متى عرف السبب .. بطل العجب.. لقد كانت السكه حديد يوما هى الناقل الوحيد .. وكان القطار قافلة روحية وعلمية.. فى أغلب القطارات عربة للكنيسة

وعربة للمكتبة.. عربة لتزكية عالم الروح ، فالكنيسة هى بيت الملائكة وهى سفينة نوح التى تنقذ الإنسان مما فى العالم من طوفان وتيهان.. أما المكتبة ، فهى تأكيد لأن السودان دوما يقرأ .. ويحب أن يقرأ.. وأول سودانى آمن بالمسيحية إلتقاه المبشر فيلبس وهو يقرأ... وفى البدء كان الكلمة.. كان وليس كانت .. فالكلمة هو مذكر.. إن الكلمة هو الله.. والسودان يحب الله .. ويحب القراءة..

٢٤ . تعزياتي إلى السعودية

عائلة واحدة : نحن عائلة واحدة.. أب واحد لنا.. وإله واحد خلقنا.. أم واحدة هى التى بدأت بنا.. أليس إله واحد خلقنا ؟.. أليس أب واحد لجميعنا..؟ أننا عائلة واحدة.. ومن هذا المنطلق أقدم تعزياتى إلى المملكة السعوديه.. وقد أودعمت مليكها العظيم. الملك فهد.. والذى كان فهداً قوياً جسوراً من جسور الحب إلى كل بنى البشر.. وأحبه شعبه وأحب هو شعبه.. ذهب عن العالم راحلاً فى نفس اليوم الذي رحل فيه حبيب السودان .. وهكذا جمعتنا الأحزان ووحدت بيننا.. فى يوم واحد ، رحل الملك فهد والنائب الأول جون قرنق.. والحكمة من هذا علينا أن نفكر فيها.. وأن نستنج منها العبر.. كلنا عائلة واحدة .. احزاننا واحدة.. وأفراحنا واحده..

لقد إنتقل الملك فهد عن عمر ناهز الثمانين عاماً..وتولى العرش الملكى السعيد فى المملكة العربية السعودية السعيدة منذ عام ١٩٨٢.. حتى ٢٠٠٥.. أى ثلاثة وعشرين عاما ، كان فيها حكيماً فى قيادته .. مخلصاً لوطنه.. متطلعاً إلى عالم مجيد وسعيد.. يختفى فيه الإرهاب.. وينعم أهله بالسلام الإلهى الذى يفوق كل عقل.. والذى يحفظ قلب الإنسان فيه .. لأنه فوق كل تحفظ ، أحفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة..

عاصر فهد خلال حكمه ، ثلاث حروب إقليمية ، حاول هو أن يوقفها ولم يتمكن.. كان راغباً فى السلام ولكن أهل الحروب هم الذين صمموا على الحرب.. وكان عليه فى كل حرب أن يبادر بالعطاء لتغطية سلبيات الحرب.. وكان أيضا اول من يتعاطف مع المنكوبين من سيول الفيضانات أو الزلازل أو التوترات.. وكثيراً ما أقام جسراً جوياً بين السعودية وبين البلاد المنكوبة بنار الحروب.. أو الزلازل وإنقلابات الأرض.. وثورة البحار.. والمحيطات .. إنه من المحبين للخير.. ومن الذين يتعاطفون مع المسحوقين والمطرودين وضحايا النزاعات وتوترات الحروب

إليكم تعزياتى : وطب العزاء طب مشهور منذ الأيام القديمه .. ففي سفر أيوب ، وبعد أن دقت التجربة أبواب حياته ، وفى يوم واحد فقد أغلى ما يملك ، سبعة بنين وثلاث بنات .. أتى إليه الأصدقاء لكى يعزونه ومع رسالة التعزية كانوا يعتبون على أيوب .. لأن أيوب كان يعتب على الله.. وكان هذا من حقه أن يحاور الله ويقول له : فهمنى لماذا تخاصمنى ؟.. وضاق أيوب ذرعاً بالتعزيات السطحية لأصدقائه الثلاث فقال لهم عبارته المشهورة : معزون متعبون كلكم.. وبهذا وضع أيوب الأساس الأكاديمى لعلم طب العزاء..

فالذي يحمل العزاء ينبغى أن يكون طبيبا، حكيما، لبقا، أديبا، يعرف كيف يتكلم؟ ومتى يتكلم ؟.. وينتقى كلمات العزاء.. وتعزياتى للمملكة العربية السعودية.. إن المسيرة مستمرة.. وأن المملكة نظام قوى، سوف يستمر بقوة.. والمبادىء الملكية الفاضلة سوف تستمر في نمو، وإلى أقوى.. وتعزياتنا أن الموت، هو طريق الأرض كلها.. ونحن نحمل التعزيات إلى أشقائنا فى السعودية.. نقول للملك فهد : نم فى رقاد، ليس فى ... أحلامه ما يذعر.. فالنوم موت أصغر.. والموت نوم أكبر.. وإذا تذكرنـــا شبابك زاويا.. رطباً ذكرنا للغصون ذبولاً.. وإذا تذكرنا خلائقك التى لطفت تذكرنا النسيم بليلا.. تعزيات الرب لكم ولنا...

٢٥ . صموئيل باسليوس

جامعة القاهرة : وضع حجر الأساس لجامعة القاهرة في القاهرة يوم ١٩١٤/٣/٣١.. في أرض وهبتها الأميرة فاطمة .. لبناء الجامعة.. وهذه الأميرة أوقفت للجامعة ما يقرب من ألف فدان.. ووضع على حجر الأساس الجامعة المصرية، الأميرة فاطمة بنت إسماعيل ١٩١٤.. وقد تبرعت فاطمة هذه ، بكنوزها القيمة، من ذهب وزمرد وماس.. وكانت مبيعات جواهرها تبلغ سبعون ألف جنيهاً.. ولهذا تعتبر الأميرة فاطمة أم الجامعه بلا منازع.. وفي مرفأ الذاكرة عندى أن جرجس زيدان، هو أول من دعا لأقامة جامعة القاهرة.. وإن مصطفى كامل وقاسم أمين، ساهما فى تسخين الفكرة على الأخص .. وأن الحاكم الإنجليزي " لورد كرومر" كان يقف ضد الفكره بكل قوته وصولته..

وكان يرى إنها سوف تكون سببا للقلاقل... ويكفى ما في مصر من كتاتيب للتعليم العادى.. والأزهر الشريف للتعليم الدينى.. وقد صدق حسه وتخمينه .. لأن جامعة القاهره لم تكن بعيدة عن مسيرة الحياة السياسية في مصر.. ولا عن

النضال الوطني من أجل تحقيق الجلاء والإستقلال.. وشارك طلاب الجامعة فى ثورة ١٩١٩.. وكان لهم دورا فى إسقاط دستور ١٩٣٠.. والعودة إلى العمل بدستور ١٩٢٣..

وقد وقع كثيرون من الطلبة ، ضحايا للوطن وشهداء لحمايته وتحريره من ظلام الجهل.. وقد بدأت جامعة القاهرة فى وسط طبول الحرب ، وإزعاج الإحتراب ، وظنوا أن الجامعة سوف تغلق أبوابها بسبب الحرب .. ولكنها صمدت لأن المشروع تحول إلى مشروع شعبى ، شارك فيه كل الشعب المصرى..

وهي جامعة لم تزل مفتوحة وحيوية.. ومؤشر قوى على تواصل أبواب المعرفة.. والتكوين اللغوى لكلمة جامعة يعنى الألفة .. وجمع القلوب.. وجمع راغبى العلم معاً.. وفعل الجمع هنا .. هو ضم المتفرق بعضه إلى بعض.. وتأليف القلوب إلى القلوب.. وحشد الجنود إلى مواجهة المعتدى والإتفاق على الأفق ، كما يقول رئيس تحرير العربى فى مجلة العربى العدد مايو ١٩٩٩ ...

والكنيسة هي الكنيسة الجامعة.. التى يجتمع المؤمنون فيها معاً.. للصلاة والتسبيح.. والجامع أيضاً هو مكان إجتماع المسلمين... وصلاة الجمعه هي أكبر صلاة جمعية في كل اسبوع.. وفى الكتاب المقدس سفر الجامعة.. وهو إسم قديم للسفر .. يرجع إلى عام ٩٣٥ قبل الميلاد .. وطبعا على إسمه كان إختيار الجامعة.. مكانا للعلم..

وهذا الإسم له ما يزيد عن ثلاثة ألف عام.. وهو سفر يتحدث عن البحث .. لأن سليمان الحكيم بحث عن الشبع بما يشبه التجربة العلمية .. وإكتشف أن الحياة بدون الله هي بحث طويل بدون جدوى.. والجامعة يتحدث عن الخواء.. العمل.. الموت.. الحكمة.. ويؤكد من هذا أنه باطل الأباطيل ، الكل باطل وقبض الريح..

فرع الخرطــوم: ومصر كالعادة ومنذ زمن طويل ، ترى أن أي منفعة لشباب مصر.. لابد أن يقابلها منفعة لشباب السودان.. ولهذا تم تأسيس فرع الخرطوم لجامعة القاهره ، والتى كانت تسمى " جامعة فؤاد الأول " .. قد قرر مجلس قيادة ثورة يوليو تغيير الإسم ، إلى جامعة القاهره..

ومنذ أن بدأت جامعة القاهره فرع الخرطوم .. تخرج منها قيادات عظيمة وكبيره ومتميزة.. بل منها كان أساتذة الجامعات الأخرى.. وكبار الموظفين.. وكبار رجال المجتمع المدنى.. وأنني اعتز بأنني أحد خريجى جامعة القاهرة فرع الخرطوم.. من قسم الدراسات الإجتماعية لعام ١٩٦٩.. ومن قسم الماجستير عام ١٩٧٠.. وكانت الدراسه مسائيه.. وكان يسمونها جامعة " فله ".. وفله هذه كانت راهبة قبطية سودانية كرست نفسها للتعليم.. وكانت تجمع جمعا من مختلفين لكى

يدرسوا معها.. وهي فله جرجس ، شقيقة يوسف جرجس ، والد الأبن والزميل القمص غبريال جرجس بعطبره .

وفي جامعة القاهرة ، إلتقيت بالدكتور صموئيل باسليوس.. استاذ علم الإجتماع .. ودرست على يديه الإجتماع.. الإجتماع الريفى.. الإجتماع الحضرى.. الإجتماع الصناعى.. وقد تم فى الخرطوم إثنين وثلاثين عاما.. كان رجلاً عظيماً .. كان متفرغا للعلم.. كان دوماً يقرأ ويكتب.. وقد تزوج متأخراً من زميلة وقور فى الجامعة هي الأستاذه آمال خليل عبد المسيح.. وهو أستاذ جسور ووقور ، حصل على الماجستير من جامعة الإسكندرية وعلى الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى ، من المملكة المتحده البريطانية.. وقد رزقه الله بإبنة ممتازه هيَ سوزيت .. وقد فقدنا الدكتور صموئيل باسليوس، وإفتقدناه.. لقد كان جزءاً من السودان وثقافة السودان .. والدعوة هى " دعوة محبة " لتلاميذه وهم آلآف .. لكى يحيوا ذكراه ويجتمعوا معا حول سيرته العطرة .. وأنا كتلميذ له رهن إشارة كل تلاميذه.. ومعذرة ، فلقد تحدثت عن جامعة القاهرة أكثر من الحديث عنه.. وعندما يجتمع تلاميذه سوف تكون لدينا ثروة من الأفكار، عن الكنز العظيم " صموئيل باسليوس".

٢٦ . شارع الحرية زمان

كرامة الحرية : إن الحرية كرامة .. والإنسان ولد حراً.. هو كائن حر مريد.. هو حر وإرادته حرة.. وكانت كلمة حر وصفا راقيا لكل إنسان يحيا الرقى فى المجتمع. وعلى الأخص لأن الرقيق كان كثيراً.. وكان الرق ظاهرة إجتماعية ، ولم يقدر أحد على محاربتها..

المسيحية حاربت الرق دون ثورة إجتماعية ودون إثارة أحقاد.. طالبت السيد المسيح أن يطلق عبيده أحراراً.. وطالبت العبد المسيحى أن يتذكر أنه حر فى المسيح يسوع لأنه فى المسيح ليس يهودى ولا يونانى.. ليس عبد ولا حر.. ليس ذكر وأنثى.. لأنكم جميعا واحدا فى المسيح يسوع (غلاطيه ٣:٢٨).. ولم تغفل المسيحية أن تنبه اهلها ، أن الحرية مسئولية ، وطالما الإنسان حر، فهو مسئول ، وعلى هذا لا يجعل الواحد من الحرية فرصة للجسد.. لأنه هكذا فى مشيئة الله .. أن تفعلوا الخير ، فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء ، كأحرار ، وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر .. بل كعبيد لله (١ بطرس ٢:١٦).. والذي يدعو للحرية ،

ينبغي أن يبدأ بنفسه ، ويتحرر من عبودية الخطية.. لأن هناك من يتلاعب بالحرية ويسير فى الضلال. هذا وهؤلاء هم واعدين الناس بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد.. لأن ما إنغلب منه فهو له مستعبد أيضاً..

ورسالة السيد المسيح ، هي رسالة الحرية، لأنه قال : وأرسل المنسحقين فى الحرية .. ولأن الخليقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد الى حرية أمجاد الله.. ولأنه حيث روح الرب ، هناك حرية.. ولماذا يحكم في حريتى من ضمير أخر؟.. والنصيحة من بولس الرسول : فأثبتوا إذن في الحرية التى حررنا بها المسيح.. والتحذير قائم ألا يستغل أحد الحرية ، لأنه كم من الجرائم ترتكب بإسم الحرية .. فإنكم إنما دُعيتم للحرية أيها الأخوة.. غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد .. بل بالمحبة إخدموا بعضكم بعضاً..

وقد ذكرت كلمة الحرية في الكتاب، لتدل على الحرية السياسية والإجتماعية .. والحرية الروحية.. فقد يكون الداعى للحرية ، مستعبداً لنزوة أو لشهوة .. لهذا يطلب منه أن يكون في الحرية الروحية ، حتى يكون نداء الحرية .. نداءاً صادقاً.. والسعى نحو حرية لا تهزم من المنادين بها ، قبل أن تهزم من أعداء الحرية.. وكثيرون في السجن.. وهم أحرار.. وكثيرون في الحرية ، وهم أسرى ومسجونون في ذواتهم.. وشرورهم الخاصة..

شارع الحرية : وقد عرفت بلدان العالم ، شارع الحرية ، وتمثال الحرية ، وميدان الحرية.. وفي السودان .. في الخرطوم ، كان شارع الحرية ، يسمى شارع "نيو بولد" ثم صار شارع الحرية.. أما كوبري الحرية فقد تم تشييده فى عهد عبود.. صاحب إنقلاب ١٧ نوفمبر.. وقصد به ربط الخرطوم بأحيائها الجديده.. عبورا فوق خط السكه الحديد ، الذي والحمد لله وبفضل نائب والى الخرطوم ألغيت منه السكه حديد بقرار فردى دون إستشارة أحد..

ومع موجة البيع الساخنه والمستمره لأملاك الحكومه ، ربما نسمع يوما أن الكوبرى قد أزيل والمنطقة التى بها الكوبرى قد إشتراها مستثمر أجنبى.. وتضيع معالم الوطن العزيز العظيم.. ونفقد كوبري الحرية.. كما فقدنا حديقة الحيوان بواسطة نفس نائب الوالى..

وصار شارع الكوبرى بعد هذا .. هو شارع الحرية.. وبعد هذا .. وبعد أن حفظنا الإسم ، تكرمت الدولة وجعلت له إسما أخر هو شارع السيد على.. وكان ولم يزل شارع الحريه هو كوبرى النيل الأزرق ، الذى تم إنشاؤه فى عام ١٩٢٨..

أما ميدان الحريه ، فكان يعرف بإسم " ميدان السرداريه " ثم سمى ميدان كتشنر بعد وفاته غرقاً سنة ١٩١٦.. ثم صار ميدان الحرية .. ويقع هذا الميدان

غرب القصــر وشمال وزارة الماليه.. وأذكر أن شارع الحرية عام ١٩٦٩ لم يكن مزدحما مثلما الأن.. وقد رأيت بعينى رأسى مجموعة من كبار الأقباط يلعبون الطاولة فى شارع الحرية متقاطعا مع شارع السيد عبد الرحمن.. والذين رأيتهم رحلوا إلى العالم الأخر وهم : العم حكيم أندراوس.. وكان صوته قويا جهورا .. وكان يفرح كالأطفال عندما يجلب له الحظ " دشا" لأن الدش رقم كبير.. وكان يلاعب العم ميخائيل عبد الملك .. والعم أو قولوا الجد، وكلهم أجداد توفيق عبد المسيح ، وهؤلاء الثلاثة هم الذين رأيتهم .. وأحيانا كان يكون معهم العم إبراهيم مرقس.. وكان اللعب بجوار بيته.. وكلما مررت بهذا المكان، تذكرت كيف كانت العاصمة منذ ربع قرن.. عاصمة هادئة وجميلة.. وكيف كان ابناء الخرطوم يتمتعون بهدوئها..

والأن تعددت العربات والإزدحامات والموت .. لأن الإزدحام يضيع الهدوء.. ويزيد تلوث البيئة.. وأعتقد أننا ينبغى أن نحذر التلوث الروحى فى الخرطوم.. تلوث القيم القديمة .. بقيم باهتة جديدة.. والتحية لك .. يا شارع الحرية.. ولكل سُكانك الذين حتى الأن لم تذق منهم طعم الحرية..

٢٧ . الكنزى وكنوز الخرطوم

حبيب الكنزى : أعجبت جدا بمقال الدكتور محمد حبيب الكنزى.. وسوف أسعى للتعرف عليه فهو كنز من المعلومات .. وكنز من الوطنية.. وقد إزدادت ميولى فى الأيام الأخيرة للحديث عن السودان الوطن العظيم.. كوش.. مروى. النوبة.. الحبشة.. أثيوبيا.. سبأ..فالسودان هو مخزن إيمان.. هو كنز الكنوز.. إنه بوابة أفريقيا ، الرواق والمدخل الى حضارة مجيدة وعظيمة وعريقة..

وفيما يكتب الكنزى عن كنوز الخرطوم أتمنى أن يكتب هو.. وأمثاله من العلماء الأجلاء، عن الخرطوم بحرى .. وعن أم درمان.. والحقيقة أن أم درمان ، وجدت من يكتب عنها ويحيا فى ريدها، وحبها، ولهاناً.. ويمر بدار أم درمان نشواناً..

فلقد إهتم بهذا البروفسور أحمد دياب ، وكتب كتابه الصغير الجميل ، أمدرمان بقعة الأصالة السودانية .. وأصدر إصدارة كاملة عن سيرة ومسيرة الإمام عبد الرحمن المهدى.. وكتب الطيب ميرغنى شكاك ، كتاباً صغيراً ، ولكنه بلا شك وبشكاك ، مرجعا جميلاً.. وعن الخرطوم كتب محمد إبراهيم أبو سليم ، تاريخ الخرطوم.. وأصدرت الخرطوم عاصمة ثقافية كتاباً عنوانه "الخرطوم ايام زمان "،

للأستاذ احمد عبد الوهاب محمد سعيد.. وها هو الدكتور حبيب الكنزى يكتب عن الخرطوم..

وأيضا فى كتاب كل شىء ممكن ، سنوات فى السودان ، والذى كتبه مهندس قاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم ، ومعه زوجته، هناك كلام عن الخرطوم وأمدرمان.. ولكن أرى تغاضيا للطرف عن الركن الثالث للعاصمة المثلثة الخرطوم بحرى.. وأعنى من العلماء الذين يحبون بحرى وهواء بحرى.. وجمال بحرى.. أن يكتبوا عن الخرطوم بحرى .. وأتمنى أن يبادر بهذا بروفسور عون الشريف .. وهو من سكان حلفاية الملوك فى الخرطوم بحرى والتى تزخر بالأدبيات الجميلة .. وفى إنتظار كتبكم ، وكتاباتكم ، دام حبكم وفضلكم..

كنوز الخرطوم: فى الملف الثقافى، لجريدة الصحافة ، فى الثانى من أغسطس ٢٠٠٥.. وتحت عنوان " لمحات من تاريخ الخرطوم " كتب الدكتور محمد حبيب الكنزى ، عن كنوز الخرطوم ما ملخصه:

١. الخرطوم هى خرطوم الفيل.. لأن الشفة الضيقة التى تشغلها هذه المدينة من الأرض بين النيل الأزرق والنيل الأبيض ، تشبه خرطوم الفيل..

٢. تشير بعض الدراسات الآثرية إلى أن ملتقى النيلين : الأبيض والأزرق ، ظل موطنا للإنسان منذ عصور سحيقة .. وقد أكدت هذه الدراسات وجود مستوطنات بشرية على موقع الخرطوم الحالى ، نحو سنة ٤٠٠ ق. م.. كما عثر فى الموقع نفسه على بقايا مستوطنات ، يرجع تاريخها إلى عهد نبته ومروى (٧٥٠ق. م الى ٣٥٠).. مما يدل على أن ملتقى النيلين كان مأهولا بالسكان عبر فترات متصله منذ أزمنة سحيقة .. كما عثر على أداوات يرجع تاريخها الى العصر الحجري في خور أبي عنجه فى أم درمان.. وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان عرف منذ زمن بعيد الأهمية الإستراتيجيه لهذا الموقع المتميز..

٣. إن التاريخ الحديث للخرطوم ، يبدأ بتأسيس أول نواة للإستيطان في جزيرة توتي فى منتصف القرن الثاني الميلادي .. وكما يقول مؤرخون أخرين : أن في توتى كانت هناك كنيسة مسيحية كبيره ، وهذا يعنى أنها كنيسة نوبية تابعة للكنيسة القبطية التى كانت تشرف على النوبة.. وأن العمران من توتى وصل إلى الخرطوم ثم بحرى ثم أمدرمان.. وكانت الخرطوم قرية صغيرة..

٤. تم إختيار محمد على للخرطوم كعاصمة في ١٨٢١ م.. ولم يبدأ تشييد مبانيها، سوى عام ١٨٣٩ م.. تحررت الخرطوم على يد المهدى فى عام ١٨٨٥ م.. وقد دكت الخرطوم دكا.. بيوتا ومكاتبا.. جوامعا وكنائسا.. وظل السودان بدون خرطوم ثلاث سنوات.. عندها بدأ كتشنر فى بناء الخرطوم على طراز المدن

الغربية.. وعندما فقدنا الخرطوم ، كانت لكنيستنا القبطية خسائر ، حيث هدمت الكنيســـة والتى كانت فى موضع الهيئة القومية للكهرباء الآن.. وفيها مدفون ثلاثة أساقفة أقباط.
٥. يبدو أن حبيب الكنزى ، هو من سلالة محمد الكنزى.. الشيخ الوقور الذى أنشأ خلوة الكنزى ١٩١٨ م.. فى الخرطوم وسط بشارع السلطان، والذى كان يسمـــى شارع الترماى أو الدوران ، وهو حاليا شارع السيد عبد الرحمن ، ثم إنتقلت الخلوة إلى شارع المستشفى .. وكانت الخلوة مثل جامعة صغيرة يدرس فيها بجانب القرأن الكريم الرياضيات والخط والتاريخ وسميت " كتاب الإرشاد الدينى" وأطلق عليها الخلوة النموذجية ، وتخرج فيها الكثير من القاده.. ويبدو أنها لم تستمر وإنما بدأت خـــلاوى أخرى.. ومن معلوماتى المتواضعة أعرف أن الكنائس كان فيها كتاتيب ،ويقــوم بالتدريس فيها، معلم الكنيسة أو المرتل.. وإن الأنبا صرابامون الذى وفد من مصر عام ١٩٠٠.. أقام فى الكنيسة كُتاباً ثم مدرسة.. وبعد هذا توسع فى بناء المدارس ، بدءا بكلية الأقباط بنين ، ثم كليةالأقباط بنات ، وبعدها مدارس بحرى وحلفا ومدنى وأمدرمان..

٢٨. دعوة لتكريم أحمد دياب

أحمد دياب : البروفسور أحمد إبراهيم دياب هو أستاذ جامعى مميز.. هو واحد من أبناء السودان وعشاق أمدرمان.. إنه يعشق أمدرمان.. عشق وريد.. وهذا جعله رشيقا وأنيقاً.. وجسمه خفيف مثل جنود كوش الذين عشقهم العالم ، وجعلهم عماد جيوشه ، لأنهم أعضاء أرض حفيف الأجنحة عبر أنهار كوش.. أمة طويلة وجرداء..أمة.. قوة.. وشدة.. ودوس قد خرقت الأنهار أرضها، أرض حفيف الأجنحة والوصف هنا للنبى والشاعر أشعياء.. وهو من أنبياء القرن الثامن قبل الميلاد.. وبالتحديد فإن أرض حفيف الأجنحة هى السودان.. هى أعالى النيل.. وأحمد دياب جندى أمين فى رحاب العلم .. قوى ومثابر.. وجنود السودان لهم عظيم شهرة..فى قوة الإخلاص ، وعطاء المثابرة ، حتى إنهم كانوا عماد جيش الأمم القديمة. الفراعنة وآشور .. وحتى الفرس..
وكانوا أيضا موضع إعجاب نابليون حتى أنه طلبهم وذهبوا لنصرته فى المكسيك، ولم تقدر الحملات العربية على فتح النوبة وذلك لبسالة الجندى السودانى.. والذى كان سلاحه سهماً.. أو نبلة.. مثلما كان داؤد الذى إنتصر

بالمقلاع على جليات الجبار.. ولقد إستفاد العالم بجندية أحمد دياب والذى طلبته المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم .. لكى يكون رئيساً لقسم الدراسات التاريخية بمعهد البحوث والدراسات العربية.. وخبيراً للدراسات الإفريقية بالمنظمة..

وعندما كان أحمد دياب بين ظهرانينا.. وهو من أهل أمدرمان وليس من سكانها.. وعندما سافرللمنظمة أو لغيرها .. فهو رسول محبة للسودان.. سفير قوى الشكيمة ، واسع العلم ، كثير العطاء.. يتحدث ببلاغة وفصاحة .. وقوة وشهامة.. وغزل وأدب.. ورقة ولطف.. وعلم وفن .. عن السودان فى كل المحافل العلمية.. ويرفض غوغائية التعاريف.. ويعطى لكل أمر علمى مكانته العلمية فى رزانة العلماء.. وقد عشت معه تجربتين.. الأولى ندوة التواصل الحضارى بين شعوب وادى النيل.. وكانت فى أم درمان فى فبراير ٢٠٠٥.. والثانية ، فى جامعة القاهره فى مايو ٢٠٠٥.. وفى اليوم الأول من الندوة الأولى ولكثرة حرصه على الإخراج الجيد للندوة لم يتمكن جسد النحيل من إحتمال هذا الحب الجليل ، فسقط مغشياً عليه ، ورقد للعلاج ، ولكنه في اليوم التالى كان أمامنا نشيطاً حياً عاملاً.. وفى الندوة الثانية رأيته مع علماء مصر الأجلاء محبوباً لهم ، محترمين لأرائه، وتعليقاته التى لا تخلو من طرافة ومتعة..

هذا الرجل لا يقوى جسده على إحتمال تطلعاته العملاقة. أما الجسد فضعيف وأما الروح فنشيط.. وإذا كانت النفوس كبارا تعبث في مرادها الأجساد.. وأحمد دياب من أعظم الكُتاب ، فى تاريخ السودان.. له القدح المعلى.. وله حب أفريقيا.. وله السعى فى تواصل وادى النيل..

علماء السودان :

أنا معجب جدا بكل علماء السودان. ولكن أحيانا أرى أنهم لا يكرمون في حياتهم، بينما تزرف الدموع عليهم بعد مماتهم.. ويتنامى الإحساس بالفقد الجلل.. وأرى ايضا أن علماء السودان مكرمون ، عظيمى القدر خارج السودان.. أما فى الداخل فهم مطحونون ، معذبون، مرهقون .. محسودون..

لقد طالبت سابقاً أصحاب القنوات الفضائية أن يستفيدوا بعلماء السودان من الذين لديهم المقدرة على إثراء ساحات العلم والدين.. وبالنسبة للدين رشحت بروفسور محمد عثمان صالح ، لكى يكون نجماً لامعاً فى القنوات الفضائية .وهو من دعاة حوار الأديان.. وهو محترم يقبل الأخر.. وهو عالم وقور.. يقبله الجميع..

واليوم أدعو البروفسور عثمان صالح نفسه ، وبمكانته العلمية العظيمة، لكى يقوم هو بتكريم بروفسور أحمد دياب بالطريقة التى يراها مناسبة.. لأن أحمد دياب أستاذ ممتاز .. وأستاذ مميز.. وعندما تتضافر جامعة أمدرمان الإسلامية .. مع جامعة الأزهرى الزعيم ونحن معهم ، فسوف تكون فرصة للتعرف على عطاء بروفسور أحمد دياب.. وعلى وضعه فى المكان اللائق به..

٢٩. الأزياء في عهد مروي

صلاح الصادق: كتب صلاح عمر الصادق عالم الآثار المعروف .. والذى يقود الأن حملة ثقافة التراث .. ويكتب كثيرا ويوزع اغلب كتبه هدايا .. وذلك سعيا لتربية تراثية تعتز بماضى السودان المجيد .. ومرجعنا فى هذا المقال.. مقال له جاء فى مجلة الخرطوم التى كانت تصدرها الهيئة القومية للثقافة والفنون.. والتى يبدو أنها إنحلت ولم تصبح مجلة الخرطوم، لا فى الخرطوم ولا فى غير الخرطوم.. لقد صارت تراثا مثل تراث السودان.. كنزا من كنوز السودان المخفية عن العيون..

في العدد العشرين تحت عنوان " التطور التاريخى للآزياء في السودان " والغريب إن الشهر غير مدون ولاحتى السنة.. وقد حاولت أن أتاكد من معلومة إن مجلة الخرطوم توقفت ... وتأكدت من هذا .. وسوف نفتقد نحن أبحاث هذه المجلة الممتازة..

العصور التاريخية : ويرى صلاح الصادق أن العصور التاريخية السودانية المختلفة تجد تمثيلاً صادقا فى عصر مروى .. والذي يبدأ من القرن السادس قبل الميلاد ٥٩٢ وحتى القرن الرابع الميلادى ٣٥٠.. وذلك لأن حضارة مروى تبرز مرحلة وسيطه في تاريخ الحضارات السودانية القديمة.. وهى حضارة سودانية متفردة ومتميزة.. تطورت العناصر المحلية فيها إلى درجة عظيمة من الرقى.. وبلغ فيها السودان أوج مجده، في الإزدهار الحضارى.. والرقى في درجة التمدن.. وذلك لأن مروى مملكة متدينة ومتمدنة.. وفي عهد الملكة" أمانى تيرى " بلغ الإزدهار قمة حضارية في العمران والبناء الإنسانى.. فلقد شيدت الكثير من المعابد والقصور والإهرامات ، وكانت هذه الملكة مع زوجها الملك ، قيادة ثنائية متقدمة.. وفى عهدها نشطت الحرف والفنون وتجلى في هذا موضوع مقالنا وهو الأزياء صناعة، والزينة جمالاً وأناقة ، وكانت مملكة مروي ذات إتصالات خارجية واسعة ودبلوماسية راقية فى فن التعامل مع الدول الأخرى..

أزياء الملوك : في يمين بوابة معبد الأسد ، الإله " ابادماك".. وبالنحت الغامر العميق وعلى الجدران الخارجية نرى صورة الملكة "أمانى تيرى" في زي حربى أنيق ، يتناسب مع جمال الملكة ورقة أنوثتها ، لأنها وهى في الزي الحربى تتزين زينة من ذهب عثر عليه فى هرمها بعد قرون من موتها.. وكانت فى النقش تمسك بيدها اليسرى سيفاً مرفوعاً ، فى أهبة الإستعداد وبيدها اليمنى مجموعة من الأعداء..

هذا في الناحية اليمنى للهيكل.. أما الناحية اليسرى لبوابة المعبد ، فيرسم نقش لزوجها الملك " نتكامى" ، وهو يمسك بصولجان المُلك بيده اليمنى ويضرب به أعداء البلاد الذين يمسكهم بيده اليسرى مع سيف ، وفى أسفل الصورة الأسد "أبادماك" APEDEAK يلتهم أحد الاعداء.. ويرتدى الملك الزى الحربى الذى يتكون من رداء قصير مفتوح ، به حزام مزخرف بورود.. أما النصف الأعلى ، فيرتدى غطاء حول كتفه الأيمن ، وينتعل حذاء من الجلد كما إنه يقف بكامل زينته.. ويشرح صلاح الصادق ملابس الملكة" أمانى تيرى" وتتمثل بقطعة واحدة تغطى أسفل الجسم ، من عند منتصف الخنصر ، حتى تكاد تشبه الفوطه أو ما يعرف حاليا بإسم القرقاب وهو يماثله أيضا فى كثرة زخرفته ، كما أن هناك حزاما يشده ويحمل جراب السيف وتتدلى الفوطه حتى الكعب . وهنا تبرز قدم الملكة مرتدية حذاء من الجلد مزخرف برسومات ، ويشابه حذاء الملك..

وعلى الخلفية الغربية لمعبد الأسد ، صورة الملك والملكة والأمراء ، في موكب تعبدى وهم يرتدون أزياء ملكية جميلة.. أما الملكة أمانى شختى ، فلدينا عنها نقش جميل على بوابة هرمها العتيق وهى تمسك بيدها اليسرى حبلاً يلتف حول أعناق مجموعة من الأسرى ، وتمسك الملكة بيدها قوس وهو سلاح مروى قوس وأسهم.. أما بيدها اليمنى فهى تمسك بحربة ويتشابه زى أمانى تيرى مع أمانى شيختي..

وهناك أشرطة تشبه الوشاح متدلية من أكتاف الملكتين وكل منهما تلبس عقداً ذو حبات دائرية ذهبية ، تنتهى من أسفل بتمثال صغير على شكل دلاية.. ويمثل أحد الألهة.. وهذا يعنى إن الأزياء فى العصر المروى ، لها خصائص وسمات معينة .. وكانت ملابس تتجه نحو الحشمة والوقار....

٣٠. ميدان أبو جنزير

جمال الخرطوم : إن كل من زار الخرطوم من الأجانب شعر بجمالها.. وتغزل في هذا الجمال الطبيعى المهيب.. ومع الأجانب يتنامى الحس الرقيق لدى الشعراء.. أما نحن المقيمين في الخرطوم ، فلا نشعر بجمال الخرطوم، إلا عندما نغيب عن هذا البلد الحبيب..

وفي الغياب تكون المشاعر غير المشاعر.. في جمال الخرطوم كتب الأجانب مثل : تشرشل فى حرب النهر، وقد جذب إلتفاته أن الخرطوم تقع على النهر العظيم الذي هو المصدر الوحيد للنمو.. والقناة الوحيدة للتقدم.. ومن خلال النيل وحده يمكن لتجارة السودان أن تصل إلى الأسواق الخارجية.. والنيل هو الممر الوحيد للحضارة الأوربية، لإختراق المناطق النائية الداخلية.. وقال أن الخرطوم تقع عند ملتقى النيلين، وهى النقطه التى تلتقى فيها التجارة من جنوب البلاد.. وهي تمثل أنقى نقطة شماليةخصبة.. ومن الأجانب أيضا المهندس بوتر الذي تغني بأشجار الخرطوم ، الأشجار الخضراء التى هى جزء من شخصية الخرطوم.. والتي تملأ الشوارع والطرقات..

وقد أطلق بوتر على الخرطوم مدينة البهجة وأن أوراق الأشجار فيها ، هي لوحات بالغة السحر، وتشابك الأشجار وإستمرار الإخضرار فيها يجعلها تكاد تحجب البيوت عن الأنظار.. وأعجب بمحلات فانيان، وأفرد لها فصلاً في كتابه " كل شيء ممكن سنوات فى السودان"..وقال أن لهذا المتجر نكهة خاصة ، لا يتمتع بها إلا قلة من المتاجر فى هذه الأيام..

أما الشعراء فلهم فى الحديث عن جمال الخرطوم ، سحرا خاصا.. وأذكر هنا بعض الشعراء .. وأبدأ بالدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، فى قصيدته التى عنوانها " الخرطوم مدينتى " حيث يقول:

مدينتـــى السحريـــــة الأبـــــواب
دار الهوى والحـــب والأحبـــاب
مدينتـــى الخرطـــوم يا واسطـــة
العقـــد ويا نجمـــا على السحـــاب
تسعـــى العُـــلا فى أرضك السمراء
والجلال والطمـــوح فى الهضـــاب
مدينتـــى الخرطوم أهلك الكـــــرام

عدتــى أحسابهم أحســــــــــابى

أما الشاعر الدكتور عبده بدوى ، فقد كتب قصيدة عنوانها " الخرطوم والذكريات " بث فيها أشواقه وحبه وإعجابه وقال :

عدت للجنـــــة التى آتمنـــــــى
والنقاء الــذى يهــز الكونـــا
إننـــى ههنـــا عشقــت وجودى
وعرفت السودان عيشــا وسكنى
عشـــــتُ سبعــا من السنين فكانت
لوحـــة أبدعــت خطوطــاً ولونــاً

ونأتى بعد هذا إلى عزيز أباظه ، فله فى مقرن الخرطوم ،ذكريات ، فكتب فى ذكريات المقرن يقول :

طالعتهـــا فأنفض عنـــاء السفـــر
وأمـــلأ من الخرطوم سبح البصر
وأهبـط بموشـــــى خميلاتهـــا
بين الربـــى الخضر وشط النهـــر

ولابد أن أمضى سريعا إلى الذين يشعرون بجمال الخرطوم ، عندما يعيشون خارج الخرطوم ، وهنا أذكر مجموعة إطلالة فى عشق الوطن ، والذين من بينهم بروفسور حسن أبشر.. والذين من اجل حبهم للخرطوم رجعوا سريعا، وقرروا أن يرفضوا حربا ضد نظام الحكم.. تحاول التدمير.. وإختاروا الحضور والإحتمال والتعمير..

ميدان أبو جنزير : والخرطوم منذ أيام زمان وهى تعتز بعدة ميادين : أشهرها ميدان الحرية وميدان أبو جنزير.. ويسمى الأن ميدان الأمم المتحده.. مع أن إسمه القديم ، إسم تراثى تاريخى.. وهذا الميدان يقع شرق الجامع الكبير.. وفيه كانت مقبرة الخرطوم الكبرى والتى تتساوى مع مقابر فاروق الأن.. وكان فى الطرف الشمالى الشرقى ، مقبرة خاصة للحكام لأن فرصتهم الأخيرة أن يكونوا مميزين عن الشعب.. وبعد هذا ، لا تعرف الفرق بين عظام الملوك ورعاة الأغنام..

في هذه المقبرة ، كانت مقبرة الشيخ إمام بن محمد.. كانت محاطة بسور من الطين ، وكان موضع مقبرة الشيخ ، فى منتصف فيكتوريا الأن شارع القصر.. وعندما تم توسيع الشارع حملوا رفات الشيخ من مرقده ووضعوه فى طرف

الشارع ، وأحاطوا قبره بالجنازير.. ولهذا سمى " أبو جنزير " .. وأنا لا أعرف ما هو المصير لأبى جنزير ؟.. وأتمنى من الدكتور محمد حبيب الكنزى ، والذي أخذت عنه هذه المعلومة .. أن يزيدنا علماً.. وله الشكر...

٣١. الخرطوم عاصمة حديثة

تاريخ الخرطوم : يعد كتاب بروفسور محمد إبراهيم أبو سليم ،" تاريخ الخرطوم " مرجعاً موثقاً عن الخرطوم وأبو سليم هو الأب الكبير لدار الوثائق السودانية .. وهو يقول فى مقدمة الكتاب: أنه بدأه بمقال عن الخرطوم تحت إلحاح مجلة الخرطوم والتى يرأس تحريرها الصحفى قيلى أحمد عمر..وبعد المقال كتب مقالاً أخر.. وشجعه الأديب حسن نجيله، والمبارك إبراهيم ، وأمدوه بالمصادر التى كتبت عن الخرطوم.. وبدأ يبحث عن مصادر أخرى ووثائق ثبوتيه عن الخرطوم ، ورأى وثيقة أعجبته عنوانها" محمد على يوافق على إختيار الخرطوم " ولكنه عاين العنوان ولم يعثر على بقايا الوثيقة ، المهم أن كتب كتاباً أكاديمياً عن الخرطوم أو تاريخ الخرطوم.. والأن أريد أن أحول ما كتبه عن الخرطوم، كتابا إلي مقالات..

وهنا أختزل الأمر وأقدمه إلى القارىء السودانى الذى يحب القراءة حباً شديداً، ولكنه لا يقدر علي شراء الكتاب ، ليس هذا الكتاب فقط ، إنما الكتب الأخرى ، لأننا عندما نذهب لمعرض الكتاب ، وكثيراً ما ذهبنا إلى المعرض المصرى وشاركنا فى إفتتاحه ، نقرأ عنوان الكتاب فتدخل البهجة إلى قلوبنا، ولكن فى الصفحة التالية خلف الغلاف نقرأ الثمن مكتوباً بخط قبيح جداً فيه إهانة لمكانة اللغة العربية، والأصعب من هذا عندما نعرف الثمن، ويجد المواطن السودانى نفسه يحتاج إلى مائة ألف جنيه لشراء أقل من عشرة كتب.. ونادينا قدر ما نادينا.. وتكلمنا قدر ما تكلمنا.. نطالب برفع أى مصاريف على الكتاب تدخل إلى خزينة الدولة.. وما زلنا نطالب ، ومطلبنا أمام الدولة الحديثة، أن تدعم الكتاب بمليارات الدينارات مثلما تدعم مقدرات أخرى لشعبنا العظيم ، الذى نفتخر بأنه يحب القراءة ويهوى الشعر..

منذ أيام بعانخى العظيم ، الذي كتب رسالة إلى الجنود هي قطعة أدبية رائعة.. إستعان فيها بكلمات الشاعر الكبير والنبى العظيم أشعياء، الذى ساهم بشعره فى رفع الروح المعنوية لدى المواطن .. وكان يقول لهم : ليقل الضعيف بطل أنا.. الواحد يصير ألفاً والحقير أمة عظيمة..

لقد إستعان بعانخي بشعر أشعياء وقال للجنود : تمسكوا بإله آمون ، هو يجعل الواحد فيكم يصير ألفاً..وهذا يعنى مضاعفة عدد الجنود إلى ألف مرة.. ولهذا لا يلومننى أحد ، وأنا أحول بعض الكتب إلى مقالات مع لمسات ونفحات من محبتي المستمرة ، لتقديم الكلمة الحلوة للمواطن السودانى ، الذي أعتز بإخوته الحميمة الحنون الدافئة..

عاصمة السودان : ويكتب بروفسور أبو سليم ويقول : الخرطوم عاصمة السودان الحديث.. وريث مجد سوبا عاصمة مملكة علوة المسيحية.. وقرى عاصمة مشيخة العبدلاب.. عندها يلتقى النيل الأبيض والنيل الأزرق ، ومنها يبدأ النيل الكبير مجراه المبارك إلى الشمال، وفد إليها مع غروب شمس سوبا جماعة من المحس فعمروا توتى.. ومن توتى عبر ولى من أوليائهم النهر ، ونزل الخرطوم ليبنى فيه منزلا وخلوة يرتادها الصبيان .. ومع نار العلم التى أوقدها هذا الولى بدأ عمران الخرطوم ، وظل المكان لعقب الولى من الولد والجيران ومن إجتمع إليهم حتى غربت شمس دولة الفونج..

ولما جاء الترك ، بنوا عاصمتهم فى الخرطوم ، عوضاً عن سنار عاصمة الفونج الأولى.. وكان إنجاز الخرطوم ، من أعظم إنجازات الترك الباقية ، ثم قامت دولة المهدية لتهدم كل ما شيده الترك ، وهدمت فيما هدمت مدينة الخرطوم.. وبنت فيما بنت مدينة أمدرمان .. وإتخذتها عاصمة.. وجاء الحكم المصري الإنجليزي ليعيد للخرطوم مجدها الغابر ، ويتخذها عاصمة للبلاد..

والخرطوم الأن هى حاضرة السودان وقد إمتدت كثيراً إلى كل الجهات.. وربما بعد هذا إلى القطينة بالنيل الأبيض ، وقضم جزءاً من الخرطوم، وربما تصل منها للخرطوم إلى أبو عشر بالنيل الأزرق ، وتجعلها جزءاً من الخرطوم..

وقد إستقبلت الخرطوم العديد من القادمين من كل أقاليم السودان ، سواء بسبب التصحر والجفاف أو بسبب الحرب والإحتراب.. وإستقبلت أيضا اللأجئين من كل بلاد إفريقا المجاورة ، خاصة بلاد الجوار التى لم تهدأ بالاً من المعاناة والتصفية العرقية.. وصارت الخرطوم الأن محل سكن لما يقرب من عشرة مليون مواطن أى أزيد من ثلث عدد السكان ..

وعندما سكن المحس جزيرة توتى كانوا من المسيحيين وكان في توتي كنيسة كبيرة كما ذكر دكتور يوسف حسن مدنى فى حديثه عن الخرطوم عاصمة الثقافة.. وعندما هدمت أو دكت الخرطوم من قبل المهدية.. كان لدى الأقباط كنيسة قبطية فى موقع الهيئة القومية للكهرباء .. الأن هذا مايؤكده التاريخ وما تؤكده الوثائق.. وكان فى تلك الكنيسة مدفنة ، بها عدد كبير من أساقفة السودان الأقباط..

وتتربع الخرطوم الأن على عرش القلوب، وخاصة أنها إستضافت مؤتمر اللأءات الثلاث بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ وفتحت أبواب الأمل ،أمام الحكام ، لأن الخرطوم مدينة الشمس المشرقة والأمل المنير..

٣٢. الخرطوم فى عيون الإنجليز

مدينة الخرطوم : إن مدينة الخرطوم مدينة جميلة وجديدة .. إن عمرها الأن لا يتعدى مائة وعشرين عاماً.. وهى عروس جميلة ، بل أن المقرن فيها بمنظره الجميل شبية بعقد القران الأبيض والأزرق نيلان يلتقيان ثم يسيران كمسيرة واحدة ، مثل العروس والعريس عندما يتزوجان ويصيران شيئا واحدا ومسيرة واحدة ، وكما يرى المسيحيون يكون الإثنان جسداً واحداً.. وما أزوجه الله لا يفرقه إنسان.. وقبل عام ١٨٨٣ لم تكن هناك خرطوم ، إنما كان هناك المقرن وجزيرة توتى وسوبا.. كانت سوبا هى العاصمة وكانت جزيرة توتى بها كنيسة كبيرة وجميلة لأبناء السودان على الطراز القبطى.. ليس لأن أعضائها من الأقباط ، إنما لأن الكنيسة القبطية كانت هي الراعية الروحية لكنيسة النوبة ، التي ولدت على يديها فى القرن السادس الميلادى..كانت ترعاها برسامة رئاستها الروحية.. كانت ترسم أسقف النوبة، الذى كان نوبى المولد، ملكى الإختيار قبطى الإسم وقبطى المذهب..

هذة المدينة الجميلة ، كان لها موقع وقار وإحترام من كل بلدان العالم ، وعلى الأخص الإنجليز الذين أحبوا الخرطوم وأتوا إليها حكاماً لها.. وعلى الأخص فى فترة الإستعمار الإنجليزي المصري.. ونحن نظلم مصر عندما نقول إنها إستعمرت السودان وفاقد الشىء لا يعطيه.. لقد كانت مصر نفسها مستعمرة إنجليزية. كونها مع بريطانيا تستعمر السودان ، كان هذا مجرد لافتة للتمويه.. حقا كان مع الحاكم الإنجليزي مستشاراً مصرياً.. وكان وجه القباحة لمصر.. وكان الحل بيد الإنجليزى.. وهكذا تكون كراهية مصر والعكس لبريطانيا من السودانى.. وأذكر هنا إثنين من الإنجليز ، أحدهما رجل والأخرى إمرأة.. الرجل هو زعيم إنجليزى شهير أحب السودان وجاء إليه بوساطة صنعتها أمه الغنية وهو " تشرشل " الذى جاء السودان وعمره خمسة وعشرون عاما ثم صار رئيساً للوزراء.. والأخرى إمرأة هى عالمة آثار بالسودان في الخمسينات ومساعدة رئيس تحرير المجلة الجغرافية، وهىزوجة المهندس "إليك بوتر" الذي شيد قاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم ١٩٥٧ م..

١* ونستون تشرشل : لقد وفد إلى الخرطوم فى عام ١٨٩٩ الشاب الغض ونستون تشرشل ، فى عمر الخمسة وعشرين عاما .. وكان مع كتشنر فى حربه ضد الخليفة عبدالله، وفى الوقت نفسه مراسلاً سرياً لجريدة " المورننج بوست".. وعندما كتب عن الخرطوم ، كان منبهراً بالنهر العظيم ، نهر النيل، والذى فى رأيه يربط مصر بالسودان كالغواص الذى يرتبط بالسطح ، بأنبوبة أوكسجين، بدونها ليس هناك سوى الإختناق، لا حياة بدون النيل.. لا نيل ، لا حياة.. وقال أن مدينة الخرطوم التى تقع عند ملتقى النيلين : الأبيض والأزرق هى النقطة التى تلتقى فيها التجارة من جنوب البلاد وهى ملتقى كل التجارة قبل عبورها إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط.. وهى تمثل أقصى نقطة شمالية خصبة ، إذ يجرى النيل ما بين الخرطوم وأسوان بحوالى ألفى ومئتى ميلاً (١٢٠٠) عبر صحارى قاحلة الى أن تظهر الحياة مرة أخرى بمصر والدلتا..

كان الحاكم ضعيفاً ، ولكنه آمن.. كان الحاكم يعيش فى دار ، على مقرن النيلين بينما أنتشر سكن ممثلى الدول الأجنبية فى المدينة .. وكانت التجارة القادمة من جنوب البلاد تعبر عن طريق الخرطوم .. ويأتى حكام الأقاليم الى الخرطوم ، يقدمون تقاريرهم ويتسلمون أى أوامر جديدة ، وتتدفق الثروات نحو الشمال من : سن الفيل من الإستوائية ، ريش النعام من دارفور ، الصمغ العربى من كردفان ، الحبوب من سنار ، وتقود الضرائب وحيوانات غريبة يتم صيدها وتجد طريقها الى القاهرة ثم أوربا..

٢* مارجريت بوتر: أما المرأة الإنجليزية ، مدام بوتر ، فقد أحبت السودان حبا شديداً مع زوجها مهندس قاعة الإمتحانات إليك بوتر .. ومعا ذكرا كثيراً عن السودان فى كتابهما " كل شىء ممكن ، سنوات فى السودان ".. وهى تقول فى مقدمة الكتاب: أنه بعد حرب النهر التى كان فيها ونستون تشرشل مراسلاً صحفياً، أصبح السودان تحت الحكم الثنائى.. وعمل البريطانيون هناك .. وأنشأوا الخدمة المدنية والسياسية والقضائية .. والخدمات الطبية ، وقاموا بالتدريس فى كلية غردون ، والتى أصبحت فيما بعد جامعة الخرطوم.. كانت الخرطوم مدينة للأجانب من كل الجنسيات.. ولكل جنسية، النادى الخاص بها.. وكانت المشاعر الوطنية تنمو فى نفوس السودانيين ، فأنشأوا الأحزاب السياسية . وكان واضحاً عام ١٩٥٠.. أن السودان سينال إستقلاله..

كان معظم الذين يعملون في الخرطوم من السودانيين ، يسكنون أمدرمان.. وكانوا يهاجرون يومياً من وإلى أمدرمان عبر جسر النيل الأبيض.. وكان هذا

يحدث ضجة كبري ، تتسبب فيها حركة السيارات والبصات وقعقعة مركبات الترام..

وقد إهتمت مارجريت مع زوجها ، بلافتات محلات الخرطوم.. وقامت بعمل نسخ دقيقة لأكثرها جمالاً وجاذبية.. هكذا كانت الخرطوم جميلة فى عينيها وعينى زوجها.. فهى مدينة التنوع الدينى والثقافى .. وإنعكس هذا على اللافتات ، وعلى الكلمات واللهجات، إن جمال الخرطوم الجذاب ، لفت إنتباه الإنجليز ، وغير الإنجليز..

٣٣ . تشرشل الصحفي والفنان والعاشق للسودان

ونستون تشرشل : ولد تشرشل وفى فمه ملعقة من ذهب.. فقد ولد فى قصر منيف انيق يسمى قصر " بلينهام " والده كان واحداً من لوردات بريطانيا.. أسند تربيته إلى مربية أحبها ، وكان ولهاً بها.. وعلق صورتها على جدران غرفته ، طيلة أيام حياته.. كانت طفولته غير سعيدة.. وكتب ذات مرة من داخلية المدرسة ، خطاباً لأمه يقول فيه : أنت تعاملينني مثل آلة وهكذا والدى.. وأنا إنسان وبحاجة إلى عطف وحنان.. وقد خلا صندوق البريد من رسائل منكم ، الىَّ ، وهذا يحزننى كثيراً..

هذا الصبى الذى من الصغر قادر على الكتابة تعبيراً ، تمكن من أن يتحدى كل ما يحيط به من كآبة وعدم تقدير وأثبت أنه قادر على تحقيق المعجزات.. ومات والده الثرى الذى كان وزيراً للمالية .. وكان على تشرشل الصغير أن يشق طريقه فى الحياة معتمداً على سلاحين هما القلم واللسان.. لقد كان ساحر البيان وخطيباً عف اللسان.. وبدأ حياته بكتاب هو أول كتبه .. وهو قصة " قوات سهل ماكلاند" فى عام ١٨٩٨.. لقد كان من عاشقى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة.. بدأ مراسلاً صحفياً .. وبعد الهند قرر أن يذهب إلى السودان لكى يكون شاهدا على ثورة المهدى المجيدة...

عاشق السودان : كان تشرشل من مواليد ١٨٧٤ ورحل عن العالم فى ١٩٦٥.. لقد عاش إحدى وتسعين ربيعاً.. وعندما كان عمره خمسة وعشرين عاماً ، كان لديه شوق شديد وعشق قوى للسودان.. وكان السودان آنئذ تحت حكم الخليفة عبد الله الذى لم يوافق على مجيء تشرشل إليه فى السودان لأنه غض البنان ، مع إنه لو لم يأت إلى السودان لِمَ عرفنا أحداث المهدى .لأنه لم يكن هناك أحد مع كتشنر

في مقدرة تشرشل.. وعرض الأمر على والدته لكى تجد من يتوسط له، ليأتى إلى السودان ، وبمقدار هذا كان تشرشل عاشقاً للسودان ، وحصلت أمه على توصية من أمير ويلز ورئيس الوزراء والقائد العام " سالزبورى " لكى يسمح له بمرافقة كتشنر فى حرب السودانيين..

وبالرغم من هذا ، كان من الممكن ان يعرضه للخطر حتى الموت ، ولكنه صمم على موقفه .. وعندما اتى الى السودان، مارس حبه الكبير للصحافة ، وكان محرماً على أى ضابط نظامى العمل فى الصحافة ، ولكنه تعامل مع الصحافة البريطانية تحت إسم مستعار وبطريقة سرية.. وكانت جريدته هى " المورننج بوست " وكانت كتاباته رائعة وحديثه عن السودان طريف وجميل.. وكلامه عن المهدى فى إحترام لمكانة الرجل..ولقدره ، ومقدرته على حمل وسائل التغيير فى السودان الذى كان محتاجا لأمثاله.. وتحدث عن السودان الحربى أو سودان وادى النيل.. وقال عن السودان المصرى كما كانوا يقولون أنه الربع الشمالى الشرقى للقارة الأفريقية ، يجف ويروى بالنيل.. وقال : إن أسماء قراه المتناثرة على إمتداد البلاد ، معروفة ومعلومة لرجال وأناس كثيرين ، مهتمين بأصول الحضارات فى بلاد بعيدة.. وإن المساحات الخالية قد تم رسمها بأقلام جيدة وقديرة..

لقد ذاقت صحاريها الواسعة دماء الرجال الشجعان.. أما حجارتها الصلبة السوداء الحادة فتقف شاهداً على مآسى مشهورة إنه " مسرح الحرب ".. ويستمر قائلاً : فى أرض يكون الجمال فيها ، هو جمال اللحظة.. ووجهها قاس شديد الوحدة وشخصيتها حزينة .. فإن لعنة الحرب بالكاد يمكن أن تكون هي وحدها سبباً للكارثة.. كيف يمكن أن تنمو النباتات في مثل هذا الجو الحارق في صحارى وحجارة تتضرع للسماء طلباً لنقطة ماء ؟.. وهل هى خدعة تضاف لخداع السراب؟... إن المساحة الواسعة تضاعف الشعور بالوحدة والإنعزال.. إن خيط الماء العذب فى وحدته يعيش وحيداً فى بعض المناطق حيث تفقد كل الأشياء الحية للصحبة..

لقد رأى تشرشل ، الحُسن في عيون بلادي ، مثل ما رأي الصوفى الشاعر التجانى ، الحُسن فى عيون النصارى....

أعظم رجل : لقد إستمرت مسيرة تشرشل ، وأخذ من صبر السودان صبراً على طريق الحياة.. ومن أمل السودان رجاء أشرق عليه.. وإجتاز طريق الدبلوماسية فى بلاده.. وصار وزيراً للمالية وله من العمر إحدى وثلاثون عاماً.. ثم صار رئيساً للوزراء ، حيث وسط بوادر الحرب العالمية الثانية ، أختير ليكون الزعيم والقائد الأول لبريطانيا .. وكانت شخصيته أقوى من هتلر ، لأنه حاول أن لا ينزلق فى

مرحلة عبادة الشخصية ، ولأنه إستفاد من أخطاء هتلر.. وأحدث نقطة تحول فى ميادين الحرب.. وقد أختير مؤخرا كأعظم شخصية أنجبتها بريطانيا فى إستطلاع ضم عدد كبير من المشاهير ، قامت به هيئة الإذاعة البريطانية .. ولم ينسى العالم تشرشل.. وينبغى ألا ينساه السودان ، لأنه بدأ محطته الأولى نحو سفح القمة ، من السودان، كعاشق له ، وبه ولهان..

٣٤. الخرطوم الإسم والمعنى

دائرة المعارف : تقول الموسوعة العربية الميسرة ، أن الخرطوم مدينة أنشأها المصريون ١٨٢٢.. على الضفة اليسرى للنيل الأزرق ، عند ملتقاه بالنيل الأبيض.. وأن الخرطوم خربت ١٨٨٥ م.. في الثورة المهدية وأعيد تخطيطها ١٨٩٨..وهذا يعنى أن السودان كان بدون خرطوم لمدة ثلاثة عشر سنة.. وتستمر الموسوعة الميسرة لمحمد شفيق غربال أن الخرطوم تربطها جسور على النيل بالخرطوم بحرى وأمدرمان ، وأنها مركز تجارى رئيسى.. وأن بها جامعة الخرطوم وبها فرع لجامعة القاهرة فرع الخرطوم.. وهى مركز للمواصلات الجوية بأفريقيا.. وعدد السكان فيها ثلاثة وتسعين ألف نسمة.. وطبعاً كل الأمور تغيرت.. جامعة الخرطوم أنجبت ما يزيد عن ثلاثين جامعة أخرى.. وجامعة القاهرة ، فرع الخرطوم تم إغلاقها في زمن التوترات السياسية.. ولكن سوف تفتح أبوابها من جديد .. لأن آلاف الخريجين الأن يدينون لها بالفضل العظيم.. وأنا شخصياً أحد خريجى جامعة القاهرة، فرع الخرطوم. وكنت والحمد لله أول دفعتى فى قسم الدراسات الإجتماعية عام ١٩٦٩.. وإستلمت الشهادة بعد أن تمت رسامتى كاهناً .. وكان الإحتفال ١٩٦٩ مهيباً وقوراً.. كان فيه رئيس الجمهورية جعفر محمد نميرى وكانت هى المرة الأولى والأخيره التى يوزع فيها الجوائز ..وكان البرلسى ومصطفى كمال حلمى وعبد الحميد صابر.. وأذكر يومها أن الدكتوره بنت الشاطىء جاءت إلىَّ مهنئةٍ من قلبها ، مشجعةٍ لى على الإستمرار فى الدراسة .. من منطق أن رجل الدين ينبغى أن يكون مثقفاً ودارساً.. وقد تجاوبت مع طلبتها وتتلمذت على يدها وآخرين من أساتذة الجامعة ، في السنة التمهيدية للماجستير ١٩٧٠ والتى كنت فيها ليس أول الدفعة، إنما الشخص الوحيد الذى نجح فى ذلك العام ، ولم ينجح أحد غيره..

أما عدد السكان، فقد جعلني أراجع متى كتبت الموسوعة الميسرة ، فوجدت أنها صورة طبق الأصل من طبعة ١٩٦٥.. وعدد السكان الآن يزيد على عشرة مليون.. بينما كان أقل من مليون منذ أربعين عاماً.. بارك الله فى هذه الزيادة .. وجعلها خيراً على البلاد والعباد..

الإسم والمعنى : وبينما إختصرت الموسوعة العربية أمر الخرطوم على عبارات محددة .. فإن العلامة أبو سليم ، تحدث كثيراً عن الخرطوم.. ورفض أن يختزل الأمر فى عبارات محددة ، بل كتب كتاباً عنوانه " تاريخ الخرطوم " طباعة دار الجيل ، ببيروت ، ولدىَ الطبعة الثالثة منه ١٩٩١.. وعن الإسم يقول أبوسليم : أن الناس إختلفوا حول أصل إسم الخرطوم ، وساقوا عدة تفسيرات منها ما يبدو معقولاً حتى يظنه المرء عين الصواب. ومنها ما يبدو سخيفاً حتى يود المرء لو تجنب ذكره.. ومن الصعب أن يصل المرء إلي نتيجة محددة أزاء هذه التفسيرات ومصدر الصعوبة هو قدم الإسم ، بحيث يسبق تاريخ إنشاء المدينة.. وليس يُعرف بالتحديد إن كان هذا الإسم عربياً أو نوبياً أو مروياً.. وهذه بعض الأراء :

١ * ذكر قرانت وأسبيك المكتشفان لمنابع النيل ، أن الإسم مأخوذ من القرطم وهو نبات تكثر زراعته فى مصر .. وكان يستعمل زيتة للإضاءة..

٢ * قال بعض الظرفاء، أنه في الأصل خور التوم، ثم حُرف الى الخرطوم..

٣ * قال البعض أن اللفظ يعني في لغة الشُلك ، وبعضهم قال في لغة الدينكا الذى تجتمع عنده العيون والأنهر ، حيث فى الخرطوم يلتقى النيل الأبيض والأزرق ويرى بعض الجنوبيين ، أن أجدادهم كانوا يسكنون هناك ، وتركوا المكان تحت ضغط القبائل العربية ، وقد إعترض أبو سليم على هذا وقال أن هذه المنطقة هى المقرن والعاصمة كانت سوبا.. وكلمة المقرن هى التى تعنى إلتقاء العيون والأنهر، وهــى فى نظرى عقد قران ، عندما يتفق الزوجان ويسيران مسيرة واحدة.. بعد أن كان كل فى طريقه..

٤ * يرى أبو سليم أن لفظ الخرطوم ، لفظ نوبى ، لقربه إلى مملكة النوبة العليا.. ولوجود قرية بهذا الإسم فى النوبة السفلى.. وذكر بركهارت إسماً كهذا فى النوبة المصرية وهذا يعنى أن الإسم أطلق على بلدان أخرى..

٥ * أطلق العرب هذا الإسم على المكان ، لأن طرفه يمتد فى شكل شريط يشبه خرطوم الفيل ، وفى وثائق الفونج هناك خرتوم البشاقرة .. وهذا يعنى ان لفظة الخرطوم ، تُطلق على لسان الأرض، الذى يمتد داخل الماء، وعلى ذلك فإن للموضع إسمين أحدهما يأخذ أصله عن إمتداد الأرض بين النهرين ، والأخر عن صفة إلتقاء النهرين

٦ * لقد كان الإسم هو الخرتوم بالقاء ولكن تعدل على فم العرب إلى الخرطوم ، مثلما تعدلت كردفال إلى كردفان.. وأتبره إلى عطبره.. واللبيض إلى الأبيض..

٣٥. جولة ملوكية في أمدرمان

المهندس وزوجته : جاء الى السودان فى عام ١٩٥٧ مهندس وزوجته.. كلاهما بريطانى.. وكانت المهمة هى بناء قاعة الإمتحانات ، بجامعة الخرطوم والتى تتسع لخمسمائة طالب، يجلسون فى مسافات ليست قريبة.. والمهندس هو أليك بوتر وزوجته هى مارجريت ، وهى فنانة تشكيلية كانت تحيا مع زوجها مشروعه العملاق، وأسند إليها رسوم القاعة الجميلة.. وعاشا معا فى السودان ثمانية أعوام.. وأحبا أهل السودان وأرض السودان..

وعندما رجعا الى بريطانيا كان في إستقبالهما أحد طلبتهما ، وكان الإستعداد لعيد الميلاد المجيد ، والناس يدورون في جنون للبحث عن هدايا الميلاد .. أما المهندس وزوجته فقالا : لو أن السودان طاف بأذهاننا فى تلك اللحظة ، لبدا بعيدا عنا بملايين الأميال ، ولكن فيما بعد تبين لنا إلى أى مدى سوف يصبح السودان قريباً منا .. إلى مدى العمر..

لقد إستمر حبهما للسودان .. وظهر هذا في كتاب " كل شىء ممكن ، سنوات في السودان" وظهر أيضاً الود السعيد بكل سودانى يعرفانه يزور بريطانيا .. وفي الكتاب مقال عنوانه " جولة ملوكية في أمدرمان ".. والملك المرافق لهما هو رجل سودانى ، وصفوه بأنه ملك ونحن كلنا رغم إختفاء الملكية وإعتماد الجمهورية نقول عن الشخص الأصيل صاحب الفضل ، الفضيل والخلق الجميل أنه ملك .. والسيد المسيح هو ملك الملوك .. ونقول عن المرأة الممتازة أنها ملكة.. وأعتقد إن بلادنا المتخلفة سوف تتحول الجمهورية الى ملكية .. ويتغير الملك ، ويأتى رئيس الجمهورية ليصبح ملكاً ويورث الحكم لأبنائه.. المهم أن المهندس بوتر أعطى لقب ملك ، لمواطن سودانى هو المهندس " حسن محمد عتبانى " كبير المهندسين المعماريين بوزارة الأشغال .. ورأى أن طريقة حسن فى التسوق فى أمدرمان ، كانت مطابقة تماماً للأحرف الأولى من إسمه H.M. أى صاحب الجلالة بالإنجليزية ، وقال : إن جولته فى أمدرمان كانت ذات طابع ملوكى.. وحسن عتبانى تدرب على يد إثنين من المهندسين الإنجليز هما : المستر بردجمان والمستر فرانسيس.. وقال حسن ، فى الجولة الملوكية بأم درمان : إن المهندس

فرنسيس كان رجلا قاسيا ، ولكنه إستدرك قائلاً : كان يجب أن يكون قاسياً ، وعلق بوتر على هذا بأن السودانيين كما عرفهم لا يثنون من المصاعب ، وكانت المشكلة هى ، أن مستر فرانسيس طلب من عتبانى أن يعد خريطة للدور الثانى بمدرسة وادى سيدنا ، وعندما أحضرها إليه قال له : أخطأت خطأ جسيماً .. أجاب السودانى: لو عرفت الخطأ لقمت بتصحيحه.. ولكن كان رد المهندس البريطانى: عليك أن تكتشف خطأك بنفسك.. وفعلاً قد كان، وعندما رجع الى الأستاذ بعد أن صحح الأخطاء ، قال له : كن واثقاً يا حسن أنك لن تقع فى هذا الخطأ مرة أخرى ، ولكن المهندس أغمى عليه ووقع أرضاً وإرتطم رأسه بالبلاط ، وهنا ظهر تعاطف الأستاذ البريطانى معه، بالإسعافات الأولية ثم الذهاب إلى المستشفى..

جولة ملوكية : وكتب بوتر عن أمدرمان.. لقد كانت أمدرمان ولا تزال مكاناً رائعاً للتسوق والشراء.. كل ما كان يعرض للبيع ، كان صناعة محلية أو محصولاً من محاصيل البلاد.. السمكرية يصنعون من علب الصفيح المستعملة أباريق وأوانى مختلفة، ذات طابع عربى.. وصناع الأثاث يشكلون أرجل العناقريب والكراسى ، بمخارط تُدار بواسطة خيوط موصلة مع إصبع القدم الكبير.. والصاغة الذين يعملون فى الذهب ، يحولون المعدن الذى أمامهم بمطارقهم الدقيقة ، الى أشكال من العقود والحُلى، يتعذر تمييزها عن تلك العقود التى تم إكتشافها فى المقابر النبيلة القديمة..

إن سوق أمدرمان مليئة بصنوف متعددة من المعروضات .. الى جانب المواد الغذائية والليمون والقريب فروت والمانجو والفول السودانى وغيرها.. ويحضر صغار الزراع منتجاتهم هذه داخل سلال تتدلى من جانبى سروج الحمير، ثم توضع بعد ذلك على مساحة صغيرة من الأرض المفروشة بالرمال.. وهي تشكل مكان البيع لكثيرين.. ويبدو لى أن الجولة الملوكية لم تذهب إلى سوق الأقمشة ، والذي يسمى سوق النقادة ، وهم رجال الأقمشة منذ أمد طويل..

ولاحظت زوجة المهندس أن حسن عتبانى ، رجل ودود ، مُحب للناس ، يتلاطف معهم ويتبسط فى الحديث ، ويضحك مع التجار.. ووقفت الجولة الملوكية امام دكان للخرز الملون ، تديره إمرأة ، وكان عندها بلور صخرى، وحلوى ، وعُباد زهرة الشمس.. ولاحظ حسن إعجاب المهندسة البريطانية بالخرزات الأربع.. فإشتراها لها ، وعندما مانعت أو تمنعت ، صمم حسن عليها أن تأخذ الهدية.. وفي طريق العودة قال لها : إن هذا الخرز سوف يدفع عنك الأرواح الشريرة .. وبينما لم توافق على الفكرة ، وبعد عبورها كوبرى النيل الأبيض ومركبات الترام

والتاكسيات الكثيرة ، تراجع حماسها ضد فكرة حسن ، فقد وصلت بسلام فى سيارته الشديدة الزرقة.. ولكنها لم تنسى كيف تمتعت بجولة ملوكية في أمدرمان..

٣٦. فليفل والصاوي وندوة المجتمعات الأفريقية

رصيد حضاري : في معهد الدراسات الإفريقية في جامعة القاهرة. وفي القاهرة مدينة الحضارة والثقافة... وفي شهر مايو لهذا العام ، كانت ندوة المجتمعات الإفريقية تطورها التاريخى ودورها الحضارى منذ تاريخها القديم وحتى القرن الحادى والعشرين.. وتمتعت بحضور هذه الندوة ، وتقديم ورقة منها عن دبلوماسية ملوك النوبة ..

وكنت فى صحبة أساتذة أجلاء.. بروفسور إبراهيم دياب ، والذي قدم ورقة عن طبيعة المجتمعات الأفريقية وأثرها على تاريخ القارة.. وبروفسور سيد أحمد العقيد، والذي قدم ورقة عن المرأة وأدوارها الإجتماعية في العصرين: الفونجى والتركى في السودان .. وعندما سأل الخُبثاء سؤالاً غير برىء : لماذا المرأة ؟.. قال لهم : إنه مهتم بدائرة المرأة فى اليونسكو ويعمل فيها ..

وقد ضمَّ هذا المؤتمر نُخبة من الأساتذة الأجلاء ، وعلى رأسهم المؤرخ المخضرم شوقى الجمل ، رئيس قسم التاريخ والذى أفرد كتاباً من ثلاثة أجزاء، عن تاريخ سودان وادى النيل.. والأستاذة الدكتورة ماجده النويعمى وأساتذة أخر ، مثل : إبراهيم الجندى ، وخالد البسيونى ، وحندوقة إبراهيم، وحسنى عبد الرحيم الذى تحدث عن آثر الثقافة المصرية فى المجتمع الكوشى ، أي السودانى أو الحبشى أو الأثيوبي.. ونوال على، ونعمة مرسى، ومحمد كامل، وإلهام دحروج، وهبة الله فتحى ، وأحمد أبو شارب، (فى لغتنا أبو شنب) والخضر بن عبد الباقى ، وماهر عطيه ، وإبراهيم جلال ، وعبد المجيد عماره ، وإبراهيم بوشا السودانى ، الذي تحدث عن قبيلة " الماساى " فى تنزانيا ، وهى قبيلة لا تؤمن إلا بموسى النبى ، وبتوراة موسى، وأعتقد أن الماساى هذا يقصد به المسيا.. لأن اليهود ينتظرون المسيا المنتظر.. وصافيناز محمد ، وشيماء أحمد ، ومن دارفور على أبو زيد الذى تحدث عن مقاومة دارفور للإستعمار ، وإبتسام محمد التى تحدثت عن المرأة فى المجتمع الأفريقى الواقع والتحديات ، وحسين جلال ، وحجاجى إبراهيم وهو أستاذ تاريخ مثقف إهتم بإبراز الجوانب الثقافية وسمات الفن والعمارة الإسلامية.. وأكد أن الفن الخزفى يمتاز بظهور الروح المسيحية فى رسم الأشخاص.. والشارات

المسيحية مثل: الأسد رمز مار مرقس الرسول ، والديك رمز بطرس الرسول ، والنسر رمز يوحنا البتول..

كما أكدت الوحدات الفنية المسيحية مثل: الصلبان.. والحية النحاسيةً التي كان ينظر إليها اليهود ويشفون من ضربة الحيات ، والتي يمسك بها الأسقف فى الكنيسة القبطية الأن.. وأن الوردةُ تُرسم ثُلاثية ، تأكيداً للثالوث: الآب والأبن والروح القدس..

أما الأستاذ الوقور ، صاحب البدلة الأوربية.. والقلب الصوفى الكبير ، عبد الله عبد الرازق ، قد أهدانى كتابه عن " الصوفية فى أفريقيا ".. وهؤلاء الأساتذة هم رصيد حضارى متين ، وثقافى مكين.. وهو كتاب قيم جدا.. وجدير جداً بأن يقرأ.. وفيه عبرة وتعاطف مع الدبلوماسية الشعبية ، التى صنعها أهل الصوفية...

فليفل والصاوى : وبروفسور فليفل هو عميد معهد الدراسات الأفريقة ، والذي تحدث فى كلمته عن أن لنا من الرصيد الحضاري ، ومن القدم الثقافى ما يسمح لهويتنا بالإنطلاق من أرضنا.. ولنا من الفعل الحضارى المتجسد فى أهرامنا فى وادى النيل .. ومن ثقافتنا الأصيلة المتناغمة ، زنجية ، وعربية ، وبانتوية ، وإسلامية .. ما يحفظ وحدتنا ، ويمنع قولبتنـــا في أطر الأخرين ، التى تحتاج إلى مراجعة علمية دقيقة .. فهي ليست أفضل الأطر ولا أكثرها بهاء وملاءمة للعصر..

إن مجتمعات ما يسمى بالعالم الثالث، على الرغم من غياب العالم الثانى، عرفت قيمًا أخلاقيةً راسخةً.. ونظماً مجتمع راقيةً.. ورسوماً حكومية ساميةً وعلاقات دوليةً متشابكةً ومتعاونـة.. وإلا فقولوا لى كيف سارت قوافل تجارة الذهب والملح والمنسوجات والمخطوطات آلاف الأميال آمنة ، مطمئنةً ؟.. تربط عالم الأمس ولا سيارة قاطرةٍ ولا طائرةٍ بين شمالى الصحراء وجنوبيهِ.. إن العودةُ الى الجذور والتنقيب فى ماضينا قبل الإستعمار، مطلب علمى ووطنى وعالمى لأنه يكشف أين كنا قبل الإسترقاق والإستلاب والإحتلال ؟..

أما بروفسور كرم الصاوى باز وهو مقرر المؤتمر، وعليه تقع مسئولية نجاح المؤتمر والحفاظ على رضا المؤتمرين ، ليس فيما يقدم من علمٍ مضمون من أساتذةٍ ضالعين فى التاريخ ، ولكن أيضا فى الضيافةِ.. ومتابعة الندوات ، بل والتعليق على بعض الأوراق..

وقد أعجبت بهذه القامة العلميةُ ، حيث لم تمنعه إدارة المؤتمر عن حضور المؤتمر .. وتقديم التعليقات التى ساعدت على إثراء الأوراق المقدمة.. وهو يرى كما قال في كلمته أن مؤتمر المجتمعات الأفريقية مهم جداً ومطلوب جداً فى ظل التحديات التى تواجه القارة الإفريقيةِ من القوى العالمية التى تكابلت على مقدرات

القارة، إهتماماً شبيهاً بالإهتمام الذى حظيت به فى أواخر القرن التاسع عشر، مع إختلاف يسير فى الأهداف..

ومن وعى أفريقيا الأن، إن ما يحدث من نزاعات قبلية وعرقيةٍ، بل ما يحدث من أوبئة لا علاج لها، إنما هو بفعل فاعل.. وإن ما يحدث من حركاتِ تطرف ديني لا يقصد بها إلا إشعال الفتن.. وزج العرق فى الدين أو الدين فى العرق.. هو تمهيد لصراعات داميةٍ لا يجنى ثمارها إلا من أوعز بها، وهيأ أسبابها..

بل يرى الصاوي ، أن هناك محاولة لتفريغ القارةِ الإفرقيةِ من السكان ، تحسباً لزيادةِ سكانية فى دول القوى الإستعماريةِ.. بل هناك ترسيخ للتفرقةِ العنصريةِ بما يسمونه أفريقيا البيضاء وأفريقيا السوداء.. وتظل أفريقيا العظيمةَ فى إنتظار الإنصاف والإهتمام من أبنائها العلماء...

٣٧. فى السودان كل شىء ممكن

المؤلفان : في عام ١٩٥٧ ، قدم الى السودان رجل وزوجته قادمين من المملكة المتحدة البريطانية ، هما آل بوتر ، الزوج إسمه بروفسور إليك بوتر.. والزوجة إسمها مارجريت الرجل أستاذ فى الهندسة والمرأة فنانة تشكيلية.. وكان العمل المنوط بهما، هو بناء قاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم.. والتى اطلقا عليها " قاعة النجاح " لأنهما نجحا معاً نجاحاً منقطع النظير فى بنائها .. وقد إتفقا معاً على حب السودان ، والذى صار لهما زاداً فى رحلة الحياة .. عاشا فى الخرطوم ثمانية أعوام سعيدة .. صارت رصيداً من الذكريات الجميلة التى لم ينسيانها.. وقد إتفقا معاً على كتابة كتاب عن السودان عنوانه : كل شىء ممكن ، سنوات فى السودان" Every thing is possible نشرته دار آلان سوتون Allan Sutton عام ١٩٨٥.. هذا الكتاب جذب إلتفات مواطن سودانى هو الزبير على، وهو أديب وكاتب قصة قصيرة ، ترجمت قصصه مع قصص كبار الأدباء السودانين، الى الروسية والإنجليزية، وله قصص مثل : النازحان والشفاء ومجموعة قصص عنوانها " المقاعد الأمامية ".. ولما كان السودان له فى قلبه المقاعد الأمامية، أعجب بالمؤلف، وقرر ترجمة كتابه لفائدة القارىء.. وعلى الأخص أنه سكن بجوار جامعة الخرطوم التى عمل فيها المهندس بوتر وزوجته ، لمدة ربع قرن ، حيث كان والده أول سودانى يلتحق بالعمل فى متحف السودان .. ورسم صورة بالقلم .. جميلة ورائعة.. لهذا المنزل الذى أسماه " الفردوس المفقود"

بما فيه من شجيرات متعددة، لليمون،والبرتقال، والدليب ، والسيسبان، وإستغرب عندما كتب ان البيت كان به اشجار الأبنوس والقفا.. ولهذا كان عالماً أسطورياً.. تكتنفه الرهبة.. ويتعذر وصفه، حيث تختلط الحقيقة بالخيال، والحلم بالواقع.. وتكون النتيجة مزيج ساحر من الجمال والفتنة الطاغية...

على مر أيام العام ، وعلى الأخص فى روعة الخريف ، عندما تغسل الأمطار قمم الأشجار والجدران والحشائش.. وأعتقد أيضا أنها تغسل قلب الإنسان .. وتطهره من الأدناس.. وكأن الإنسان يصلى : قلباً نقياً إخلق فىّ يا الله ، وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى.. كما تغسل الأمطار تجاعيد الزمن.. وتنظف القلب من الكراهية.. وتقود نحو المحبة التى هىّ أعظم ما فى الوجود .. محبة الخالق للمخلوق.. ومحبة المخلوق لأخيه، فى جو شاعرى سعيد..

كل شىء ممكن : وفى السودان فعلاً كل شىء ممكن.. كل شىء سهل الحصول عليه. وهذا وصف لسيكولوجية السودانى الرقيقة، التى تذلل العقبات والتى لا نتعامل مع الأمور بمركب النقص .. وقافلة العقد.. إنها دليل على إنبهار المؤلفين ، بالشخصية السودانية التى تخترق الحاجز العرقى والتباين الثقافى .. وتخلق التوادد بين السودانيين والإنجليز.. رغم مرارة ذكرى الإستعمار..

لقد رأى المؤلف ، ان السودانى شخصية فيه تسامح ، ولين عريكة.. لا تصادم بدون داع ولا تعقد الأمور.. لقد سمع المؤلف هذه الكلمات من كثيرين ممن تعامل معهم .. حتى أن الأمور صارت أمامه سهلة ، مبشرة .. وكان يعتقد أن بناء صرح مثل قاعة الإمتحانات ، قد لا يتم بسبب الإمكانيات والتى هى ليست المال فحسب ، إنما اليد العاملة..

ولكن الأمور مرة بسلاسة وهدوء.. وحتى عندما حدث إنقلاب عبود العسكرى، رأى ما يؤكد أن كل شىء ممكن .. وعندما ذهب الى مكتب البريد، وهو يتلمس طريقه بحذر، ولكنه لم يجد من أثر يدل على شىء غريب، سوى دبابة أمام " البوسته " وقد إستلقى على ظهره فوقها جندى، وراح فى غفوة آمنة...

ورأى المؤلف كما يقول مقدم الكتاب بروفسور يوسف فضل ، ان شعب السودان Easy going people وتمثل هذا فى الشخوص التى تعامل معها المؤلف ، مثل الأستاذ أحمد المرضى جباره... والسيد إبراهيم أحمد... والمهندسين حسن العتبانى ، وحسن البحر، والمقاول المنجز العملى جابر أبو المعز... كان المؤلف يعلق متوتراً خوفاً من عدم تكملة القاعة ، ولكن قلقه كان يتبدد عندما يرى أحمد المرضى مبتسماً إبتسامة واثقــــة مطمئنة تقول: إن كل شىء سيسير على ما يرام... ولهذا إتجه بوتر فى كتابه نحو رسم بعض الجوانب الإيجابية للشخصية

السودانية.. والمؤلف مثلاً يكتب عن احمد المرضى: مشهد المرضى فى جلسته تلك.. بتقاطيع وجهه السودانية الأصيلة.. كان جليلاً يدعو للإحترام .. وكان رأسه الأنيق الذى قص شعره حديثاً ، وقد خالط سواده بياض فى الأطراف ، مرفوعاً دائماً الى أعلى ، حتى فى الأوقات التى كان العمل فيها يتطلب الإنحناء والإنكباب على الورق..

إن كتاب " كل شىء ممكن فى السودان " هو كتاب محبة.. فلقد جذبت الشخصية السودانية ، المؤلف وزوجته ، حتى أحبا السودان ..وكل شىء فى السودان.. والمحبة ترى كل شىء في المحب جميلاً.. وكل كلمة له إكليلاً.. وكما يقول نشيد الأنشاد : علمه فوقى محبة.. إن المحبة لا تتفاخر.. ولا تنتفخ.. تحتمل كل شىء.. وتصدق كل شىء.. وتصبر على كل شىء.. وهنا يكون كل شىء ممكن.. لأن المحبة لا تسقط أبداً..

٣٨. الصوفية... رهبان الليل ، فرسان النهار

سودان الصوفية : منذ أقدم الأزمان .. وفى بلادنا السودان، عرف الإنسان، ما هىَ الصوفية.. عرفها وعاشها.. ولمعت أسماء صوفية كثيرة ، فى الأيام القديمة.. وفى عصرنا هذا..

وتوجه المواطن السودانى نحو أهل التصوف ، يبحث فيهم عن الأبوة ، حتى أطلق أهل السودان على رجل الصوفية البرعى لقب أبونا البرعى ، وهذا اللقب يعنى أن الناس وجدوا فيه الأبوة الدافئة الحنون.. كان يسمعهم ويرق لطلباتهم ويصلى من أجلهم ومن اجل قضاياهم ، بل أن جهابذة السياسة في السودان ، لكل واحد منهم شيخ صوفي ، يطلب معونته الروحية ويعرض عليه قضاياه ، ويطلب الصلاة من أجله مثل صلوات موسى لأجل الشعب..حتى أنه قال للرب: لقد أخطأ هذا الشعب ، والأن إن غفرت خطيتهم، وإلا فأمحنى من كتابك الذى كتبت (خروج ٣٢:٣٢).. وهذا يعنى ان موسى يطلب مغفرة الله، ويستدر رحمة الله من أجل الناس ، حتى لو إقتضى الأمر أن يُمحى إسمه من كتاب الله.. وأبونا هو رجل الدين المسيحى الذى يصلى لأجل شعبه ويحمل همومهم وأوزارهم.. وفى السودان للصوفية أرفع مكان.. والناس يقبلون أياديهم ، تكريماً لهم.. وتقبيل اليد ليس للتكريم فقط ، إنما هو لكى يضع الإنسان ، إنسان هذا الزمان الذى يعانى من ضغوط هذا الزمان ، يضع كلام فمه على يد أبونا كاهناً أو صوفياً.. حتى عندما

ترتفع الأيادى بالضراعة أمام الله ، يكون هذا الإنسان جزءاً منها فى طلب رحمة الله.. ويقول الكثيرون إن الصوفية فى السودان هى التى ساعدت على عدم تبنى الأفكار المتطرفة ، وهى التى ساعدت على قبول الأخر..

وقدر علاقتى بالصوفية والمتصوفين ، لم أسمع منهم نبذاً للأخر.. ولم يحدث منهم رفضاً للأخر بل بالعكس هم يعتمدون فقه القبول أو لاهوت القبول ، والذى فيه يقبل كل طرف ، الطرف الأخر دون أن يفرض عليه رأياً ولا فكراً ولا عقيدةً ولا طريقة معينة.. وهم ضد كل إرهاب بإسم الدين.. وضد كل تصفية جسدية.. وهم يشاركون أخوانهم فى الوطن فى مناسباتهم الدينية .. ويمتلىء بيتى العامر فى كل عيد ميلاد ، وعيد قيامة ، بالأقطاب منهم : العزمية .. الأدارسة.. أولاد قريب الله.. أولاد البرعى الأنصار.. وعلى رأسهم يعقوب الحلو، الرجل الصوفى الحلو.. الفيتورى.. وسوف يظل السودان ، هو سودان الصوفية..

رهبان الليل : إن الرهبنة كما يقول البروفسور زاهر رياض ، هى إختراع قبطى خالص، يتلخص فى زهد الفرد عن العالم وتنسكه ومحاولة التقرب الى الله عن طريق التنسك.. ولقد عرف السودان الرهبنة والرهبان وأقاموا الأديرة فى الصحارى.. وفى أعالى الجبال.. ونحتوا فى صخور الجبل درجات للوصول الى القمة.. كما فى كسلا.. وكانوا يطلقون على القمم المسطحة إسم " ديراً " أي دير ..

وهكذا سبقت الكلمة فى السودان ، نظام الرهبنة ذاته.. وصارت الواحات مكاناً للرهبان، وهي سلسلة ترتبط بوادي النيل.. بعدة طرق تخرج من اسوان.. ومن إدفو.. ومن إسنا .. ومن الرزيقات.. ومن فرشوط.. ومن العلوانية .. ومن الكوامل.. ومن الغنايم.. ومن الزرابى.. ومن بنى عدى وتمر.. بطريق درب الأربعين.. حتى تصل عند الفاشر..

والرهبان يرفعون الصلوات عن العالم، ويحبون الصلاة ، وكان بعضهم مثل الأنبا بيشوى يعلق حبلاً فى شعره حتى لا ينام ، بل يستمر فى الصلاة ، وغيره كان يركع متجهاً نحو الشرق ، عند الغروب ويصلى حتى مطلع الشمس .. وكان يعاتب الشمس لأنها تحرمه من الصلاة..

ورهبان الليل ، هم فرسان النهار.. لهم دورهم ، ولهم رسالتهم ، ولهم قراءاتهم ، ولهم كتبهم ، وهم يحبون كلام الله ويقرأونه آناء الليل وأطراف النهار.. ويتعمقون فى محبة الله ، لأجل ذات الله.. مثل" رابعة العدوية" ، التى كانت خادم لإعرابى قام نصف الليل وسمعها تناجى الله وتصلى إليه وتعتذر بمشغوليتها مع سيدها الأرضى.. والذى يأخذ وقتها ، الذى كان ينبغى أنِ يكون للسيد الإلهى... فما كان منه إلا أن حررها ، وذهبت إلى بيت إبتاعه لها لكى تتعبد فيه.. ووصلت

الى قمة الروحانية عندما قالت : يارب إن كنت أحبك طمعاً فى الجنة ، فأحرمنى منها .. وإن كنت أحبك خوفاً من النار فأحرقنى بها .. إننى يارب أحبك لذاتك....

ويقولون فى الإسلام ، أن الصوفى هو لابس الصوف.. وأول صومعة صوفية كانت بالرملة بفلسطين.. وأول من أطلق عليه صوفى هو أبوهاشم الكوفى.. وإن أول صومعة أسسها أمير مسيحي .. وإن مبدأ لبس الصوف والإنقطاع من الزوايا بعيدا عن الناس فى الصحراء ومجاهل الأرض ، كما يفعل المسيحيون فى الأديرة..

والتصوف يعنى كما يقول الجنيد المتصوف ، أن يكون الصوفى مع الله.. هو ذكر مع إجتماع .. ووجد مع إستماع .. وعمل مع أتباع .. والصوفى كالأرض، يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح.. وهو كالأرض يطؤها البار، والفاجر، وكالسحب تظلل كل شىء .. وكالمطر يسقى كل شىء..

أما ذو النون المصرى فيقول : إن المتصوف هو إذا نطق أبان عن الحقائق.. وإن سكت، نطقت عنه الجوارح، بمقطع العلائق.. وهو الأخذ بالحقائق.. واليأس مما فى أيدى الخلائق.. وهكذا يكون الزهد .. والإختلاء بالله..

٣٩. ثورة يوليو ، وإيهاب الشريف

رسالة عزاء : ذهبنا إلى منزل سعادة السفير المصرى الشاذلى.. وكنا مجموعة من أبناء قبيلة الأقباط التى تمارس حياتها مثل أى قبيلة من قبائل السودان الكثيرة ، فى ود وتوادد.. ومحبة لا تعرف التخاذل مع كل أبناء الوطن الكبير.. وكنا نهدف من الزيارة أن نرحب بسعادة السفير.. كنا أيضاً حمل رسالة عزاء نيابة عن كل الكيانات القبطية ، فى السفير الشهيد الذى وبكل أسف تم إغتياله من مجموعة غير منضبطة، ومحبة لسفك فى العراق..

وقد تلاقينا معاً حول ذكرى هذا السفير العظيم الذى أختطف.. وأغتيلَ ، لا لجريمةٍ فعلها ، وإنما لأحقادٍ أناسٍ لا يستحقونَ حتى أن نذكر من هم ؟.. ولكنهم سلبوا منا الإبتسامةِ .. وأدخلونا فى آهاتٍ مؤلمةٍ.. ولا نعرف ما هو السبب.. يقولون لأنه كان سفيراً لمصر فى إسرائيل.. وما المشكلة فى هذا؟.. ولماذا يتدخل الصغار فى شئون الكبار ؟.. لا شك أن وجود سفارة لمصر فى إسرائيل لها أهداف إستراتيجية مصرية .. لا دخل لعصابات الإغتيالات فى العراق أن تناقشها..

ولم يسمع هؤلاء لأى نداء.. لا لنداء مصر.. ولا لنداء كل بلدان العالم.. ولا لنداء زوجته.. ولا لنداء أطفاله هيدى وإنجى.. ولقد قرأت فى صباح الخير ،

رسالة الى إنجى تقول أن كاتبها ذهب الى الكنيسة لتقديم واجب العزاء.. وأن المكان كان مزدحما وهنا قلت ربما يكون السفير مسيحياً أو تكون الكنيسة قد أقامت له عزاء فى قاعتها .. وإتضح أن الإفتراض الأخير هو الصحيح . وهذا دليل على حكمة قيادة الكنيسة القبطية التى لا تغفل عن رسالتها الروحية .. نحن الوطن وأبناء الوطن ، مثلما فعلت عندما أرسلت باقات الورود للشيخ متولى الشعراوى مع تمنيات قداسة البابا شنوده الثالث ..

وكان إيهاب الشريف أديباً وفناناً .. وكان يعتمد فى كتاباته الأدبية على التسجيل بالكاميرا الخاصة به... حتى قيل عنه ، أنه لم يكن يحمل سوى الكاميرا ، وعن طريقها قدم للمكتبة العربية أدب الرحلات المصورة .. ووصل عدد كتبه الى واحد وعشرين كتاباً.. ونال وسام الإستحقاق الألمانى، عام ١٩٩٩.. تقديراً للدور الذى لعبته كتبه فى تحقيق تفاهم أفضل بين العرب والحضارات الأخرى.. وكان أديباً فى إختيار عناوين كتبه.. ففى فرنسا كتب كتاباً عن فرنسا بلاد الجن والملائكة.. والهند أسرار ومفاتيح ..

وكان إيهاب الشريف كاتباً سياسياً ، وله أسهامات مشكورة .. لقد كان يحمل فى قلبه أدباً رفيعاً عبر عنه بالكاميرا والقلم.. إنه يشبه المرحوم السفير جمال محمد أحمد ، الأديب ، ليس للسودان فقط ، إنما لكل إفريقيا..

ثورة يوليو : ونحن فى شهر يوليو ، نحتفل بثورة يوليو العملاقة التى أثبتت الأيام أنها ثورة شعب أراد الحياة ، وإستجاب له القدر.. ويعد إيهاب الشريف واحداً من شهداء ثورة يوليو، التى كانت ثورة بيضاء .. وإن كان وكما يقول محمد عابدين ، فى روز اليوسف ٢٠٠٥/٧/١١.. إن دم إيهاب الشريف فى رقبة علماء الدين ولا حول ولا قوة إلا بالعلى القدير.. لقد كتب فقيدنا مقالاً نادراً عن ثورة يوليو فى جريدة " بديعوت أحرونوت" الإسرائيلية ، وأقدم هنا بعضاً من كلمات المقال ، تحية لثورة يوليو وللسفير المصرى ، الشاذلى والقنصل العام محمد فوزى ، والقنصل سامح نبيل ، وكل أركان السفارة المصرية فى الخرطوم.. وهاكم بعضاً من كلمات المقال :

* تقول الحكمة المأثورة ، أن بإمكان المرء أن يكذب على كل الناس بعض الوقت ، أو على بعض الناس ، كل الوقت ، إلا أنه من المستحيل بعينه أن يتمكن من الكذب على كل الناس كل الوقت..

* تذكرت كل هذا وأنا أرى كل الحملات العاتية فى إسرائيل ضد ثورة يوليو.. وتذكرت أيضا مئات البيوت التى زرتها فى بلاد عربية عديدة .. تتصدر صور جمال عبد الناصر غرف المعيشة والإستقبال فيها..

* لو كان عبد الناصر ظاهرة صوتية.. أو زعيم جلب الكوارث على أهله.. لِمَ بقى فى قلوب كل هؤلاء الذين أحبوه ، لإخلاصه وصدقهِ..
* هذه الفرصة الفريدة التى منحتها الثورة، لمعان إنسانية جميلة ، هىَ التى جعلت هؤلاء الذين قامت من أجلهم ، يرفضون التخلى عنها حتى فى أحلك اللحظات فى يونيو ١٩٦٧..
* لقد عاشت مصر هامتها مرفوعة وبهذه القامة المرتفعة ، قام السادات الذى قدم بصوته أول بيان للثورة بحرب ١٩٧٣ وإستطاع حسنى مبارك أن يحقق الإستمرارية بعد وصول الثورة الى مرحلة النضج ، الشهادة الثبوتية لنجاح ثورة يوليو ١٩٥٢..
* تحية لثورة يوليو.. وتحية لشعب مصر المتحضر.. وتحية لكل شبر فى مصر وادى النيل التى وقفت مع السودان حتى تحققت الأحلام ، وبدأت مسيرة التنمية بعد كمال السلام..

٤٠ . الصوفية نشوة دينية

ما هى الصوفية : الصوفية هى طريق خاص ، يسلكه المسلم لكى يختلى بالله ويتعرف عليه أكثر فأكثر.. وهذا الإختلاء مطلوب جداً فى حياة تمتلىء بالتوترات.. ويحتاج الى إختلاء كل إنسان..فى كل دين من الأديان.. وقد إختار بعض الناس من المسيحيين الإختلاء طريقا فى الذهاب الى الصحراء والإعتكاف فى الأديرة والتنازل عن ملذات الدنيا وبالإختيار يختار الفقر الإختيارى.. ويرفض الزواج حتى يكون كل وقته تعبداً لله..

والصوفيون ينقسمون الى جماعتين متميزتين ، أحداهما فئة المحترفين الذين كرسوا حياتهم من أجل الثقة الوثيقة مع الله.. والفئة الثانية وهى : العامة الذين يحضرون الحضرة فى كل يوم جمعة ، ولكنهم يمارسون حياتهم العادية فى مدنهم وقراهم.. ويرى الأستاذ الدكتور عبدالله عبد الرازق إبراهيم، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ، ووكيل معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، أنه عندما إنتقل مركز الخلافة الإسلامية إلى بغداد فى عام ٧٤٩ هـ.. بدأ الدين الإسلامى يمتص بعضاً من المعتقدات اليونانية والفارسية .. وفى هذه المرحلة حدث تطور فى الأفكار الصوفية.. وظهر التباعد ما بين الفقهاء الأربعة وشيوخ الطرق الصوفية. ولكن التصوف مذهب روحى عرف بين الشعوب ذات الحضارات

القديمة.. ولم يكن فى الإسلام فرقة من الفرق المذهبية ، كأهل السُنة أو الشيعة أو المعتزلة.. حيث أنه من الجائز ان يكون الصوفى عاكفا على العبادة والإنقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها.. والزهد فيما يقبل عليه عامة الناس من مالٍ وجاهٍ.. بل والإنفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة.. والسهر فى الصلاة او تلاوة أوراد ، حتى يضعف فى الإنسان الجانب الجسدى .. ويقوى فيه الجانب الروحى أى إخضاع الجسد للنفس .. بهذا الطريق سعياً لتحقيق الغنى الأخلاقى للنفس.. والى معرفة الذات الإلهية ، وكمال الله .. وهذا فيما يسمى إعلاء الروح على الجسد ، مثل دعوة بولس الرسول عن نفسه.. أقمع جسدى وأستعبده ، حتى بعد ما كرزت للأخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً..

وتأتى الصوفية من كلمة صوف.. هكذا يقول أغلب الكتاب ، رغم اننى أرجح أن كلمة صوفى من الكلمة اليونانية صوفية.. وتعنى الحكمة .. والصوفى هو الحكيم الذى ادرك بحكمته باطل الأباطيل ، الكل باطل وقبض الريح.. وما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس. وهكذا.. دور يمضى.. ودور يجىء.. والأرض قائمة إلى الأبد. العين لا تشبع من النظر.. والأذن لا تشبع من السمع.. ولهذا يرى أهل الصوفية الحكماء ،إن الحياة مع الله هى الباقية .. وإن ملذات العالم إلى فناء..

ويرى البعض أن الصوفية من كلمة صوف.. والصوف صعب وقاسي َفى الملبس.. لا يحتمله الجسد ،على الأخص فى بلادنا الحارة. ولكنهم يلبسونه نسكاً وزهداً.. ويرى البعض أن الكلمة مآخوذة من الصفة .. وهى الصومعة التى يلجأ إليها فقراء المسلمين للإعتكاف والعبادة.. وكان الناس يهتمون بحاجاتهم الجسدية..

صــف أول : ويرى البعض أن الصوفية يجلسون فى الصف الأول من المسلمين .. ويرى أخرون أنهم ينتسبون إلى بنى صوفة .. وهى قبيلة بدوية كانت تخدم الكعبة فى الجاهلية.. ومنهم من يقولون انهم ينتسبون الى صوفية القفا ، وهى خصلة من الشعر فى القفا ، تطلق رمزاً لأدارة القفا ، لملذات العالم ، مثلما يلبس الراهب القلنسوة التى بها يعطى ظهره لملذات الدنيا..

وهناك من يرى ان الصوفية مشتقة من الصفاء والنقاء ، تأثراً بالمسيحية.. طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله.. ويرى عالم أخر ، أن الصوفى هو من لبس الصوف على الصفاء وسلك طريق المصطفى وأطعم الهوى دون الجفا. وكانت الدنيا منه على قفا.

وفى إعتقادى أن الصوفية قريبة جداً الى الرهبنة.. والتى فيها يحيا الراهب فى رهبة الله ويدير ظهره للعالم.. وتعد الرهبنة فى المسيحية ، منحة خالصة ، قدمها الأقباط للعالم المسيحى ، منحة أثرها دائم وممتد.. وثمارها بعيدة المنال.. كما يقول ملاك لوقا فى كتابه " الأقباط النشأة والصراع "..

ويرى قداسة البابا شنوده الثالث ، فى حديثه عن الحركة النسكية فى المشرق فى كتاب " المسيحية عبر تاريخها فى المشرق" والذى أصدره مجلس كنائس الشرق الأوسط..أن المسيحية بدأت ومعها حياة الإستشهاد.. وكان الناس يعدون أنفسهم للموت.. من أجل الإيمان.. ومن هنا نشأ الزهد فى الحياة الدنيا . وما يرتبط بذلك من نسك ومن محبة لله ، وإعداد الذات للقائه..

ووجد بعض من النساك يمارسون حياتهم النسكية على حافة القرى أو عند شواطىء الأنهار. وكان أول من نظم الحياة النسكية والرهبانية ، هو القديس العظيم أنطونيوس الكبير.. وهو أول من دعى راهباً .. بل صار أباً لجميع الرهبان ، وترك العالم فى شبابه ، وعاش متوحداً ثلاثين عاماً.. ثم بعد ذلك بدأ فى إستقبال الناس.. وعاش النشوة الدينية والتى هىّ يقظة روحية.. وسهر على القيم الروحية وعلى سيطرة الجسد.. وحياة مع الله ، والإنفصال عن العالم وكل ما فيه.. والإتحاد بالله الواحد الأحد ، الذى يصير كل شىء لمن يترك الدنيا عازفا عنها..

٤١. المسيحية فى إفريقيا

مدخل للدراسة : أصدر الباحثان الشابان ، دكتور طارق أحمد عثمان .. والأستاذ عبد الوهاب الطيب البشير ، كتاباً في ٧٨ صفحة عنوانه " مدخل لدراسة المسيحية فى أفريقيا " إصدار جامعة أفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، قسم الأديان والتاريخ.. وصدر الكتاب ٢٠٠٣.. وكتب مقدمة الكتاب الأستاذ الدكتور حسن مكى ، والذى يرى أن إسمه من الأسماء القديمة في النوبة.. إسم مكى بالذات.. وهو من مشتقات إسم مكاريوس ومقار.. ويعنى الطوباوى أو صاحب الحظ السعيد.. والحقيقة نحن أصحاب الحظ السعيد بما يكتبه مكى وما يبحثه.. فهو باحث محترم لقارة أفريقيا المحترمة.. وله منا التمنيات الطيبات .. والمؤلف الأول من مواليد ١٩٧٠.. والثانى من مواليد ١٩٧١.. وهما شباب يبحثون فى مواضيع حية.. وقد تقابلت معهما فى مؤتمر جامعة القاهرة مايو ٢٠٠٥.. وشجعتهما على

مسيرة البحث الشيق .. ولم أخفِ إعجابى بمقال فى الكتاب عن المسيحية كما يراها المسلمون ..

وعند الحديث عن التثليث والتوحيد ، بأنه ترى مصادر مسيحية أن التثليث لا يجافى الوحدانية أو ينافيها أو بصراحة ، التثليث ليس ضد التوحيد.. والمسيحية تؤمن بالآب والأبن والروح القدس.. إله واحد فى جوهره. فإله المسيحية، هو إله واحد، متعدد الأقانيم وكلمة أقنوم تعنى صفة.. فالثلاثة أقانيم فى واحد.. الآب فى الإبن فى الروح القدس.. أي ١×١×١= ١ وليس ١+١+١=٣.. وذكر المرجع وطالب القارىء أن يرجع إليه.. والمرجع هو" المسيحية فى عيون المسلمين " الصادر عن النادى القبطى ٢٠٠١ صفحة ٤.. وقد شكرت لهم هذا ، وطالبتهم أن يكتبوا عن المسيحية كما يراها المسيحيون وعلم الأديان.. فى إحترامه لحساسية العلاقة بين الأديان ، ينبغى أن يدرس الدين أولاً كما يراه أصحاب الدين ، حتى يتعرف على أفكارهم ورؤياهم..

أما المقدمة التى قدم بها البروفسور حسن مكى الكتاب .. فهي بمفردها بحث قيم علمي .. فهو يرى أن القضية كبيرة ومتشعبة .. وفي إحترام ودود لدور الكنيسة القبطية وأثرها فى أفريقيا ،إنها كنيسة راسخة الجذور فى مصر وأثيوبيا وأرتريا.. ولها إمتدادات فى شمال إفريقيا.. وطبعا لم يذكر كيف أن الكنيسة القبطية قامت برعاية الكنيسة الأفريقية .. وعلى الأخص سودان النوبة كوش، أثيوبيا الحبشة ، حيث إستمرت الرعاية لمدة ألف سنة ، كان سوداننا من أسوان حتى دارفور حتى الصومال مسيحياً ، ملوكاً وشعباً..

وذكر كيف أن الكنيسة القبطية ظلت كنيسة وطنية عريقة.. لم تسجن نفسها فى إطار الدولة ، ولكنها عاشت بعيدة عنها مستقلة روحياً ، ليس لها هدف سوى نشر رسالة المسيح له المجد..

كنائس أفريقيـــا : وتحدث المؤلفان عن الفكرة السابقة ، وهى الإرتباط الباكر للكنيسة السودانية القديمة .. بأمها الكنيسة القبطية الأورثوذكسية فى مصر ، فيما يسمى اليعقوبية لدى المؤرخين.. أما تعريف الكنيسة ، فقد ذكره بروفسور مكى ، بأن كلمة كنيسة فى المصطلح المسيحى كلمة جامعة ذات دلالات روحية ومجتمعية.. وكأن الكنيسة تعادل الأمة عند المسلمين، لأن الكنيسة ليست المبنى حال المسجد، وإنما الإجتماع المسيحى الذى يأتى على قمتـــه السيد المسيح.. كما ذكر أن الكنيسة الكاثوليكية هى أكبر الكنائس عدداً فى أفريقيا. تليها الكنائس البروتستانتية ..

وعن تاريخ المسيحية في السودان ، ذكر الكتاب أن أول مسيحى دخل أرض النوبة هو وزير من حاشية الملكة كنداكة ، الملكة الأم فى المملكة المروية ، حوالى سنة ٣٧ م.. وهى حادثة مدونة فى الإصحاح الثامن ، من سفر أعمال الرسل ، الذى سجل الحركة الروحية للكنيسة المسيحية فى الأيام الأولى.. بدءاً من حلول الروح القدس ، فى العام الرابع والثلاثين للميلاد ، حيث بدأت كنيسة المسيح بثلاثة آلاف مؤمن من اليهود القادمين من كل بلدان العالم.. مروراً بجهود بطرس وبولس .. إنتهاء بإقامة بولس لمدة سنتين فى روما ، فى منزل إستأجره لنفسه .. وكان يكرز فيه، مبشراً بالمسيح بمجاهرة وبلا مانع ، رغم أنه كان يعد فى سجن تحفظى....

وذكر الكتاب البدايات الأولى للمسيحية عن طريق متى الرسول.. وهنا يؤيد الكتاب رأى الأب فانتينى ، أنه لا يوجد ما يؤكد هذا ، ولكن السنكسار، وهو كتاب سير القديسين ذكر هذا كما ذكر أيضاً كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، حيث قال أن القديس متى أحد الأثنى عشر ، ذهب الى بلاد حبشة أسيا وربما تكون اليمن . ثم ذهب الى حبشة أفريقيا وهى السودان ، حيث قابل خصى الملكة كنداكة.. ويذكر كتاب سير القديسين أيضاً أن فيلبس الرسول ذهب الى الحبشة .. ولكن الخريدة النفيسة تقول : إنه ذهب شمال قارة أسيا ، وكانت كلمة حبشة تطلق على كل أصحاب البشرة السوداء..

وبعد هذا توارد المهاجرون الى السودان من الرهبان والتجار والشباب الهاربين من بطش الرومان.. ونشروا المسيحية ، كما أن أسوان هىّ مركز تأثير وتبشير على السودان وكان أساقفتها يزورون السودان للتبشير.. شكراً للشابين الواعدين ، طارق والبشير، وفى إنتظار أبحاث أخرى لهما..

٤٢.ملكات سودانيات

الملكة كنداكة : يذكر لنا سفر أعمال الرسل والذى كتب فى السنوات الأولى الميلادية أن أول سودانى قبل المسيحية ، ديناً له ، هو الخصى الحبشى .. وزير الملكة كنداكة ، ملكة الحبشة. كلاهما طبعا حبشى .. الملكة والوزير.. وحبشى هنا تعنى .. سودانى ، فهو سودانى لملكة سودانية.. وتقول دائرة المعارف الكتابية الجزء السادس صفحة ٣٨٦.. أن إسم كنداكة ، هو لقب حملته عدة ملكات من ملكات الحبشة خلال ستة قرون .. من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث

بعد الميلاد.. والمقصود بالحبشة هنا مملكة النوبة فى شمال السودان .. وكانت عاصمتها مروى . والأرجح إن كنداكة المذكورة هنا ، كانت هى الملكة "أمانى تيرى".. التى حكمت من٢٥-٤١م.. وقد بنت هىّ وزوجها عدة معابد فى النوبة.. وقد كشف الآثريون عن هرمها ومقبرتها فى مروى. وقد علمت أن كلمة كنداكة تعنى المرأة العظيمة أو المرأة المحترمة ، القوية.. وتستعمل هذه الكلمة حتى الأن فى غرب السودان، لتعبر عن المرأة المميزة القيادية...

وفى أيام السلطان خليل الأشرف بن قلاوون.. وكان الملك شمامون ، هو ملك النوبة وهذا يأتى فى أواخر القرن الثالث عشر.. وكان السلطان قد أخذ أم الملك وزوجاته رهائن عنده في الباب السلطانى. وحدث ان الملك النوبي كان يخاف على امه وحريمه ، فأرسل رسالة مع وفد برئاسة شقيقه البرسى يقول فيها : أنه يطلب عودة الأم وحريمه ، وذلك لأنه لا يدير ملوك النوبة سوى النساء.. وكانت عادة ملوك النوبة أن مكانة كبيرة للملكة الوالدة المروية .. وكانت تشترك مع الملك فى إدارة شئون البلاد.. وهذا يعني أن هذه العادة إستمرت أكثر من ألف وخمسمائة عام...

ملكات سودانيات : كانت الملكة السودانية جزء من شئون الدولة.. سواء كانت هىً الملكة أو هى أم الملك.. ووجدت فى اللوحات القديمة التى ترجع الى العصر المسيحى ، لوحة تمثل الملكة "ثيودورا" نفسها وهي زوجة الإمبراطور والتى أرسلت البعثة التبشيرية ، على معتقد كنيسة الإسكندرية.. واللوحة ترسم الملكة الروحانية ، وهى فى حماية الملاك ميخائيل ، ووجدت فى كنيسة فرص.. كما عثر على صورة للقديسة مريم العذراء.. مع أميرة نوبية .. هىً زوجة الأبرخص نائب الملك.. وترجع مكانة الملكة الأم إلى بدايات فيها كانت تشارك فى مهرجان التجليس.. وتجهيز الإحتفالات والمشاركة بإبداء الرأى والمشورة .. هذا منذ عهد بعانخى .. ثم تزايد نفوذ المرأة حتى صارت ملكة .. ولم يكن هناك إعتراض من رجال السودان إذا تماكت إمرأة .. مما إضطر الملكة " حتشبسوت " أن تلبس ملابس الرجال.. وتلقب نفسها ملكاً بالمذكر .. وليس بالموئنث.. بل إنها إدعت إنها إبنة الإله آمون.. الذى تزوج بأمها.. فالأم هنا هىّ زوجة الإله .. وهذا هو نفسه ما إدعته " كيلوباتره " وهو ما يسمى أسطورة " المولد الإلهى " والتى لجأ إليها الملوك.. لكى يسكتوا المعارضة وعلى الأخص أن المصرى القديم كان يكره أن يرى إمرأة على العرش.. ولكن الفراعنة حفاظاً على العرش تزوجوا بأخواتهم..

وكان نظام توريث العرش في مملكة كوش ، هو نظام خليط أبوى أموى.. وترتب على ذلك أن الخال الذى يورث إبن أخته العرش .. يكون هو والد لهذا

الإبن.. وكان الخال أيضاً قريب جداً للعرش السودانى ، إعتقاداً أن الخال والد كما يقولون.. وإعتبار أن وجود الملكة الأم وشقيقها يخفف من بطش الحكام ، نظراً لِمَ تحمله المرأة فى أعماقها من عطف وقلب حنون ...

أول ملكـــة : ويؤكد المؤرخون الآتى :

١ * إن أول ملكة سودانية هىَ الملكة " برتارى " التى جلست على العرش المروى ٢٨٠ ق. م. ودفنت فى الهرم العاشر بالبجراوية الجنوبية ، وهىَ التى بادرت ببنــــاء هرمها ، وسط إهرامات الملوك فى الجبانة الجنوبية.. وبعدها سارت الملكـــات السودانيات على نفس النهج.. وهذا تغيير واضح لسنة الملك بعانخى الذى كان يفرد مكانا خاصا للنساء. . ونقشت على هرم الملكة برتارى الألقاب الملكية نفسها ولقب إبن رع وملك الجنوب والشمال..

٢ * الملكة " شنك دخفو " هى الملكة الثانية التى تولت السلطة من عام ١٧٠- ١٦٠ ق.م ووجد لها صورة وهىَ تقضى على الأسرى ، بما يعنى قوتها ، وعظمتها ، والصورة منقوشة فى بوابة هرمها بالبجراوية..

٣ * توالى بعد هذا ملكات متعددات.. نذكر منهن : الكنداكة " أمانى شختو " والتى كانت عوراء مسترجلة .. وكانت تقيم خارج نبته.. وكان إبنها يقود الجيش.. وهىَ واجهت الحملة الرومانية وإتخذت لقب كور أو حاكم.. ولها هرم عظيم يحمل إسمها وتصاويرها .. وهى تقضى على مجموعة من الأسرى ، وهرمها رقم ٦ بالبجراوية وقد نقلت مجوهراتها وأدواتها البرونزية والفخارية إلى متاحف " ميونخ وبرلين ".

٤ * الملكة " أمانى تيرى ".. والتي في عهدها دخلت المسيحية إلى السودان.. على يد وزير ماليتها الخصى الحبشى ، وهى مع زوجها " نتكامى " أعادا بناء مدينة نبتة.

٤٣ .خريطة التكامل فى وادى النيل

قبيلة الأقباط : في بحث قيم للأستاذ رفعت حكيم سكرتير الجمعية القبطية.. والمهتم بالثقافة القبطية وترابطها مع ثقافة السودان ، كجزء من كل ، تحدث عن قبيلة الأقباط وقال : إن الأقباط يرتبطون مع السودان بعلاقة التجاور المكاني .. وعلاقة الثقافة المشتركة .. وعلاقة التأثير على الأقل فيما يخص الجزء الشمالى من السودان.. فالناظر الى خريطة السودان يلاحظ أنه لا توجد حدود طبيعية تفصل بين جنوب مصر وشمال السودان.. فكل ما هنالك هو خط وهمى يسمى خط العرض

٢٢ شمالاً.. وهو يمثل الحدود السياسية ، ثم خط أخر يسير مع نفس الخط الوهمى.. ولكنه يعلو ويهبط بالقرب من مجرى النيل ، وعند الركن الشمالى الشرقى ليستوعب حركة إنتشار القبائل بين البلدين ، إذ أن السكان على ضفتى الحدود يعيشون فى بيئة طبيعية متماثلة .. وتجمع بينهم ثقافة مشتركة. ومن يزور متحف السودان يلمح تطابقا فى الإنتاج الفكرى من معتقدات .. وقيم.. وفى الأساليب الفنية للتعبير: من نحت ورسم وفنون دقيقة .. بين السودان ومصر..

بل أن الدارس للآثار الفخارية والأهرامات السودانية والمبانى النوبية القديمة والتماثيل والنقوش .. يلمح هذا التماثل.. كما إن التاريخ يحدثنا أن الأخذ والعطاء ، كان متبادلاً بين الفريقين.. فإذا قويت شكيمة ملوك مصر، مدوا نفوذهم جنوباً حتى وصل ذلك النفوذ أيام الملك " أحمس" الى دنقلا.. وإذا ضعف هؤلاء الملوك ، إنحسر نفوذهم عن شمال السودان ، وأسس النوبيون مملكتهم المستقلة التى أخذت تتقوى شيئاً فشيئاً.. حتى إستطاع ملوكها أن يغيروا على مصر، وأن يحكموها باسم الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية .. وكان ذلك بين عامي ٧١٥-٦٧٠.. قبل الميلاد.. ثم لما غزا الأشوريون مصر ، عاد النوبيون ليتحصنوا ببلادهم.. وإن بقوا على صلة بالحضارة المصرية التى يدينون بديانتها ويستخدمون أساليبها الفنية .. ويكتبون بنفس خطها الهيروغليفى ، حتى طوروا شيئاً فشيئاً خطهم الذى عُرف بالخط المروى..

بل هناك من يرى أن سكان مصر هم نوبيون أتوا من النوبة وإستقروا في مصر.. وهناك من يرى العكس.. وكان ملوك كوش والنوبة ، يتفاخرون بانهم لا يرغبون فـــيإحتلال بلاد ليحكمونها، غير بلادهم .. وعلى هذا يرى البعض أن غزو حكام السودان لمصر، إنما هو تحرك داخلى فى إطار وادى النيل.. وعندما غزا بعانخى مصر حتى الدلتا ، كان فى كل إقليم يمر بمعبد إله الإقليم .. ويأخذ بركته.. ويجرى البعض التعديلات على المكان لحسابه الخاص..

مسيرة التكامل : وفي العصر المسيحى إستمرت مسيرة التكامل ، حيث جاءت المسيحية إلى مصر أولا ثم وفدت منها إلى السودان ، وقامت الكنيسة القبطية بدور كبير فى تأصيل هذه الدعوة ونشرها ، حتى إستقرت تماماً فى وجدان الشعب النوبى .. مسيحيةٍ يعقوبيةٍ خالصةٍ.. حيث رفضت الممالك النوبية مسيحية الملوك أو المذهب الملكانى.. وبعد هذا أصبحت ممالك النوبة ملاذاً يستجير به الأقباط الذين يقع عليهم إضطهاد فى بلدهم..

وكان ملك النوبة يعتبر نفسه المدافع عنهم بطريقة الأقباط ، بإعتباره الاب الروحى للكنيسة النوبية ويذكر لنا التاريخ أنه فى عام ٧٤٥ م.. فى القرن الثالث

الميلادى ، ضرب القحط بلاد مصر وعجز الأقباط عن دفع الجزية المفروضة عليهم، فعمد والى مصر إلى القبض على البطريق وسجنه حتى يكون ذلك دافعاً لأتباعه على بذل أقصى الجهد لدفع الجزية.. ولما بلغ الخبرإلى قيرياقوص ملك النوبة ، أرسل نائبه أولاً ويدعى " الأبرخص " وهذا لقبه ، ولكن حاكم مصر ألقى به فى السجن مع البطريق ، وما كان من قيرياقوص بعد هذا إلا أن أعد جيشاً ضخماً قوامه عشرة الآف فارس ، وعشرة الآف فرس ، وعشرة الآف ناقة.. وبدأ من مقر مُلكهِ ماراً بأسوان حتى الفسطاط ، ونزل هناك حتى سمى المكان " بركة الحبش"..

ولما علم والى مصر ، أطلق سراح البطريق ومن معه.. والنائب الأول الأبرخص لملك النوبة.. وإنتهت الحملة ، ورجع الملك النوبى بأمر قداسة البابا إلى موقعه.. وإستمرت مسيرة التكامل هكذا بين مصر والسودان ، ولكنها تدهورت خلال إحتياج العثمانيين والمماليك ، لبلاد النوبة ، وتعقب المسيحية فيها وهرب الأقباط من السودان ليظل السودان بعد هذا خلال القرن السابع عشر والثامن عشر، خالياً منهم، حتى عادوا مرةٍ ثانيةٍ مع حملة محمد على لفتح صفحة جديدة ومشاركةٍ جديدةٍ ومجيدةٍ فى المجتمع السودانى..

٤٤ . محمد على ومسيرة التكامل

محمد على : إهتم محمد على بالسودان إهتماماً كبيراً ورغب بأى طريقةٍ أن تمتد الإدارةِ المصرية إلى السودان .. وقد بدأ فعلاً عام ١٨٢٠.. وتم فتح الخرطوم ، وبعد هذا فتح دنقلا، ويرى البعض أن هذا يعد توسعاً إستعمارياً، بينما يرى آخرون أن الأمر ليس كذلك لأن من يرى الأمر بإعتباره إستعماراً، إنما يصور الأمور فى ذلك الوقت من جهة نظرنا اليوم وتضع الرجل وعصره فى موضعنا الحاضر وتجرى فى ذهنه ما يجرى فى أذهاننا.. وهذا بحسب تصور المؤرخ المصرى شوقى الجمل ، والذى يرى أن هناك عوامل طبيعية وعوامل خارجية.. تقف أمام إمتداد محمد على ، إلى السودان ..

أما العوامل الطبيعية ، فقد كان يعرفها محمد على ، لقد كان يدرك أن أول مشاكله سوف تكون مع الطبيعة أكثر منها ، مع المحاربين مثل جنادل تعترض مجرى النهر ، كما كان لازماً أن يلتزم الجيش بطريق النهر ، وإلا مات الجنود عطشاً ...

أما العوامل الخارجية ، فهى معارضة بريطانيا والتى كانت متوقعة جداً.. لقد كان الإنجليز يعتبرون محمد على خليفة لفرنسا فى مصر ، ولم يخفِ محمد على هذا ، فلقد كان ولهاً بفرنسا شغوفاً بها ، ويرغب أن تكون مصر مثل فرنسا..

أما العوامل الداخلية، فتتمثل فى وجود المماليك المحاربين فى السودان، الذى إنقسم إلى دويلات .. وكان يخشى أن تتحد معاً .. وتقف أمام الجيش الزاحف..

لماذا تدخل محمد على ؟ : نحن نعلم أن محمد على نفسه لم يكن مصرياً بل كان ألبانياً... ولكنه إختار أهل مصر .. لقد ذهب كبار رجال الأمة إلى منزله ووضعوا فيه الأمل لإنقاذ مصر من الفوضى التى كانت فيها.. ولما صار محمد على والياً لمصر ، كان فى إخلاص المصريين لمصر ، ولم يكن أقل منهم وطنية.. وكانت قراراته ، قرارات حاسمةٍ لأجل فراعنة مصر وذلك لدواعى أمنيةٍ.. فهو يؤمن ظهره كما يؤمن التجارة بين وادى النيل شمالاً وجنوباً..

وقد صنع المماليك فى السودان ما يخيف محمد على ، على أمن مصر ، لقد حاول محمد على أن يقضى على المماليك، ولكن شرذمة منهم دخلت السودان حتى دنقلة، وظلوا هناك يمونون أنفسهم للعودة الى مصر على رأس جيشٍ كبيرٍ.. وأربكوا الحياة وأشاعوا الفوضى وهددوا طريق درب الأربعين ، الذى كان منذ الفراعنة موقع إهتمام مصر ، وهذا الطريق مرتبط بالبحر الأحمر .. وبالأماكن المقدسةِ فى شبه الجزيرة العربية..

عودة الأقباط : وإستعان محمد على فى الدخول إلى السودان بعدد كبير من الأقباط، لتأسيس الإدارة الحكومية الجديدة ، ومعهم حضر الموظفون العموميون من مصر ومعهم أصحاب الخبرات الفنية من: بناة وتجار وأعمال حديد.. وكان عدد كبير منهم من أقباط مصر لما حضروا أسسوا كنيسةٍ قبطيةٍ فى موقع الهيئة القومية للكهرباء الأن ، وهى كنيسة تضم أساقفة أقباط، يذكر منهم العم المحترم نجيب يسى فى مذكرات له غير مطبوعة الأنبــا دميانوس والذى كان أول أسقف على السودان فى عام ١٨٢٣.. أى بعد عشر سنوات من الفتح العثمانى ، للسودان بواسطة محمد على.. وكان هذا فى عهد البابا بطرس الجاولى.. وقد دفن الأسقف فى الكنيسة بحسب الطقوس القبطية، ورسم نفس البابا السابق أسقفاً أخر هو الأنبا غبريال والذى ظل يخدم فى السودان حتى أخر أيامه.. ودفن بنفس الكنيسة القبطية، والتى كانت فى موقع الهيئة القومية للكهرباء.. وبعد هذا تمت رسامة الأنبا مكاريوس فى ٢٧ أكتوبر.. وتقع هذه الفترة أيضاً فى زمان البابا بطرس الجاولى..

وعندما إجتاح المهدى بقواته مدينة الخرطوم بهدف إزالة معالم مركز الحكم التركى الذى كان عندهم ، وإستوى فى الهدم الجامع والكنيسة.. ومنازل الأهلين .. وصدرت الأوامر للسكان بالإنتقال الى أمدرمان العاصمة الجديدة.. وفى أمدرمان إستمر تعايش الأقباط مع غيرهم من الناس فى ود وسلام .. سواء منهم من أشهر إسلامه أو من بقى على دينه.. وكان لهم دور رائد فى رعاية بيت المال وفى التعليم، ولأن الخلاوى كانت الوحيدة فى المدارس الأولى المسموح بها ، فقد إقام أحد أقباط أمدرمان ، وفى شارع البحر خلوة بولس.. وكان يقوم بدفع راتب الفقيه ، وساهمت هذه الخلوة مع غيرها فى إعداد الدفعة الأولى من تلاميذ مدرسة أمدرمان الوسطى ، والتى أقيمت عام ١٩١٠..

ودخل الأقباط خلال هذه الفترة فى الخلاوى ، وتعلموا مع رفقائهم ، حتى وصل الحكم الثنائى، لكى تعود الخرطوم عاصمة ، ويعود من يعود إليها مرة أخرى.. بعضهم عاد وآخرون ظلوا فى أمدرمان وكونوا مجتمعاً قبطياً مترابطاً متآخياً.. تحت مظلة قبيلة الأقباط التى هىّ واحدة من قبائل السودان..

٤٥. الأقباط قبيلة سودانية

رفعت حكيم : الأستاذ رفعت حكيم واحد من هواة الثقافة فى السودان .. وقد أسس فى الكنيسة القبطية مركز الثقافة القبطى وعاونه وساعده على تحقيق رؤياه الأب القمص أنطونيوس السريانى ، هذا فى عام ١٩٧٢ تقريباً .. وقد أصدر مركز الثقافة القبطى ، عدة مقالات، شاركت بالكتابة فيها. ومن كتابات رفعت حكيم وهو خريج قسم صحافة آداب القاهرة ، مقال فى ست صفحات عنوانه "الأقباط كقبيلة سودانية ".. ويبدأ المقال بطرح سؤال مؤداه لماذا هذا المقال ؟ ويقدم إجابة للتساؤل بأن أستاذاً فى إحدى الكليات النظرية فى السودان طلب من الطلبة أن يكتب كل منهم بحثاً عن قبيلته.. ويقول حكيم أن يومها إنزعج الطلاب الأقباط فى تلك الكلية لأنهم لم يتعودوا أن يسمعوا عن الأقباط ، كقبيلة سودانية .. وظن بعضهم أن فى الأمر تعجيزاً لهم... ولتهدئة الخواطر طرح رفعت سؤالاً يقول : ولماذا لا يكون الأقباط قبيلة سودانية ؟.. أليست القبيلة هى مجموعة من الناس ، تجمعهم روابط معينة ولهم أسلوب خاص.. ثم هم يتعايشون مع القبائل الأخرى فى إطار الوطن الكبير، يأخذون ويعطون ؟... وأدلى بدلوى لأقول: إن هذا التعبير صحيح.. نعم الأقباط قبيلة سودانية ولا يمكن أن يعنى هذا تقسيم السودان ، على أساس الدين..

كلا.. فهناك قبائل متعددة ، كلها تدين بالإسلام ، ولكن تختلف الواحدة عن الأخرى فى تناول أمور عديدة.. وفى فروع ثقافية متنوعة..

والسودان وطن ، متعدد القبائل.. والقبائل تتجانس معاً ، وتتوحد معاً ، يوحدها الوطن الواحد. ولقد عاش الأقباط مع كافة القبائل السودانية وتحت أنظمة الحكم الشمولية وغير الشمولية ، وذاقوا مع غيرهم ، ما ذاقوا .. وشربوا من كأس الإستبداد ، ما شربوا.. وعندما نقول أن حكومة الإنقاذ لم تعين وزيراً واحداً من الأقباط .. فهذا لا يعنى تقسيم الناس فى السودان.. تقسيماً دينياً.. الأقباط قبيلة سودانية تمتلىء بالكفاءات النادرة .. وكون الحكومة تتجاهل هذه القبيلة فى حقائب الدولة .. فهذا أمر غريب جداً ، لا يقبله المواطن إطلاقاً..

وقد بدأت قبيلة الأقباط فى السودان تتعامل مع القبائل الأخرى منذ الأيام القديمة.. قبل تفجر المسيحية إشراقاً روحياً وقبل ظهور الإسلام.. كان الأقباط يهاجرون إلى الجنوب وموسم الهجرة إلى الجنوب ، موسم قديم.. هاجروا للتجارة. هاجروا رهباناً للنسكِ والتوحد.. هاجروا هروباً من القبضة الحاكمة للسلطان الرومانى...

تجاوب الأخذ والعطاء : وقد أخذ أقباط السودان ، الكثير من السودان.. أخذوا نجاحاً في العمل.. ومكانة إجتماعية متميزة ، يشهد بها حضورهم الفاعل فى كافة التجمعات العلمية والفنية والفئوية.. ويقول رفعت حكيم : إن الأقباط تشربوا الروح القبلية السائدة في السودان... وتعلموا أن ينظموا أنفسهم كواحدة من المجموعات العرقية التى يتميز بها السودان المتعدد الأعراق ، والثقافات ، والأديان..

وأقاموا المؤسسات الإجتماعية والثقافية ، التى تجمعهم والتى لا تخلو منها واحدة من المدن الكبري ، وهو أمر لا نجد له مثيلاً في بلدهم الأصلى مصر.. ولا في بلاد المهجر ، كالولايات المتحدة وكندا ، التي هاجر إليها عدد كبير من الأقباط، أصحاب الكفاءات العلمية العالية والثروات الطائلة.. ولكنهم لم يفكروا في إقامة مؤسسات ، تلم شمل أبناء الطائفة .. وكل ما يذكر لهم أنهم أقاموا رابطة أكاديمية لبعض دارسى علم القبطيات.. وهى تصدر بين حين وأخر بعض الدراسات عن : الثقافة القبطية .. ولكننا لا نكاد نسمع عن تلاحم إجتماعى وإنسانى، بين أبناء الطائفة مثلما يحدث فى السودان..

وأعلم من كثيرين من الأقباط الذين هاجروا الى الخارج ، يعودون الأن على الأقل لدراسة إمكانية العودة ، وإن لم يكن ، فللمشاركة فى المناسبات القومية والعائلية والدينية .. وأعرف بعض الأسر القبطية السودانية فى الخارج ، تجاهد

فى العمل طول العام أو أكثر لأدخار ثمن التذاكر ، والمجيء الى السودان ، لممارسة حياة إجتماعية ، عشقوها وأحبوها.. وبالمقابل أيضاً إستوعب المجتمع السودانى المؤسسات القبطية وإعتبرها ظاهرة طبيعية .. ولم يجد فرقاً بين النادى القبطى والنادى النوبى.. أو بين المكتبة القبطية ونادى المحس.. أو أبناء الزوفة أو نادى أبناء حلفا..

إن الشعور العام فى السودان ، هو أن من حق كل مجموعة عرقية أو دينية ، أن تعبر عن نفسها ، وهذا إثراء للمجتمع ، وليس إقصاء للتماسك الإجتماعى.. إنما هو بناء إجتماعى متنوع ومتميز .. وصلب وقوى ومكين..

٤٦ . النوبة أعظم من الذهب

بلاد الذهب : إن النوبة هى بلاد الذهب لأن كلمة نوبة كلمة قبطية ، تعنى ذهب ، ومن هنا جاء إسم القديس أبانوب أى صاحب الذهب.. وعندما سُميت النوبة الذهب ، كان الذهب المقصود هو الذهب حرفياً ، أما أبانوب فهو الصبى الفاضل الذى كان يملك ذهباً هو أخلاقه الرفيعةُ وحياة التقوى مع الله.. وهذه إحدى المعانى الرمزية للذهب..

وكان واحد من رجال اللاهوت خطيباً ، بارعاً ، مقتدراً كلامه من الذهب، ولذا سُمىَ يوحنا فم الذهب أو ذهبى الفم، أو الذهبى فمه ، ويقولون عنه أنه دعم فمه الذهبى بحياته الذهبيةِ حيث كان له قلب نارى ، وروحاً لا يهدأ ، يحب خلاص النفس فى غير حدود، مقدماً حياته من أجل كل أحد.. كان بليغاً يفسر كلمة الحق بإستقامة.. وكانت حياتهِ الذهبية ذات روح تعبديةٍ فى خوف ورعدة أمام الله، حتى لا يصدأ الذهب ، وفم الذهب من رجال اللاهوت فى القرن الرابع الميلادى ، وقبل هذا بعدة قرون ، كانت نصيحة يوحنا اللاهوتى عندما كتب فى سفر الرؤيا فى العام المائة لميلاد السيد المسيح إلى أسقف كنيسة لاودوكيا، والذى إعتقد أنه غنى وأنه قد إستغنى ، وهذا كلام خطير فى عالم الروح ، لأن المؤمن دوماً فقير إلى الله.. متواضع أمامهُ.. وكانت الرسائل إلى هذا الأسقف الغنى والمستغى: لأنك تقول إنى أنا غنى وقد إستغنيتُ ولا حاجة لى إلى شىء، ولستَ تعلم إنك أنتَ الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان ، أشير عليك أن تشترى منى ذهباً مصفى بالنار لكى تستغنىَ.. وثياباً بيضاً لكى تلبس ، فلا يظهر خزى عُريتك.. وكحل عينيك بكحل ، لكى تبصر.. إن كل من أحبه أوبخه وأؤدبه ، فكن غيوراً وتب(رؤيا ٣).. وكل هذه

الأشياء الذهب والثياب والكحل ، ليست سوى رموزاً روحيةٍ لفضائل روحية.. ويظل الذهب رمزاً للنقاء فى عدم قابليته للصدأ .. ورمزاً للخروج بإنتصار من التجربة كما يقول أيوب: البوطه للفضة والكور للذهبِ، وممتحن القلوب الرب (أمثال ١٧:٣) .. والله ينقى من الإنسان الزغل وينزع الأمور غير المقدسة ، وأرد يدى عليكَ وأنقى زغلك كأنه بالبورق ، وأنزع كل قصديرك (أشعياء ٢٥:١).. حتى أن اليومِ الأخير هو يوم إمتحان، مثل إمتحان الذهب بالنار ، ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره ، لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار، فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضةِ ، فينقى بنى لاوى ويصفيهم كالذهبِ والفضةِ ، ليكونوا مقربين للربِ تقدمة بالبر (ملاخى ٣).. ونفس التشبيه ليوم الرب، أنه يأتى اليوم المتقد كالتنور.. وهذه النار الممحصة سوف ينقىَ فيها الذهب. (ملاخى ٤)..

مجازية الذهب : ولا شك أن للذهب هنا رمزيةٍ معينةٍ ، وعندما تحدث القرآن الكريم عن ثواب الآخرة قال عن المؤمنين ☹ أولئك لهم جناتِ عدن تجرى من تحتهم الأنهار ، يحلونَ فيها من أساور من ذهب ، ويلبسونَ ثياباً خضراً من سندس ، وإستبرق متكئين فيها على الأرائكِ ، نعم الثواب وحسنت مرتفقاً (الكهف ٣١).. أدخلوا الجنةِ أنتم وأزواجكم تجبرون، يطاف عليهم بصحاف من ذهبٍ وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلَذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون (سورة الزخرف ٧١)..

ولأن الذهب غالٍ ونفيس ، فإن سليمان الحكيم رفع من شأنها ولأنه عرف قيمة الذهب فى بناء هيكل الرب ، وفى غشاء الذهب الذى وضعه على التابوت والكروبيم الذى صنعه من ذهب ، ليقدم أغلى شىء لبيت الرب ، وقد ساوى بين الحكمةِ والذهبِ.. طوبى للإنسان الذى يجد الحكمةِ ، وللرجل الذى ينال الفهم ، لأن تجارتها خير من تجارةِ الفضةِ ، وربحها خير من الذهبِ الخالصِ (أمثال ١٤:٣).. خذوا تأديبى لا الفضة ، والمعرفةِ أكثر من الذهبِ المختار (أمثال ١٠:٨).. وتقول الحكمةُ : أنا الحكمةُ أسكن الذكاءِ ، عندى الغنى والكرامةِ ثمرى خير من الذهبِ ، وغلتى خير من الفضةِ المختارةِ (أمثال ١٩:٨)..

قنية الحكمة كم هىَ خير من الذهب ، وقنية الفهم تختار على الفضةِ (أمثال ١٦:١٦) .. والشخص الحكيم الذى يوبخك يضع ذهباً فى أذنك قرط من ذهبٍ وحلى من إبريز، الموبخ الحكيم لأذن سامعه (أمثال ١٢:٢٥).. ولذلك يقولون فى العاميةِ : ضع كلامى حلقاً فى أذنك..

هذا هو شغف الناس بالذهب ، ولكن ما رأيكم فى بلاد النوبة التى لم تعبأ بالذهبِ ؟.. كان ترابها هو تبر وذهب.. وكان أهلوها أعظم من الذهبِ، وحكماؤها

أثمن من كل ذهبٍ نفيسٍ.. ولهذا ينبغي أن نكتب عن النوبةِ كلاماً من ذهبٍ ، ونحن نُحيي ذكراها العطرةُ ، مجداً قديماً لنا..

٤٧ . النوبة تيجان من الذهب

الملك والذهب : لأن الذهب غالٍ وقيم ورفيع القيمةِ ، فإن الملوكِ يرتبطون بالذهبِ ويلبسون تيجاناً من الذهبِ مرصعةً بجواهر أخرى.. ويذكر لنا تاريخ ملوك روما أن الملك قسطنطين وضع مسامير صلب السيد المسيح فى التاج الملكى ، وصار بعد هذا تقليداً متبعاً فى تيجان الملوك.. ويذكر لنا إنجيل متى البشير إنه بعد ميلاد السيد المسيح ، فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمه فى المشرقِ وأتينا لنسجدَ له ؟.. وكان هذا النجم يتقدمهم ، وبعد رحلةٍ شاقةٍ ، قطعت مسيرة بركتها زيارة هيرودس الملك الثعلب الماكر .. وعندما وصلوا قدموا للطفل المولود فى المذودِ هداياهم هيّ: ذهباً ولباناً ومراً.. ويستوقفنا هنا تقديم الذهب للطفل المولود ، للتأكيد أنه ملك عظيم ، فالذهب هدية للملوكِ ، ورمز للقيمة العليا للملك القادم مولوداً فى بيتِ لحمٍ.. ولهذا وحتى الأن يعتز الملوك بالذهبِ ويلبسونه تاجاً على رؤوسهم.. وعلى نفس المستوى وفى طقوس الكنيسة القبطيةِ ، يلبس العروسان تاجان من لونِ الذهب رمزاً أن الرجل ملك على أسرته والزوجة كرمةٍ فى البيت ، زوجة الملك..

وعندما كان يؤكد الإرتباط بين زوجين ، يلبس الرجل والمرأة خاتماً من ذهبٍ ، تأكيداً للإرتباط ، وعندما إختار لعازر الدمشقى عبد إبراهيم ، زوجةً لإسحق بن إبراهيم ، كان قد مضى إلى هناك جاهزاً ، وعندما رأى رفقة وأعجب بها أخذ خزامةٍ من ذهبٍ وسوارين من ذهبٍ وألبسها .. وكانت هذه أول شبكةٍ أو أول مهرٍ لخطب إمرأة.. الخزامة فى الأنفِ والسوارين على يديها.. وهكذا ومنذ الأيام الأولي، وفى كل بلدان العالم ، شق الذهب طريقهِ معدناً غالياً ، راقياً نفيساً.. وكانت النوبة هى وطن الذهب، وبها مناجم الذهب.. كانت تقع بجوار مجرى نهر النيل.. وإن حوالى مائة منجمٍ كانت مبعثرةٍ فى الصحراءِ الشرقيةِ على مسافاتٍ تبلغُ مائة وخمسين ميلاً من ضفاف النيل..

وقد بينت سجلات تحتمس ، أغلى ممتلكات معدن الذهب ، والذى كان من أكثر الأمور حيويةٍ لإمبراطورية الفراعنة.. وقد جاء وقت وفرت مناجم الذهب الدعم

الإقتصادى للإمبراطوريات النوبيةِ فى نبتة ومروى.. بل كان الذهب ، هو مفتاح السياسة الرومانية فى كل من مصر والنوبةِ...
تيجان الملوك : كان الملوك يلبسون تيجاناً من ذهب .. والذهب عندهم كثير كما يقول المؤرخين : حتى أن المسعودى وثق كتاباً بإسم " مروج الذهب".. ليتحدث فيه عن النوبةِ ويقول: وأما النوبةِ فقد إفترقت فرقتين، فى شرق النيل وغربه، وأناخت على شطيه ، فإتصلت ديارها بديار القبط فى صعيد مصر، من بلاد أسوان وغيرها.. وإتسعت مساكن النوبة على شاطىء النيل مصعدةٍ، ولحقوا بقريب من أعاليه وبنوا دار مملكة تدعىَ دنقلة .. والفريق الآخر من النوبةِ يقال لها علوةٍ ، وبنوا مدينة للملكِ ، سموها سوبا.. والبلد المتصل من مملكتهِ بأسوان يدعىَ مريس..
وكان تاج الملك من ذهب ، يعلوه صليب من ذهبٍ .. ومن بين الوظائف فى القصر الملكى وظيفة جواتا Cauata ومعناها حامل التاج الملكى أو كبير الحرس الملكى.. وكان الملك الكبير يسمىَ عظيم النوبة .. وكان حكام الولايات أيضاً يدعون ملوكاً يحملون اللقب ويلبسون تاج المُلك.. وقيل عن الملك كيرياكوس ٧٥٠م الذى قاد حملتهِ على مصر لإنقاذ بابا الأقباط من بطش الحاكم العربى إنه يسيطر على ثلاثة عشر ملكاً ، ولهذا أطلق عليه لقب الملك الكبير، أو ملك الملوك ، وعُرف بإسم ملك النوبةِ أو كابيل ملك مقره ونوبة ، وعُرف أيضاً بإسم كاسل.. وكان لملك النوبة شارات وعلامات للملك منها: السرير وهو فى الغالب من خشب الأبنوس والتاج وهو مرصع بالأحجار الكريمةَ يعلوه صليب من ذهبٍ ثم المظلة تُرفع على رأس الملك فى المواكبِ..
ولقد كان ملك النوبةِ ملتزماً ، ليس بلبس الذهبِ ، لأن الملك كان يرسم كاهناً ويشترك فى خدمة القداس الإلهى.. ويشترط عليه أن يكون أخر المتناولين ولا يشترك فى الخدمةِ إلا إذا كان طاهراً ، وفى حالةِ الحربِ لا يسمح له بخدمة القداس الإلهى.. وبهذا كانت النوبة كلها ملوكا وشعباً بتيجان من الذهبِ ، هو قبل كل شىء سلوكاً راقياً متحضراً..

٤٨. ذهب مروي وأين ذهب ؟

صلاح وبريشة : كتب كارل هانز بريشة كتاباً عنوانه " ذهب مروى " وقام الدكتور صلاح عمر الصادق بترجمة الكتاب مع إضافات وتعليقات مهمةٍ وتاريخية ورقيقةٍ

فى متن الكتاب ، وقدم المعرب الكتاب مشيراً إلى أنه لا يتحدث عن كل ذهب مروى، إنما عن جزء من هذا الذهب.. هو ذهب الملكة" أمانى شيختو " والتى حكمت فى النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد .. وهى صاحبة الهرم رقم ٦ حيث وجد الذهب بالإهرامات الشماليةِ الملكية ، والتى تقع شرق المدينة الملكيةَ مروى... على بعد مئتين وعشرة كيلومترات شمال الخرطوم.. والكتاب يتحدث عن الحُلى الذهبية والأحجار الكريمةً، لزينة الملكةُ... إضافة الى بعض القطع الفريدةُ التى دُفنت معها ، وليس كل التحف الذهبية ، إنما جزء منها وهو موجود الأن فى متحف برلين وميونخ.. وقد تم إكتشاف هذا الذهب بواسطةَ طبيب إيطالى إسمه "جوزيف فرلينى " وهو من لصوص الآثار المحترفين ، حيث جمع كل سرقته وباعها لمتحف برلين ومتحف ميونخ، ورغم وصف المترجم للطبيب الإيطالى بأنه لص ، فأريد أن أضيفَ بأنه لص ظريف ولطيف لأنه باع الأثار للمتحف العالمى ، وهى موجودة فيه حتى الأن، ومن يدرى ماذا كان سوف يحدث لو لم يقم هو بهذا العمل ، ربما كنا فقدنا كل شىء وفقد التاريخ سجلاً من سجلاتهِ..

وفي كتاب ذهب مروى مقدمة من متحفي ميونخ وبرلين تقول :إن إنشاء المتاحف في القرن التاسع عشر ، كان يقوم على المنافسةِ الجادةِ بين البيوتات الملكيةِ وبلاطات الأمراءِ في أوربا .. وفي إعتقادى إن هذه منافسة ممتازة ، ولولا إمكانية الملوك والأمراءِ ، لِمَ كتب لأثارنا أن تكون موجودة.. الحمدلله هي موجودة وإن كانت بعيدة عنا ، إنما هى تعبر عنا وعن تاريخنا.. لقد إهتم الملوك والأمراء بتزيين القصور بالأثار والتحف الفنية الرائدة ، وقد إشترك بلاط بافاريا **Bavaria** وبروسيا **Prussia** في هذه المنافسة المعمارية.. وعندما شُيدَ متحف كلينزس جليبوتك **Klenzes Glyptohek** فى ميونخ ، لم يكن مساوياً لمتحف شنكل ألتس **Shinkels Altes** فى برلين ، ولتغطية هذا النقص إتجه المتحف الجديد لشراء قطع متحفيةٍ نادرةٍ..

وكان أهم ما إشتراه المتحف هو كنز كبير لملكةٍ من ملكات السودان القديم.. ووصِف تقديم المتحفين : أن هذا الكنز كأنه قصة خرافية فى الحصولِ عليهِ فى الفن الرفيع مما جعل الملك " لودفيج" الأول ملك بافاريا يتحمس حماساً شديداً فى عام ١٨٤٠..

أين ذهب الذهب ؟: لقد ذهب ذهب مروى إلى متحفين فى بادىء الأمر ولكن عندما تم توحيد متاحف برلين تجمعت الأدوات كلها فى موقع واحدٍ فى قسمين بالمتحف المصرى ببرلين ومجموعة الولاية للفن المصرى بميونخ.. ويرى أهل المتحفين إن هذا الكشف الكبير جاء متأخراً لصرح أثرى راسخ ، وكان عالم البصريات ليبسوس

Richard Lepsus وهو بروسى ، قد حاول أن يؤمن حصةً لمتحف ميونخ ، وذهب إلى مروى عام ١٨٤٤ وواقعياً إقتنع بأن الكنز حقيقى ،وعاد ليقتنع ويليام الرابع لشراء باقى المتحف التى لم يشتريها الملك لودفيج الأول.. ويمكن أن يقارن هذا الآثر بكنز مقبرة الملك نون عنخ آمون ، أو كنوز ملوك تانيس ، ويعلق لإكتشاف كنز الذهب للملكة " أمانى شختو " ، الملكة المروية ، بأنه أعظم إكتشاف خلال مائة وخمسين عاماً من البحثِ والتنقيبِ فى الآثار..

لقد كانت الإهرامات فى مروى تخفى كنوز الذهب، وكان إسم الإهرامات " الطرابيل " ، وهو إسم محلى أطلقه السكان على الأهرامات ، وقد وصف كايو عن الترابيل وقال : لا يمكن تصور الفرح الذى شعرت به عندما وقع نظرى على حشد من الإهرامات، أطرافها تتلآلآ بجلالٍ بواسطة أشعة الشمس والتى إرتفعت فوق الأفق.. وبإتجاه الغرب لمحت مجموعة إهرامات ثانية وفضاءٍ واسعا كبيراً على مقربةٍ من النيلِ ، تغطيه أطلال أكوام من حجارة المبانى ، تشير إلى موقع مدينةٍ قديمةٍ.. وأقدم آثر لإستيطان المدينة، تعود إلى بداية القرن السادس قبل الميلاد..

وقد تم إكتشاف الكنز بواسطة الإيطالى فرلينى وهو طبيب عسكرى فى الجيش المصرى وأراد أن يقوم بعمل نافعٍ فى ألآثار.. وبعد جهد جهيد عثر على مقبرة الملكة " أمانى شختو " كميات كبيرة وكثيرة من الذهب ، والتى تفوق عدداً وعظمةً ، كل ما يوجد فى متاحف أوربا.. وقد عثر على خواتم ذهبية بين أحجار البناء.. وقد وجد أن الكنز ينقصه أربعة إسورةٍ وخاتم درعى ، وأربعة خواتم منقوشةٍ وثلاثة تماثيلٍ ذهبيةٍ على شكل إبن وخرزة كبيرة من العقيق.. إن ذهب مروى الأن خارج مروى ، وليس لدينا سوى كتابات وصور عنه...

٤٩ . صناعة الذهب في النوبة

فرعون مصر : إنشغل فراعنة مصر بالذهب ، أبهةً وجلالاً .. وعظمةً وبهاءً.. وإهتم علماء الآثار بالبحث عن الدهب فى مقابر الملوك ، وفى الأهرامات.. إن الذهب هو المعدن اللامع وغير القابل للفسادِ.. وهو المعدن الذى أنبعث منه الألهة.. وقد إعتقد الفراعنةُ أن الربةِ أو الإلهةِ حتحور ، هى تجسيد للذهب.. وشهر هاتور والذى ينبع من حتحور ، هو شهر الذهب المنثور..

إعتقد الفراعنةُ أن الذهب معدن إلهى ، يضفى الحياة الخالدةُ.. ولهذا صار اللون الأصفر هو الرمز الجنائزى ، وصنع قرين الملك أو شبهه من الذهبِ، ومكان

الصناعة يسمى بيوت الذهب.. كان الفراعنة يحنطون الميت من الأسرة المالكةِ أو كبار القوم، ويضعون قريناً للميت بنفس شكله فوق التابوتِ ، وكان كل هذا من الذهب.. وقالوا أن الذهب النقى فى مصر ، تراب على الطرق .. هكذا قال ملك بابل فى رسالة إلى الملك أمنحوتب ، يطلب منه إرسال ذهبٍ كما كان يفعل أبيهِ.. وقيل عن فرعون إن له جبل ذهبى يضىء المملكةِ كلها مثل إلهِ الأفق..

وكانت النوبة هى مع مصر بلاد منتجة للذهب.. وكانت الجزية التى يطلبها فرعون من أفريقيا هىّ الذهب ، حيث كانت أثيوبيا أو الحبشةِ أو النوبةِ هىّ بلاد الذهب.. وكان فرعون هو القابض على مفتاح أفريقيا... ويقول وليم آدمز: بينما كانت الحروب الأوربيةِ لفيليب الثانى ، ممولة بفضة المكسيك ، كانت قوة مصر فى آسيا ممولة بالذهبِ النوبى ، فأثناء أغلب عهود الأسرة الثامنة عشر ، كانت يد الفرعون قوية بما فيه الكفاية لتحتفظ بقبضةٍ حازمةٍ بفلسطين وسوريا.. وبالرغم من أن نفقة الإحتلال العسكرى كانت بلا أدنى شك عالية ، وضعفت الدولة فى عهد " أخناتون " وتقهقرت الفتوح.. ولكن عادت الفتوح بعد ذلك..

كان ذهب الفرعون ينصرف أساساً الى الوله بالصروح الملكية..وكان ينفق بكمياتٍ ضخمةٍ دائمةٍ لدعم الطموحات الإمبريالية فى آسيا.. وكان على مصر أن تبحث عن الذهب، وإنتاج الذهب من النوبةِ. وكان الذهب فى طريق الأربعين، عند قبائل البجا، شرق السودان.. وطغى ذهب الواوات النوبةِ السُفلىَ ، وذهب كوش من النوبةِ العُليا على كل إنتاج للذهب ، حيث تعكس حوليات تحتمس عن الذهب الآتى إلى مصر من كوش..والذى يبلغ ما يقرب من ثلاثة ملايين دولار ، بأسعار اليوم.. وهذا يشمل عطاء المناجم التى لا يحصى عددها بوادى العلاقى ووادى كبجية ، الذى كان يجلب إلى النيل فى كوبان بالنوبة السفلى ، وهى تزيد عن مئة منجم مبعثرة فى أرجاء الصحراء الشرقية ، على مسافات تبلغ مائة وخمسين ميلاٍ.. وكانت نقطة الرسو لصناعة الذهب فى النوبةِ السفلى قلعة كوبان على مدخل وادى العلاقى..

صناعة الذهب : يبدو أن النوبة إعتمدت فى صناعة الذهبِ على قوافل تأتى من مصرّ مع المؤن ، عن طريق النهر من أسوان.. ومن هنا يبدأون السير الطويل المحفوف بالمخاطر ، براً صوب حقول الذهبِ.. كان العبيد كما يقول آدمز : يشكلون غالبية القوة العاملة .. وبدون لوح منقوشٍ لرمسيس الثانى ، أن نصف قافلة ما لم يصل وماتوا من العطش فى الطريق، ولهذا كانوا يلتزمونَ بالسير بالنيل أو بجوارالنيل، حيث أن عدم وجود تموين من الماءِ والغذاءِ كان سبباً فى عدم الحصول على الذهبِ ، وهذا جعل " رمسيس " يحفر بئراً فى وادى العلاقى ،

ويقولون أن هذا ليس لرفاهية العمال ، إنما رغبة فى التمكن من إستغلال المناجم بأرباح أكثر...

وقد تم كشف هذه البئر بواسطة البعثة الروسية على بعد أربعين ميلاٍ بعيداً عن النيل... أما طريقة إستخراج الذهب معروفة بصخور بلوريةٍ ، فقد جاءت فى شرح ديودوروس الذى زار المناجم وسجل طريقة إستخراج الذهب ، حيث كان يشق الصخر أولاً ، ويكسر بالنار ، ثم يهاجم بالمطارق ، والملاقط ، ثم تحمل الصخرةِ المكسرةِ خارج المنجم حيث تسحق فى مساحن حجريةٍ بحجم حبات البسلةِ.. وبعد ذلك يسحق مسحوقاً دقيقاً فى طواحين يدويةٍ ويغسل المسحوق بالماء على سطح منحدر كى يفصل المعدن الذى ربما يضمن أخيراً فى سبائك صغيرةٍ.. ولا تزال فى المناجم القديمة مخلفات الطاولات الحجريةِ والطواحين.. وكانت للمناجم منشآت دائمة أكواخ ، طاولات للغسيل أوانى للتذويب..

وكان هذا يتم على ضفاف الأنهار.. وجاء ذهب كوش من ولاية دويشاب، وهذا ما تؤكده آثار عثرت عليها مصلحة الآثار السودانيةِ.. إن الذهب يصير نقياً بوضعه فى النار.. وهذه النار لها ميزان معين لا يزيد ولا ينقص.. وهكذا الله، يعطينا التجربة قدر إحتمالنا حتى نكون فى نقاء الذهب، ونتخلص من أى زعل فينا، لآن الله أمين لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل التجربة أيضاً المنفذ ، لتستطيعوا أن تحتملوا..

٥٠ . الأمثال السودانية

بابكر بدرى : أهدانى الأستاذ صلاح عمر الصادق كتاب الأمثال السودانية للشيخ بابكر بدرى ويقع فى ثلاثة أجزاء تحت الأرقام ٣٤ إلى ٣٦ ، فى سلسلة دراسات فى التراث السودانى شعبة الفولكلور معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية.. جامعة الخرطوم دار عزة للنشر ٢٠٠٣.. وبحسب تقديم صلاح عمر ، فإن البروفسور الوقور يوسف بدرى فتح داره ومكتبة للباحث.. وقد جلست معه فى داره عدة مرات ورأيت كيف كان يفتح قلبه لبناته الطالبات ، وهن دوما متحضرات ورائدات وصاحبات فكر وثقافة.. وفي مقدمة الكتاب تصدير من الأستاذ شرف الدين الأمين عبد السلام ، رئيس قسم الفولكلور والذى تحدث عن الشيخ بابكر بدرى، وكيف كان رائداً وله إسهامات ثرة فى التعليم ، وعن كتاب " حياتى" للشيخ بدرى والذى هو إضافة لأدب التراجم الذاتية، وعن كتاب الأمثال والذى طبع الجزء الأول منه

عام ١٩٦٣م.. وشمل من الأمثال ألفين وأربعة.. وإشتمل الكتاب الثانى ألف وستمائة وسبعين مثلاً آخرها كله عند العرب صابون ، أما الجزء الثالث فقد بدأ بأمثال حرف الميم وأول مثل هو: مية صاحب ولا عدو واحد.. وآخر مثل على حرف الياء طبعا آخر الحروف فى الأبجدية العربية هو: اليوم الواحد ما يقحب الحرة.. وقبل الأخير يوم المناحة ما فيه راحة.. وأهل بدرى.. هم من بدرى.. يستيقظون بدرى.. ويعملون بدري.. ويبتدرون النقاش ويبادرون فى الأعمال الثقافية ذات المعنى والمغزي.. واليوم على رأسهم بروفسور قاسم بدري الذي يقول عن كلية الأحفاد : إنها خلوة هو شيخها.. ورغم أنه شاب متطلع فإن لديه حكمة الشيوخ وهو يكمل مسيرة أجداده فى تعليم البنات..
الأمثال السودانية : يشهد صلاح عمر الصادق لكاتب الأمثال السودانية الشيخ بابكر بدرى ، كيف كان بدرى منظم الفكر يحكى المثل وقصة المثل، ويأتى بتعليقات من عندياتهِ تضفى على المثل وضوحاً فوق وضوحهِ، وعلى الأخص أن أغلب الأمثال باللغةِ العاميةِ، وفى ملتى وإعتقادى ان الناس يتوارثون أمثال الحكمةِ والحكماءِ ، والتى يتربع فوق عرشها سليمان الحكيم ، الذى يقول عنه الأدب الإسلامى : أنه عرف لغة الطير وحيوانات البريةِ.. إنه من الحكماء الذين وصلت حكمتهم إلى كل البلدان..

وفي السودان أذكر أن هناك ترجمة باللغة العربية الدارجة لأمثال سليمان الحكيم .. وأود أن يعطنى الرب وقتاً لكى أقارن بين أمثال سليمان الحكيم والأمثال السودانية .. ومنذ الأن أقدم فرضية البحث التى تقول : إن مصدر الحكمة واحد ، وإن الناس فى العالم يتبادلون كلمات الحكمة..

إن كتاب الأمثال جمع ٢٠٠٤+١٦٧٠+١٦٠٧= أى ٥٢٨١ مثل .. ولم أجمع الآرقام بألةٍ حاسبة لأنني أخاف إن إستعملتها أن أنسى الجمع وباقى العمليات الحسابية..

والأمثال كلها حكمةٍ.. وكلها كلمات بسيطة وبليغة ، وهىَ أيضاً من واقع الحياة وأمر هنا ببعض الأمثال السودانية قبل أن أكتب إليكم عن أمثال سليمان الحكيم.. وكما يقول المثل شكرنا غنام رقد ونام.. الشماتة خيانة..شمت الأعادى أحر من حرقة الحشا.. شن جابرنا على الخط المعلق.. شن معدوم فى سوق الخرطوم.. ضهر الأب ما يجيب عدو.. الضيف الملخوم ياكل ويقوم.. الطابق مستور.. الطالبك ما بخليك.. والراخصك ما يغليك.. علموهم ولا تورثوهم.. علوج على سروج.. وأذكر هنا وزير الإعلام العراقى الصحاف الذى قال : لقد دخل العلوج إلى بغداد

وكنت أحاول أن أعرف معنى الكلمةِ وهى جمع علج ، والعلج هو القوى من العجم....

أما سليمان الحكيم فله إنتاج أدبى كبير ، قال عنه الكتاب المقدس : وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً ورحبة قلبٍ.. وفاقت حكمة سليمان ، حكمة جميع بنى المشرق وكل حكمة مصر.. وكان أحكم من جميع الناس.. وكان صيته فى جميع الأمم حواليه ، وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط ، وتكلم عن البهائم ، وعن الطير، وعن الدبيب وعن السمك ، وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته(ملوك الأول٤)..

ولقد أتت إليه من السودان ملكة سبأ.. وهى ملكة سودانية بكل تأكيد ، لأن العاشر فى سفر التكوين يقول : أن سبأ من أولاد حام.. وقد سمعت الملكة ، ملكةالجنوب ، والجنوب هنا هو السودان ، بحكمة سليمان ، وقد تكلم سليمان بثلاثة اللآف مثل ،وكانت أناشيده ألفاً وخمساً، وهو كاتب سفرالآمثال وسفر الجامعة وسفر نشيد الإنشاد.. ولم يشتمل الكتاب المقدس بحكمة سليمان ، إنما أمثال يشوع بن سيراخ وأمثال سفر الحكمة.. إن جميع أمثال السودان فى كتاب من ثلاثة أجزاء، هو عمل ثقافى عظيم يوجه أنظارنا نحو تراثنا الخالد ، فالأمثال تعزية فى الحياة.. ومعين فى الإبتلاءات.. وسند فى الضائقات...

٥١. جمال محمد أحمد كاتب الرواق

جمال محمد أحمد : يسعدنى جداً أن أرى ما وراء الدبلوماسية ، وما فى قلب الدبلوماسى من حكمة وحنكة وأدب رفيع.. والعمل الدبلوماسى قريب جداً إلى الأعمال الأدبية.. إن الدبلوماسية أدب رفيع حساس رقيق.. والدبلوماسية لا تجرح أحداً حتى أعداء بلاده.. لأنه ببعد نظره ، يرى أن عدو اليوم سوف يكون صديق الغد.. وعندما كانت وسائل الإعلام فى السودان تصعد الخلاف مع الأخر،والإختلاف مع دول الجوار.. ونتحدث عن أبناء الوطن بأنهم خوارج ومتمردين وخونةٍ.. كان وقتها صوت الدبلوماسية خافتاً ، لأن أصحاب الكلام الأجوف كانوا يتحكمون فى وسائل الإعلام.. كانت الإذاعة لعبتهم والحديث السياسى فيها لم يكن حديثاً سياسياً، إنما كان متفجرات من الكلام الأحمق الغير المسئول.. وكان التلفزيون هو مكان حكمهم، وحكموا على الفن بأنه إنحراف عن الأخلاق ، وأقاموا داخل الشاشة ،

شاشة أخرى تحجب منظر المرأة المتحضرة لأنها عورة.. وكانت الجرائد أبواقاً للحاقدين والحاسدين.. وظهرت أفلام تقدم دعوة محبة ، وتنادى بأن لا نقسم الوطن، مواطنين وخوارج ولا إلى مخلصين وخونة.. ولا إلى مؤيدين ومتمردين.. ووقتها طلبنا خطابــاً إعلامياً حكيماً.. وظلت الدبلوماسية تحت عبء إستعمار الكلمة غير الطيبة ، إلى أن إنتهى هذا الإستعمار.. وبدأت دبلوماسية هادئة هادفة حكيمة ، تبنى ولا تبدد ، تصون ولا تهدد.. تغرس القيم وتؤكد حُسن الجوار..

ولقد كان الدبلوماسى البارع جمال محمد أحمد ، أديباً لبيباً.. كان سعيداً بوطنه، فخوراً بأبناء جلدته.. كان أديباً لم يترك بلداً ذهب إليه ، إلا ودرس فنه وجمالياته.. وأدبياته.. وأحب أفريقيا أمًا حنوناً ، وأثرى الحياة الأبدية ، سامحونى كنت أقصد الأدبية ولكن الحياة الأدبية هىَ طريق نحو الأبدية السعيدة.. ذهب إلى الفاتيكان دبلوماسياً يعالج جرحاً عميقاً صنعه العسكر عندما طردوا المبشرين من السودان وأستنوا قانون المناطق المحظورة وقسموا الوطن ، وعادوا الأجانب الذين يخدمون الوطن من واقع دعوة السيد المسيح الذى جعل العالم كله وطن واحد لكل مواطن يؤمن بتعاطف مع أخيه المؤمن فى أى بقعة من بقاع العالم..

وكتب جمال قطعة أدبيةٍ رائعةٍ عنوانها : السودان فى الفاتيكان " فيها صور فنية وبلاغة أدبية وكلام مرسوم يكاد ينطق على صفحات كتاباته.. وقد كان وزيراً للخارجية وأول رئيس لإتحاد الكتاب السودانيين..

كاتب الرواق: والرواق بالنسبة إلىّ هو كتاب جديد صدر هذا العام ٢٠٠٥م.. وكنت منذ أقل من عام قد حصلت عليه مرجعاً باللغة الإنجليزية وقررت أن أترجمه مع لجنة من أبناء وبنات كنيسة الشهيدين.. دكتوره عايده شفيق.. الأستاذه تريزا نجيب.. المهندسة ناديه نجيب.. وأعجبنا بالكتاب ، ولكننا عرفنا أن هذا الكتاب قد تمت ترجمته بواسطة الدكتور محجوب التيجانى ، السودانى الذى يحمل الجنسية الأمريكية ، والذى ربطه بجمال محمد أحمد ، رباط الأدب والفكر، حيث ترجم للسفير كتاب" الجذور الفكرية للوطنية المصرية". وكنت آمل أن يكتب السفير عن الوطنية السودانية وجذورها الفكرية.. فالمواطنة واضحة قويةً فى مصر، ولكن فى السودان تحتاج إلى تربيةٍ وطنيةٍ.. ولقد بدأنا بالخدمة الوطنية ولكن الخطأ أنها تسبق التربية الوطنية ، لذلك تتعثر كثيراً..

ولكن الجذور واحدة بين مصر والسودان، لأن الأصل واحد.. والأب واحد هو حام، والأم واحدة هىَ زوجة حام، التى شاركته فى الفلك ، فلك نوح المنقذ من الطوفان.. ولكن عرفت بعد هذا أن هناك علاقة بين المؤلف الأمريكى بروفسور وليم آدمز وبين جمال محمد أحمد.. وكتب فى مجلة " إركى" التى أصدرها مركز

الدراسات النوبية والتوثيق عام ١٩٩٦.. وقال فيها : إنه فى عام ١٩٨٤ أى منذ أكثر من عشرين عاماً ، زار السودان البروفسور آدمز بعد صدور الطبعة الثانية المنقحة لكتاب " النوبة رواق إفريقيا ".. وقد أتى لمقابلة الدبلوماسى ورجل الدولة والمفكر النوبى جمال محمد أحمد ، ليناقشه فى أمر تولى الأخير ترجمة الكتاب إلى العربية ، إذ كان الأستاذ جمال وقتها رئيساً لإتحاد الكُتاب السودانيين .. وكدأبه فى الإهتمام بالشأن النوبى ، وافق الأستاذ جمال بحماس شديد على القيام بترجمة الكتاب ، حيث عبر الأديب النوبى الفذ ، عن إحساسه بالشرف والفخر، إذ تعهد إليه مهمة ترجمة الكتاب ، لِمَ للكتاب فى نفسه من حبٍ وتقديرٍ عظيمين، ولِمَ له من أهمية ليس فقط لقارىء التاريخ وعلم الإنسان والإجتماع، بل لقراء الفلسفة وعلوم الحضارة الإنسانية قاطبة..

وعاجلت المنية الأستاذ جمال محمد أحمد إذ رحل عن عالمنا أو دنيانا فى أكتوبر ١٩٨٦.. دون أن يقدر له ترجمة الكتاب، فكان فقداً عظيماً وجللاً كبيراً ، للنوبيين خاصة وللسودان أجمع، وكتب البروفسور آدمز مرثية عظيمة فى المرحوم جمال قائلاً : إن ترجمة الكتاب أصبحت ذات أهمية أكثر.. ومعبراً عن إصراره على ضرورة تكملة المشروع وإهداء الترجمة لروحهِ الكبيرة الكريمة ، مكلفاً جمعية الدراسات النوبية ممثلة فى شخص الدكتور عثمان محمد صالح ، ومخولاً أياها إنجاز المشروع ، والذى أسند للدكتور محمود التيجانى الذى ترجم الكتاب وأهداه فعلاً إلى روح المعلم جمال محمد أحمد، إبن سرة شرق.. سفير السودان.. الكاتب العربى والمفكر الإفريقى الإنسان.. وهكذا تحققت أحلام المؤلف والمترجم.. وأحلام كل مواطن سودانى ، يعتز بتاريخه المجيد..

٥٢ . ملك وملكة بمملكة مروي

ملك وملكة : فى النظام السودانى تقف الملكة خلف الملك ، تشجعه وتؤازره وتقوى طريقه.. وتكون المرأة عاطوفة حنونة بجوار عقل الرجل وحزمه وإدارته القوية ، التى تصل إلى العنف أحياناً ، لكن المرأة تهدىء من روع الرجل وكما يقولون : إذا كان الرجل بحراً تكون المرأة جسراً.. ورسالة الجسر أن يمنع مياه النهر عن ثورته من التعدى على البيوت والأراضى.. المرأة صمام آمن ، خاصة إذا كانت حكيمة ، والمرأة الحكيمة تاج لرجلها ، بها يثق قلب زوجها وتصنع له خيراً، لا شراً كل أيام حياتها ، هىّ كسفن التاجر تجلب طعامها من بعيدٍ وتقوم إذا الليل بعد ،

وتعطى أكلاً لأهل بيتها، وفريضة لفتياتها.. تمنطق حقويها بالقوة وتشدد ذراعيها ، تشعر أن تجارتها جيدة ، سراجها لا ينطفىء ، بالليل هى إمرأة تفتح فمها بالحكمة وفى لسانها سنة المعروف .. العز والبهاء لباسها.. وتضحك على الزمن الآتى.. ولقد كانت المرأة السودانية ، ولم تزل لا يزعجها الزمن الآتى لأنها أعدت نفسها له.. فى نظام الحكم القديم فى السودان، يورث الملك لإبن الأخت.. وتكون الأم الملكة بجوار إبنها، تجلس الملكة عن يمين الملك، وفى حالة غياب الأم الملكة، يكون أخوها حاضراً.. وكانت الملكة واحدة فى مصاف الألهة.. وكانت إيزيس تسمى "ربة النوبة ".. وعندما حدث إختلاف بين روما والنوبة، أن يحجوا إلى فيلة عند الآلهة إيزيس..ألهة الخصب والنماء والتى كانوا يحضرون تمثالها فى طقوس دينية غنية ، لكى تجلب الخير لبلاد النوبة.. ورسمت الإلهة النوبية مجنحة، لها أربعة أجنحةٍ .. ومن المعروف أن الأجنحة غالباً إثنتان ، ولكن حزقيال هو الوحيد الذى ذكر أربعة أجنحة . وهذا يعنى تواصل ثقافى بين النوبة وبلاد الجوار..

وصورت الكنداكة وهى الأم الملكة ، وهو أيضاً لقب للملكات، وهى تقف أمام آمون وتعرف من خلال بدانتها التقليدية ووقفتها ، ترفع يدها فى لمحة تعبدية بينما يضع الإله يده أسفل مرفق يدها اليسرى... وفى نقش آخر، تصور كنداكة وهى ترتدى تاج حتحور آلهة الذهب، وهى تقدم للإله آمون ، الصولجان الكروى ، وفى اليد الأخرى تحمل عصا السلطة..

ويرى صلاح الصادق ، أن الكنداكة تأتى فى الدرجة الثانية بعد الحاكم ، والذى يطلق عليه فى اللغة المروية "قور" .. وقد ذكر سفر أعمال الرسل فى الإصحاح الثامن ، أن وزير الملكة كنداكة الذى كان أول سودانى أمن بالمسيح، وأكدت دائرة المعارف الكتابية أن ملكة الحبشة هذه هى ملكة مروية كوشية ، وإسمها " أمانى تيرى"..

حكم مروى :وفى حكومات مروى ظهر ملك وملكة ، يحكمان مروى معاً.. وهما الملك " ناتاك أمانى والملكة أمانى تيرى".. ملكة سفر أعمال الرسل .. لقد بنيا معاً خطاً من خطوط حضارة العصر المروى ، وإنضما معاً إلى البناة العظماء.. كانا فيما هو ظاهر ، حاكمين معاً لطول الحياة ، لم تبين إطلاقاً أسماؤهما فى نقوش ملكية إلا سويا ، ومن لوحهما المكرس لذكراهما ، يتبين كما يقول وليم آدمز فى الرواق: أنهما أجريا تجديدات كبرى فى المعابد العظيمة لآمون.. فى كل من نبتة ومروى ومعابد أخرى متعددة.. لقد كانت له مكانة عميقة فى القلوب أهل مروى ودولة كوش ، ملوكًا وشعباً.. وكان آمون هو قوة الضعيف الوحيد.. وفى الطلاسم الجنائزية كثيرا ما كانت تنقش على الأكفان أو على الصدرية ، والتى يلبسها الملك

على صدره ، وأحياناً يكتب فيها رموز بأسماء المملكة.. والتى كان يلبسها كاهن العهد القديم وتُسمى " الصدرة" ويكتب فيها أسماء أبناء يعقوب الإثنى عشر.. والتى يلبسها الأن كهنة الكنائس القبطية والكاثوليكية فى مناسبات كنسية..

وعند الفراعنة كان يكتب على الصدرة، الفقرة الثلاثون من كتاب الموتى، والتى تقول أثناء إحتفال وزن القلب: أى قلبى لا تقف شاهداً ضدى أمام المحكمة.. لأنك الإله الموجود فى جسمى وخالقى المحافظ على أعضائى ، لقد إهتم الملك " ناتاك" مع زوجته الملكة ، ببناء معبدين كاملين فى النقعة.. كان لهما ثلاثة أولاد بقى الثالث فقط.. وكانا هذان الملكان متقدمان ومتحضران ومهتمان بالعبادة الروحية ، وقد جاء بعدهما إبنهما الملك " شركارير " ثم عشرون ملكاً ، ليس لدينا أسماء سوى لقلة منهم ، وله لوح من الصخر منحوت على جبل " قيلى" يسجل إنتصاراته.. وكانت المرأة بجوار الملك دوماً..زوجة.. وأختاً.. وأماً..ولكن حكم " ناتاك أمانى" مع زوجته يداً بيدٍ.. فى مساواة للرجلِ مع المرأةِ ، لم يعرفها تاريخ ، غير تاريخ مروي..

٥٣ . الأفيال بين مروي وروما

أفيال مروى : فى كتاب المرشد لآثار مملكة مروى لباحث الأثار المعطاء صلاح عمر الصادق ، الذى يعطى عطاء ثراً ، ويحاول أن يؤسس ثقافة آثارية وينمى الإحساس بقيمة الأثار.. يكتب عالم الأثار هذا عن أفيال مروى وكيف أن البطالمة فى مصر كانوا شغوفين بفيلة إفريقيا ، وكيف أن أهل مروى كانوا يصيدون الأفيال ويقومون بترويضها كسلعة تجارية .. وهذا يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد.. ولقد إهتم الفنان المروى بالفيل ووجد في النقوش ملكاً يركب فيلاً ويمسك أحد خصومهِ بخرطوم الفيل ، وكان هذا نوع من إذلال الخصوم ، فمن الممكن أن يكون هذا الذى يقود الفيل للملك المروى أحد السبايا من الملوك أو الأمراء في إنتصارات الحروب التى كانت تدار..

ويقول الباحث ، أنه لم يوجد في النقوش شخص عادي يركب فيلاً.. لهذا يرى أن الفيل هو ركوب ملكى.. بل يتحدث عن عيد الأفيال وكيف كان يقام فى مروى ، كما ذكر هذا المؤرخ البطلمى ديودورس الصقلى.. ولدينا فى السودان جزيرة فيلة والتى غمرتها مياه السد العالى، وكيف كانت كنائس فيلة القبطية وأساقفتها رُسل سلامٍ وتبشير بالمسيحيةِ فى السودان ، وسمعنا عن أساقفة فيلة مثل هارون،

وثيودور الذى رافق الحملة التبشيرية الرسمية مع يوليان فى القرن السادس.. وعند عودة يوليان، أكمل هو مسيرة التبشير بكلمة الرب وسط أهل النوبة.. ولا نستبعد أن النوبة ملوكاً وشعباً كانوا يزورون فيلة، ويزورون الكنيسة هناك.. وكانت الكنيسة تهتم بهم، ومن خلال القدوة الروحية وصلت رسالة المسيح إلى أعماق السودان، حتى جنوب السودان وحتى الصومال ، كما يذكر المؤرخون..

وسُميت جزيرة فيلة ، لأنه كان فيها مخزن كبير لسن الفيل ، سلعة التجارة بين مروى ومصر.. وربما وصلت إليها فيلة أحياء وعاشت هناك.. ويقولون أن الخرطوم هى عاصمة على شكل خرطوم الفيل.. ولكن أعتقد أنه لا مانع أيضاً أن تكون الفيلة قد وصلت أسراباً إلى الخرطوم.. فالفيل رغم ضخامته يسير رحلات طويلة، وهو حيوان عادى لا يستعدى أحداً من الناس، مثل الحيوانات الأخرى ، وكانت الأرض واسعة وخالية ، وروح المحبة يرف على وجه الأرض.. ولا ننسى أن جزيرة فيلة فى أسوان كانت مركزاً تجارياً وثقافياً ، حيث سكن عدد ضخم من اليهود هناك ، وكانوا يعملون بالتجارة.. وكانوا موحدين يؤمنون بالله الواحد وسط تعدد الأديان.. وكانوا أيضاً مثقفين وقد وُجِدت نسخاً من التوراة فى فيلة ، تؤكد صدق الكتاب المقدس الذى بين أيدينا الأن..

أفيال إيطاليا : وفى قلب روما أكتُشفت مقبرة أفيال كبيرة تعود كما يقولون إلى ما قبل التاريخ.. ويقولون أن هناك نوعان من الأفيال: الفيل الأسيوى، والفيل الإفريقى.. الأول فى مناطق الهند وسيرلانكا والصين وجنوب شرق آسيا، ويبلغ فى الوزن خمسة أطنان وفى الطول ثلاثة أمتار.. أما الفيل الإفريقى، فيقطن فى جنوب الصحراء الكبرى ، ووزنه سبعة أطنانٍ وطوله خمسة أمتار، أى أنه أثقل وأضخم من الفيل الأسيوى... ويقولون أن الأفيال تتواصل معاً بذبذباتٍ غير مألوفةٍ عند الإنسان.. وهى حساسة جداً وتتكاثر بأمد طويل ، لأن فترة الحمل تستغرق من عشرين إلى إثنين وعشرين شهراً.. ومعدل عمر الفيل ستين عاماً ، ويأكل الفيل الواحد من مائة إلى ثلثمائة كيلو أعشاب يومياً.. ويشرب حوالى مائة وتسعين لتراً يومياً، وعادة تكون الإناث أصغر حجماً من الذكور ، بما يعنى الآناقة واللياقة لدى الأنثى..

وقصة أفيال روما تقول: أنها كنز تاريخى ، أكتُشف بمحض الصدفة عام ١٩٨٥.. ولقد تم تفوق هذه الفيلة بأنها دنت إلى ضفة نهر قديم لتشرب ، لكنها وجدت نفسها عالقة فى مستنقع وحل مجاور ، ولم تقدر على الخروج، وضاعت نفسها متوقفة فى هذا المكان وقامت هيئة مراقبة الأثار فى روما بالإهتمام بهذا المكان ، الذى تحول إلى مكان سياحى هام ، يأتى إليه الناس.. ويرون أهل الأثار

يعملون من خلال مصطبة كبيرة وهم يتابعون بالرؤيا.. وأهل الأثار لا يتوقفون عن العمل.. وقد تم إستخراج أكثر من عشرة الآف قطعة من عظم الحيوانات الثديية ، فيلة وثيران وغزلان وأحصنة وجمجمتين كاملتين لفيلين، وعدة أنياب وفكوك وعظام.. وهذه العظام محتفظة بشكلها الأصلى. وأصبح المكان متحفاً للآثار القديمة، حيث أكتشف مع الأفيال ، مواد وأدوات حجرية ، ترجع إلى الإنسان البدائى.. وأعادت هذه المنطقة مجداً قديماً ، كان فى " بومبى الفيلة " ، ذلك المنتجع الذى كان فى جنوب إيطاليا، ودمره بركان ثائر عام ٩٧ م...

وهناك أبحاث جارية تحاول التوصل إلى الحقيقة، تفحص سن الفيل للتوصل إلى الغذاء الذى كان يتناوله.. ومن تحليل العظام يعرفون التغيرات البيئية.. لقد إستلب هذا المكان فى روما أنظار السياحة والسياح وعلى الأخص أن الفيلة فى العالم الأن فى طريقها إلى الإنقراض.. ولا أعرف موقف أفيال السودان، وفى إنتظار إضاءة من الإختصاصيين فى حماية الحياة البرية .. أضاء الله طريق حياتهم وحياتنا..

٥٤. أشجار الخرطوم في الخمسينات

شخصية الخرطوم : يقول البريطانى إليك بوتر والذى شيد قاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم والذى كتب مع زوجته مارجريت كتاب " كل شىء ممكن فى السودان " إن الأشجار كانت جزءاً من شخصية الخرطوم.. وبدونها كانت الخرطوم سوف تكون شيئاً مغايراً، كئيباً مقبضاً.. وكانت الخرطوم سوف تصير شوارعها قبيحة وحرارتها مرتفعة وشمسها قاتلة.. ولكن الحمد لله كانت الأشجار فى كل مكان بالخرطوم فى حدائقها الخاصة والعامة.. وفى غابات السنط القريبة إلى المقرن..

ولقد وصفت الخرطوم بأنها مدينة البهجة بسبب كثرة الأشجار فى الشوارع ، ويستمر بوتر يقول : ظلال أوراق الأشجار الكثيفة وأشعة الشمس الساطعة ، كانت تطرز الطرقات بأبسطة موشاة رائعة ، تتغير نقوشها وأشكالها بين كل آونة وأخرى إلى لوحات بالغة السحر بفعل تمايل الأغصان ونفاذ أشعة الشمس من خلالها وكان باستطاعة المرء أن يلمح للحظات فقط المنازل المشيدة بالطوب الأحمر على جانبى الطريق .. فقد كانت الأشجار الخضراء تحيط بالمنازل وتكاد تحجبها عن الأنظار ولا تتيسر رؤيتها إلا بين فرجات بعض الأغصان الكبيرة ، عندما تحركها الريح ذات اليمين وذات اليسار ، والشىء المدهش أن أكثر هذه الأشجار كانت تظل

محتفظة بأوراقها الخضراء طوال أشهر العام ، وحتى تلك التى تفقد أوراقها كانت تعوض ذلك برشاقتها وتناسق أغصانها ، ومعظم هذه الأشجار من النيم واللبخ وأشجار المهوقنى الدائمة الإخضرار ، والتى تتمركز أساساً فى شارع النيل...

لقد إستوردت حكومة السودان عشرة الآف شجيرة لبخ سنة ١٩٠٥ م.. من الهند وغرست فى شوارع الخرطوم وتم تعهدها بالرى والعناية حتى أكملت نموها وأصبحت تجمل شوارع الخرطوم العاصمة ، بتنسيقها الرائع وظلالها الوارفة التى تمتد لعدة كيلومترات... وبفضل الأشجار كان التجول لمسافات قصيرة فى الشوارع متعة.. وكان هذا الأستاذ مهندس قاعة الإمتحانات يستعمل الدراجات للمسافات الكبيرة.. هو وزوجته كانا يركبان دراجتين ويمران بشارع القصر ويذكران اللافتة المعدنية الصغيرة ، التى تحذر السائقين من إطلاق أبواق سياراتهم أمام القصر..

كما كان المقرن مكانا يتمتع بالأبهة والجلال والوقار، نهران عظيمان يلتقيان معاً فى نهر واحد عظيم ، هو نهر النيل.. والمقرن يرى البعض أنه مثل إقتران الرجل بالمرأة فى عقد قران.. ورغم إختلاف التربية والثقافة والجنس والقامة واللون ، فانهما يسيران فيما بعد مسيرة واحدة نحو السعادة والأمل المشرق...

شجرة الديمقراطية : وتحدث" إليك بوتر" عن شجرة النيم ، والتى هى شجرة الديمقراطية فى السودان ، حيث حتى الأن يجتمع الناس تحت ظل شجرة النيم ، ويناقشون كل قضايا السودان السياسية بحرية وديمقراطية .. وقد قال عنها المهندس الإنجليزى : إن شجرة النيم تتميز بجذورها المستقيمة البنية اللون ، وأوراقها الصغيرة ذات الخضرة الغامقة.. كما تحدث عن شجرة "اللبخ" وهى من فصيلة "البانيان" وإسمها العلمى Benghalensis Ficus وموطنهاالأصلى شرق الهند ، ويصل إرتفاعها إلى أكثر من مئة قدم أى خمسين متراً بطول عمارة فيها سبعة عشر طابقاً أو يزيد.. وهذه الشجرة كانت موضع إهتمام الشاعر الإنجليزى " ملتون" (١٦٠٨-١٦٤٧).. والذى يعد أعظم شعراء الإنجليز، بعد شكسبير.. وقبل وفاته بسبع سنوات كتب ملحمة شعرية راقية ، عنوانها : الفردوس المفقود.. ووصف فيها شجرة "اللبخ" بأنها ترسل إلى الأسفل حبالاً ليفية غليظة تنغرس فى الأرض .. وبمرور الزمن تصبح هى الأخرى جذوعاً إضافية للشجرة.. وبعين الشاعر قال عن أوراق الشجرة : إنها تشبه شكل القلب ، وإنها كثيفة ذات خضرة داكنة ولون جذعها وأغصانها هو اللون الرمادى ، الذى يخالطه البياض.. حقاً ما أروع الأشجار.. إن جنة عدن كانت ممتلئة بالأشجار.. وعينى أدم أول ما رأت ، رأت شجرة معرفة الخير والشر.. والمؤمن يكون مثل شجرة مغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى آوانه وورقها لا يذبل.. ألم ترى كيف ضرب الله مثلاً

(كلمة طيبة كشجرة طيبة) .. أرجو أن تستمر الخرطوم ، شجراً وارفاً ونخيلاً باسقات..

٥٥ .مسجل جامعة الخرطوم وشاشات السينما

المسجل والمهندس : في عام ١٩٥٧ وصل البريطانى" إليك بوتر" على متن طائرة قادمة من أوربا .. ونزل إلى وادى حلفا ، وبعدها ذهب إلى الخرطوم لكى يباشر عمله مهندساً لقاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم والتى كان مصمماً لها أن يمتحن فيها خمسمائة طالب ، ويجلسون فى مسافات ليست قليلة..وفى صحبة المهندس كانت زوجته المهندسة وعالمة الآثار مارجريت.. وكان على هذا المهندس أن يتعامل مع مسجل الجامعة أحمد المرضى.. وكان المسجل قوى الشخصية حازم الإرادة ولم يتمكن المهندس من إخفاء إعجابه بهذا المسجل ، والذى كان مع غيره سبباً مباشراً فى سريان حب السودان فى أحشاء المهندس الإنجليزى وزوجته.. وقد كتب مهندس القاعة فى مذكراته عن أمر كان خطيراً ولكن مع خطورته وجد طريقة إلى الحل وفى هذا قال بوتر : رن جرس الهاتف وكان المتحدث على الطرف الآخر السيد أحمد المرضى الذى بادرنى بقوله: لقد وصلت إلى مكتبى الأن ، المعدات السينمائية وصلت ويؤسفنى أن أقول لك يابروفسور أن ذلك قد إستنفد أكثر من المبلغ المخصص لك فى الميزانية.. وطبعاً صار البروفسور أمام مشكلة عليه أن يواجهها فلا داعى لهذه الكمية من الشاشات التى أحنت ظهر الميزانية.. وفى الحال ذهب المهندس لمقابلة أحمد المرضى.. وفى أسلوب أدبى رسم المهندس خريطة صادقة لوجه المرضى السودانى الأصيل وتقاطيعه ورأسه الأنيق وشعره الأسود ، مبيض الأطراف.. وملابسه والكرسى الذى يجلس عليه وقال فى خريطته الهندسية المرسومة بالكلمات : كان المرضى رجلاً وسيماً متين البنيان ، ضخم الجسم.. وكان يجلس خلف مكتبه الكبير الذى يلائم حجمه وقد تكدست أمامه أكوام من الورق.. كان جليلاً مشهد المرضى فى جلسته بتقاطيع وجهه السودانية الأصيلة، يدعو للإحترام.. وكان رأسه الأنيق الذى قص شعره حديثاً ، وقد خالط سواده بياض فى الأطراف، مرفوعاً دائماً إلى أعلى، حتى فى الأوقات التى كان العمل يتطلب فيها الإنحناء والإنكباب على الأوراق..

كان المرضى يرتدى قميصاً ذا أكمام قصيرة ، مفتوحاً عند العنق.. وكان بوسع الجالس على كرسى منخفض أن يرى أسفل مكتبه ، بنطلونه القصير"الشورت"

الناصع البياض ، والذى لا تشوب بياضه أدنى شائبة.. وكذلك ركبتيه السوداوين القويتين وجواربه البيضاء الطويلة، وحذاءه الجلدي ذي اللون البني الشديد اللمعان..

حزم المسجل وضحكاته : كان المسجل حازماً.. ذكر المهندس أنه يعرف المرضى كزميل له ولزوجته.. وكصديق.. وكان يعرف عنه القدرة العجيبة على إخفاء الإنفعالات أو إظهارها حسبما يقتضى الموقف ، أو حسبما يريد هو.. لقد حفظ بوتر ومارجريت تعبيرات وجه المرضى وعلى سبيل المثال : توسيعه المفاجىء لحدقات عينيه.. وتجعيده لجبهته.. وتنويعه لنبرات صوته.. وقد بدا المرضى فى يوم الشاشات صارماً ومهيباً مثل قاض يوشك أن يصدر حكماً فى جريمة خطيرة.. كانت عيناه مفتوحتين إلى آخر مدى حتى أوشكت الحدقتان أن تختفيا عند نهاية البياض.. وكان حاجباه مقطبين وشفتاه مذمومتين ..

وكانت كلها نذراً بأن العاصفة على وشك أن تهب.. وقال المهندس فى نفسه ألم يكن المرضى مبالغاً إلى حد بعيد فى رد فعله تجاه هذا المأزق الذى ليس خطيراً بمثل ما بدا على وجه المرضى ؟ الذى لم يحدث له سابقاً أن كان هكذا ، وعلى الأخص في سعيه الدائم نحو الكفاية والكمال فى الأداء.. ولكن فجأة تغير الأمر .. كان بوتر متوتراً إلى أقصى حد.. وإذا بالمرضى يميل بوجهه إلى الخلف ويضحك ضحكات مجلجلة ، وجسده كله يهتز تبعاً لذلك.. ثم توقف بصعوبة وقال : يا إليك بوتر إن الخطأ ليس منك، إنه من موظف المشتريات الذى وضع علامة الوقف بعد رقم واحد بطريقة جعلتها تشبه الخمسة بالإنجليزية.. ونقل المترجم بدلاً من واحد كتب خمسة عشر...

يمكنكم فى كلية الهندسة الإستفادة من الزيادة وبيعها ، ووضع ثمنها لخزينة الكلية.. وحكى المرضى عن خطأ آخر ، عندما طلب عربة واحدة من وزارة النقل ولكن الموظف قرأ الواحد عشرة ، وجاءت عشر عربات ، وكان الحل المتفرد هو تحويل المشكلة إلى شىء نافع.. وتم توزيع العربات، وأعجب بوتر بالحل وتذكرت أنا إن ثلاثة من خدام كلمة الرب ، كانوا يجلسون وكأن خيبة الأمل هى مظلتهم ، قال أحدهم : نحن قليلون جداً.. ولكن الثانى قال : نحن أصفار.. أما الثالث فقال : نحن أكثر.. كل صفر فينا يقف بجوار الصفر الآخر على يمين الواحد الذى هو الله.. ألا ترون إننا الأن ثلاثمائة خادم لكلمة الله ؟...

٥٦ . النوبة أنقى من الذهب

ذهب مروى : قام الدكتور صلاح عمر الصادق بترجمة كتاب " كارل هانز بريشة" ذهب مروى ، والذى صدر هذا العام ٢٠٠٥ عن دار عزة للنشر والتوزيع ، وتحدث المترجم فى المقدمة على أنه بالسودان يوجد ٢٦١ مائتان وإحدى وستون هرماً ، موزعة على أربع مناطق هىّ:
الكرو ونورى والبركل ومروى.. وفى هذه الأهرامات دفن ملوك وملكات مروى الذين حكموا السودان لمدة ثلاثة عشر قرناً بصورة متواصلة ، من ٩٠٠ ق.م إلى ٣٥٠ م..

وقد قرأت في موضع آخر أن فوق كل هرم من هذه الأهرام ، كان يثبت هرم من الذهبِ.. وهو ذهب قد سرق منا، بسبب إغفالنا حفظ أثارنا... ويقول صلاح أن الحلى الذهبية فى مملكة مروى تبرز لنا مقدار التقدم والرقى الذى بلغته مملكة مروى فى جميع مجالات الحياة... وعندما نقرأ الأشكال المنقوشة على هذه الحلى نعرف كيف كانت الحياة الدينية فى مروى.. وكيف تطورت عقائدهم.. وكيف كان نظام الحكم وتداول السلطة...
أنقى من الذهب : وفى إعتقادى أن بلاد النوبة حكاماً وشعباً هم أنقى من الذهب.. كان الذهب عند أقدامهم ، شكلاً من أشكال الغِنىَ عند الآخرين ، وأمراً عادياً عندهم، وكما يقول صلاح الصادق :إن الزمن قد حان لدراسة مفردات الثقافة السودانية .. فإن الذهب كان علامة من علامات الغِنى.. وصورة للنقاء وعدم الفساد..

لقد عاشت النوبة المسيحية وبعدها إحتقرت الذهب الفانى ، وبحثت عن ذهب، هوّ القيم التى لا تصدأ، ونقاء الروح الذى يقود إلى ملكوت السموات.. وكان الذهب فى النوبة ليس معدناً فقط ، إنما رجالاً أقوياء.. جنوداً أشداء ، هم رماة الحدق.. وكلام هوّ أغلى من الذهب ، وكما قال " المقريزى "، عن ملوك النوبة : إن الملك يتوج بالذهب والذهب كثير فى بلده ، ولكنه لم يشغل الملوك عن نقاء السيرة وطهارة السريرة.. وذكر المؤرخون القدامى عن أخلاق الأثيوبيين ، أهل النوبة أنهم وصفوا بحب الحرب والرجولة والشجاعة والكرم والوداعة وحب العدل والصفح عن الزلات.. إن ما قاله" نعوم شقير" فى كتابه صفحة ٥٠ ، يدل عن أن ذهباً كان فى حياتهم أثمن من الذهب الفانى.. وذكر عنهم " هيرودتس : إن العساكر كانوا يعقدون نبالهم حول رؤوسهم، فيشكون أطرافها فى الشعر حتى تبرز رؤوسها فوق جباههم كالأشعة ، ويصبح منظرها إكليلاً يزين هامة الجندى...

إن الذهب هوّ دليل الغِنى ، ولكن الحياة مع الله هىّ أكثر غِنى.. وأثمن من الذهب .. حتى أن بطرس قال للأعرج ليس لى ذهب ولا فضة ولكن الذى لى أياك أعطى ، بإسم المسيح الناصرى قم وأمشى.. ولقد شفى الأعرج بإسم المسيح ، الذى هوّ مخزن كنوز الكنيسة ، وبولس فى خدمته إرتفع فوق مستوى إقتناء الذهب الغالى وقال : فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته (أعمال ٢٠:٣٣)..

وفي اليوم الآخير سوف ينوح قبائل وملوك الأرض الذين تنعموا في الأرض.. ويبكى تجار الأرض، لأن بضائعهم لا يشتريها أحد فيما بعد .. بضائع من الذهب والفضة والحجر الكريم (رؤيا ١٨)...

وقد إنتقد بولس تماثيل الذهب التى صنعت للآلهة وقال : فإذ نحن ذرية الله، لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة وإختراع إنسان (أعمال١٧) .. أما بطرس فرأى أن نحتمل الآلام لأجل الله ، وأن يكون لنا إيمان مزكىّ مثل الذهب المصفىّ بالنار ، لكى تكون تزكية إيمانكم ، وهىّ أثمن من الذهب الفانى.. مع إنه يمتحن بالنار ، توجد للمدح والكرامة والمجد عند إستعلان يسوع المسيح ، أى مجيئه الثانى..

وأيوب صاحب البلايا والتجارب كان واثقاً من نفسه ، أنه يقدر أن يجتاز التجربة.. وقال عن الرب : لأنه يعرف طريقى إذا جربنى أخرج كالذهب (أيوب ٢٣:١٠) إن الإبتلاءات فى حياة الإنسان تجعله كالذهب ، يخرج من النار أكثر نقاء وصفاء ، وهذا ما يجعلنى وأنا بين الكتب والمراجع عن تاريخ النوبة ، أقول : إن النوبة حكاماً وشعباً أنقى من الذهب..

٥٧. رمزية الذهب في النوبة

ذهب النوبة : حظيت بلاد النوبة بتواجد كميات كبيرة من الذهب ومناجم ومواقع متعددة.. ورغم أن الذهب معدن ساحر على مستوى كل بلاد العالم ، فإنه وفى النوبة كان شيئاً عادياً.. وضع الملوك سلاسل من الذهب فى يد المسجونين لكى لا يهربوا.. ورفض ملوك النوبة هدايا من ذهب أتت إلى الملك من " قمبيز " ملك الفرس ، إسورة من ذهب .. فأمسك بها وقال : عندنا من هذا الكثير.. ورحلت قبائل عربية إلى بلاد النوبة فى موطن قبائل البجا، بادية شرق السودان ، بحثاً عن الذهب.. هذا المعدن الساحر الذى رغم أنه يلعب حتى الأن بخيال العالم ، ولكنه كان شيئاً عادياً فى تاريخ النوبة..

إن كلمة نوبة نفسها تعنى " الذهب " وكما يقول الشاعر : رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهب.. ومن لا عنده ذهب ، فعنه الناس قد ذهبوا.. لقد ذهبت بلاد العالم إلى النوبة ، بحثاً عن الذهب .. وكان الذهب سبب مشاكل كثيرة ..

فلقد كانت قبائل البجا تأخذ أجراً لحماية قوافل الذهب ، حتى جاء الوقت الذى فيه أخذ القادمون لأجل الذهب ، الذهب من بلاد النوبة.. ولم يذهبوا عائدين إلى بلادهم .. وصاروا شوكة فى قلب المجتمع النوبى وهزوا أساســات حكومات النوبة وسيطروا عليها .. وعزلوا ملوكها.. وكان الذهب وراء كل هذا...

رمزية الذهب : وللذهب رمزية ما فهو يستعمل مجازاً ، تعبيراً عن الغِنى الأرضى.. وتعبيراً عن النقاء فى أن معدن الذهب غير قابل للصدأ ، وتعبيراً عن عدم الفساد.. والذهب فى النار هو طهارة بالغة .. وهو إختبار للثبات فى الإيمان.. ولأن الذهب أثمن المعادن ، فلقد صار تعبيراً عن كل ما هوّ رفيع القدر وعظيم القيمة .. وهذه بعض رمزيات الذهب :-

١. الذهب تعبير عن الغِنى الأرضى : فها هوذا أيوب أغنى أغنياء الأرض فى عوص، والتى هىّ الأن موقع سلطنة عمان ، يقول عن نفسه : لماذا أتى إلى العالم؟ لماذا خرج من البطن ، لقد كان الأفضل له أن ينام مستريحاً مع ملوك ومشيرى الأرض، الذيــن بنوا أهراماً لأنفسهم ، أو مع رؤساء لهم، ذهب مالئين بيوتهم فضة(أيوب ٣) ..

وتحدث" أليفاز التيمانى" ، صديق أيوب ، إلى أيوب أن يسلم أمره إلى الله وأن يتخلص من التبر والذهب حتى يتلذذ بالقدير ، لأن الثروة تعمى أعين الناس ، عن الحياة مع الله ، وقال له: إن رجعت إلى القدير تبنى.. إن أبعدت ظلماً من خيمتك.. وألقيت التبر على التراب.. وذهب أوفير بين حصا الأودية يكون القدير تبرك .. وفضة أتعاب لك (أيوب ٢٢).. وهذا يعنى أن الذهب صاحب المكان الرفيع ، ينبغى أن نضحى به ، ونجعل التبر تراباً.. والذهب مع حصا الأودية .. ونصنع خيراً بالذهب حتى نقترب إلى الله أكثر فأكثر..

ولقد حول أهل الخير ذهبهم إلى مشاريع الخير.. فكسبوا الله الذى يجازى عن الخير.. وعندما يتحدث القرآن الكريم عن البر يقول:(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .. أما الذين كفروا بالقيم الروحية ، وماتوا وهم كفار ، فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ، ولو إفتدى به أولئك ، لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين.. ليس أحد ينصرهم طبعا لأنهم لم ينصروا أحداً وإهتموا بأكوام الذهب وأيضا يأتيهم الموت وهم غافلون..

وفي اليوم الآخير لن ينفع الإنسان ذهبه ولا فضته ، حيث توضع عينا تشامخ الإنسان وتخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده.. فى ذلك اليوم الذى يكون قاسياً للذين إمتلأت أرضهم فضة وذهباً ولا نهاية لكنوزهم (أشعياء ٢).. وخوفا على تلاميذ المسيح من الإنشغال بثروات الدنيا ، نصحهم السيد المسيح : أن يعطوا .. ويكرزوا وقال لهم : لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم (متى ١٠).. وعندما صعد بطرس ويوحنا إلى الهيكل وكان رجل أعرج من بطن أمه يحمل.. كان على باب من أبواب الهيكل يسمى : باب الجميل ".. وإنتظر أن يأخذ منهم شيئاً ، فقال له بطرس: أعطيك بإسم يسوع الناصرى قم وأمشى ، وفى الحال تشددت كعباه ورجلاه ووثب ، ووقف وصار يمشى (أعمال ٣)... وكان هذا تأكيداً للبشر أن إبن البشر السيد المسيح هوّ ذهب الكنيسة وكنزها.. هكذا لم يهتم ملوك النوبة ولا الشعب بالذهب ، وكانوا حريصين على غِنى التقوى الذى هو أعظم من الذهب..

٥٨ . المصريون نوبيون

ديودور الصقلى :
ذكر هذا المؤرخ أن الأثيوبيين ذوى الوجوه المحروقة يقولون: إن مصر مستعمرة من مستعمراتهم.. وإن طين البلاد المصرية وهو طمى من أثيوبيا ساقه النيل إلى مصر.. ويؤكدون رأيهم هذا بما يلى :

١. التشابه بين عادات مصر وعادات أثيوبيا ويقصد بها النوبة أو كوش أو السودان..
٢. التشابه بين القوانين ..
٣. التشابه فى زى ملوك البلدين ..
٤. كان المصريون فى عصور ما قبل التاريخ يدفنون موتاهم رؤوسهم متجهة نحو وطنهم الأصلى فى الجنوب...
٥. آلهة المصريين أوزيريس وحورس آلهة هىّ فى الأصل نوبية...
٦. ذكر ديودور أن القبائل المهاجرة من بلاد العرب نزلت على شواطىء البحر الأحمر فى أثيوبيا، وأقامت فيها زمناً ، ثم زحفت إلى وادى النيل.
٧. فى معرض قوة العلاقة بين مصر والسودان يذكر بعض المؤرخين أن بلاد النوبة وهو الإسم الذى يطلق على المنطقة الهامة الواقعة بين الشلال الأول

والرابع، إنما يسكن النوبة قوم يجتمعون فى نسبهم مع المصريين، وبهذا يؤكدون أن المصريين جالية نوبية نزحت نحو الجنوب.

٨. يرى"وليم آدمز" كاتب كتاب"النوبة رواق أفريقيا".. أن ديودور الصقلى فى سنة٥٠ق.م هو الذى سجل ونقل إلى الأجيال التقليد الذى كان جاريا آنذاك، أن النوبة كانت الموطن الأصلى للمصريين ومنبع الحضارة نفسها، كما يؤكد الرواق أنه ينبغى أن ينظر إلى النوبة وتاريخها على أنه مستغل وهو يحاول بحسب تعبيره أن يحكى قصة جديدة ، حكاية متواصلة للتطور الثقافى لشعب منفرد.. الجيئة والذهاب فيه لممثلين معينين ليست بذى بال..

وقعت الهجرات هنالك لا شك فى ذلك ، لكنها كانت فى القسط الأكبر هجرات بين النوبة وترتيبات معادة لا قوام تتلقى كلها عن مخزون مشترك من التقليد والخبرة الوطنية الأصيلة.. مثل هذه الجيئة والذهاب أحدثت إضطرابا مؤقتا ، لكنه فيما يعتقد صاحب الرواق أن هذا ما بدل العملية الماضية للتطور الإرتقائى الثقافى بشكل دائم.. ويرى آدمز فى الرواق أنه يختلف عن المؤرخين الذين كتبوا عن النوبة، وذلك لأن أغلبهم كانوا من علماء الآثار المصرية ، ولهذا هم يطالعون التاريخ النوبى كإنعكاس شاحب عادة للأحداث والأحوال المصرية، ويقيمون آراءهم على المشابهات بقدر أرسخ من الإختلافات.. ولكن كاتب الرواق يقدم وجهة نظر متمركزة حول النوبة أمام وجهة النظر المتمركزة حول مصر التى تبناها المؤرخون الآخر.. وهنا يرسم النوبة فى ألوان أكمل وأسطع مما كان معتادا عليه.. وهو يرى أن الرؤية المتمركزة حول النوبة وإن لم تكن أفضل دقة ، فإنها على أقل تقدير أحسن ملاءمة للنوبيين.. ومع حماس الرواق للنوبة ومع رفضه إستعلاء المؤرخين على تاريخ النوبة وكأنه ذيل لمصر، إلا أنه من ناحية آخرى يرفض إستعلاء النوبة..

شعب واحـد : وعندما يعرض دكتور" شوقى الجمل" فى الجزء الأول من كتابه" تاريخ سودان وادى النيل" أن أهل مصر هم فى الأصل قبائل نوبية هاجرت إلى مصر فإنه من ناحية أخرى يقول وعلى العكس من ذلك ذهب البعض إلى أن النوبيين أصلهم مصريون ونزحوا قديما من مصر إلى الجنوب حاملين معهم بذور الحضارة والعقائد المصرية ، ويستدل هؤلاء على رأيهم بأن آثار وتأثيرات الحضارة المصرية واضحة فيما عثر عليه من حضارة النوبة.. وأن الإله المصرى آمون كان مقدسا فى نبته ومروى.. ويذكر أن ملوك النوبة يلتصق أسماء بعضهم بالإله آمون مثل ملك نوات ميامون الكوشى صاحب الأحلام السعيدة بالإستيلاء على مصر.. كما أن الملك بعانخى كان يهتم إهتماما خاصا بالإله آمون ويحضر

إحتفالاته. ويصل شوقى الجمل إلى نتيجة يقول فيها: سواء كان المصريون جالية نوبية هاجرت إلى الشمال أو جالية مصرية هاجرت إلى الجنوب ، مما لاشك أنهم من عنصر واحد ويؤكد هذا أبحاث" أليوت سميث" فى مقابر مصر والنوبة والتى أكدت أنه لا فرق بين المصرى القديم والنوبى فى التكوين الجسمانى، ويتعذر تعيين حد فاصل يميز أحدهما عن الآخر فقد حدث إختلاط بين الإثنين منذ فجر التاريخ، وأطلق المصريون القدماء على السودان إسم تا- نحسو Ta-Nehesu وتعنى أرض السود كما أن كلمة نحسو قريبة لكلمة نحاس بالعربية، لأن أهل النوبة قريبون إلى اللون النحاسى..

وكلما قرأنا أكثر نشعر بوحدة وادى النيل وهذه الوحدة بين مصر والسودان ، هىّ وحدة قرابة ، وحدة دم قبل كل شىء، لأن مصرايم أب المصريين شقيق بالجسد لكوش أب السودانيين، وكلاهما أبناء لحام من نسل حام ، أحد ثالوث أولاد نوح ، سام وحام ويافث.. وفى ندوة جامعة القاهرة معهد الدراسات الإفريقية شاركت ببحث عن دبلوماسية ملوك النوبة وطرحت فكرة تقول: أن ملوك كوش مثل بعانخى عندما إستولى على مصر حتى الدلتا ، لم يكن مستعمراً، إنما كان يتحرك فى إطار البلد الواحد وادى النيل..

٥٩. وذهب ذهب ملكة مروي

زينة الجنة: ذكر الذهب الأصفر معدنا لامعا تسعى نحوه أفئدة الناس ويتعبون ويكافحون لأجل الذهب، وفي التقاليد الشرقية كلما رزق الناس برزق وفير يحولون مالهم إلى ذهب.. وتسعى المرأة الشرقية فى إكتناز الذهب بطريقتها الخاصة ، وعن طريق الهدايا التى تقدم إليها..

وحتى فى موكب السماء فى سفر الرؤيا ، هناك حديث عن الذهب، فالملائكة يتزينونَ بالذهب: وخرجت السبعة الملائكة ومعهم السبع الضربات من الهيكل وهم متسربلون بكتان نقى وبهى ومتمنطقون عند صدورهم بمناطق من ذهب (رؤيا ١٥:٦).. وأعطى هؤلاء سبعة جامات من ذهب.. وحول عرش الله العظيم هناك كائنات روحية، وهناك أيضا أربعة وعشرون عرشاً وعلى العروش أربعة وعشرون قسيساً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب وفى أيديهم مجامر من ذهب (رؤيا ٤)..

وكانت المرأة المعززة تنسج ثيابها بالذهب.. كل مجد إبنة الملك فى خدرها منسوجة بذهب ملابسها (مزمور٤٥:١٣).. وتصف عروس النشيد عريسها بأن رأسه ذهب أبريز ويداه حلقتان من ذهب (نشيد ٥)..

والإنسان نفسه يتزين بالذهب، ولكن إذا لم يكن مع الذهب تقوى وخوف الله ، فإنه مرذول مهما تزين بزينة الذهب (أرميا ٤:٣٠).. والخطية تكدر الذهب تغير الإبريز الجيد (مراثى٤).. والكدر هو الزغل والذهب ينبغى أن يظل نقياً، والمؤمن لا يسمح بدخول الخطية إلى قلبه.. وفى القرآن الكريم زينة الجنة هو الذهب.. ويتحلى المؤمن المنتصر بلباس من ذهب ولولؤ، إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير(سورة الحج٢٣).. أدخلوا الجنة.. يطاف عليهم بصحاف من ذهب. وأنتم فيها خالدون (الزخرف ٧١)..

ملكة مروى : والمرأة عموما تحب الذهب وتكتنز الذهب، ويتم إرضاؤها بهدايا من ذهب.. وعندما تكون فى البيت تكون عيناها على ذهبها. وعندما تخرج تؤمن مكان الذهب، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً.. وفى تاريخ مملكة مروى، تتربع على عرش القلوب الملكة "أمانى شيختو"، وهى ملكة مروى وهى كنداكة عظيمة من كنداكات السودان المتحضر.. والذى فى دروب المجد.. وعندما كانت بعض القبائل العربية ترفض المرأة وتقتلها فى المهد صبية، كان السودان يملك المرأة ويجعلها فى قمة عرش المسئولية، ويرجع تاريخ مملكتها الفتية إلى النصف الثانى من القرن الأول قبل الميلاد، وقد نقش رسم هذه الملكة على بوابة الهرم السادس بمروى في صورتين، ملكة جليلة مهيبة بدينة الجسم عليها شارات ورموز الملكية، وفى كلا المشهدين تحمل في يدها حبلاً مربوطا حول رقاب مجموعة من الأسرى..

وفي هذا المشهد على الجانب الشمالى من البوابة نجدها تلوح بقوس وأسهم، وهو سلاح النوبة الشهير. والذين يعتزون بداؤد النبى الذي بقوسه أو بنبلته قتل جليات الجبار.. وتحمل بيدها اليسري حربة وقد عرف السودان بالنيشان الدقيق الذى يصيب الهدف، حتى إن كان حدقات العيون.. وفى الصورة كأنها توجه الحربة إلى أجساد أعداء البلاد.. وكتب إسمها باللغة المروية المصورة فى خرطوش ملكى فوق وأمام رأسها مباشرة "أمانى شيختو".. وقد بنت هذه الملكة هرماً هو الهرم السادس، وعلى الحائط الجنوبى منه نقش يصور العبادة الجنائزية للملكة المتوفاة.. وقد أحبت "أمانى شيختو" الذهب حباً شديداً..

وكانت تتزين به وإحتفظت بهذا الذهب فى مخبأ بهرمها ، وظل الكنز مخفيا عن الأعين حتى أوائل القرن التاسع عشر عندما وصل إلى السودان طبيب هو"جوزيف فرلينى" من العسكر ، إيطالى الجنسية خدم فى سنار وكردفان ثم الخرطوم، وعرف هذا الضابط أهمية الآثار وموقعها، وطلب من الحاكم العسكرى المصرى إذناً بالتنقيب عن الآثار، رغبة منه فى القيام بعمل نافع فى التاريخ.. وذهب بعد أن تفرغ إلى ود بانقا Wad Bannaqa والنقعة Naqa والمصورات الصفراء وبعد جهد جهيد إكتشف كنوز الملكة "أمانى شيختو" وعثر على جثتها.. وقد قام بتفكيك الهرم ثم حصل على ضالته المنشودة..

وكان هذا سببا في أن يأتى آخرون ويدمروا الإهرامات بحثا عن الذهب.. ذهب منقوش برسوم جميلة تفوق ما يحدث فى عصرنا.. ولكن فرلينى سرق الذهب..وذهب ، ذهب ملكة مروى إلى خارج البلاد ، وإبتاعه منه متحف ميونخ وبرلين .. وأخذ هو الثمن ولكن يبقى الآثر تاريخياً ، أرجو أن يبذل مجهود في عمل نموذج منه لكى يكون معنا هنا فى متحفنا القومي السوداني..

٦٠ . النوبة ملوكاً وشعباً

تاريخ مجيد : لا أقدر أن أخفى إعجابى بتاريخ النوبة وبأمجاد سودانية عريقة.. ممالك عظيمة مملكة كوش.. مملكة مروى.. مملكة النوبة.. مملكة أثيوبيا.. مملكة الحبشة.. كلها مترادفات لإسم واحد هو الأن السودان.. وملوك أقوياء.. أنقياء.. صامدين.. مواجهين.. عاشوا فى وداعة وتواضع وعرفهم الشعب هكذا، وعندما كان أى ملك من الملوك يتخطى الإشارة الحمراء، وينتقل من التواضع إلى الكبرياء كان الشعب يرفضه مثلما حدث ضد الملك عبدالله برشمبو سنة ١٣١٧.. وهو أول ملك نوبى مسلم ، لقد خرج عليه أهل النوبة ولم يعترفوا به ملكاً، وليس السبب أنه مسلم، إنما السبب ما أصابه من الكِبر، ولسقوطه فى الكبرياء، وكما قال" النويرى" عن الملك أنه غيرّ قواعد البلاد وتعاطى نوعا من الكِبر، لم تجر عليه عادة ملوك النوبة بمثله وعامل أهل البلاد بغلظة وشدة فكرهوا ولايته.. والذى ثار ضده هم نفسهم الذين ناصروه من القبائل العربية وبعض أهل النوبة حتى أن هؤلاء عندما وصل كنز الدولة إلى بلده إلتف حوله النوبيون وأعلنوا ولاءهم له ملكاً.. حتى أن "النويرى" قال: إنهم حيوه تحية الملك ، وهىّ قولهم : موشاى، موشاى.. وهذه لفظة لا يخاطب بها إلا الملوك.. وأيضا عندما أتى رسل الملك" قمبيز" وتقابلوا مع

ملك النوبة أثيوبيا، خاطبهم بتواضع ورفض هداياهم والتى كانت ثوباً أرجوانياً، وذهباً، ودفعها إليهم وقال لهم: هؤلاء الناس خداعون وأثوابهم خداعة.. لم تخدع مظاهر العظمة ملك النوبة.. وعندما لجأ عبيد الله بن مروان الحمار أمير مصر إلى ملك النوبة لاجئاً ، وجد الأمان عنده فإن هذا الأمير إستخف بتواضع ملك النوبة فى المظهر، ولكن ملك النوبة رحب به وقبلّ يده.. ورفض أن يجلس على المقعد الوثير المعد له وقال للمترجم : قل للأمير كل ملك لا يكون متواضعاً لله فهو جبار عنيد متكبر..وجلس وبدأ يكتب بأصبعه على الأرض، وإنتهى الحوار بينهما بأن رفض ملك النوبة إستضافة أمير مصر المتكبر لئلا يدركه ما أدرك الناس فى بلده بسبب أعمال السوء التى لم يعرف أن يدافع عنها فى وجود الملك..

ملوكاً وشعباً : إن تاريخ النوبة ملوكاً وشعباً هو تاريخ المجد.. وكما يغنى الفنان وردى حين خط المجد دروبه فى الأرض ..عزم ترهاقا وإيمان العروبة.. عرباً نحن حملناها ونوبة.. بدمانا من خلود القادرين.. هوّ يحدونا إلى عز مبين.. كان الملوك فى تقواهم يعيشون.. فى إيمانهم ينمون، حتى أن بعض الملوك رفضوا عروش الدنيا وسجدوا مكرسين حياتهم لسيد كل عرش. تركوا كرسى المُلكِ.. وفضلوا أن يعيشوا الفضائل المسيحية.نسكاً ورهبانية وإنسكاباً روحياً عند قدمى السيد المسيح..

أما شعب النوبة فلقد كانوا على دين ملوكهم.. كانوا أتقياء أصفياء. ودخل دين الملوك إلى أعماق الشعب وعاشوا معاً حياة التقوى والقداسة.. كانوا أقوياء ولكن قوتهم لم تكن ضد أهليهم..كانوا رماة حدق، ولكنهم لم يرموا أحداً إلا إذا إعتدى عليهم.. وقال" القزوينى" عن شعب النوبة : إن بلاد النوبة أرض واسعة فى جنوبى مصر وشرقى النيل وغربيه، وأهلها أمة عظيمة، نصارى يعاقبة أى أقباط أورثوذكس، ولهم ملك إسمه" كابيل" يزعمون أنه من نسل ملوك حمير، وأضاف " القزوينى" حديث الرسول الكريم: خير سبيكم النوبة.. وحديث آخر قال فيه: من لم يكن له أخ فليتخذ أخاً نوبياً.. وهذا حديث نعتز به وشهادة نفخر بها ، لأجدادنا شعب النوبة العظماء أهل المحبة والإخاء.. والأخوة الصادقة البيضاء ...

وكان شعب النوبة ، شعباً يقظاً، واعياً فلقد رفضوا كبرياء الملوك، بل أن" زكريا" أبُ الملوك والذى قرر التعبد متفرغاً مع الأشراف على العرش، أقصى أول ملك عينه، عن عرشه لأنه كان متكبراً.. إن النوبة ملوكاً وشعباً موضع فخر وإعتزاز لكل سودانى مهتم بأجداده.. لقد وقعت أنا شخصياً فى غرام ملوك النوبة وشعبها، ولكى أعيد هذه الأمجاد لأحفادهم الذين يحبون القراءة، كتبت فى هذا الموضوع ما لا يقل عن مائتى مقال حتى تاريخه.. وتاريخه هو يوليو المجيد ٢٠٠٥م..

٦١ . المهاجرون إلى النوبة

نحو الجنوب : تُعد بلاد النوبة منفذا طبيعيا لهجرة المهاجرين وهذا هو الإتجاه الطبيعى الذى لجأ إليه سكان وادى النيل، لكى يعيشوا على شريط النيل الممتد جنوبا حتى أعماق إفريقيا سواء كان هذا بسبب ضيق المعيشة أو ضنك الإضطهاد أو السعى نحو حياة أفضل بحثاً عن الذهب والمعادن النفيسة.. ولقد رحبت النوبة بكل القادمين إليها غير أن نظام مملكة النوبة كان يعتبر أن الملك هو الذى يملك كل أراضى النوبة وليس من حق مواطن نوبى أن يبيع بيته لمواطن غير نوبى وهذا جعل مشكلة كبيرة تظهر فى علاقات النوبة بالمسلمين، وعندما زار الملك " جورج" أمير المؤنين فى بغداد ، وعقد معه بعض المفاوضات حول البقط والذى تأخر سداده لمدة أربعة عشر سنة، نجحت المفاوضات وأوقفت التهديدات العربية بالإحتراب.. وأعفى الملك من البقط..وأختصر البقط بنفس القيمة السنوية.. ولكن مرة كل ثلاث سنوات ولكن هذه المفاوضات لم تنجح فى أمر المسلمين الذين إشتروا بيوتا فى النوبة وحول الأمر إلى القضاء الإسلامى والذى رفض الأمر جملة وتفصيلا..وتم شطب البلاغ ، وكانت هجرة الشمال إلى الجنوب سببا فى تلاقى الثقافات مع تميز كل عن الأخرى...

وتأثرت النوبة بحضارة مصر الفرعونية ، وتأثرت مصر الفرعونية بحضارة النوبة ويرى البعض أن هناك غلبة للواحدة على الأخرى.. وكانت هجرة الشمال نحو الجنوب سبباً فى نشر المسيحية.. كما كانت سبباً فى نشر الإسلام، فلقد نقل الشمال كلاهما على مستوى تدريجى ثم على مستوى عام.. وكان للعرب نصيباً فى الهجرة إلى النوبة، وذلك فى الأيام الأولى للإسلام، عندما كان محارباً من القبائل وأقر الرسول الكريم أن يهاجر المسلمون وهم قطيع صغير إلى بلد جوار، وإلى ملك لا يظلم الناس عنده.. ويؤكد بروفسور" عبدالله الطيب"، أن ملك الحبشة ليس سوى ملك النوبة، ويزيد بروفسور "حسن الفاتح قريب الله" التأكيد بأن المهاجرين المسلمين فى الهجرة الأولى والثانية أتوا إلى مملكة النوبة ولا غرو فى هذا، فلقد كان ملوك النوبة آنذاك يعيشون أعمق المبادىء المسيحية التى تنادى بقبول اللاجئين إليها ، عملا بقول السيد المسيح: كنت غريبا فالجأتمونى أو كنت غريبا فآويتمونى، وإن من يفعل هذا بأحد أخوان يسوع ، فإنه يوجه عمله ليسوع نفسه، وهذا هو ميزان الدينونة فى اليوم الآخير (إنجيل متى ٢٥)....

المهاجرون إلينا : عندما تعرض مسيحو مصر للإضطهاد الرومانى ومحاولة لتصفية المسيحيين حتى الإمبراطور"سافيروس" أصدر مرسوماً عام ٢٠٢م يحرم

على رعاياه الدخول إلى المسيحية ولا اليهودية .. وكان بحسب القانون يحكم بإعدام من يعترف أنه مسيحى، ولهذا هاجر المصريون إلى منطقة النوبة السفلى والوسطى وإستقروا فى جزر النيل، وبين ثنايا التلال والصخور، إختاروا بطون الأحجار لكى يمارسوا عباداتهم فى إطمئنان، بعيداً عن ضغط الرومان.. وبدأت الهجرة أولاً من منطقة "طيبة" أى الأقصر إلى أسوان ، وكانت طيبة مركزاً للدعوة المسيحية فيما حولها من أقاليم، وهناك إزدهرت الرهبنة فى القرن الثالث ومن بينها دير أخميم.. وكان المسيحيون محبون نشطون لم ينعزلوا عن الآخر، بل إختلطوا بأهل النوبة يرغبون فى أن يمتد إليهم نور المسيح.. وأن يذوق أهل النوبة: ما أطيب الرب ، وما أحلى العشرة معه..

وهاجر البعض إلى الصحراء الغربية على الطريق التجارى مع السودان، طريق درب الأربعين، وعاشوا هناك يشرحون درب يسوع المسيح طريقاً للحياة الأفضل.. وقام التجار المقيمون هناك، خلال الحصون الممتدة على طول الطريق، بدعوة النوبة إلى المسيحية، كما أيضا سهلوا للمهاجرين أمر الإلتجاء إلى النوبة كما دعموا أيضا التبشير بالمسيحية، بين أهل النوبة فى وقت مبكر وقبل دخول المسيحية رسمياً فى القرن السادس الميلادى..

والتجار كانوا مصريين ويهوداً.. أهل مصر أجمعوا على المسيحية وبعض اليهود عندما زاروا أورشليم بحسب قواعد دينهم رأوا.. وسمعوا.. وفهموا ماهىّ المسيحية ؟.. ورجع بعضهم يؤمن بالمسيحية ويشجع عليها كطريق نور وحق وحياة.. كما قام الرهبان بدور كبير فى نشر المسيحية ونقل قداستها إلى بلاد النوبة..

٦٢ . سواكن وعيذاب في البجا

بادية الشرق : جاء في الموسوعة العربية الميسرة ،إن البجا قبائل تسكن صحراء مصر الشرقية، وينقسمون قسمين رئيسيين: العبابدة والبشاريين، ويبلغ عددهم حوالى مليونين ونصف.. منهم نصف مليون داخل مصر والباقى فى السودان، وهم رعاة رحالة يعتمدون فى حياتهم على تربية الإبل والماشية والأغنام، إلى جانب زراعة الشعير التى تقوم على المطر.. ويعيش هؤلاء فى شبه عزلة ثقافية وإجتماعية، ولكن الأن بدأوا يهاجرون من الصحراء بحثا عن العمل وهم مسلمون متمسكون ، ورغم هذا فهم يختلفون مع الإسلام فى موضوع الميراث حيث يورثون

إبن البنت ولا يحجبون الوراثة بسبب عدم وجود أولاد.. ويرون أن إبن البنت وإبن الأخت هما النسب الصحيح ، ويقولون عنهم إنهم كانوا يهاجمون المسلمين حتى أسلم بعضهم وهم من قبل أيضا كانوا يهاجمون المسيحية، حتى دخل بعضهم إلى المسيحية وكتبوا أسماءهم مع رسم الصليب، ورسموا الصليب على أياديهم وعلى ديارهم طلبا للبركة وطردا للأرواح الشريرة ، ومن صار منهم مسيحيا إعتمد الصليب رمزا روحيا مقدسا، ووحدة فنية مكررة فى نسيج الملابس وفي ديكورات المنازل..

وقال عنهم "المقريزى" إنهم تجمعوا أمام عبدالله بن أبى السرح، على شاطىء النيل فسألهم عن شأنهم فقالوا: إنه ليس لهم ملك يرجعون إليه فهان عليه أمرهم وتركهم ، فلم يكن لهم عقد ولا صلح.. ونحن نشك فى إفادتهم، فلقد كان لهم ملوك أقوياء وعتاة مثل على بابا وشارشن وكنون ومن إليهم.. وقد عقد إبن الحجاب فى أواخر القرن الأول للهجرة كتاب تعاهد على أن لا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً.. كان التعاهد يقتضى ان يدفعوا تعويضاً عن ما يأخذوه للشاة أربعة دنانير، وللبقرة عشرة، وكان وكيل البجا مقيما فى الريف رهينة بيد المسلمين.. ولكن كثرت أذيتهم على المسلمين ولم يرعوا العهد مما جعل المأمون يرسل إليهم عبدالله إبن الجهم، الذى بعد معارك عديدة كتب لهم كتابا هو ميثاق جديد يجعلهم عبيدا لأمير المؤمنين.. على أن يكون الملك البجاوى متحكما فيما يملك فى بلده دونما تدخل، وطلب منهم أن يؤدوا الخراج وهو مائة من الإبل أو ثلثمائة دينار، أيهما يختار أمير المؤمنين ؟.. وذكر التعويض الذى يدفع وطبعا فيه فرق بين المسلم والعبد المسلم، والذمى على أن يقوم البجه بحماية التجار الذين يفدون إليهم....

سواكن وعيذاب: إشتهر للبجا مدينتان على ساحل البحر الأحمر، وهما سواكن وعيذاب، وقد قال أبو الحسن المسعودى عن سواكن إنها أقل من ميل فى ميل، وبينها وبين البحر الحبشى بحر قصير يخاض أى أنه غير عميق، وأهلها طائفة من البجة تسمى" الخاسة" وهم مسلمون ولهم بها ملك.. وقال إبن سعيد وصاحب سواكن من البجا المسلمين وله ضرائب على التجار، وسواكن صغيرة جدا، وبين سواكن وبين عيذاب نحو سبع مراحل.. وحكى لأبى الفداء بعض المسافرين بأن سواكن بقدر ضيعة صغيرة فى جزيرة صغيرة ، قريبة من الساحل، ويخاض إليها من البر وهىّ وما حولها للبجة، وأما ما وراء سواكن وإلى المندب، فهو لجنس من السودان يقال لهم "دنكل" ومن وراءات المندب لزيلع...

وتقول الموسوعة العربية الميسرة أن سواكن ميناء صغير على البحر الأحمر شرق السودان.. وكانت ميناء السودان الأول حتى القرن العشرين ، وقد تدهورت

بعد إنشاء بورتسودان، وبها الأن محلج للقطن الذى تنتجه دلتا طوكر.. ومنها يذهب الحجاج إلى الحج.. وقد أعيد الأن لسواكن مجدها القديم، لكى تكون ميناء مهماً فى السودان.. أما عيذاب فهىّ فى المكان المعروف الأن برأس رواية قال عنها إبن خلكان: عيذاب بليدة على شاطىء بحر جده، يعدى منها الراكب المصرى المتوجه إلى الحجاز، على طريق قوص فى ليلة واحدة ، فى أغلب الأوقات فيصل إلى جدة.. وقال ياقوت فى معجم البلدان : عيذاب بليدة على ضفة بحر القلزم، هىّ مرسى المراكب القادمة من عدن إلى الصعيد.. ونلاحظ الإصرار على إنها بليدة أى بلد صغير، بينما إبن خلدون يقول عنها: إنها تقابل جدة، وهىّ فى العدوة الغربية من البحر.. وقال عنها إبن عيذاب: إنها مدينة حسنة وهىّ مجمع التجار براً وبحراً.. وأهلها يتعاملون بالدراهم، ولا يعرفون الوزن، وبها والي من قبل البجة وآخر من قبل مصر.. ولكل ضريبته ولكل رسالته...

ولم يخفِ " المقريزى" عدم رضائه عن البجا وعن تدينهم السطحى.. وكان الحجاج من يذهبون إلى مكة من صحراء عيذاب من الفسطاط إلى قوص.. حيث يركبون الإبل من هناك، إلى عيذاب ، والطريق طويل مسيرة سبعة عشر يوماً.. وينقطع الماء فى منطقة مسافتها ثلاثة أيام، وهىّ منطقة بهارات القرفة والفلفل.. وظلت عيذاب طريقاً برياً لمدة مائتى عام.. وبعد أن كانت مقرا لتجارة الهند واليمن، آفل نجمها وسطع نجم جدة..

٦٣ . المرحلة الأولى لتبشير النوبة

يوليان ولونجينوس: يُعد الكاهن" يوليان" هو أول من إمتلأ قلبه بمحبة بلاد النوبة.. وهو أول من قصدها مبشراً، ولهذا فهو بلا منازع رجل المرحلة الأولى لتبشير النوبة.. وبعده أتى لونجينوس والذى رسم أسقفاً بدعم من الإمبراطورة القبطية " ثيودورة" .. وكان هو بطل المرحلة الثانية لتبشير النوبة، ولقد كان الآخير إمتداد لخدمة الأول، وكلاهما نجح فى نشر المسيحية فى ممالك النوبة التى قامت على أنقاض دولة مروى.. وإنقسمت إلى ثلاثة ممالك مستقلة هى : مملكة نوباتيا Nobatia فى الشمال .. وتمتد من أسوان إلى قرب الشلال الثالث وعاصمتها فرس، وهىّ أول مملكة إستقبلت الوفد الكرازى القبطى فيها.. والمملكة الثانية هى: المقرة Makoritae وتمتد من قرب الشلال الثالث إلى قرب كبوشية.. والمملكة الثالثة هى : علوة Alodia وتمتد من كبوشية إلى جنوبى

الخرطوم الحالية وعاصمتها سوبا، وهى المعنية للرحلة التبشيرية الثانية ، بقيادة "لونجينوس" الأسقف .. أول أسقف على بلاد النوبة سنة ٥٦٦ م...

تبشير يوليان: إن المصدر الرئيسى لهذه المرحلة التاريخية هو يوحنا الأفسسى فى كتابه " التاريخ الكنسى"، ويرى بعض المؤرخين أنه لم يكن دقيقا جدا، وأن حماسه للكنيسة القبطية جعله يتغافل دور الكنيسة الملكانية، كنيسة الملك، كما أنه لم يذكر شيئا عن المملكة الثانية ، مملكة المقرة. وقد ذكر هذا المؤرخ أن يوليان عرض على الإمبراطورة " ثيودورة " القبطية ، رغبته فى تبشير بلاد النوبة ، وتحمست له "ثيودورة" ووعدته بالمساعدة ، ولكنها عندما عرضت الأمر على زوجها إعترض لأن يوليان يعقوبى قبطى، وليس ملكانى.. وقرر أن يرسل هوّ سفارة إمبراطورية خاصة تحمل هدايا لملك نوباطيا وخطاب إلى حاكم طيبة لتسهيل المهمة.. وأسرعت المرأة بإرسال وفدها وحررت رسالة تهديد لحاكم طيبة وطلبت منه أن يحجز سفراء الملك ويعطى فرصة لسفرائها للدخول قبلهم.. ولم يكن أمام حاكم طيبة إلا الطاعة وطالب سفارة الملك بالإنتظار ، للتجهيز، وأعد العدة كاملة لسفارة الإمبراطورة.. وبعدها بمدة قامت سفارة الإمبراطورة .. ووصل القس يوليان إلى أطراف النوبة .. وكان من بين الوفد " ثيؤدور أسقف " فيلة " ..

وإستقبل ملك نوباطيا الوفد فى مدينته فرس، أحسن إستقبال، وقبلّ هدايا الإمبراطورة بسرور.. ولم يلبث أن أعلن هوّ والأمراء وطغمة الحكام، الإيمان بالإله الواحد الذى تبشر به المسيحية.. وإنتهز يوليان فرصة وجوده مع الملك ، وشرح له قصة الإختلاف المذهبى حول طبيعة السيد المسيح، وكيف أن المسيحيون يقابلون إضطهادا عاتيا من الإمبراطور، رغم أنه مسيحى.. وكان البابا القبطى فى المنفى. وذكروا أن الإمبراطورية تؤيد البابا القبطى، وبعد هذا وصل وفد الإمبراطور بهداياهم ، ولكن ملك النوبة رفض بدعة الإمبراطور وآثر مذهب الكنيسة المصرية.. وظل يوليان القس نحوا من سنتين ، وقام بتعميد الملك والأمراء ، وكان معه أسقف فيلة.. وبعد هذا قرر الرجوع لمقابلة الإمبراطورة، وأوكل مهمة المعمدين إلى أسقف " فيلة " الذى يعرفهم حق المعرفة، وعندما عاد إستقبلته الإمبراطورة ، إستقبالاً حسناً، وشرح لها ما كان .. وهكذا بدأت المسيحية فى النوبة فى البلاط الملكى، ثم بعد هذا إبتدأت تنتشر فى أوساط الشعب، وإذا كان الناس على دين ملوكهم ، ولكن يوليان صرف وقتا طويلاً فى إلقاء عظات دينية على الشعب، لساعات متواصلة حتى تستنير القاعدة الشعبية، بنور المسيحية وفق تعاليم الكنيسة المصرية التى صار لها القدح المعلىّ فى تاريخ النوبة المسيحية ، حيث نشأت كنائس عديدة على الطقس القبطى، فى الإتجاه إلى الشرق.. حتى

الموتى دفنوا وهم متجهون إلى الشرق، بحسب عقيدة الأقباط، عن المجيء الثانى للسيد المسيح.. من ناحية المشارق..وتأتى أبحاث بونكر لتؤكد الكنيسة القبطية فى بلاد النوبة ، حيث كتبت اللغة النوبية بحروف قبطية وترجمت كتب الصلوات إلى اللغة اليونانية، وتعلم أهل النوبة ، كهنة وشمامسة ألحان الكنيسة القبطية ، وأخذت كفايات القبور الطابع القبطى وزينت الكنيسة بالأيقونات القبطية التى رسمها الفنان النوبى وأبدع فيها، وترك عليها بصماته المميزة..

وتأسست أديرة الرهبان ، وإمتلأت بالنساك والعباد والمتوحدين، حتى أن بعض الملوك تركوا العرش الملكى وإختاروا حياة الرهبنة القبطية، فى أديرة النوبة أو أديرة وادى النطرون وصحراء مصر.. والملوك النوبيون أيضا آمنوا بالأبدية إيمانا جديدا فاهما جعلهم يدفنون فى مدافن عادية ، ولكن فيها أبهة الملوك، وليس أهرامات لأن أمر القيامة إلهى يدبره الرب القادر على كل شىء..

٦٤. المرحلة الثانية لتبشير النوبة

المرحلة الأولى: إنتهت المرحلة الأولى بتبشير النوبة ، بعودة القس يوليان إلى الملكة "ثيودورة ".. وقد كانت مدة يوليان هىّ عامان فقط، ولكنه أوكل الرعية المسيحية إلى الأسقف"ثيودور" أسقف فيلة، والذى كان محبًا وغيوراً، وله علاقات طيبة مع أمراء النوبة، وربما كان أمراء النوبة يأتون إليه فى مقر إيبارشيته، ويتجاذب معهم أطراف الحديث ويكلمهم عن الفداء والخلاص الذى تم فى المسيح يسوع، وربما أيضا كان الأسقف يعرف لغة النوبة ويتحدث بها، حيث لم ينقصه الذكاء، وكان قبل يوليان يذهب إلى النوبة فى رحلات تبشيرية.. وربما كانت قدوته وأخلاقه وسلوكه الفاضل سبباً فى جذب بعض أمراء النوبة إليه، وأعتقد أنه كان يستقبل من النوبة شعباً ليسوا فى البلاط الملكى، بل ربما كان يرعى بعض النوبيين الذين دخلوا إلى المسيحية بواسطته أو قبل خدمته.. وقد عاش ثيودور أسقف فيلة حتى بلغ عمره ثمانين عاماً، ولم يذكر عنه أى مرض إعتراه، وهذا يعنى أنه كان بكامل صحته يؤدى رسالته فى تعميق اللاهوت المسيحى..

المرحلة الثانية : خرج القس يوليان من النوبة ولم يرجع إليها.. وكان بابا مصر مهتماً بأمر النوبة، فرسم لها شخصاً نشطاً هو الأسقف لونجينوس فى عام ٥٦٦ م.. وبدأت المتاعب تدق على باب خدمته منذ الوهلة الأولى حيث أوغر أعداؤه صدر الإمبراطور جوستنيان الثانى وأوهموه أن لونجينوس سوف يؤلب أهل النوبة

ضده..وبدأت العيون تتطلع إلى لونجينوس من كل ناحية ،وحكم الإمبراطور الصغير بالقبض عليه.. ولكنه لجأ إلى حيلة تمكنه من الفرار، وكان أصلعاً خالى الشعر فوضع شعراً مستعاراً وخرج إلى النوبة ووصل إليها سالماً فى عام ٥٦٩ م.. وهذا يعنى أنه منع من خدمته ثلاث سنوات، وإستقبل أهل النوبة "لونجينوس" إستقبالاً عظيماً، وبدا فى بناء أول كنيسة وإقترح على ملك النوبة أن يرسل هدية إلى الملك الرومانى، ليبرهن على نبل مقصده.. وقد كان، ووصلت السفارة النوبية حاملة الهدايا وإستقبلها الإمبراطور وأخذ رسول الملك يمتدح " لونجينوس" ويؤكد أنه لا يرغب فى إثارة مشاكل سياسية.. وإن هدفه هو المسيح وحده..

وإستمرت خدمة "لونجينوس" لمدة ست سنوات متواليات، بعدها عاد إلى الإسكندرية لكى يشارك فى إنتخاب بطريرك جديد.. وحاول ملك النوبة أن يستضيفه مستعطفاً أياه وقال له: ستتركنا كاليتامى دون أب، ولكنهم سمحوا بعودته ، ومر على أسقف فيلة ولكنه إعتذر لكبر سنه، ولم يكمل معه الرحلة إلى الإسكندرية..

وكان لابد أن يعود " لونجينوس" إلى خدمته، فعاد إلى النوبة عام ٥٨٠ م سوبا.. وكان الأمر بناء على رغبة ملك علوة الذى أرسل عام ٥٧٨م.. رسالة للملك النوباطى يطلب فيها مجىء لونجينوس لنشر الدين الجديد، ورغم أن مؤامرة حبكت من الملكانين ضده ودسائس وفتن، ولكن الملك أصرّ على عودة لونجينوس رغم أن رسلاً للملكانين أتوا إلى الملك بقرار عزل لونجينوس ولم يتوقف هؤلاء عن محاربته.. فعندما عاد إلى النوبة وجد دعوة ثانية من علوة، ولكن الأعداء أرسلوا أسقفين ملكانين إلى الملك فى سوبا، يطعنون فى لونجينوس بأنه هرطوقى مطرود من الكنيسة وليس من حقه أن يعمد أحداً... وعاد الأسقفان خائبان ، وكان ملك سوبا قد صمم على مجىء لونجينوس ورفض كلام رسل الملك ولم يصدقهم.. وجاء لونجينوس إلى سوبا. وعمدّ الملك الكوشى هناك..

المرحلة الثالثة : ويرى بعض المؤرخين إن إنضمام مملكة علوة يعد المرحلة الثالثة لتبشير النوبة.. حيث بدأت الحركة الروحية.. وبناء الكنائس التى زادت عن ستمائة كنيسة فى وقت وجيز.. وفى سوبا وجد بعض الأحباش من المؤمنين وإستوضح إيمانهم، ونقاه من بدع الهراطقة وهذا يعنى تواجد بعض المسيحيين فى علوة قبل دخول المسيحية رسمياً إليها.. وكانت الرحلة إلى سوبا، رحلة قاسية، حيث كان عليه أن يسلك طريق الصحراء الشرقية ويتجنب النيل حتى لا يمر بمملكة مقرة، والتى يبدو أن أصحاب المذهب الآخر كانوا فيها.. وقد كتب ملك النوبة إلى بابا الإسكندرية يقول: ولكن بسبب المكيدة الخبيثة التى دبرها الملك الذى يقيم بيننا، فقد أرسلت أبى البار "لونجينوس" إلى ملك البلمين، وهم البجا ، ليوصله إلى داخل

البلاد.. وإضطر لونجينوس لتغيير الطريق حتى إستقبله إيتكاياAt Tekia مبعوث ملك علوة وركب سفينة نيلية إلى سوبا، وشكر ملك نوباطيا وإعتبره أخاً له فى الدين وساعده أن يؤسس كنيسة ، وهكذا لم يكن "لونجينوس" رجل المرحلة الثانية، إنما أيضا المرحلة الثالثة لتبشير النوبة بالمسيحية..

٦٥. الصوفى الحكيم بروفسور قريب الله

الطرق الصوفية : عندما أهدانى الأستاذ المحترم الدكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم، كتابه القيم ، الطرق الصوفية فى القارة الإفريقية، والذى طبع الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤.. والناشر هو دار الثقافة للنشر والتوزيع.. والباحث هو أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ووكيل معهد البحوث والدراسات الإفريقية، وقد إلتقينا معا فى مؤتمر أقامه المعهد فى القاهرة وتحت مظلة جامعة القاهرة ، إلتقينا فى مايو ٢٠٠٥.. وكنت بصحبة بروفسور أحمد دياب، وبروفسور عقيد ، ولقد فرحت بكتاب : الطرق الصوفية فى السودان.. وكيف إن أهل الصوفية عندنا حكماء، لأن كلمة صوفية تعنى حكمة.. والصوفى فيلسوف.. محب للحكمة.. ومؤلف الكتاب رجل مهذب، يحيا تواضع العلماء صوفى فى زى إفرنجى. وتحدثت مع المؤلف عن العلاقة الطيبة بين الفكر الصوفى وبين المسيحية، وعلى الأخص طغمة الرهبان الذين يتنازلون إختياريا عن الغِنى وملذات العالم ويكرسون حياتهم لله.. ويتفرغون للعبادة وينصرفون عن الزواج والإنجاب.. وشرحت له صورة ما يحدث فى السودان حيث تجمعنى مع رجال الصوفية علاقات توادد، وإخاء، ويمتلىء بيتىفى كل عيد ، برجال من الصوفية، يقدمون تهانى الأعياد المسيحية.ويستنكرون بعض الفتاوى غير المسئولة ، والتى تصدر على ورق أصفر باهت وتدعو المسلمين إلى عدم مشاركة المسيحيين فى أعيادهم..

ولا أنسى من يحضرون إلىّ من أساتذة الصوفية مثل الشيخ قريب الله وأبو كساوى والإدريسى.. وكيف نجلس معا فى صفاء وحب ونتقرب إلى الله.. وكيف أن لهم دورهم الكبير فى إرساء خطى المحبة ، فهم أهل الشريعة.. وأهل الطريقة.. وأهل الحقيقة، كما تعلن جريدتهم التي تسمى"الفقراء"، والتى يحررها تاج الدين الفيتورى، وهو صوفى شاب وإبن للشاعر الكبير الفيتوري.. وهو أيضا من رواد تهانى العيد فى منزلنا العامر..

وشرحت للكاتب أيضا، كيف ذهبنا إلى مسجد العزمية فى الديوم الشرقية.. وكيف رحب بى مولانا أبو العزائم، وطلب منى أن ألقى كلمة فى فناء الجامع، عن فناء الدنيا، وبقاء روابط المحبة التى تجمع أبناء الوطن الواحد.. وتحدثت عن التلاقى فى زى الصوفية.. وزى الرهبان، وفى عدد الصلوات عند المسيحيين، سبعة صلوات، وعند المسلمين نفس الرقم، ولكن خمس صلوات إجبارية وإثنتان إختياريتان..

الشيخ قريب الله: وذات يوم من أيام شهر يونيو، وفى الصباح كنت استمع إلى أستاذ باحث يتحدث عن أمجاد السودان.. ويؤكد أن الهجرة الأولى والثانية فى الإسلام كانت إلى بلاد الحبشة.. والحبشة هنا هىّ السودان.. هكذا كان يطلق عليه..وأن الرسول الكريم عندما طلب من مجموعته الصغيرة أن تهاجر، إختار لها وطن فيه حاكم لا يظلم الناس عنده..وكان المهاجرون حفاة الأقدام.. وكانت الهجرة إلى السودان وطن المحبة منذ العصور القديمة.. وتركت كل شىء ، وإستمعت لأعرف من هو المتكلم.. ولم أستغرب عندما علمت أنه البروفسور قريب الله.. القريب إلى الله والذى فضل موضوع الهجرة بحثاً وأكد أن البلد المهاجر إليه هو السودان.. وبنفس القدر، كان يتحدث الراحل البروفسور عبدالله الطيب.. وبسرعة تذكرت هذا الرجل قريب الله، وتذكرت أسرته العظيمة.. هىّ أسرة علماء وعظماء وأساتذة جامعة.. وتذكرت العلاقة الحميمة التى أقامها الهادى قريب الله مع أقباط أمدرمان، عندما كان ناظراً لمدرسة الأقباط بأمدرمان.. وهىّ مقابل الكنيسة.. وكان يشترط أن يكون الناظر مسيحياً، ولكن سماحة الهادى غريب الله جعلت أقباط أمدرمان لا يستوقفون، بل يوافقون.. وكيف أن الشيخ أيمن مع أسرته يشاركوننى فرحة العيد، فى كل عيد..

ودوماً أقول له: إن الصوفية ليسوا دراويش، إنما هم أساتذة جامعة.. وكان شيخ الأنصار يعقوب الحلو ، بإبتسامته الراقية وصوفيته الرزينة ، ينير مجلسنا فى الأعياد المسيحية.. ولكننى بعد وقت وجيز، سمعت بخبر رحيل مولانا الشيخ حسن محمد الفاتح غريب الله.. وشعرت أن الإذاعة السودانية تهىء الناس لهذا الحدث الجلل.. إنه شيخ السجادة السمائية الطيبية القريبة.. وسريعاً ذهبت لأشارك فى التعزيات، وكان الكل هناك باكياً ومودعاً للشيخ الجليل.

ولا أنسى أننى ذات يوم إتصلت به، لأعلمه إنى فى إنتظار حضوره إلى قطعة الأرض الخاصة به جنوب الكنيسة، لأشاركه الفرحة ، كجار محب لجاره وسعيد به. ولكنه قال: أنا سوف أحضر الأن إلى منزلك.. قلت له: سيدى لقد جهزت هديتى إليكم.. فأجاب: ولقد جهزت أنا هديتى إليكم.. وإلتقينا فى حديث ممتع فىأرض

السمائية بجوار الكنيسة وأعلن هو لكل مريديه: أن لا يصنعوا شيئاً فى الأرض إلا بمشاورة صديقه وشقيقه الأب فيلوثاوس.. ولكن ها قد رحل مولانا والأمل ينعقد على إبنه ومريديه، أن يكملوا المشوار وسوف يكملونه...

٦٦. العمرى... ضاع عمره لأجل الذهب

نحو الذهب : ليس هناك من معدن جذاب على مدى تاريخ البشر قدر الذهب.. ولم تكن قيمةالذهب راجعة إلى القيمة الإقتصادية له فقط ، بل أن الذهب كما يرى الفراعنة هو مأد الشمس، فهو المعدن اللامع ، وغير القابل للفساد.. وهو الذى إنبعثت منه الآلهة.. وللذهب أكثر من قيمة معنوية، فهو كان ذهباً.. وفى أى موضع يوضع فيه ، هو ذهب.. ذهب لا يتأثر بعاديات الزمن ولا بصدأ ، رمز للايمان اللامع، وللمؤمن القوى الذى مهما تراكمت عليه هموم الحياة ، يظل نقياً صافياً طاهراً.. وكما أن الذهب يمتحن بالنار.. والنار تطهره من أى معدن آخر عالق به ، هكذا المؤمن يدخل إلى آتون التجربة وينقى الإيمان فيه من شوائب الأفكار غير الإيمانية حتى أن الرسول بطرس يشجع الكنيسة الأولى ويطالبها أن تكون فى بهجة الروح، ويخاطب المؤمنين .. لكى تكون تزكية إيمانكم وهىّ أثمن من الذهب الفانى، مع إنه يمتحن بالنار .. توجد للمدح والكرامة والمجد عند إستعلان يسوع المسيح .. ويقصد بالإستعلان هنا، المجيء الثانى للسيد المسيح.. وهذا يعنى أن يظل المؤمن طاهراً نقياً كالذهب المصفى بالنار حتى مجيء الساعة..
نحو الذهب: وحول الذهب كان سعى الإنسان .. نحو الذهب كانت أشواقه.. وعن الذهب كانت رحلات البحث والإستكشاف.. وبلادنا النوبة والبجا والسودان وأثيوبيا وكوش هىّ موطن الذهب، ولهذا إتجه العالم نحو كنوز الذهب فى بلادنا.. وتذكر فترة الحكم التركى، كيف كانت ظروف مصر قاسية.. والحكام لا يختارون لا من مصر ولا من العرب ، إنما من الأتراك فقط.. والضرائب باهظة.. وتجمع الضرائب تحصيلاً بأقسى وأردأ الوسائل.. وكانت تبتدع ضرائب جديدة مع كل حاكم ، بل مع إشراق كل يوم جديد.. ودخل الزعماء العرب، سجون الأتراك ، وفرضت عليهم الغرامات الباهظة ، وبسبب هذا الضغط السياسى والإقتصادي .. بدأ السعى نحو الهجرة.. والإنسياب جنوبا وغربا ، بعيدا عن المد التركى..
وكانت الفرصة على يد الدولة الطولونية ، حيث قرر أحمد بن طولون في عام ٨٦٨ م.. إعداد حملة حربية إلى بلاد النوبة.. وأرض " البجا".. وأسندت قيادة

الحملة إلى عبد الرحمن عبدالله بن عبد الحميد العمرى.. وإشترك كثيرون من العرب فى الحملة من ربيعة.. وجهينة.. وكانت الأهداف المعلنة هىّ تأديب أهل النوبة ، لرفضهم جزية البقط ، ولكن الأهداف غير المعلنة ، كانت إشباع المغامرين في سعيهم نحو الثروة ، والكشف عن مناطق جديدة لمعدن الذهب فى أرض البجة.. وإفتتاح مهاجر جديدة تتسع للعرب بعد أن ضاقت بهم مصر..

عبد الرحمن العمري: وقائد حملة إبن طولون هو العمري.. والعمري هذا واحد من رجال الدين الإسلامى.. كان ذو شخصية فذة وشكيمة قوية.. وتمكن من أن يحول أنظار العرب نحو بلاد النوبة وأرض البجة.. وبينما كانت المناطق كتب على أبوابها ممنوع الدخول ، دخل هو.. ومعه قبائل عربية.. وإشتروا بيوتا.. وبنوا عمائر.. وإستقروا بالقرب من مناجم الذهب وعاشوا فيها.. وصاهروا النوبة والبجة.. وعن طريق بلادنا كانت تورث إبن البنت ، تمكنوا أن يسيطروا على بقاع كثيرة من خلال النسب.. والعمرى هذا واحد من رواد الثقافة الإسلامية الأول ، كان يدرس مادة الحديث في أروقة العلم وهو من مواليد المدينة المنورة ، حيث نشأ وترعرع ثم رحل إلى مصر.. وفى الفسطاط إشتغل أستاذا للأحاديث الشريفة ثم إتجه إلى القيروان وعاد إلى مصر وهناك وصلته أنباء، مناجم الذهب بالنوبة والعلاقى..

وكما كتب المؤرخ مصطفى محمد سعد.. سال لعاب العمرى نحو الذهب..وهكذا تحول رجل الدين إلى مغامر كبير وإجتمع إليه جمع كثير من طلاب المعدن اللامع وسار هو على رأسهم إلى النوبة والبجة.. وإجتاز العلاقى إلى منطقة شنقير التي تقع بين بربر ومروى الجديدة، وهىّ منطقة أبو حمد الحالية.. وأقام هناك بترخيص من الحكام قواعد على النهر للحصول على الماء.. وإنتصر على قوات ملك النوبة "جورج الأول".. وإمتد نفوذ العمرى شرقا حتى عيذاب.. وشمالا حتى أسوان.. وبدأت الرواحل تحمل إليهم المؤونة ومواد البناء من أسوان حوالى ستين ألف راحلة.. لقد كان يريد أن يقيم إمارة إسلامية تحت زعامته، حتى إن إبن طولون الذى إختاره لقيادة الحملة أعاد التفكير فيه وأرسل إليه من يحاربه في حملة حربية ، بقيادة صباح بن حركام البابكى.. وقد كتب النصر للعمري وطارد حملة البابكى حتى إدفو.. ولكنه لم يفضل أن يستمر أو يستقر فى قلب مصر.. بل عاد إلى الشىء الذى أحبه قلبه.. وهو مناجم الذهب.. ليبقى بجوارها ، ولكنه ذهب مع الذهب وقتله عربى من قبيلة مضر.. وإنتهت قصة العمرى المغامر الشجاع، لتقول لنا : ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله ، وخسر نفسه؟...

٦٧. البجا ... النسب والحسب

أمم السودان: قال إبن سعيد أن من أمم السودان البجا وهم شديدو السواد عراة الأبدان ويعبدون الأوثان ، وهم أهل أمانة، وهم مرافقون ممتازون للتجار الذين يأتون لبلاد السودان بسبب الذهب والزمرد الأخضر.. وهم فوق الحبشة.. بين بحر القزم ونهر النيل، وبينهم وبين النوبة جبال منيعة.. وقد أخذوا فى تنظيم حياتهم فى الصحراء الشرقية ، بادية بنى كوش، بالسيطرة على وسائل النقل والتجارة ، ما بين النيل والبحر ...

وكان البجا يكررون الغارات على المنطقة ، وقد حاول الرومان إخضاعهم ، وزحف القائد الرومانى إلى بلادهم ، ولكنه عقد معهم هدنة لمدة مائة عام، وكتب معهم إتفاقية ومعاهدة، ولكنهم بعد موت القائد الرومانى" مكسيموس".. عادوا إلى شن الغارات من جديد.. وأطلقوا أسراهم بالقوة وهزمهم قائد آخر.. وبدأوا فى الحرص على تنفيذ بنود المعاهدة التى كانت تعطيهم الحق فى الحج إلى معبد "إيزيس" في فيلة.. ولكن بعد إغلاق هذا المعبد دخل بعض البجا إلى المسيحية، وقد لجأ الرومان إلى ترغيب البجا فى المسيحية وأقطعوهم إقطاعا بمدينة طيبة. ويؤيد ذلك ثلاث وثائق مكتوبة باليونانية على ورق غزال، ربما ترجع إلى القرن السادس الميلادي، وفى الوثيقة الأولى: إن الملك البليمى (البجاوى) "شاراشن" منح أولاده الثلاثة حكم جزيرة " تنارى " كما منحهم حق جباية الضرائب بها.. وتلاحظ فى هذه الوثيقة أن إسمى الشاهدين وهما من البجا يحملان علامة الصليب..وفى الوثيقة الثانية: أصدر ملك بيجاوى آخر إسمه "باكتيمن" قراراً بتعيين بواى POAE القسيس آيبوسIEPEUS..حكم جزيرة " تنارى" ، وهذا اللقب من الألقاب المعتادة فى الوثائق المسيحية.. وقد إقترن إسم الملك فى هذه الوثيقة الثانية بعلامة الصليب، مما يرجح أولئك البلمين (البجا) للديانة المسيحية.. ويرى الأستاذ مصطفى مسعد أن منح البجا إقطاعيات فى مصر يهدف إلى القضاء على نفوذ الحميرين.. كما يحسب إغراء لهم للدخول إلى المسيحية والسيطرة على أوطانهم الممتدة جنوب شرقى مصر إلى حدود أكسوم.. ولهذا أرسل الإمبراطور "جوستن" الثانى والبابا تيموثاوس، رسلهما إلى أكسوم لمحاربة الحميرين وهدد الإمبراطور بأنه سوف يرسل جيشا من البجا والنوبة لحرب الحميرين إذا أبطأت أكسوم عن أداء هذا الواجب المسيحى..ولا يبعد أن تكون جزيرة "تنارى" التى وهبها الرومان إلى بعض من البجا ، ثمنا لخدماتهم للدولة البيزنطية وقبولهم المسيحية.. ويؤكد

دخول البجا إلى المسيحية أيضا ما جاء فى بردية نشرها "ماسبيرو" تشتمل على شكوى موجهة إلى حاكم طيبة ضد مجموعة كانت ترغب في إعادة فتح معبد "فيلة" والإرتداد عن الإعتقاد بوجود إله آزلى.. وهذا يعنى أن المسيحية كانت عند البجا مع الوثنية جنبا إلى جنب..

الحسب والنسب: وذكر " نعوم شقير" أن أنساب البجا هىّ من جهة النساء، وهم يورثون إبن البنت، وإبن الأخت دون ولد الصُلب، ويقولون: أن ولادة إبن الأخت وإبن البنت أصح، فإنه إن كان من زوجها أو من غيره، فهو ولدها على كل حال.. وهم أصحاب ذمة فإذا غدر أحدهم رفع المغدور به ثوبا على حربة وقال: هذا عرش فلان، يعنى أبا الغادر ، فتصير سيئة عليه إلى أن يترضاه.. ومن عادات البجا، أنهم يبالغون فى الضيافة ولابد أن يذبحوا ذبيحة للضيف القادم إليهم .. وإن لم يجدوا ، ينحروا أنعام الضيف نفسه ويعوضونه عنها. وهم يأكلون اللحوم ويشربون الألبان، ويأكلون مخ الجمال نياً.. ويشربون دم الضأن.. ولهم سرعة فى الجرى.. وسلاحهم الحراب السباعية.. وهي حراب ذات مواصفات خاصة ، يضعونها فى أيديهم ولا يخرجونها إلا أحياناً.. وتقوم النساء بصناعة هذه الحراب فى منطقة مغلقة، لا يدخل إليها الرجال..

وإشتهر عن البجا ختان النساء الفرعونى والذى نجحت فى إبطاله بالسودان جمعية محاربة العادات الضارة، بعد معركة ساخنة مع المؤيدين للختان الفرعونى.. وأقنعت" جمعية محاربة العادات الضارة"، كثيرين من أفضل أهل السودان بمساوىء هذا الختان.. وكان البجا صائبة لهم كاهنهم الذى ينتقل معهم فى خيمة خاصة ، من مكان إلى مكان، فى قبة على جمل منفرد..

ويقول إبن الوردى فى تاريخه : إن بين البجة والنوبة قوم يقال لهم" البليون" وهم أهل عزم وشجاعة، يهابهم كل من حولهم من الأمم.. ويهادونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية، فهم ليسوا أقباطاً أورثوذكسياً ، وربما يكونون من تابعى الكنيسة الغربية الملكانية، التى تختلف مع الأقباط حول طبيعة السيد المسيح. وظلت البجا تحيا فى أماكن الذهب، ولكن لا تملكه، إنما تأخذ أتاوة من التجار الذين يستخرجونه..

٦٨. صوفيون نوبيون

حياة التقـوى: عندما دخلت المسيحية إلى ممالك النوبة، عاش المسيحيون ملوكاً وشعباً.. حياة التقوى.. والتقوى هي الأمانة فى آداء الواجبات الدينية ، وممارسة الرياضات التقوية.. والتقوي رباط روحى، يستوجب مساعدة متبادلة فعالة وأمينة.. ويجمع ميخا النبي، في تعريفه للتقوى بين العدالة والمحبة.. وقد وصف سمعان الشيخ، بأنه كان بارا تقيا، ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس.. لقد عاش حياة التقوى.. وكان إجتماع يوم الخمسين ، هو لقاء رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ، هم سمعوا صوت هبوب الرياح العاصفة .. وتعاملوا مع حلول الروح القدس.. وبدأت بهم الكنيسة المسيحية ، حيث آمن منهم ثلاثة آلآف نفس.. كلهم من هذا النوع الذى يحيا حياة التقوى .. وصارت التقوى سراً مسيحياً ، يعمل فى القلوب ويمارس السلوك الأيمانى ، حتى أن بولس الرسول يعلن وبالإجماع" عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر فى الجسد ".. تبرر فى الروح، تراءى لملائكة ، كرز به بين الأمم.. أومن به، فى العالم رفع فى المجد...

لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصه لجميع الناس ، معلمة أيانا ، أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى، في العالم الحاضر، منتظرين الرجاء المبارك.. لأن التقوى مع القناعة هي تجارة عظيمة.. كما أن قدرته الإلهية وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة....

ولهذا عينه، وأنتم باذلون كل إجتهاد ، قدموا فى إيمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة وفى المعرفة تعففا وفى التعفف صبراً وفى الصبر تقوى وفى التقوى مودة أخوية.. وعندما وصلت المسيحية إلى بلاد النوبة ودخلت إلى أعماق الناس وتعددت الكنائس حتى صارت آلافا مؤلفة.. عاش أهل النوبة حياة التقوى. وسلك الملوك ، وهم قدوة مسالك التقوى.. وأدركوا فناء الدنيا.. ووهم الأرضيات. فتركوا ما فى الأرض من ملذات وقهروا الذات ، وكرسوا الحياة للرب ، حيث يذكر لنا تاريخ ملوك النوبة : ثلاثه ملوك تركوا العرش الملكى وتفرغوا للعبادة .. أولهم الملك زكريا أب الملوك ، الذى صمم أن يتعبد ويختار هو الملوك.. وعندما وجد أول ملك إختاره أنه لا يحيا حياة التقوى ، بل يستبد على المواطنين ، أنزله عن العرش ، وإختار له بديلاً.. ثم الملك سلمون الذي ترك العرش وذهب إلى منسك ترهبن فيه ، ثم نقل إلى مصر وهناك تنيح في دير رهباتى.. الثالث هو الملك جورج الذي ترهبن فى وادى النطرون .. لقد إمتلأت النوبة ، برهبان الليل

والنهار.. الذين تركوا مباهج العالم وإختاروا حياة النسك والتقشف والبتولية والفقر الإختيارى...
صوفيون نوبيون : وعندما أتى الإسلام ، أشبع بعض أبناء النوبة رغبتهم فى حياة النسك ، بأن إنضموا إلى الصوفية ، وهي حكمة الإختلاء مع الله.. والإمتلاء من نعمة الرب.. والصمت عن العالم، لكي يتحدث الله معهم..والسكون عندما يسكت المتصوف ، رغباته وشهواته وآناته.. ليسمع صوت الله الساكن فيه.. وهنا نتذكر:-
١* ذا النون المصرى: وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ، ولقبه ذى النون المصرى ولكن أصله من النوبة، وكان ميالاً إلى حياة الزهد والتصوف ، وأشبع هذه الرغبة فى نفسه، عن طريق الرحلة إلى المناطق النائية فى صحارى الشام والعراق ، وأوطان البجه.. وتوفى بالحيرة .. وحمل فى مركب إلى الفسطاط ، ودفن فى مقابر أهل المعافر سنة ٢٤٦ هجريه..
٢* تحيه النوبية: وإشتهرت تحيه بحياة التصوف من خلال عبادات وممارسات روحية وكانت تصلى صلوات مرتجله ، تناجى فيها الله.. الذى يحبها وتحبه ، فى مستوى روحى من العشق الإلهى ، الذى يجعل الله بالنسبة للمتصوف ، هو كل شىء ، ويجعل العبادة لله ، تهدجا وحديثاً مستمراً لا يتوقف.. وقد ضرب هؤلاء الصوفيون النوبيون
مثلا فى حياة التقوى أمام الله والتنازل عن كل حلال فى الدنيا ، حبَ فى الله.. حتى يغدو هذا الحلال فى نظرهم وكأنه حرام .. لأنهم سلكوا دوروب التقوى، وعاشـــوا صفاء النفس ، وتكريسها لله..

٦٩. عدالة ملوك النوبه

العدالة الإنسانية : ترتبط العدالة اساساً بالسلوك ، تجاه الأخرين ، وبخاصة فيما يتعلق بحقوقهم فى مجال الأعمال.. وتأتى الأوامر بالعدالة من الله ، حيث يقول : لا ترتكبوا جوراً فى القضاء لا فى القياس، ولا فى الوزن ، ولا فى الكيل ، ميزان حق ووزنات حق تكون لكم.. وتقتضى العدالة عدم محاباة الوجوه، فلا فرق بين الغنى والفقير ، والمواطن والغريب ، لا تحرف القضاء ولا تأخذ رشوة العدل.. العدل تنبع (تثنية ١٦).. وقد وصف القاضى الظالم بأنه لايخاف الله لا يهاب إنساناً..

وهناك علاقة بين البر والعدل ، وقد يتداخل المفهومان ، لأن العدل لا يعنى فقط مجرد إعطاء الأخرين حقوقهم..، بل ضمان أداء هذه الحقوق.. أطلبوا الحق.. أنصفوا المظلوم.. اقضوا لليتيم .. حاموا عن الأرملة..

وللعدل جانب روحى ، حيث يعد إجراء العدل جزءاً لا يتجزأ من شريعة الله ، مبنياً على أساس قداسته.. وللعدل معايير واضحة : هى النزاهة وعدم إستغلال النفوذ ، لأن الرشوه تعوج القضاء.. وأهم إمتياز للملك التقى، الذى يحيا حياة التقوى هو إجراء العدل.. ودليل على أنه يسلك فى طريق الله... وقد تحدث الكتاب المقدس عن عدالة الملوك فيما يلى:-

١ * وملك داؤد على جميع إسرائيل ، وكان داؤد يجرى قضاء وعدلاً لكل شعبـــه (٢ صموئيل ٨:١٥)..

٢ * عندما ملك سليمان ، وجاءت إليه ملكة سبأ ، وهى ملكة سودانية ، لأن سبأ هو إبن كوش كوش جد أهل السودان ، قالت الملكة الكوشية تمتدح سليمان : ليكن الرب إلهــك مباركاً الذى سر بك وجعلك على كرسى إسرائيل لتجرى حكماً وبرا (ملوك الأول ١٠:٩).. وهذا يعنى وعى ملوك الحبشة كوش ، نحو العدل وأهميته..

٣ * طلب سليمان من الرب فى صلاته أن يعطه قلبا فهيما ليحكم الشعب ، ويميز بين الخير والشر... وعندما حكم حكماً عادلاً فيما يخص إمرأتين تنازعتا على ولد واحد وكانت كل واحدة تدعى إنـــه ابنها ، وكانت حكمة سليمان أن يشطر الحى إلى شطرين وصرخت إحدى المرأتين رافضه هذا .. فحكم بأنه إبنها.. وكان أن الناس خافوا الملك لأنهم رأوا فيه حكمة الله لأجراء الحكم (ملوك الأول ١٣)..

٤ * فى نبوة لأشعياء عن المسيح المنتظر ، لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى إبناً، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديرا أباً أبدياً رئيس السلام..يثبت مملكته ، ويعضدها بالحق.. (أشعياء ٨)..

٥ * فى صلوات داؤد فى الزبور .. اللهم أعط أحكامك للملك ، وبركة لأبن الملك، يدين شعبك بالعدل ، ومساكنك بالحق (مزمور ٧٢:١)..

٦ * وفى الأمثال ، أنا الحكمة ، أسكن الذكاء.. بى تملك الملوك وتقضى العظماء عدلاً ..(أمثال ٨:١٥)

عدالة ملوك النوبة : وفى العصر المسيحى ، عاش ملوك النوبة تحت مظلة هذه القيم الروحية التى فى الكتاب المقدس.. وعرفوا أن العدل أساس الحكم.. وكان لهم فى البلاد المجاورة صيتاً ذائعاً فى أحقاق الحق وتنفيذ العدل...

وكانت شبه الجزيرة العربية ، قريبة جدا من مملكة النوبة.. لم يكن لسان البحر الأبيض المتوسط ، قد فرق بين المنطقتين.. وعندما بدأ الإسلام، شهد الرسول

الكريم ، شهادة حق لملوك النوبة.. عندما قال لهم : إن يذهبوا فى هجرتهم الى ملك الحبشة ، وهو ملك لا يظلم الناس عنده.. وكما أن ملكة الحبشة " كنداكه " هى ملكة مروية .. فى مروى كبوشية ، وهى أمانى تيرى..

هكذا كان ملك الحبشه ، هذا هو ملك سودانى نوبى .. ولقد إشتهر بالعدالة... ولم يظلم إنساناً.. وكان المقهورين والبؤساء ، يجدون العدل عنده.. وقد أثبت بروفسور عبدالله الطيب ، بأن هذا الملك الذى آوى المهاجرين .. هو ملك نوبى .. وهكذا إتفق معه البروفسور الفاتح غريب الله، الذى أكد أن الملك ، ملك سودانى وأن العدل كان قوام كرسيه.. وقال أن المهاجرين عندما ذهبوا إليه ، كانوا حفايا ، فآواهم وإهتم بهم وناصرهم ضد القبائل العربية التى كانت تريد أن تقضى عليهم..

لقد كان ملوك النوبة يحبون الله ويحبون العدل ، حتى أن بعضهم تنازل عن عرشه لكى يحيا مع الله ولكى لا يوقع ظلماً على الناس.. إن حضارة العدالة كانت تميز ملوك النوبة .. فى سلوكهم مع الشعب..

٧٠. مناجم الذهب والزمرد بأوطان البجه

وثيقة تاريخية : أقدم إليكم هنا وثيقة تاريخية ، مرجعها هو اليعقوبى ، فى كتاب البلدان.. نشر الوثيقة " دى خويه ليدن " سنة ١٨٩١.. وتأتى الوثيقة فى صفحة ٣٣٠ حتى ٣٥٠ فى الكتاب.. والترجمة فى أسلوب ركيك وضعيف.. وهذا يجعلنا ننصرف إلى الكتابة بعض الأحيان دون إخلال بالمعنى.. وسوف أضع بعض العناوين الجانبية لكى يسهل الأمر.. وهذه الوثيقة سنداً وتأييداً للعنوان الذى إخترناه فى الحديث عن النوبة.. وهو " النوبة وطن الذهب ".. فالنوبة تستحق أن تسمى وطن الذهب.. وتاريخها هو تاريخ الذهب.. ولأن الذهب غال ونفيس ، تعرضت بلاد النوبة للنهب والسلب.. كما تتعرض خزائن الذهب حتى الأن وكما يصنع اللصوص كميناً لكى يسرقوا ذهب إمرأة تعتز به أو كنز رجل أو أسره تجمع الذهب الأصفر، لكى ينفع فى اليوم الأسود..وإلى الوثيقة :-

أول الطريق: ومن مدينة قفط تسلك إلى معدن الزمرد.. وهو معدن يقال له خربة الملك،على ثمانية رحلات ، من مدينة قفط ، وفيه جبلان يقال لأحدهما العروس.. وللأخر الخصوم.. فيهما معادن الزمرد .. وفيه موضع يقال له كوم الصابونى، وكوم مهران، ومكابر وسفسيد.. وكل هذه معادن يوجد فيها الجوهر وتسمى

الحفائر التى يخرج منها الجوهر شيم ومفردها شيمه.. وكان بها معدن يقال له " سروحيط " وهو معدن كان فى الجاهلية.. وكذلك معدن مكابر..
معادن التبر: ومن المعدن الذى يقال له خربة الملك .. إلى جبل صاعد .. وهو معدن تبر مرحلة وإلى الموضع الذى يقال له الكلبى .. وموضع يقال له الشكرى ، وموضع يقال له العجلى ، وموضع يقال له العلاقى الأدنى ، وموضع يقال له الريفة، وهو ساحل بحر خربة الملك .. وكل هذه معادن تبر.. ومن الخربة إلى معدن يقال له رحم معدن تبر، ثلاث مراحل.. وفى رحم هذه قوم من بلى .. وجهينة وغيرهم من أخلاط الناس.. يقصدون للتجارة فى معادن الجوهر هذه وما يتصل بها من معادن التبر القديمة..
سوق أسوان : وتستمر الوثيقة ، لنتحدث عن أسوان.. وكلمة أسوان .. كلمة فرعونية تعنى سوق.. وكما كانت أسوان سوق لسن الفيل ، وريش النعام ، والرق، والقرود والفيلة .. هكذا كانت سوقا للذهب.. حيث تقول وثيقة اليعقوبي: ثم مدينة أسوان العظمى وبها تجار المعادن وهم في الجانب الشرقى من النيل.. ومن أراد المعادن . معادن التبر ، خرج من أسوان إلى موضع يقال له الضيقة ، بين جبلين ثم البويب ثم البيضة ثم بيت إبن زياد ثم عذيفر ثم جبل الأحمر ثم جبل البياض ثم قبر أبي مسعود ثم عفار ثم وادي العلاقي.. وكل هذه المواضع . معادن التبر ، يقصدها أصحاب المطالب..
وادي العلاقي : ووادي العلاقي ، كالمدينة العظيمة ، به خلق من الناس وأخلاط من العرب والعجم أصحاب المطالب .. وفي وادي العلاقى أسواقهم وتجارتهم.. وهم يشربون من آبار تحفر ، وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعه من بني حنيفه من أهل اليمامة .. إنتقلوا إليها بالعيالات والذرية أى أنهم أتوا إليها بحثا عن الذهب ومعهم عائلاتهم.. وتستمر الوثيقة لتقول : إن وادى العلاقى وما حوله ، معادن للتبر ، وكل ما قرب منه يعتمل فيه الناس..
لكل قوم من التجار وغير التجار ، عبيد سودان ، يعملون فى الحفر ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر، ثم يسبك.. ويلاحظ هنا أن الوثيقة لم تنجح .. ولم ينجح أصحابها من وصمة الرق.. والكلام عن العمال بأنهم عبيد سودانيون...
مواقع أخرى : وتستمر الوثيقة وتقول : أن الإنسان ينتقل من العلاقى إلى موضع يقال له الحبل، مرحلة ، ثم إلى موضع يقال له عيب ثم موضع يقال له كعار يجتمع به الناس لطلب التبر.. وبه قوم من أهل اليمامة من ربيعة..
وتستمر الوثيقة فى رسم خريطة الذهب والزمرد.. إلى بطن راح وأعماد، وماء الصخرة والأخشاب وميزاب.. حيث تسكن قبيلة جهينة .. ومن العلاقى إلى عيذاب

على ساحل البحر الأحمر ، يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن ، ويأتى التجار إلى عيذاب ويحملون التبر والعاج فى المراكب.. ومن العلاقى إلى بركان، وهى أخر معادن التبر التى يصير إليها المسلمون ثلاثين مرحلة.. وكل عشر مراحل واحده تنتهى إلى السنطة ، وثانية إلى الرفق ، وثالثة إلى سخيت.. وكل هذه البلدان قصدها العرب للحصول على الذهب..

نحو الذهب: إن بلاد النوبة ، هي بلاد الذهب ولقد تعب العرب لأجل الذهب.. ورحل بعضهم مع أهله وبعضهم من غير أهله.. وفى الآخر لم يأخذ أحد شىء سوى قبض الريح ، لأنه باطل الآباطيل الكل باطل وقبض الريح.. وقد قتلوا بعضهم البعض لأجل الذهب ، حتى صدىء الذهب.. وكقول يعقوب : هلم الأن أيها الأغنياء، أبكوا مولولين على شقاوتكم القادمه، غناكم قد تهرأ.. ذهبكم وفضتكم قد صدأ، وصدأهما يكون شهادة عليكم..ويأكل لحومكم كنار.. والأذكياء هم الذين يشترون ذهباً نقياً ، مصفى بالنار.. هو خصال كالتبر وفضائل كالذهب النقى..

٧١. كوش في جامعة القاهرة

مملكة كوش : فى مؤتمر المجتمعات الأفريقية ، تطورها التاريخى ودورها الحضارى ، حتى مطلع القرن الحادى والعشرين ، والذى إنعقد فى جامعة القاهرة مايو ٢٠٠٥ م.. كان أبناء كوش حاضرون هناك.. فلقد ذهبت مجموعة من العلماء من السودان ، هم أبناء كوش ، إلى هناك.. وقدم بعضهم أوراقا ، ولكن لم يحضروا مثل الدكتورة حسنات عوض ساتى ، عميد مركز الطالبات بجامعة أفريقيا العالمية بالسودان .. والتى كان بحثها عن مساهمة المرأة السودانية فى حل مشكلة دارفور.. وهى ترى أن دارفور عرفت الحروب منذ فجر تاريخها .. وكان ذلك أمرا طبيعيا ، إقتضته ضرورة دفع الناس لبعضهم البعض لأجل البقاء..وفى ملخص البحث ليس هناك إشارة إلى ما يمكن أن تفعله المرأة لحل مشكلة دارفور.. ربما قررت الدكتورة حسنات، وهذا من حسناتها أن يكون البحث مفاجأة.. ولكن هى نفسها لم تحضر ونحن لم نعرف ما هى المفاجأة..

أبحاث أبناء العم: يذكر سفر التكوين أن حام ولد مصرايم وكوش.. أى أنهما شقيقان لأب وأم. والسودانيون والمصريون هم أبناء عمومة .. وقد شارك أبناء العم من الأساتذة المصريين فى أبحاث عن أبناء عمهم كوش، نذكر منها:

١. الدكتور خالد البسيونى : وعنوان ورقة إبن العم هو مملكة بناتا ولاهوت آمون رع فى شمال السودان.. وظهور مفهوم الملكية العالمية أثناء حكم الأسره الكوشية ٧٥١-٦٥٦ ق. م وهو يقدم فى بحثه أن الفراعنة حكموا بلاد كوش حكماً مباشراً.. وكانت هناك منظومة لعبت دوراً كبيراً ومتعاظماً هى: منظومة المدن والمجتمعات والمعابد والمحطات والحصون فى النوبة العليا، والسفلى، ثم يتحدث بسيونى عن سقوط الدولة الحديثة ، وظهور الأسرة الكوشية والتى وضعت نفسها فى مصاف الأسر الفرعونية وأخذت إسم الأسرة الخامسة والعشرون .. وفى البحث محاولة لمنافسة ورصد أصول وهوية الأسرة الكوشية الأثيوبية ، التى حكمت مصر والسودان.. فى هذه الفتره العصيبة من تاريخ الحضارة المصرية القديمة.. ولا أدرى لماذا يسميها "عصيبة" وهى من سنة٧٥١-٦٥٦ ق. م..أى ما يقرب إلى قرن من الزمان .. خلاله لعبت مملكة " بنتا أو بناتا.. أو نبتة " وهى مقر الأسرة الحاكمة عند جبل البركل. وكذلك دور كهنة آمون رع ، المؤسسة الدينية.. وظهور مفهوم وفلسفة السيادة العالمية لمؤسسة الحكم ونظام القائد السياسى فى هذه الحقبة.. الملك بعانخى سيد مصر والسودان .. ويهتم الأستاذ خالد بأن يلقى الضوء على البصمة الحضارية لمصر القديمة والخريطة الأثرية وأبعادها الثقافية والفكرية والدينية فى شمال السودان(بلاد كوش) بوابة مصر نحو أفريقيا..وطبعا هذا كله يحتاج إلى مناقشة..

٢. الدكتور حندوقه إبراهيم : أما بحث الدكتور حندوقه إبراهيم فرج ، فعنوانه " نبته NAPATA مدينة عريقه فى السودان القديم".. والتى يرى فى بحثها أنها أهم المدن ، وهى تقع على نهر النيل بالقرب من الشلال الرابع.. وأن هذه المدينة هى عاصمة قديمـــة للسودان ، قبل الفترة المروية.. وقد إحتل مكانة خاصة فى تاريخ وادى النيل القديـــم وقد ساعدها على ذلك عدة عوامل ، وبخاصة العوامل الطبيعية ، حيث تتوسط نبتـــة المدن السودانية القديمة ، وتقع كذلك عند النهاية الشمالية لطرق القوافل القادمة من الجنوب.. فى حين لم تكن بموقعها هذا بعيدة عن صعيد مصر ، بمراكزه الحضاريـــة المزدهرة فى ذلك الوقت.. ولقد إمتلكت نبتة المراعى الخضراء، التى ترعى فيها آلاف الماشية.. وأرجو أن أضيف بأن داؤد النبى هو راعى أغنام وشاعر .. ومرنم وحلـــو الصوت .. قال : الرب راعىّ فلا يعوزنى شىء ، فى مراعى خضر يربضنى، إلى مياه الراحة يوردنى.. يرد نفسى يهدينى الى سبل البر من أجل إسمه.. والمزمور يسمى " مزمور الراعى " وهو الثالث والعشرين من المزامير.. ويرى حندوقه أن الأغنام بالذات سامحها الله، قفزت على اللون الأخضر وقرضته.. فتحولت المدينة إلى مدينة جرداء.. الأمر

الذى دعا حكامها إلى نقل العاصمة جنوباً. كما يؤكد أن نبته كانت موطنا للملك بعانخى فى القرن السابع قبل الميلاد.. وهو من ملوك الآسرة الخامسة والعشرين.. وهو من مؤسسيها.. وقد عرفت نبتة كعاصمة للسودان وكمركز دينى إشتمل على العديد من المعابد السودانية..وطبعا الأهرامات التى وصل عددها الى مائتين وستة عشر هرماً.. حيث دفن الملوك والأمراء .. وعندما أفل نجم "نبتة " كعاصمة قومية.. إستمرت أهميتها الدينية والجنائزية.. وكانت لها مكانتها الكبيرة حتى القرن الرابع الميلادى..

٣. حسنى عبد الرحيم: أما الباحث حسنى إبراهيم ، فكان موضوعه أثر الثقافة المصرية فى المجتمع الكوشى قبل القرن الثامن قبل الميلاد.. ويرى أن المجموعة الأولى سكنت بين الشلال الأول والثانى.. وقامت بدور تجارى..وأن المصريين منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، هاجروا إلى النوبة العليا، بحثا عن الذهب والمعادن النفيسة ، وأن أهل النوبة العلياهم: أصحاب دولة كوش التى توسعت بسرعة وسيطرت على وادى النيل من جزيرة صاى شمالاً ، وإلى ما وراء الشلال الرابع جنوبا.. وصارت كوش هـــى الشريك التجارى لمصر.. ويرجع الفضل لملوك مصر فى إنشاء المراكز التجارية ومعابد المدن..

٧٢. الأسرة الكوشية في مؤتمر المجتمعات الأفريقية

مؤتمر لأفريقيـــا: إهتم مؤتمر المجتمعات الإفريقية تطورها التاريخى ودورها الحضارى حتى مطلع القرن الحادى والعشرين ، بكل هموم أفريقيا.. وبكل تاريخها..وقد إنعقد هذا المؤتمر ضمن المؤتمرات السنوية التى يضمها معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ .. ورئيس الندوة البروفسور السيد فليفل ، عميد المعهد.. ومقرر الندوة بروفسور كرم الصاوى باز.. وكان اللقاء تحت قبة جامعة القاهرة في ١٨،١٩ مايو ٢٠٠٥.. ولقد كان لى شرف المشاركة مع مجموعة من السودان.. وكانت مجموعتنا الخاصة ، ثالوث متوافق ومتحد ، وكأننا واحد.. وكان معى .. بل كنت مع بروفسور أحمد دياب .. وبروفسور سيد العقيد.. لقد كونّا معا أسرة كوشية تشبه الأسرة الخامسة والعشرين، فى الأسر الفرعونية.. وأريد ان أقدم هنا ملخصا لأبحاث ثلاثه ، لثالوث هو الأسره الكوشية..

١. أحمد دياب: قدم بروفسور أحمد دياب مدير مركز البحوث والدراسات السودانية جامعة الزعيم إسماعيل الأزهرى بحثاً عنوانه " طبيعة المجتمعات الأفريقية وآثرها على تاريخ القارة ".. وقد بدأ بحثه بتساؤل كثيرين عن التاريخ الأفريقى..وهؤلاء يقولون : هل لأفريقيا تاريخ ؟.. وكان الأوربيون يعتقدون أن أفريقيا بلا تاريخ ولا ماضٍ.. وأن الزنوج شعب بلا تاريخ.. ولذلك سميت أفريقيا القارة السوداء أو القارة المظلمة.. وقالوا إن سكان أفريقيا ليس لهم تراث حضارى أو إنسانى.. وقال الفيلسوف "ديفيد هيوم" إن إنسان أفريقيا لا يملك شيئاً من الصناعات والفنون. وأنكر الألمانى هيجل وجود حضارات في أفريقيا.. وهو يرى إن أفريقيا ليست جزءاً من العالم المتحضر .. بل أن بعض أهل أوربا قالوا: إنه ليس هناك تاريخ أفريقى سوى تاريخ الرجل الأبيض فى أفريقيا.. ولخص كوامى نكروما القضية فى قوله: إن الأسطورة الأساسية لكل الأساطير التى أحاطت بأفريقيا هى رفض الإعتراف بماضيها الخاص.. ويزعم الأوربيون إن أفريقيا ظلت جامدة خاضعة راكدة ، فى حين إن القارات الأخرى تصنع التاريخ.. ويزعمون إن أفريقيا لم تدخل مسرح التاريخ إلا بفضل التدخل الآوربى .. وهكذا وهذا قول مردود ومرفوض ولا يقوم على أساس علمى ذكر الكثير عن كوش والكوشيين.. وعن قوتهم.. وعن أنهم أمة قوية وشعب مهاب.. وذكر كوش عدة مرات في الكتاب المقدس.. وذكرت جيوش كوش والجندى الكوشى الافريقى القوى.. كما يذكر لنا التاريخ أن القديس مرقس أحد رسل السيد المسيح والمبشر الذى بشر مصر والنوبة، هو أفريقى المولد.. كما أن سمعان القيروانى هو أيضا أفريقى.. قد حمل صليب السيد المسيح ومعه حملت أفريقيا صليب المسيح.. ويذكر لنا التاريخ الكتابى أيضا وفى سفر أعمال الرسل : أن وزير ملكة كنداكة .. وكنداكة لقب لأم الملك.. ولقب للملكة أيضا.. وعندما كانت المرأة لا تحصى وكانت سقط المتـــاع فى المجتمعات المتعددة.. وكان من العار أن يكون الرجل أبا لبنات ، وكانت البنـــات تدفن حية ، ومعها يدفن عارها .. كانت أفريقيا تجعل من المرأة ملكة .. صاحبة إرادة .. وإدارة وكلمة مسموعة، وصوت قوى..

٢. سيد عقيد: أما البروفسور أحمد سيد العقيد أمين المكتبات ، بجامعة النيلين ، فقد كان بحثه عن المرأة وأدوارها الإجتماعية والسياسية فى العصرين:الفونجى والتركى، وقد تعرض هذا البحث للتكوين الإجتماعى والسياسى للمرأة السودانية ، تحت مظلة الأنظمة القبلية والإجتماعية فى السودان ، وتناول البحث العادات والتقاليد القبلية والإجتماعية التى شكلت دوافع إيجابية فى مجال عطاء المرأة .. والتى كانت عوامل دفع للمرأة السودانية لكى تؤدى دورها فى مشاركات إيجابية..

وفى ترسيخ معان وقيم إجتماعية راسخة.. وشاركت المرأة فى صنع القرار السياسى وتولية السلطــان وأقامت مراسم تتويجه بهالة من التقديس.. بناء على موروث قبلى عريق، وإستمــر هذا حتى سنة ١٩١٦.. وإحتلت الحكمة دارفور دور الشعراء.. والناطق الرسمى بإسم الدوله والمجلس الخاص.. وظلت الحكامة تحتفظ بهذا الدور حتى الوقت الراهن، وفى زمان الحلم التركى، شاركت المرأة فى بناء الحياة الإجتماعية والإقتصادية بسياسة الإعتماد على الذات، فى منطقة شندى وشمال السودان .. وقامت ببناء الخلاوىوعلمت الرجال ، متجاوزة عصرها .. وحفظت القرآن وكانت معلمة وشيخة لبنات جنسها.. وأبناء عصرها.. وملكت المزارع .. وأدارت النساء والرجال فيها.. وتصرفت بجدية وحزم. لم تعرفها وصيفاتها فى الغرب والشرق يومئذ..

٣. الأب القمص فيلوثاوس فرج: أما الأب ، فكان بحثه عن دبلوماسية ملوك النوبة، وكيف كان الملوك على علاقة طيبة ببلاد الجوار وعلى الأخص مصر.. ودبلومسية ملوك النوبة هى: دبلوماسية الأتقياء.. دبلوماسية الحكماء.. دبلوماسية التعاطف.. دبلوماسية المواجهة.. المهم أن ثالوثنا هذا ، كان أسرة كوشية ، مثل الأسرة الخامسة والعشرون..

٧٣. قناة المحبة الفضائية

حرية القنوات : في المد الإعلامى الحر.. ومن خلال تقدم وسائل التواصل، تصبح رغبة المسيحيين ، في قنوات مسيحية ، رغبة شديدة ، ويصبح ضبط هذه القنوات بواسطة الكنائس أمراً مهماً حتى لا تتحول القنوات إلى دوائر إعلانات وما تقدمه الإعلانات من دعم، وما تتطلبه من تنازلات.. وبصفتى رئيسا للجنة الإعلام بمجمع الكنائس ، أذكر أننا تقدمنا بطلب لقناة فضائية مسيحية ، يشرف عليها مجمع الكنائس فى السودان.. وتتلقى دعما من مجلس الكنائس العالمى.. وقدمنا هذا الطلب عندما كان الدكتورغازى صلاح الدين وزيرا للإعلام ، وذكرنا الوزراء الذين إعتلوا منصب وزير الإعلام بطلبنا، ولكن لم يحدث أن تلقينا أى إجابة بالنفى أو بالقبول.. رغم أننا نقدم الطلب مكتوبا ونلتقى مع الوزير فى جلسة ودية نحكى فيها عن أهداف وجود قناة مسيحية، عملا بحرية الأديان وتجاوبا مع حقوق المواطن المسيحى فى التعرف على دينه والتعمق على القيم الروحية التى تسعى المسيحية الى تحقيقها.. وليست هناك أجندة سرية وراء هذا العمل ، لأن المسيحية واضحة

الأهداف ، وليس من أهدافها سوى غرس القيم النبيلة.. التى تدعم الوحدة الوطنية..

وربما فى المرحلة القادمة بعد السلام الذى وصل إلينا ، يتحقق هذا الحلم.. هذا إن لم يكن مجمع كنائس السودان قد أصابه الملل بسبب عدم سماع صوته.. لا فى قناة مسيحية فضائية.. ولا فى الإلتزام بالمنهج الدينى الذى أعده المجمع .. ولكن لم يجد طريقه إلى التربية والتعليم ، رغم وعود الوزير.. وحتى الأن تعتمد الوزارة منهجا مبتوراً ملىء بالمتناقضات اللاهوتية والعلمية والدينية .. والسبب الذى يقدم إلينا كمبرر، هو عدم موافقة الكنيسة الكاثوليكية والتى عندما علمت بالأمر كتبت للوزير تقول: إن الخطاب الذى بين يديه ، والذي يعلن رفض الكاثوليك للمنهج ، ليس سوى خطاب مزور.. ورغم هذا تستمر وزارة التربية والتعليم فى طبع كتب الدين المسيحى والتى لا تعبر عن رأى الكنائس الوطنية التى ترفض هذا المنهج.. جملة وتفصيلاً.. ولكن تعود أهل السياسة أن يحيلوا الأمر إلى لجان ولجان ، حتى يتباعد أصحاب الرأى الصائب ويتركوا لهم إستمرار القرار المفروض ، والمرفوض.. والأمل لم نفقده فى كلا الأمرين ، القناة المسيحية التلفزيونية .. ومنهج الدين المسيحى..

والأيام القادمة سوف تتحقق فيها الأحلام التى كانت كالأوهام .. وهذا بعد تحقيق السلام..

قناة المحبـــة : وفى الكنيسة القبطية فى مصر ، بدأت المساعى فى تأسيس قناة فضائية تحت إسم " أغابى" وهى كلمة تعنى " المحبه " .. وأرجو أن لا تقرأها على إنها أغانى مثل أغنيات هذا الزمان، وإنما هى محبة فوق الزمان، وأكبر من كل مكان، وعندما تنغمر بها القلوب تعطى أفضل الثمار الروحية.. وقناة المحبة سوف تكون تحت إشراف الأسقف العام، أنبا بطرس.. وهناك قناة أخرى سوف يشرف عليها نيافة الآنبا مرقس، والمنوط به دائرة الإعلام فى الكنيسة القبطية.. وتأتى القناة الثانية تحت إسم " الإقباط " أوCoptic SAT وقد بدأ فعلا الإستعداد على الأقل لقناة المحبه، فى تجهيز عدة برامج دينية رعوية مائة بالمائة .. كما يقول الأنبا بطرس.. قناة تذيع وتبث التسابيح والقداسات والعظات وأخبار الكنيسة وسير القديسين والدراما الإجتماعية واللقاءات والحوارات مع الشخصيات الدينية المسيحية .. بالإضافة إلى برامج باللغات الأخرى مثل : الإنجليزية والفرنسية .. وربما أخرى إستهدافاً للأجيال الجديدة من أقباط المهجر..

وقد أتى هذا التكليف الى الأسقف العام ، من قداسة البابا شنوده ، رئيس الكنيسة ، ولهذا يقول: إن هذه القناة بالبنط العريض.. قناة قبطية مسيحية، هى

قناة المسيحيين الأقباط الأورثوذكس فى مصر وبلاد المهجر.. الذين سوف يدعمون القناة مالياً وعلى الأخص أن هذه القناة لن تعتمد على الإعلانات ، ولن يسمح للشركات التجارية برعاية البرامج فيها.. وسوف يكون مقرها فى مصر بجوار الينبوع المتدفق من اللاهوت الدقيق فى الكنيسة القبطية ، من قداسة البابا والأساقفة ورجال اللاهوت ، وأساتذة اللاهوت فى الكنيسة القبطية..

وهذا مطلب قديم ومُلح ، طالب به أبناء كنيسة مصر وأبناء المهجر ، كما يقول الأنبا موسى أسقف الشباب.. وهذا يحدث نوعا من الترابط ، ويجعل الكنيسة فى بيت من لا يقدر أن يذهب الى الكنيسة ...

وبدأت الكنيسة فى الإتصال مع إعلاميين من مصر .. وما زال البحث مستمراً.. عن رجال إعلام مؤهلين، يبدأ بهم بث القناة الفضائية المسيحية، سواء كانت واحدة أو أثنين.. ويرى بعض المتشائمين أن هذه القنوات لا داعى لها ، خوفاً من فوضى التعصب.. بينما يرى أخرون ، إنها مهمة وعلى الأخص إشراف الكنيسة القبطية عليها.. وهى كنيسة سمحة لا تعرف التعصب.. ولا تزرع سوى الخير والمحبة..

وأنا مع المتفائلين وأتوقع أن يبدأ بث هذه القنوات خلال شهر أكتوبر المقبل ، وبعدها أتوقع موافقة سلطات الإعلام فى السودان على إقامة قناة فضائية سودانية مسيحية وهذه فكرة روحية .. لا داعى للتشويش عليها..

٧٤. بروفسور فليفل بين القاهرة والخرطوم

بروفسور فليفل : الأستاذ الدكتور السيد فليفل هو مدير معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة .. والمعهد يختص بالدراسات العليا ، الماجستير والدكتوراه ، هم طلبة هذا المعهد العريق.. ولهذا المعهد تاريخ مجيد .. وأذكر عندما كنت طالبا بالكلية الإكليريكية ، كلية لاهوت الكنيسة القبطية ، درست تاريخ الكنيسة على يد الأستاذ الدكتور زاهر رياض.. وكان بحراً من العلم مع معرفة واسعة لتاريخ الكتاب المقدس ، وله عدة إسهامات علمية من بينها خص كنيسة الإسكندرية بتاريخ ، لدورها فى أفريقيا ، فى كتابه " كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا " مكتبة الأنجلو ١٩٦٠.. ولا أنسى كيف كان هذا الأستاذ يتكلم من رأسه الممتلىء بالمراجع ، ويبدو أيضا أنه كان يكتب من رأسه ، ولكنه يكتب أسماء المراجع.. وقد كتب فى كتابه " وثيقة تقدير" لأقباط السودان الذين تآخوا مع شعب الخرطوم وأسسوا بعد المهدية حى المسالمه.. وكان تآخيهم عكس إستعلاء المستعمر في ذلك

الوقت.. والذى قال عن أعضائه أنهم آلهة لم يسهموا فى بناء المجتمع ، إنما عاشوا يأخذون خيراته.. أما أستاذنا بروفسور السيد فليفل وهو الأن عميد معهد الدراسات الإفريقية ، ورئيس تحرير مجلة الدراسات الإفريقية.. وللمعهد مكانته .. وللمجلة عمقها التاريخى وصفحاتها المتعددة وعرضها لآوراق أساتذة الجامعة فى كل أفريقيا.. وكل عدد من المجلة هو كتاب كبير الصفحات، يصل إلى ما يقارب المائة صفحة..

ويحظى السودان بأكبر مكان فى قلب الباحثين.. وتدفق المؤرخين.. والسودان عندهم مهم جدا.. ولقد إلتقيت هذا الأستاذ المحترم ، فى جلسة من جلسات مؤتمر" ندوة التواصل الحضارى"بين شعوب دول وادى النيل والقرن الأفريقي.. الماضى والحاضر ورؤية المستقبل فبراير ٢٠٠٥ بالخرطوم ، وكنت رئيساً للجلسة التى قدم فيها إلينا بروفسور فليفل.. وقدمت له تحية المؤتمر من خلال معرفة ضعيفة به..

وكان تصميمى شديد أن نستمد من معرفته .. ونغرف منها ما يفيدنا.. وأمام الحاحى ، تكلم الرجل، وأعجبت جداً بحديثه الشجى .. فهو يقدم التاريخ فى أسلوب هادىء وقور، ويعرف كيف يؤرخ..؟ وكيف يُدخل التاريخ إلى قلوب السامعين ؟.. وشعرت أن هذا الرجل ، كان يحتاج منى أن أقدمه بطريقة أكثر عمقا.. ففى أول الكلام شعرت بإحتياج الكلام إلى ما يوازى فلفل الطعام ، الذى يعطه نكهة جميلة وطعما محببا.. وكان هو أكثر من ذلك.. وندوة التواصل الحضارى لدول وادى النيل، كان لها مهندسان، لهما علاقة قوية بالدكتور فليفل، وهما بروفسور دياب وبروفسور العقيد.. وبعد هذا إلتقيت مرة ثانية بالبروفسور فليفل فى عقر داره فى جامعة القاهرة، بالقاهرة..

المجتمعات الإفريقية : وبعد فبراير بأشهر معدودات ، دعيت من بروفسور فليفل لحضور ندوة المجتمعات الإفريقية ، وتطورها التاريخى .. ودورها الحضاري ، حتى مطلع القرن الحادى والعشرين ١٨-١٩ مايو ٢٠٠٥.. والعنوان كبير جداً.. أكبر من عنوان ندوة التواصل الحضارى فى فبراير.. وطبعا ليس شهر مايو أكبر من فبراير فقط ، إنما أساتذة التاريخ يقصدون العناوين الكبيرة ، لأنهم يريدون أن يعطوا عطاءاً كبيرا..

وكان معى من السودان بروفسور دياب وبروفسور العقيد وآخرون من المؤرخين والباحثين.. وهناك تجلى فليفل بشعره الأبيض الوقور. وفى تعليقاته المواكبة لكل بحث يقدم للندوة... وفى إفتتاح الندوة ، كان لابد ان يدلى بدلوه ، هو ورفيق الندوة ، الأستاذ الدكتور الصاوى ، الذى لم ينشغل بتنظيم الندوة عن

متابعة تقديم الوراق التاريخية.. وفى كلمة بروفسور فليفل بداية قرآنية ، طلب فيها ان ربى أدخلنى مدخل صدق.. وأخرجنى مخرج صدق.. وأجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا.. ولقد أعطاه الله السلطان على الكلمة .. لأن الإنسان كائن مريد.. عاقل .. حر.. ناطق.. وقدم إلينا المؤتمر السنوى للمعهد ، وقال : إن الندوات السابقات إهتمت بالعظماء ، ولكن هذه الندوة ، تهتم ببيئة العظماء.. وأعلن أنه ورفاقه فى قسم التاريخ ، قد وضعوا دراسة التاريخ الإجتماعى.. نصب أعينهم ، نظراً لعظم قدره .. ولأصالة موضوعة .. ولكونه مدخلاً لا يبارى لفهم الواقع التاريخي ، وتفسير مسارات الحياة الإنسانية ، وناهيكم عن كون إنسان الفرد قيمة سامية فى حد ذاته ، وبخاصة وقد صار هدفا لأي تنمية انسانية ووسيلة مثلى لصياغة الأمم والشعوب والإرتباطات بين الحضارات..

ونبه الحضور على أن مجتمعات إفريقيا ،وكل مكان ينتسب إلي الجنوب، قد صار مستهدفا.. بالإختناق الثقافى ، والإقتصادى ، والسياسى فى عصر العولمة.. وإذا كان علماء البيئة يستهدفون الحفاظ على التنوع الإحيائى الرائع والخلاق ، الذى عرفته الطبيعة منذ الأزل... فإن هدف العلوم الإنسانية، الحفاظ على التنوع الإجتماعى والثقافى..والذى هو لوحة إنسانية رائعة .. صاغها الخالق العظيم.. وليمد الله فى حياة بروفسور فليفل، لكى يكون رسول خير وتاريخ مجيد.. وليعطه القوة لعدة رحلات مكوكية ، بين القاهرة والخرطوم..

٧٥. قاعة النجاح بجامعة الخرطوم

المهندس وزوجته : أسند القيام بقاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم إلى المهندس الإنجليزى " إليك بوتر " ومعه زوجته مارجريت.. وقد كتبا معا قصة النجاح فى تشييد هذه القاعة الجميلة فى كتاب واحد هو " كل شىء ممكن سنوات فى السودان".. وقد أقاما فى السودان ثمانية أعوام .. بدات سنة ١٩٥٧.. وحضرا إنقلاب عبود.. ثم إنتفاضة أكتوبر١٩٦٤.. ويرى البعض أن الفريق عبود لم يتمم إنقلابا عسكرياً ، إنما أهدى إليه الحكم من عبدالله خليل..

وكان عبود رجلا حراً.. أدى خدمات جليلة للمواطن السودانى .. وكأى نظام عسكرى ، كان مليئاً بالتوترات والمتناقضات.. وأذكر أننى تقابلت معه بعد الإنتفاضه ضد حكمه فى منزل أسرة زوجتى بالخرطوم بحرى، والملاصق لمنزل أسرة عبود.. وكان فى ود يشرح ، أنه رفض أن يبقى فى الحكم .. لأن هذا كان

يعنى إعدام مجموعة من المثقفين فى السودان .. ولم يحتمل ضميره هذا .. فتنازل عن طواعية ..

وأنا شخصياً ضد الإنقلابات العسكرية، مهما كانت الدوافع.. لأنها تقضى على الديمقراطية وتحول الوطن إلى قلعة إستبداد.. كل فرد يستبد على الأخر.. ولأن هزيمة الديمقراطية .. هى هزيمة لكل القيم النبيلة .. وعمل دائب فى صالح الحكام وحاشيتهم.. والذين يظنون أن الوطن ملكاً لهم .. وأن كل مواطن خائن.. وهم الوطنيون.. وأعتقد أن السودان بعد هذا لن يقف مع أى إنقلاب عسكرى.. بعد الدستور الجديد الإنتقالى.. والذى بعده الدستور الدائم..

ولقد قدم الدستور تصوراً واضحاً ضد الإنقلابات العسكرية .. وإن كانت الإنقلابات أساسا تجمد الدساتير..وتعيش فى الأرض فساداً.. وتناسب العداء للمواطن المسحوق..

قاعة النجاح :واجه المهندس البريطانى فى السودان أكبر التحديات فى حياته المهنية .. عندما طلب منه تصميم وتشييد قاعة كبرى للإمتحانات بجامعة الخرطوم.. وعلى هذه القاعة أن تتسع لخمسمائة طالب ، يجلسون على مناضدهم بطريقة مريحة.. وبمسافات فاصلة معقولة.. تجنبا للنقش أو الغش.. وأن تكون هناك سهولة فى مراقبتهم..

وكان عمل هذه القاعة ليس الإمتحانات فقط ،إنما الإستفادة منها كقاعة للدرس والمحاضرات والندوات..وتقسيم القاعة إلى أقسام، لتتمكن من إستيعاب أكثر من محاضر.. وفى الإعتبار أكثر من نوع من الحرارة.. حرارة الأجساد التى تنبعث من أكثر من خمسمائة طالب..وحرارة الجو.. وحرارة حمى تجلبها الإمتحانات.. ولأن هذا المشروع كبير جداً.. كان الشك يساور المهندس ، ولكن عندما إنتهى ، كان موضوعا للإطراء مديحا..

وقد حددت عبارات ، لوصف القاعة المطلوبة ، تقول : إنها قاعة ذات تصميم آخاذ ، وجديد، وغير تقليدى ، مساحتها واسعة.. وأرضيتها خالية تماما من الأعمدة رغم سعتها .. وفى أعلاها لا توجد دعامات أفقية ولا تأخذ شكل القباب المعروف فى السودان ولكن بدلا من ذلك يرتفع ويمتد سقف متموج ، مصنوع من خشب " المهوقنى " الفخم.. ذى اللون البنى الضارب إلى الحمرة.. وهذا الوصف يذكرنى ببناء كنيسة الشهيدين.. فقد كانت الكنيسة الأولى هى : كتدرائية السيدة العذراء بالخرطوم ، فى شارع النيل، ووضع لها حجر الأساس ١٩٠٤ بواسطة البابا كيرلس الخامس والذى أتى ثانية لإفتتاح وتدشين الكنيسة ١٩٠٩ م..وكانت المبانى جميلة ، من أحجار عريقة وتكلفت آنذاك ما يقرب من أربعة آلاف جنيه عداً

ونقداً.. ولكن كانت مشكلتها الأعمدة الضخمة داخل الكنيسة والتى حتى الأن ما زالت تحجب الرؤية ، وتظهر المساحة كأنها ضيقة ..

ولهذا عندما بنى الأقباط كنيسة الشهيدين ، فى عهد المطران الأنبا يؤنس.. ورئاسة الجمعية ، للدكتور وديع جيد ، طالب الأقباط المهندس أن يبنى كنيسة بدون اعمدة .. وفعلاً ليس فى الكنيسة سوى أربع أعمدة ، والرؤيا فيها واضحة جدا.. وقد تم إفتتاحها يوم ١٩٦٨/٤/٦.. والذى صار يوما للإنتفاضة فيما بعد... ولهذا كانت شروط مبنى قاعة الإمتحانات أن تكون هكذا واسعة وبدون عواميد تحجب الرؤيا ، وتحجب المراقبة المطلوبة فى الإمتحانات..

ويذكر المؤلف والذى أحب السودان وصار جزءا من كيانه هو وزوجته.. وقد كان لزوجته دورا كبيرا فى هندسة ديكور قاعة النجاح.. كما يحلو أن يسميها .. وهى عالمة آثار فى الخمسينات ومساعدة رئيس تحرير المجلة الجغرافية، للجمعية الجغرافية الملكية بلندن. وهى فنانة تشكيلية ، أظهرت حبها للسودان فى رسوماتها المرهفة الراقية.. وقد صمم بوتر القاعة بالتعاون مع عزرا ليفن.. وهي قاعة فيها روح الخلق والإبداع.. وقد تم تشييد المبنى بأكمله من الطوب الأحمر وخشب المهوقنى السودانى.. وبدا سقف القاعة بالطريقة التى صمم بها ، وكأنه يرفع المبنى من فوق سطح الأرض ، وفى الداخل زينت جدران القاعة بزخارف ضخمة من الخط العربى الأصيل .. وكان هذا دور السيدة مارجريت . زوجة المهندس بوتر..

ومع بناء قاعة النجاح ، بنيت جسور من المودة والمحبة مع السودان أرضا وشعباً.. فالزوجة تكتب فى تعاطف شديد عن السودان .. وحجم المعاناة التى يعانيها المواطن بسبب الظروف الإقتصادية وحرب الجنوب.. وتوقف المشروعات الطموحة عن التنفيذ.. ولم يتحدث كتابهما عن قاعة النجاح فقط ، إنما عن الزيارات و الرحلات التى قاما بها فى ربوع السودان .. ونقشت السودان فى قلوبهم مثل النقوش التى وجدوها على الآثار السودانية العريقة..

٧٦. من الغابة الى القصر والعكس ممنوعاَ

جون فى القصر : الحمد لله وصل الزعيم الجنوبى جون قرنق إلى القصر الجمهورى.. وكان هذا أضعاث أحلام ولكن تحققت الأحلام.. ومن الغابة جاء قرنق إلي القصر محمولا بالمحبة مثقلاً بهموم الوطن ..وكان أول يوم يقضيه فى القصر

الأحد العاشر من يوليو ٢٠٠٥.. بعد أن أدى القسم واضعا يده على الكتاب المقدس، كنائب أول لرئيس الجمهورية.. ورصدت الجرائد اليومية أول يوم له فى القصر.. وما حدث فى اليوم الأول من طرائف أولها إن رئيس الجمهورية قال له : إن العمل فى القصر أكثر مشقة من الغابة.. وبدأت الرحلة يوم الأحد ليس من الغابة هذه المرة ، إنما من فندق هيلتون ، فى الثانية عشر ظهرا وأحاطت موكبه البهيج سيارات الحرس الرئاسى ودراجات السارينه النارية.. ودخل من البوابة الجنوبية المخصصة للرئيس ونائبيه ، وكان فى إستقباله الأديب اللبيب الشاعر البارع دكتور الطيب إبراهيم محمد خير.. ولا أدرى إن كان قد قدم له التحية العسكرية أم لا.. وبعدها توجه جون الى الصالون الرئاسى الملحق بمكتب الرئيس البشير.. وبعد هذا دخل الى الرئيس الذى صافحه بحرارة ناسيا كل مرارات الماضى.. فهكذا شعب السودان محب للسلام.. مثقف بثقافة السلام.. يستجيب سريعا لنداء السلام..

وجمع الرئيس ونائبه الأول ، إجتماع سرى لمدة نصف ساعة وأعتقد أن النصف ساعة إمتلأت بالكلام الطيب والفرحة السعيدة بالواقع الجديد ، الذى كان حلما من الأحلام.. وفى الإجتماع السرى ، كان الله هو ثالثهما .. وعندما يجتمع إثنان أو ثلاث.. بإسمى هناك أكون فى وسطهم.. وفى حلول بركات الله ، بدأت نعمة السلام، طريقا للسودان المجيد.. وبعد هذا دخل رجل السلام على عثمان محمد طه، الذى لن ينسى له التنازلات الشخصية لأجل السلام. وتنازل برغبته إلى أخيه جون عن منصبه .. النائب الأول .. إن وطننا فيه من لهم هذه القامة الروحية .. لا يمكن أن يضام.. ولن يكون سوى أسعد الأوطان.. وبعد هذا خرج على ومعه وزير الدولة برئاسة الجمهورية.. وعاد جون والبشير إلى الإنفراد معا وقال البشير: إن جون جاء لمساعدة البشير كرئيس للبلاد ، بقلب وعقل مفتوحين فى إطار مؤسسة الرئاسة الجديدة . وقال له البشير مداعبا : إن العمل فى القصر أكثر مشقة من العمل فى الغابة .. وأنه جربهما معا .. ورد عليه قرنق مداعبا : طيب ما كنا نتبادل..

من الغابة الى القصر : لقد بدأ جون رحلته من القصر إلى الغابة عندما أرسله الرئيس الأسبق جعفر نميرى لكى يحل إشكالا هناك .. ولكنه إنضم إلى أهل الغابة.. وبدأ رحلة صعبة .. إنتهت به إلى العودة إلى القصر مرة أخرى.. ولكن العكس يظل ممنوعا ، لأن مجيئه إلى القصر أتى بعد تسعة أشهر من المفاوضات .. ولد بعدها السلام كبيراً ، وعملاقاً ، وسوف يستمر هكذا.. وسوف يحافظ الله على السلام حتى يستمر.. وذلك مكافأة للشعب الصابر .. فلقد صبر أهل السودان ،

صبرا كبيرا.. ربما أكثر من صبر أيوب كما يقولون . صبر الشعب حتى عجز الصبر عن صبره.. صبر على ما هو أمر من الصبر.. ولم يفقد شعب السودان الأمل فى تحقيق السلام.. حتى عندما كانت كل الخطوط مغلقة .. وكل الخيوط محكمة.. وكل الطرق مغلقة أمام السلام..

لأن أهل السودان يحبون السلام.. ولم ييأسوا .. ولم يملوا ، بل هم كما قال عنهم الصادق بخيت، ملحقنا الثقافى فى لندن فى ورقة عنوانها : مبادرات السلام".. رأى رؤيا إن أهل السودان يرحبون على الفور ، وبكل مبادرة حتى قبل أن يقرأوها أو يستمعوا إلى تفصيلات مضامينها .. بل يذهب بعضهم فى قمة الحكومة والمعارضة إلى القول : إنها طوق النجاة الأوحد ، الذى يحب أن نعبر به من حالة الحرب ، إلى بر السلام..

وكأنى بهم ، قد جهزوا بيانات الترحيب ، وبيتوا النية على قبول كل ما يجىء، من أى مكان يجىء ومن أى جهة يأتى.. أعلم أن للصادق بخيت رأى، ورؤيا.. ولكنه صور لهفة أهل السودان ، نحو السلام ، والحمد لله جاء السلام، بحوار سودانى، سودانى..وبدعم من أخرين يحبون السلام وينتظرون أن ينالوا معنا خير السودان.. المهم" المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة ".. وبالسودان المحبة.. وأيها النائب الأول ، مرحباً بك من الغابة ، فى القصر.. وممنوع العكس .. ولا مجال لـــه..

٧٧. أم فرعون نوبية

الأسرة الثانية عشر: يبدأ تاريخ الأسرة الثانية عشر من سنة ألفين قبل الميلاد حتى ١٧٨٨.. فالمساحة الزمنية لحكم هذه الأسرة تزيد على مائتى عام.. وأول ملوك هذه الأسرة هو الملك " أمنحتب الأول " وآخرهم سبك نفرو رع.. وقد حفل تاريخ هذه الأسرة بالحملات المتعددة على بلاد النوبة ، وقبائل كوش وهذا فى رأى البعض دخل ببلاد النوبة إلى مرحلة حضارية جديدة. ويؤكد الأستاذ " شوقى الجمل" المؤرخ المصرى المهتم بتاريخ السودان ، إن هدف هذه الحملات لم يكن إخضاع هذه البلاد وضمها إلى مصر، إنما للضرب على أيدى القبائل التى كانت تهدد أمن البلاد، ويؤكد هذا بقوله : أن النوبة كانت تتمتع دائماً بنوع من الحكم الذاتى.. إنما كان الفراعنة يرغبون في حماية الطرق المؤدية للمناجم والمحاجر والمحطات التجاريةبين مصر والسودان..

وقد عثر فى الآثار على مبنى يبدو أنه كان مركزاً تجارياً، بنى على مستوى الحصون.. وفى كرمة كانت هناك مؤسسة مصرية تجارية .. كان يتم فيها التبادل التجارى.. ومعروف أيضاً أن أسوان كانت هىّ المنطقة التجارية بين مصر والسودان.. ووجد منقوش على قلعة" سمنة "مرسوم ملكى ينظم حركة الملاحة فى النهر، بعد أن تم تحسين الملاحة فى منطقة الشلال الأول..

وما ذهب إليه" الدكتور شوقى الجمل" من ان الفراعنة لم يقصدوا الإحتلال للنوبة، هو نفس ما تقوله عن تحرك الملك الكوشى" بعانخى".. للاستيلاء على وادى النيل حتى دلتا مصر.. فلقد كان يتحرك حركة داخلية داخل الوادى... ومعروف ان ملوك النوبة لم يفكروا فى إحتلال بلد آخر.. بقدر ما فكروا فى حكم بلادهم، وهذا ما قاله ملك النوبة . للملك" قمبيز" ملك الفرس.. أن يشكر الآلهة لأن ملك النوبة لا يرغب فى حكم أرض غير أرضه..

الأم النوبية: يرى البعض ومنهم العالم الألمانى " جونكر" **Junker** إن الدم النوبى دخل إلى الأسرة الثانية عشر.. وأول ملوك هذه الأسرة كانت أمه نوبية.. ولقد إهتم هذا الملك بإخضاع النوبة له.. وفى نقوش قديمة لحاكم المنيا، وجدت فى بنى حسن، أن هذا الملك حارب معه حاكم المنيا ضد حكام النوبة الشمالية.. وأن الحرب كانت فى البر بالجنود وفى البحر بأسطول من عشرين سفينة.. وربما كان هذا الملك يعتقد أن أمه النوبية تعطيه حقوقاً فى مملكة النوبة ، ولا غرو فيها ، فلقد تحولت الأنظار الآن أن يحصل المولود على جنسية الأم .. والمرأة السودانية وفق الدستور الجديد من حقها أن تعطى إبنها الجنسية السودانية..

وفرعون هذا ، كان قوياً ونشيطاً وتمكن من حكم الشمال والجنوب ، غير أنه تعرض لمؤامرة خسيسة مثل مؤامرة يهوذا الإسخريوطى ناكر الجميل.. وكما أن يهوذا وهو من تلاميذ السيد المسيح ، باع المسيح لليهود بثلاثين من الفضة ، فإن بعض أفراد حاشية هذا الفرعون قد دبروا مؤامرة إغتياله، ودخلوا إلى غرفة نومه وهجموا عليه ، ولكنه تمكن من الدفاع عن نفسه، وقتل المهاجمين.. وكتبت له النجاة بأعجوبة..

وربما يكون دافع هؤلاء ، أن أمه نوبية وهذا ليس بغريب على التاريخ ، فلقد إعترض أشقاء موسى ، مريم وهارون، على موسى بسبب المرأة الكوشية التى تزوج بها.. وإذا كان يهوذا الخائن قد باع السيد المسيح ، فلقد قال عنه المسيح: إن الذي يأكل معى في الصحفة ، هو الذى يسلمنى.. وتمت فيه النبوة التى تقول: الذى أكل خبزى رفع علىّ عقبة.. وكانت مؤامرة إغتيال الفرعون ذو الأم النوبية سبباً فى أن يكتب وثيقة ينصح فيها إبنه ، وقد وصلت إلينا هذه الوثيقة التى تؤكد

إمتداد النفوذ المصرى إلى بلاد النوبة.. وبعض الصخور فى منطقة" كورسكو" الواقعة فى بداية الطريق الصحراوي الواصل إلى بلاد المازوي.. ولقد جاء فى هذه الوثيقة: أنصت وإستمع لِمَ أقوله لك ، حتى إذا صرت ملكاً وحاكماً على الأقطار، زاد فلاحك حصن نفسك من كل تابعيك ، وإستعمل الشدة مع مرؤسيك حتى يرهبوك. والناس تحترم كل من يخيفهم ويفزعهم، ولا تتخذ منهم أخاً ولا صديقاً ولا رفيقاً.. وإذا نمت فأجعل قلبك حارساً لك..

لقد أعطيت السائل وأطعمت اليتيم ، ولكن من أكل خبزى أشعل الفتنة ضدى، وكل من أعطيته يدى، أيقظ الخوف فى نفسى، وكل من لبس كتانى الجميل، نظر إلىّ نظرة الخائن.. لقد وسعت حدود بلادى بشجاعتى وأعمالى، ولم يكن هناك جائع فى أعوانى ولم يعطش أحد من رعيتى ، بل عاشوا فى سلام ، فقد أمسكت السباع وأخذت التماسيح وقبضت على شعب الواوات وأسرت المازوى، وهنا يقصد النوبة.. وعموماً هذه رسالة نفس مرة، هزها نكران الجميل ، ولكنها رسالة من فرعون أمه نوبية، أراد أن يجعل مصر والسودان مملكة متحدة..

٧٨. عبد الرحمن الأبنودي في النادي القبطي

مهرجان القرن: نحن على مشارف القرن الحادى والعشرون.. وهو قرن سوف يكون لنا سعيداً ، لأننا قضينا جزءاً كبيراً من آخر القرن العشرين ، فى خصام وعدم وئام.. وحاولنا كثيراً أن نصل إلى حل ، يعيد إلينا السلام ، ولكن المسافات تباعدت أكثر.. وكانت الحكومة ترفض المعارضة.. والمعارضة ترفض أن تجلس مع الحكومة.. ولكن شكراً لله الواحد الأحد الذى عمل بسلامه فى قلب الحكومة والمعارضة..

وكان نداء القلب، إنقلاباً وتغيير وإقتراب إلى الآخر، وإعتراف به.. ونحن اليوم قاب قوسين أو ادنى من معاهدة سلام شامل كامل.. إتفاق لا يدخل إليه الباطل من أى إتجاه.. ميثاق شعبى قوى ، يجعلنا نبدأ السلام ونرتب بيتنا الكبير.. وسط هذا الجو الممتع الهادىء المطمئن قدمت " سودانيز ساوند".. فعاليات مهرجان القرن ، وبذل صاحبه " عز الدين" محاولات ناجحة فى توجيه الفولكلور نحو تزكية وتنشيط ثقافة السلام ..

وكان آخر الفعاليات هو القادم إلينا من صعيد مصر.. الفنان الصعيدى الصادق المقنع " عبد الرحمن الأبنودى" وهو شاعر شعبى يملك الكلمة ، وتملكه

الكلمة. يلقى قصائده فى صوت خشن قوى.. يتصبب عرقاً ويريد أن ينفذ إلى القلب بأى طريق بل بألف طريق وطريق.. وهو ينقل السامع إلى جو رومانسى ممتع.. وبكلمات بسيطة قوية يجعلك تتفاعل مع شخصياته بنفس تسمياته.. فاطنة.. إبراهيم. جمالات.. وهو شاعر عاشق للروح ، صادق فى كل توجهاته ، وشعره الشعبى كان سببا فى قلق الحكام وإرتباكهم ، فأودع فى السجن لأجل الكلمة، وخرج أكثر إعتزازاً بالكلمة ، لأن الكلمة قوية ، حية ، فعالة.. أمضى من كل سيف ذى حدين.. وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل.. ومميزة أفكار القلب ونياته.. والكلمة مرهبة كجيش بألوية.. هى كالماء تشق طريقها وسط الصخور.. وكنبتة تشق قلب الجبال..

وأنا معجب جداً بصدق الكلمة ، لهذا الأديب الكبير ، ولو كان رجل الدين مثله عاشق للكلمة.. صادق لنفحات الروح ، لتمكن من أن يكون مقنعاً.. وقادراً على تلامس الناس مع حب الله حتى يدركوا سر التغيير.. ويتغيروا إلى أحسن.. وإن كان الخارج يفنى ، فإن الداخل يتجدد يوما فيوماً..

إن الأيام تفقد الإنسان الكثير من تحركات الجسد.. وتأتى عليه تجاعيد الزمن، ولكن من يهتم بالروح يتجدد من الداخل.. ويقوى .. ويزدهر.. ويزداد خبرة.. ويزداد تلاحما مع رسالة روحية مجيدة ، خلقنا الله لأجلها لأن الله خلقنا لأغراض صالحة وأهداف سامية قد أعدها لنا طريقاً واضحاً.. طريق.. وحق.. وحياة..

النادى القبطي : وفى أمسية الأحد التاسع عشر من شهر أكتوبر ، كان لقاء " عبد الرحمن الأبنودى " فى النادى القبطى.. وشهر أكتوبر هو شهر واعد لأهل السودان لأن فى الحادى والعشرون منه ، أصبح الصبح.. وتكسر القيد.. وإختفى السجان ، بثورة شعب كانت قوية وهادرة.. ورغم عظمة الثورة ، فلقد صارت الأن مجرد ذكرى ، ولكننا نعلم أن الذكرى تنفع المؤمنين..

وكان اللقاء فى النادى القبطى وكان لابد أن يتكلم رئيس مجلس الإدارة السيد " جمال حكيم أندراوس" يؤكد حضارة المكان.. والدور الثقافى الرائد الذى يقوم به النادى القبطى.. وتحدث "القمص فيلوثاوس فرج "عن القبط بإعتبارهم قبيلة من قبائل السودان .. تعايشت وتواددت مع القبائل السودانية الآخرى وعاشت للسودان، وفيها كل رمز وادى النيل.. فيها مصر جذوراً.. والسودان وطناً وعطاءاً متبادلاً.. وقال للشاعر الأبنودى : أنت نفسك واحد من الأقباط ، عريق مثلهم.. لك عبق التاريخ ورائحة الماضى السعيد ، لأن كلمة قبطى تعنى مصرى ، ولا تعنى مسيحى.. كما هي مستعملة الأن..

وجاءت فترة كان الأدباء والكتاب المسلمين يذيلون المقالات لكلمة قبطى مسلم أو قبطى مسيحى وهكذا يكون الأمر فى الأسماء .. والأقباط هم أصحاب حضارة متجذرة.. متعمقة.. هم شعب متدين ، عاش التوحيد قبل الأديان.. وإذا كانت اليهودية هى أول من نادى التوحيد واضحا ، فإن لليهودية بداية ، بدأت بإسرائيل ، وهو يعقوب والد يوسف الصديق الذى أتى إلى مصر هارباً من المجاعة.. وهو من مواليد ٢٠٠٦ قبل الميلاد ، وقبله قام أخناتون بحركة التوحيد.. والأقباط أيضاً شعب متمدن ولقد كانوا أول من ركب الهواء.. وأول من إخترع الطيران فى الهواء.. والكلام هنا مدعوم بالدليل ، فلقد تحدثت عنه مجلة رعمسيس ، عدد أمشير فى عام ١٩١٣ ميلادية.. والدليل الثانى لم يزل قائما أثراً فنياً جميلاً فى تمثال لرجلين أب وإبنه ، فى متحف جنيف بسويسرا .. والأب يصنع أجنحة ويعلقها فى إبنه لكى يطير.. والأب إسمه " ديدال " والإبن إسمه " إيكار ".. والدليل الثالث مجلة الطيران الفرنسية التى قالت عن ديدال ، أنه هو الذى أوجد الفكرة عند كل الأمم ، لتذليل الجو بالمركبات الهوائية.. وكانت دعوتنا أن نركب الهواء مع الشاعر العظيم ونحلق فى عالم الروح.. فى عالم النور بأجنحة النسور.. نركب الهواء.. ولا نموت على الأسفلت.. ولقد إستعمل فناننا الأبنودى بعض الشهور القبطية.. أمشير وطوبة وبابة وقال نفسى أكتب كتابة تجيب طوبة فى بابه.. تمسح ريش البلابل.. وتنعش الغلابا.. تحاور البحور..وتنطق السحاب.. وعن أمشير أبو الزعابير قال زعابير التراب: التراب فى أنفنا زى العبير.. على قلبنا زى العسل..وطبعا والحمد لله نقول نحن أن أمامه شهور قبطية آخرى لم يستعملها لأن الشهور القبطية كل سنة ثلاثة عشر شهراً.. آخرها " النسى". أى الأيام المنسية..

وعلينا أن ننسى الأسية.. والأيام الصعبة الشقية.. ونغنى للمحبة أجمل أغنية.. وبالأمل يزرع عبد الرحمن شعره فى كل زهرية.. وفى الحديث عن القباط ، لم يفوتنا أن نذكر الشعراء الأقباط ، من قبيلة السودان.. عزيز التوم منصور.. سعد ميخائيل.. تادرس الفرشوطى.. عزيز أندراوس. عزمى بطرس.. مهنى فهمى.. ويزين خميلة الشعر فى السودان المطران الراحل عنا إلى الأبدية السعيدة التى سهر لأجلها ، نيافة الأنبا دانيال..

حديث الروح : وفى أمسية الشعر القى بعض الشعراء من شعراء السودان، قصائد قوية البيان.. الشعراء هم : أحمد ربيع.. طه القدال.. مهنى فهمى.. وفى النادى القبطى فاحت رائحة الشعر. خرجت زكية ، فنية ، قوية .. وإمتدت تطاول عنان السماء ، لأن الشعراء هم أخبر بالسماء.. وأعلم بدروب ما فيها من صفاء ونقاء.. والشعر تأمل وأمل ونور ونار..

٧٩ . تكريم صناع السلام

السلام الإجتماعى: من منطلق أن التاريخ يخط في ملفاته أسماء الرجال هنا وهناك..ومن منطلق أن السلام السياسى صيغة رجال السياسة الأفذاذ من مواطنى السودان العظيم.. فإن السلام الإجتماعى أيضا قد صنعه رجال يستحقون التكريم، قصد أهل "صوت السودان" سودانيز ساوند..أن يكرموا صناع السلام الإجتماعى ، فى إطار مهرجان طبول السلام للمرأة والطفل.. وقد كان حيث فى أمسية سعيدة من أمسيات السودان، وفى النادى النوبى العريق ، الذى يعطر البلاد برائحة التاريخ العنيفة والطيبة والكثيرة القيمة.. وفى مساء الجمعة الرابع والعشرون من شهر يونيو٢٠٠٥ ، كان هذا التكريم وسط حضور مميز ومكثف ، حيث قاد الأستاذ الأديب المهموم بالثقافة " عز الدين محمد إبراهيم".. مسيرة العمل كله.. وفى رعاية الدكتور الطبيب إبراهيم محمد .. " مستشار الرئيس للأمن القومى ، ووزير القصر.. وبتشريف هادى وقور من وزيرنا المثقف، وزير الثقافة الأستاذ عبد الباسط عبد الماجد.. كان التكريم لشخصيات أربع هىّ: الصوفى المتعبد الشيخ البرعى.والصوفى الأستاذ العلامة حسن الفاتح غريب الله.. وهما من أهل العالم الآخر.. أما من أهل العالم الفانى ، فلقد تم تكريم وزير الثقافة لولاية الخرطوم الأستاذ هاشم هارون، الذى حرك المياه الراكدة، للثقافة النائمة.. وأعاد الحراك الثقافى الذى كان خافتاً لكى يزهو وينبهر وينتعش فى أمسيات ثقافية فى عاصمة الثقافة.. والرابع من رجال السلام الإجتماعى هو الأب القمص فيلوثاوس فرج والذى مدّ جسور المحبة والتوادد بين المسيحيين والمسلمين، وكما قالت عنه جريدة " ألوان" يوم ٢٠٠٥/٦/١٩ أنه رمز تلاقح وحمامة سلام بين الأقباط والمسلمين فى السودان الواحد الموحد..

وكان التكريم على أنغام الفرقة الفرنسية ومجموعة فنون شعبية مع حوار الإيقاعات.. وعرض الأزياء السودانية عبر العصور، فى تصميمات أنيقة تناسب كل عصر من عصور تاريخنا المجيد.. وحضارتنا العريقة التى تُعد أقدم الحضارات فى العالم..

شهادة التكريم: وجاء فى الخطاب المرسل من السيد" عز الدين محمد إبراهيم" إلى" الأب القمص فيلوثاوس فرج" .. تقديراً للدور الكبير الذى ظللتم تحرصون على آدائه خلال الفترة الماضية حتى توج بتوقيع إتفاقية السلام فى يناير ٢٠٠٥.. وتمتيناً للدور الذى تقومون به فى إشاعة السلام الإجتماعى ومبادرتكم ودعوتكم لوحدة الأطراف الشمالية والجنوبية، وإيماناً بدوركم فى بناء النسيج الإجتماعى

للأمة، رأت سودانيز ساوند في إطار مهرجان طبول السلام للمرأة والطفل ، ان تكرم شخصكم الكريم ضمن الشخصيات السودانية التى أسهمت فى إتفاقية السلام وإشاعة الطمأنينة والسلام الإجتماعى.. أما وثيقة التكريم نفسها.. فلقد تم إختيار كلماتها بذوق رفيع هادىء.. وسلام عميق.. وفكر ثاقب، حيث تأتى تحت عنوان" وثيقة تقدير وحب". الأب فيلوثاوس فرج.. لأنكم أوقدتم شموع الأمل فى ظلمات الإحتراب.. وغرستم زهرة السلام فى زمان الحرب، فأحلتم ليل الصراع إلى فجر يتنفس بالأمان والمحبة.. أفردتم للمكلومين والمحرومين ولضحايا الحرب أشرعة الإرادة والإستقرار، وعبق الحياة ، فغسلتم المرارات وضمدتم الجراح..

هذه الوثيقة تبادلكم، وفاء بوفاء. نهديها لصناع السلام الإجتماعى الذين أرسوا قواعد السلام، بالكلمة الطيبة وبنشر ثقافة السلام، وتمتين عرى النسيج الإجتماعى..

مذيعان لبقان: كان هناك مذيعان لبقان ..أحدهما للغة العربية.. والآخر للغة الإنجليزية.. ولا أخفى إعجابى بهما.. اللغة العربية، لغة جميلة ومفردات مميزة ، يتحدث بها المذيع فى لباقة وطلاقة.. واللغة الإنجليزية، كلمات مفهومة ومهضومة، إختارها المذيع السودانى المتمكن من اللغة الإنجليزية.. ولم يترك مذيع العربية الفرصة ، بل إستنطق هاشم هارون بالوعد الآتى ، بمسيرة ثقافية عظيمة.. كما إستنطق الأب فيلوثاوس ، ليشكر السودان كله، ويقدم تكريمه للرجل الذى كان ولم يزل بطلاً للسلام، مصرّاً على تحقيق السلام.. وهو رئيس الجمهورية.. كما قال الأب : أشكركم لأن المسلمين كرمونى قبل المسيحيين، ولأن الشعب كرمنى قبل الحكومة ، وسوف تستمر مسيرة السلام..

٨٠. البجة بادية بنى كوش

البلميون والبجة: إنهما إسمان لقبيلة واحدة، ولقد أطلق الإسم الأول BLEMMYES منذ القرن الأول الميلادى على سكان الصحراء الشرقية.. وذكر" بروكوبيوس" فى القرن السادس الميلادى، إنهم يسكنون المنطقة الممتدة من حدود مصر وإلى أكسوم..على حين أن "كوزموس" التاجر المصرى الذى عاش فى هذا الوقت أيضاً أطلق على سكان هذه المنطقة إسم بجاBEGA.. وهذا الإسم يعتبر الإسم الحديث للقبائل القديمة التى كانت معروفة عند قدماء المصريين، تحت إسم ميجا أو ميجوى.. وإستعان بهم قدماء المصريين منذ الأسرة السادسة

٢٥٠٠ق.م.. فى مختلف الأعمال، وعلى الأخص كانوا يؤلفون منهم فرقاً عسكرية، تستخدم للبوليس والحرب....

ومن أهم أقسام البجا فى الوقت الحاضر ، البشارية ، الهدندوة ، الأمرار، بنى عامر ، الحلامة.. ويرى مصطفى مسعد ، أن هؤلاء البلميين كانوا يستوطنون بعض جهات النوبة السفلى ، جنوبى المحرقة منذ زمن البطالمة.. ولكن لا نعرف إذا كانوا قد خضعوا لنفوذ دولة مروى أو لا.. ولكنهم إحتلوا هذه المنطقة ومنها بدأت سلسلة الإغارات التى شغلت الرومان ، وكلفتهم الكثير، جهداً ومالاً.. وأولى هذه الإغارات كانت سنة ٢٥٠ م.. وشجعهم على ذلك ما حدث من فوضى فى الصفوف الرومانية...

أما " شوقى الجمل" فيرى أنه عندما إشتد زحف الزنوج للشمال، لم يستطع أهل النوبة الشمالية التغلب عليهم ، مما إضطر البعض منهم لهجرة النوبة والإنتقال من حياة إستقرار الزراعة إلى حياة البدو.. ومن هؤلاء المهاجرين: قبائل البجة أو البشاريين.. وأصبحت هذه القبائل بحكم وضعها الجديد ، تُغير على البلاد الزراعية، ويقع بينها وبين السكان معارك.. وهذا يعنى أن قبائل البجة ، ترد إلى النوبة كفرع منها...

أما " نعوم شقير" فى تاريخ السودان ، فإنه يرى أنه بعد ان زالت دولة مروى، لم يشتهر فى أثيوبيا إلا أمتان: النوبة على النيل.. والبجة فى الصحراء الشرقية.. وأن النوبة إعتنقوا المسيحية فى القرن السادس للمسيح .. وبقىّ البجا على الوثنية.. والبجاهم سكان الصحراء الشرقية.. وهم فى المشهور بادية بنى كوش ، بن حام.. وعرفوا فى كتب الرومان بإسم البلامس أو البلميين.. وظن البعض أنهم البقةBUKA المدونون على الآثار الفرعونية أو البقيتة BUGAITE المدونون على آثار أكسوم...

المؤرخون العرب: هناك كلام طويل عن البجة عند المؤرخين العرب ، وهنا نذكر :

١. قال أبو الفدا فى جغرافيته ، أن بلاد البجة بين بحر القلزم وبحر النيل، وبينهم وبين النوبة جبال منيعة.. وأيضاً: من أمم السودان البجة ، وهم شديدو السواد، عراة الأبدان، ويعبدون الأوثان، وهم أهل أمانة وحسن مرافقة للتجار، وفى بلادهم الذهب، وهم فوق الحبشة إلى جهة الجنوب على النيل..

٢. يرى بعض المؤرخين، أن البجا قبلت المسيحية وعلى الأخص أنهم فى الأصل قبائل نوبية ، ولكن لم يكن لمسيحية البجا نفس مستوى مسيحية النوبة..

٣. قال " القزوينى" فى كتاب أخبار البلاد ، البجة بلاد متصلة بأعلى عيذاب، فى غرب منه أهلها ، صنف من الحبش ، وبها معدن الزمرد الأخضر السلقى الثير

المائية.، وذكر أن هذا الزمرد دواء لسم الأفعىَ.. وأن الأفعىَ إن نظرت إليه سالت حدقات عيونها..

٤. أما "إبن الوردى" فيقول: أن البجة شديدو السواد ، عراة الأبدان، يعبدون الأوثان.. ولهم عدة ممالك .. وهم أهل أنس وحسن وتلطف مع التجار.. وفى بلادهم معدن الذهب .. وليس بأرضهم قرى ولا خصب ، وإنما هىّ بادية جدباء ، يصعد التجار منها إلى وادى العلاقى، وهو وادٍ فيه خلق كثير.. كالبلدِ الجامع.. وفيه آبارِ عذبةٍ.

٥. "إبن الوردى" فى تاريخه يقول: إنه بين النوبة والبجة قوم يقال لهم " البليون".. أهل عزمٍ وشجاعةٍ.. يهابهم كل من حولهم، من الأمم. ويهادونهم.. وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية.. وهذا يعنى أنهم لا يتبعون كنيسة الإسكندرية.. وربما كانوا يتبعون كنيسة روما الغربية..

٨١. تمثال كتشنر وعزيز التوم

تمثال كتشنر: تبدأ قصة تمثال كتشنر فى إقتراح من " ونجت باشا" لتكريم كتشنر بإقامة تمثال له بالخرطوم.. كان له تمثال فى الهند فى كلكتا أقامه المثال العالمى سيدنى مارش Sydney March وكان هناك قالب جاهز له، ولكن " ونجت" قال: إن الخزينة لا تستطيع تحمل نفقات ملء القالب بالنحاس المصهور ، ولكن " ونجت" أوجد حلاً لهذا، بأن إستفاد بعدة أطنان من النحاس كانت ظروفا للذخيرة التى أستعملت فى معركة أمدرمان .. وقد كان .. وتم صب النحاس فى القالب وأقيم التمثال ، وفى محاولة لنقله كانت الحرب العالمية الأولى ، فتأخر حضوره إلى الخرطوم إلى عام ١٩٢٠ .. عن طريق قناة السويس ثم بورتسودان.. وكان التمثال بحجم أكبر من الحجم الطبيعى مرة ونصف المرة.. وعندما وصل إلى الخرطوم طرداً تحت التسليم ، ذهب الساعى لإحضار الطرد وكان راكباً على عجلة ، وفوجىء أن الطرد كبيراً ، وهو تمثال كتشنر..

وعندما تقلدت الحكومة الوطنية زمام السلطة فى البلاد أمرت بإزالة تمثال كتشنر الذى كان يطل على نهر النيل.. وقد كتب مهندس قاعة الإمتحانات بجامعة الخرطوم فى كتابه : كل شىء ممكن ، سنوات فى السودان.. بإعجاب شديد عن الطقوس الأولى لإسدال الستار على تمثال كتشنر ، فى حضور السفير البريطانى.

السيد "أدوين شائمان أندروز.. والذى تلقى التحية العسكرية من حرس الشرف.. وكان الجنود وقوف فى أزيائهم العسكرية . وكان هناك فرقة موسيقية عسكرية تعزف الألحان الإسكتلندية.. وبدأ الإحتفال فى الرابعة والنصف ظهراً ، وأخذت الفرقة الموسيقية تعزف المقاطع الإفتتاحية من نشيد " حفظ الله الملكة ".. وبدأ اللحن هادئاً فى أول الأمر، ثم وصل قمة روعته وقوته عندما كان قارعو الطبول، بأزيائهم الموشحة بجلود النمور ، يضربون فى حماس على طبولهم .. ونافخوا الأبواق ينفخون، فى صخب فى الآتهم النحاسية ذات الألوان الجميلة .. وتقدم نافخوا الأبواق وهم يعزفون لحن الوداع ، وصدى اللحن يتردد بين أروقة قصر الحاكم العام ، وقوات سلاح المهندسين تسدل ببطء ورفق ووقار، الستار الذى كان منصوباً فوق أعلى التمثال بإرخاء الحبال التى كانت تشده حتى غطته تماماً..

وتدور عجلة التاريخ.. ويكتب مهندس قاعة الإمتحانات ، عن إزالة تمثال كتشنر.. حيث قام إحتفال هادىء لرفع تمثال كتشنر من مكانه ووضعه خلف مبنى متحف الآثار القديم.. وبعد هذا تم نقل تمثال كتشنر إلى بريطانيا.. وأهدى إلى مدرسة الهندسة العسكرية..

وعندما كان التمثال فى السودان ، كان بعض الناس يضعون حوله الزهور . بينما عندما ذهب إلى موقعه فى بريطانيا ، إعتدى عليه أحدهم ليلاً، وحطم غمد سيفه.. وكان إحتفال السودان كما قالت جريدة السودان الجديد ، إظهاراً لنبل المقصد وبرهاناً على النضج والسلوك المتحضر.. " وضع السودان زهوراً عند تمثال كتشنر ، بينما قام الإنجليزى بالإعتداء عليه.. وكان هذا فى عام ١٩٦٠..

الشاعر عزيز التوم :

وقد كتب الشاعر عزيز التوم قصيدة " فى محراب حبى" يخاطب فيها تمثال كتشنر ، الذى كان يطل على النيل.. والقصيدة من ملحمة كررى قال فيها عزيز التوم إلى كتشنر :

ترجل ، فهذا الجواد الأصيل
يود الصهيل ولا يصهل
فليس على ظهره فارس
من النيل فى درعه مثقل
فلا أنت راكبه فى الزحام
ولا أنت فارسه المفضل
تطل على النيل فى جرأة
كأنك مرسله المنعم

كأنك فجـــرت ينبوعـــــه
أو أنـــك حارســه القيـــم
ترجل وإلا جـــرى محنقـــا
وسال على شاطئيه الـــــدم
فما ألف الـــذل عبر الدهـــور
ولا هـــزه الأرقـــم المعلـــم

ولكنه فيلسوف الزمان.. إذا غيظ فى عزه يكظم.. وهكذا بينما عبر الناس عن إحترامهم للميت ، فإن عزيز التوم ، تحدث عن كرامة الأحياء..

٨٢. الذهب والزمرد في البجة

نحو الذهب: كانت للفراعنة شهية شرهة للذهب ، هذا ما قاله صاحب الرواق.. وأيضا كان للعرب شهية شرهة أكثر للذهب ، حتى أن القاضى عبد الرحمن عبد الحميد عمرى.. وهو رجل دين وأستاذ فى علم الحديث ، ترك أستاذيته وذهب ليسكن مع البجة ، وصيروه قاضياً بينهم..

وإهتم بتجارة الذهب ، وسخرّ لهذا ستين ألف حمار تنقل الزاد من أسوان إلى أرض المعادن فى شنقير قرب أبو حمد الخالية ، حيث يؤكد الأمريكى وليم آدمز " فى الرواق " أن الذهب هو المعدن الوحيد الذى يوجد فى معظم النوبة.. وأن جيوبا متعددة من خام الذهب تقع هنا وهناك.. فى كافة أرجاء المنطقة الشاسعة ، حيث يتبدى المركب البركانى لصخور القاعدة فى مصر والسودان معاً..

والهضبة الصحراوية من وادى النيل إلى البحر الأحمر ، منطقة مبقعة بعشرات من المناجم ، وحفر الإستطلاع المهجورة.. أما الأوفر تعدداً وأشد إنتاجاً فكانت ملقاه على طول وادى العلاقى وروافده بين النوبة السفلى والبحر الأحمر.. إنها تقع فى الصحراء بعيداً إلى شرق وادى النيل المأهول.. وهىّ منطقة لا تتبع النوبة ، ولكنها كانت عبئاً عليها ، إنها منطقة البجا ، بادية كوش..

وكان على مصر أن تؤمن طريقا للبحث عن الذهب ، يمتد سبعين ميلاً جنوب اسوان إلى وادى العلاقى.. وكانت إحتياجات مصر إلى الذهب كثيرة،
ورغبتها كبيرة وواسعة.. فالذهب تاج مرصع على رؤوس الأمراء والملوك.. وهو أيضاً كساء توابيت الموتى، حتى أطلق على دار صنع التوابيت " بيت الذهب "..

وكان الذهب ولم يزل مهماً لِمَ يحمل من نقاء وصفاء .. ويرى أهل الروح أنه كما يصفى الذهب بالنار، هكذا يصفى المؤمن في نار التجارب.. ويشير سفر الرؤيا على ملاك كنيسى اللاودوكيين: أن يشترى ذهباً مصفى بالنار .. ويصف سفر الرؤيا: موكب الكهنة الآبرار بأنهم يلبسون تيجاناً مغشاة بالذهب..

الذهب والزمرد: والبجا منطقة غنية بالذهب والزمرد ، ويقول المقريزى: أنهم أهل بادية يتبعون الكلاء حيثما كان الرعى بأخبية من جلود وشعر.. كانت بلادهم تمتلىء بالذهب وهم لم يذهبوا إليه ولا تحركت مشاعرهم نحوه.. ويرى المقريزى أنهم قبيلة من الحبشة، إلا أنهم أشد سواداً.. ويتزينون بزى العرب البادية... وأول بلد البجة قرية تعرف بالخربة ، فيها معدن الزمرد فى صحراء قوص وبين هذا الموضع وقوص نحو من ثلاث مراحل ، والزمرد فى هذا الموضع فى مغائر بعيدة مظلمة ، يدخل إليها بالمصابيح وبحبال يستدل بها على الرجوع ، خوفا من ضياع الطريق ، ويحفر بحثاً عن الزمرد بالعاول حتى يجدونه بن الأحجار.. وحوله غشيم دونه فى الصبغ والجوهر..

ويوجد أيضا الذهب فى وادى العلاقى وكلما تصاعدت كان أجود ذهبا وأكثر فى الكمية.. وفى البجا أيضا معادن آخرى هىّ: الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغناطيس والمرقشيتا والجمست وحجارة شطبا . فإذا بلت الشطبة منها بزيت وأشعلت وقدت مثل الفتيلة.. ويعلق المقريزى بأن هناك معادن آخرى ولكن بريق الذهب شغل الباحثون عن الذهب ، عن المعادن الآخرى...

أما البجة فلا تتعرض لعمل شىء من هذه المعادن ، لقد إكتفوا بأن يأخذوا هدايا من رواد البحث عن الذهب.. وأحيانا يقومون بالسطو عليهم وسلب مالهم.. وقد كانت لدى العرب رغبة فى الذهب جعلتهم يعيشون مع البجة ويختلطون معهم ويتصاهرون منهم.. وهنا قلّ شر البجة وتكاثر التبر وتسامع الناس به ، فوفدوا من البلدان الآخرى..

ويقول أبو حسن المسعودى: وقد كانت النوبة أشد من البجة إلى أن قوى الإسلام وظهر وسكن مع جماعة من المسلمين.. معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب وسكن فى تلك الدار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.. فاشتدت شوكتهم ، فنزحوا من البجة .. فتقويت البجة عن صاهرها من ربيعة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان.. وهكذا كان الذهب والزمرد جذاباً ، جعل الراغبين فى الذهب يسكنون بادية الذهب..

٨٣ . المخدرات تحطم صمامات القلب

اليوم العالمي: جاء اليوم السادس والعشرون من يونيو .. هذا العام يوجه العالم كله نحو خطر المخدرات.. وهوة الإنزلاق فى الإدمان.. وإحتفلت اللجنة القومية لمكافحة المخدرات بهذا اليوم العالمى وسط حضور مكثف.. وفى ظل رعاية حنون للسيدة حرم رئيس الجمهورية والتى فى حنان ووداد قالت كلمتها المختصرة عن خطر المخدرات.. وأحالت السامعين إلى الاحصائيات والتى قدمها محارب المخدرات الأول اللواء حامد المنان، ذلك الرجل الوقور الذى يمثل الدولة خير تمثيل... ويدير اللجنة القومية ، إدارة شعبية راقية تحت رئاسة رئيس الوزراء الأسبق ، بروفسور الجذولى دفع الله ، الذى كما قال الأديب المذيع الدكتور عوض إبراهيم : إن الجزولى يعالج الناس بالطب وبقيادة مكافحة المخدرات .. كما عالج السياسة فيما سبق.. طبعا كبطل من أبطال إتفاقية أبريل .. وكان الحفل حفلاً ممتعاً جميلاً أدارته رئيسة لجنة الإعلام الأستاذة" بخيتة امين" وتابعت فقراته التى إستمرت إلى ثلاث ساعات دونما ملل .. والقضية تجذب إلتفات الجميع وعلى أنغام مطربة الحلم العربى السودانى الأستاذة "سمية حسن" كانت أغانى تمجيد للملكة كنداكة المرأة السودانية العظيمة.. وكانت توجه نحو دفء حنان الأسرة الذى فيه العلاج للمخدرات ، كما أتحفتنا أسرة" الهولاهوب" ببرنامج شيق.. ونكات لطيفة لم تسخر من المخدرات ، إنما سخرت من المجتمع كله ، والذى يؤدى عدم التكافل فيه إلى الهروب من المجتمع إلى أوهام المخدرات..

وقد أعجبنى جداً المذيع الذى يتفجر ذكاء وفناً وموهبة ، دكتور عوض والذى بكلامه المموسق .. المنمق.. المعمق.. المحندق ، غطى الإحتفال.. كانت كلماته قدر المناسبة وقدر الحضور المشرف.. ووزعت اللجنة القومية التى أتشرف بعضويتها كتاباً فى طباعة أنيقة عنوانه" المخدرات دنيا الوهم" ذكرت فيه أن المخدرات الآن هىَ جزء من إستراتيجية الدول حرباً ضد بعضها البعض ، ورصداً لميزانيات كبيرة لمكافحة هذا الخطر الكبير..الذى جعل أعظم فنانى العصر لا يقدر على ترك المخدرات.. إلا بتعاطى جرعات منها.. وإعتبر الكتاب أن للأسرة دوراً كبيراً ومهماً فى محاربة المخدرات.. ودعت إلى لقاءات المحبة داخل الأسرة.. أباً وأماً وأبناءً.. ذكوراً وإناث. لرفع المسافات وتقريب الود من خلال ترابط الأسرة وتجنب وسائل البطش، وعلاج إفرازات العصر بالتى هىَ أحسن..

وقد إفتتح الإحتفال بقراءة من القرآن الكريم ثم قراءة من الإنجيل المقدس بالترتيل ، والذى قدمه لأول مرة فى إحتفال عام الشماس القارىء سامح فيكتور..

وأكد الأب فيلوثاوس : أن الإنجيل والقرآن لم يذكر فيهما شيء عن المخدرات ، إنما ما قيل عن الخمر ينطبق على المخدرات .. وفى الكنيسة يوجد تجويف يسمى " حضن الآب".. وفى الجامع يسمى "المحراب".. وهذا التجويف يؤكد أن هناك مكانا لكل إنسان أن يتكيء فى أحضان الله الذى من يقبل إليه، لا يخرجه خارجاً..

وفي دراما" رجعة أم" للفنانة القديرة " بلقيس عوض" إخراج المخرج المبدع شكرالله خلف الله، كانت دعوة إلى جمع شمل الأسرة وإختزال التباعد بين أفرادها حتى وبحسب تعليق الأستاذة " بخيته أمين" لا تدخل المخدرات إلى جيوب وحقائب ودواليب الأولاد.. وأقترح أن تجتمع الأسرة كلها حول مائدة يومية، فيها يكون لنا غذاء الجسد والروح..

صمامات القلب: وفى نبذة عن الادمان كتبت اللجنة القومية لمكافحة المخدرات: أن الإدمان يتسبب فى أمراض عديدة مثل فقدان المناعة والصداع المستمر والتهاب الكبد وإلتهاب القلب الغشاء الداخلى وتحطم صمامات القلب... هكذا المخدرات تحطم صمام قلب الإنسان.. وصمام قلب المجتمع.. عندما تستهدف الإنسان ، شابا أو رجلا، ذكرا أو أنثى .. وتترك القلب مدمراً.. ويتعطل شبابنا عن العمل، وينتظرون الموت كمصير محتوم ، وبكل أسف يدفن الآباء الأبناء.. وتنقلب الآية وينقلب معها الهرم السكانى فى المجتمع.. وتتوالى الإفرازات السلبية.. لقد كان الإحتفال باليوم العالمى لمكافحة المخدرات ، إحتفالاً زاد جمالاً عن الأعوام الماضية..

كما تعددت فروع اللجنة القومية فى بورتسودان وشرق النيل، وسوف تتكاثر اللجان الفرعية ويمتد هذا العمل الإنسانى النبيل إلى أرجاء بلادنا العظيمة ، تحريراً للمواطن .. وبتعاون الجميع معنا كما قال: رئيس اللجنة مناشداً كل فئات المجتمع لكى تكون طرفاً شريكاً فى محاربة المخدرات..

٨٤. عيد الأفيال فى مروى

ركوب ملكي: كان الفيل فى حضارة مروى.. ركوب ملكى ، هكذا تذكر النقوش المروية، حيث تصور على أحد الأعمدة بالمعبد الرئيسى بالمصورات الصفراء، الملك المروى وهو يركب فيلاً، بينما يمسك أحد خصومه بخرطوم الفيل كنوع من إذلال الخصوم على الأخص إذا كان الخصم من بيوت الحكام الأعداء.. وكان الفيل يركبه الملوك فقط.. وبحسب كتابة المرشد لآثار مملكة مروى ، للدكتور صلاح عمر الصادق، إنه لا يوجد أي رسم لأحد العامة وهو يركب فيلاً.. ويذكر المؤرخ"

ديدوروس الصقلى Diodorus أن أهل مروى كانوا يصيدون الأفيال ويقومون بترويضها والمتاجرة بها مع البطالمة (٣٢٣-٣٠ ق.م) مثل بطلميوس الثانى والثالث اللذان إهتما بإستجلاب الأفيال من منطقة مروى.. ومعروف عن الفيل الإفريقى أنه ينضج فى سن الخامسة والعشرين ويصل إلى الشيخوخة فى سن الخمسين.. ولا تلد الأنثى غير مرة واحدة فى حياتها..

ولقد تمكن الفنان النوبى من النقش على العاج .. وقد عثر "ريزنر" على لوحات عدة من العاج، حفرت عليها رسومات مختلفة.. تمتاز بمحاكاة الطبيعة.. محاكاة صادقة..

عيد الأفيال: يظهر فى حضارة مروى أهمية الفيل كوحدة فنية متكررة.. وقد كان أهل مروى يهتمون بعيد الأفيال ويعتبرون الأفيال سلعة حيوية هامة.. ونظرا لأن جزيرة فيلة تقع فى مدخل النوبة وفى أسوان ، فإن تسميتها ترجع إلى أهمية الأفيال التى ربما كانت تصل إلى" فيلة" على الأقدام ، وأيضا كانت تصل إلى هناك عاجاً من سن الفيل.. وظلت فيلة لها دورها الكبير فى حضارة مروى، حيث يذكر أن بعانخى مؤسس المملكة المتحدة مصر والسودان، عندما قرر أن يضم مصرإليه، ذهب أولا لإسترضاء الآلهة إيزيس فى" فيلة "، وأخذ تمثالها معه فى إحتفال عظيم، تبركا لمملكته وإستدراراً للأمطار.. حيث كان أهل النوبة يحجون إلى معبد إيزيس فى موكب سنوى بهيج ، بينما كان المصريون القدماء يؤمنون بأن أول نقطة مطر تملاء نهر النيل هى دمعة الألهة " إيزيس" ألهة الخصب والنماء.. وهذه الدمعة هى أول الغيث ، وكان عيد النقطة ، عيدا بهيجا سعيدا على المصريين، وعندما دخلت مصر إلى المسيحية تحول هذا العيد إلى عيد رئيس الملائكة ميخائيل المسئول عن إصعاد المياه حسب مقدارها، والمسئول عن أهوية السماء وثمرات الأرض.. والذى تقام له الإحتفالات فى دارفور فى جبال ميدوب برئاسة الملك المسيحى هناك.. وظلت راسيا ثقافيا حتى الأن.. وكانت جزيرة فيلة هى المقام الأول للمسيحية ، وكانت حجر عثرة أمام إنتشار المسيحية حيث ظل حجاج النوبة يفدون إلى فيلة، وإلى معبد الألهة إيزيس.. وينقشوا على جدران المعابد بعض التراتيل والصلوات "لإيزيس العظيمة".. ويرجع آخر نص إلى سنة ٤٧٣ م...

فيلة والمسيحية: وتمكن الإمبراطور الرومانى " جوستنيان" من القضاء على الوثنية في جزيرة فيلة، حيث قام بإغلاق معبد الألهة إيزيس وإرسال تماثيل الألهة إلى القسطنطينية وسجن جميع كهنة الأوثان، حوالى عام ٥٤٣ م.. وعهد إلى " تيودور "أسقف أسوان بالإشراف على الطقوس الدينية بعد تحويل هيكل إيزيس إلى كنيسة مسيحية.. وقام تيودور بدور كبير فى نشر المسيحية هناك ، ويرى بعض

المؤرخين أن جويتنيان الإمبراطور الرومانى، لم تكن له أهداف دينية فقط، بل أهداف سياسية أيضا.. فقد كان يرغب أن يقضى على البلميين ويطردهم من وادى النيل، وإستفاد هنا بالعناصر النوبية التى أخذت تميل إلى المسيحية ، وشجعها على طرد البلمين.. وقام " سلكو" أحد ملوك الانباطيين بأربع حملات متتالية ليقضى عليهم، وإكتسح أراضيهم وطاردهم من أبريم حتى الشلال الأول..

والبلميون ، طبعا هم قبائل البجة التى كانت تغير على النوبة ، غارات متعددة. وقد عزا " سلكو" إنتصاراته عليهم إلى الله ، ولكن هذا النص لا يشير إلى إنه صار مسيحيا ، إنما يرى دكتور مصطفى مسعد : إن كاتب وثيقة الإنتصار هو كاتب قبطى على جانب عظيم من الثقافة .. وهو الذى تولى كتابة هذا النقش على معبد كلابشة..

وكان النقش يصور الملك " سلكو" فى زى فرعونى تزينه صور الألهة.. وكان تحول فيلة إلى المسيحية وإغلاق معبد إيزيس هو أول الخطوات نحو دخول المسيحية إلى النوبة بوابة إفريقيا...

٨٥ . فيلة وأسوان والسودان

مراكز التأثير: تعد فيلة وأسوان مراكز تأثير فى تاريخ السودان.. وليس هما فقط، إنما أيضا طيبة الأقصر والتى كانت مركزا هاما للدعوة المسيحية بما فيها من كنائس وأديرة ورهبان .. كما تعد الواحات أيضا موطن تسريب المسيحية إلى النوبة، فلقد كانت الواحات ذات أهمية كبيرة ، فهى تقع على الطريق التجارى درب الأربعين ، كما تربط بين وادى النيل وشمال إفريقيا.. لقد فرّ الأقباط من تعنت الإضطهاد ولجأوا إلى هذه المناطق كما هاجر قبلهم التجار سعيا وراء سلع تختص بها بلاد النوبة. بدءا بالذهب النقى مرورا بالعاج وريش النعام وبعض الحيوانات.. عدا تبادل البشر من خلال تجارة الرق البغيضة ولكن قوة بنية النوبى وسرعة حركته جعلته ينال الحرية فى بعض المواقع، ويعمل جنديا فى الجيش أو فى الحرس الملكى الفرعونى.. وكانت الجيوش النظامية وجيوش المرتزقة لا ترغب فى غير أهل النوبة الأقوياء، وسلاح الهجانة يقود الجمال فيها ، نفر غير قليل من أهل النوبة.. وإهتم التجار، مصريون ويهود بالعبادة .. فهى طريق الإستقرار الأسرى.. وهم كانوا ملاذا للمهاجرين.. وحصنا للمضطهدين.. وتشديدا لأياديهم وتثبيتا لركبهم المخلعة.. والتاجر فى شأن الدين يعطى بسخاء ، والكنائس القبطية

الموجودة الآن فى عواصم السودان شيدها وبناها وصرف على حاجياتها التجار الأقباط، الذين أتوا من نقادة للتجارة، ومعهم البعض من قوص وأسيوط وأرمنت وإسنا..

فيلة وأسوان: وكانت جزيرة فيلة فى أسوان والتى غمرتها مياه السد العالى وكتب عنها شاعر غربى مرثاة فى قصيدة ، مركزا لحياة التجار ، وكانت أسوان مركزا للتبادل التجارى.. ويساءل مؤلف الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى: إلى أى حد تأثر النوبيون والبلميون الذين هم البجا بهذه المراكز المسيحية التى نشأت بالقرب من أوطانهم .. مع العلم بأنه ليست لدينا وثائق أو أخبار موثوق فى صحتها عن نشاط تبشيرى رسمى ببلاد النوبة ، قبل القرن السادس ؟... ويجيب على التساؤل المطروح بما ورد فى كتاب الكاتب العربى " أبى البركات" والذى تحدث عن قيامANI أسقف الإسكندرية بتعميد بعض النوبيين فى القرن الأول الميلادى وربما كان المقصود بهم أولئك النوبيون الذين يعيشون فى مصرللعمل بها.. أو ربما كانوا ممن يعيشون فى جهات الأطراف مثل: فيلة وأسوان.. أو بعض أفراد مثل وصيف كنداكة، ملكة مروى الذى عمده الأسقف فيلبس فى القرن الثانى للميلاد.. وهذا طبعا شخص آخر غير وزير الملكة كنداكة .. والمذكور فى الإصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل..

أما أسقف الإسكندرية "أنى" ANI فهو إنيانوس ، ثانى أسقف بعد القديس مرقس .. وإلتقاه مرقس لكى يصلح حذاءه فقد كان إسكافيا ، وعندما أمسك بالخراز إجتاز به إصبع يده وسال دماً وصرخ هو قائلاً: إيوس ثيئوس أى يا الله الواحد.. ومن هذا المنطلق تحدث معه مرقس عن التوحيد فى المسيحية وذهب إلى بيته .. وكان بيته هو أول كنيسة فى الإسكندرية ، وأسرته أول أسرة تؤمن بالمسيح فى الكرازة المرقسية.. وإنيانوس هذا رسم أسقفاً سنة ٦٢ م.. حتى ٨٤ م.. وكان مشهوراً بالصلاح والتقوى، وقال عنه المؤرخ " يوسابيوس" إنه كان محبوباً من الله، مقبولاً عنده.. وقال عنه آخر : كان قلبه ينظر قلب الله ، يعرف مشيئته ويتممها..

ومن فيلة وأسوان فى القرن الرابع، خرجت بعثة تبشيرية إلى النوبة ، وإنبهر شعب النوبة بالسيرة العطرة والمعجزات المتعددة التى صنعها " الأنبا هارون" أحد أساقفة فيلة ، فى القرن الرابع الميلادى..

وقام الأسقف ثيودور أسقف فيلة المرسوم سنة ٥٢٦ م.. بدور هام فى التمهيد لدخول النوبة إلى المسيحية فى القرن السادس ، خلال علاقاته القوية مع زعماء النوبة، وزياراته التبشيرية لهم، وقام بدور كبير فى إقناع " سلكو" زعيم النوبة

للإتفاق مع الدولة البيزنطية ، لطرد البجا الذين كانوا قد إشتد عدوانهم على كنائس وشعب طيبة.. ولقد إستمر هذا الأسقف مسئولاً عن النوبة بعد عودة القس " يوليانوس" الذى أرسلته الملكة ثيودورة القبطية إلى مصر ، ليقدم تقريراً عن رسالته . وظل يباشر سلطانه على النوبة حتى عام ٥٨١.. ورحل عن العالم فى عمر ثمانين سنة..

وهكذا كانت فيلة وأسوان وطيبة ، مركز إشعاع روحى أدخلت المسيحية بالتدريج إلى مملكة النوبة، حتى أتى الوقت فى القرن السادس ، زمان الدخول الرسمى للمسيحية إلى ممالك النوبة...

٨٦ . الرهبان والنوبة

قبل الرهبان: إذا كانت الرهبنة قد سطع نجمها فى آواخر القرن الثالث وفى القرن الرابع الميلادى، فإن المسيحية كانت فى النوبة قبل الرهبان والرهبنة.. وذلك لأنه من المستبعد أن تكون المسيحية قد وصلت فجأة إلى تلك الأوطان.. بل بالتدريج وعلى مراحل ترجع إلى عهد الإضطهادات الأولى فى مصر.. وتذكر بعض الروايات أن المسيحية دخلت بلاد النوبة على يد المبشرين المصريين فى القرنين الأول والثانى للميلاد.. بدليل أن بطريرك الكنيسة القبطية فى مصر منذ عهد المسيحية الأول يحمل لقب بطريرك الإسكندرية والديار المصرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية.. تجمعها الكلمات الثلاث المنقوشة على خاتمه بطريرك الكرازة المرقسية..

وفي كتاب "ماسبيرو" تاريخ بطاركة الإسكندرية، وهو كتاب باللغة الفرنسية: أن بابا مصر أطلق عليه لقب بطريرك الإسكندرية والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية.. كما ذكر "فانسليب" VANSLEB عنبطريرك الإسكندرية والأقاليم التابعة لمصر بيت المقدس والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية والبلاد الآخرى التى بشر فيها القديس "مرقس".. وتأيد هذا اللقب فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م.. ومجمع القسطنطينية الثانى سنة ٣٨١ م..

وذكر أيضا فى تاريخ البطاركة والسنكسار تحت تاريخ حياة البابا " ديمتريوس" البطريرك الثانى عشر (١٨٩-٢٣١ م).. أنه رئيس أساقفة مصر والخمس مدن الغربية والنوبة والحبشة..

وهناك وثيقة قبطية ذكرها مؤلف الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى والوثيقة تتحدث عن بعثة تبشيرية، إنطلقت من أسوان وجزيرة فيلة إلى النوبة السفلى فى القرن الرابع الميلادى.. وهذا يوضح العلاقة الطيبة بين المسيحيين فىأسوان وجيرانهم فى النوبة.. وربما ولابد أن تكون معجزات"الأنبا هارون" أحد أساقفة فيلة فى القرن الرابع ، قد بهرت أهل النوبة...

كما كان ثيودور أسقف فيلة يقوم بزيارات متعددة لبلاد النوبة، ولقد خدم هذا الأسقف لمدة نصف قرن ، كان فيها حلقة وصل بين المسيحية وأهل النوبة .. وكان أيضاً سبباً فى أن الدولة البيزنطية حاولت طرد قبائل البجا أو البلميين من النوبة ، لشدة إيذائهم للمسيحيين.. وأن كان البجا أنفسهم قد آمن بعضهم بالمسيحية.. وهذا ما تؤكده الوثائق الثلاث المكتوبة باليونانية.. على رق غزال. ..

وجاء فى كتاب حياة قسطنطين الذى ألفه " يوسابيوس" : أن المسيحية دخلت أثيوبيا على يد البعثات التبشيرية التى أوفدتها الكنيسة القبطية ، فى عهد " قسطنطين الأكبر"..

الرهبان والنوبة: لقد جاء بعض الرهبان إلى بلاد النوبة وعاشوا فيها.. بعض المتوحدين تركوا مصر وهربوا جنوباً حتى جبل أولياء.. وقد أطلق السودانيون إسم أولياء الله على رهبان المسيحية.. وقد كان إهتمام الرهبان بالتبشير فى النوبة ، إهتماماً كبيراً ، وهنا نذكر:-

١. ما تذكره وثيقة قبطية عن راهب إسمه " بافنليوس" لراهب آخر عجوز يعيش فى جزيرة بالجنادل الأولى ، ويدعى إسحق وهو تلميذ لناسك مشهور فى هذا الإقليم إسمه " أنبا هارون".. وحدّث إسحق زائره : عن أن سكان فيلة وثنيون.. وقليل منهم مسيحيون .. وهؤلاء هم المضطهدون من جيرانهم ، ويزورهم رهبان أسوان وفيلة ، مرة كل أسبوع لتعليمهم قواعد الدين.. فأرسل مقدونيوس وهو موظف رومانى تقريراً بهذه الأخبار إلى البابا " أثناسيوس"(٣٤٤-٣٩٠ م).. فعينه اسقفاً حتى يستطيع أن يقوى من شأن المسيحية فى هذه المنطقة ، ثم خلفه مرقس وإسحق..

٢. فى تاريخ حياة النبا شنوده رئيس المتوحدين وأقواله ، ما يشير إلى علاقته بالبجا والنوبيين ، الذين تمنى لهم شنوده أن يتبعوا الحق ويهديهم الله سواء السبيل. واوى الأنبا شنوده مجموعة من قبائل البجا فى دير أخميم فى منتصف القرن الخامس الميلادى.. وقدم لهم ما تيسر آملاً فى إجتذابهم إلى المسيحية..

٣. توجد مجموعة من قصص الرهبان التى تصور علاقة الرهبان بالنوبيين والبلميين (البجا) الذين كانوا يهجمون على الأديرة ، وكيف كان الرهبان يحاولون

كسب ودهم .. ومن بين هذه القصص، أربعون قصة ، ذكر منها كرم CRUM ثلاثة وتروى القصة الثانية والثلاثون نبوة راهب يدعى " مرقوريوس" بإغارة النوبيين على الدير.. وقد نصح الراهب وكيل الدير بضيافة آولئك الغيرين لأن أميرهم سوف يصبح راهباً وقديساً.. وفى القصة الثالثة والثلاثون ، تتحقق النبوة كاملة ويقوم هذا الأمير النوبى بحماية الدير ، ويتضح فى نهاية القصة أن الراهب " مرقوريوس" هو الذى عمد هذا الأمير النوبى خلال رحلة تبشيرية إلى هناك.. ورغم أن هذه القصص غير معروف تاريخها ، ولكنها تحتفظ لنا بذكرى تبشير الرهبان فى بلاد النوبة ، ربما فى القرن الرابع أو الخامس الميلادى.. لقد أحب الرهبان أهل النوبة وقدموا لهم السيد المسيح مخلصاً وفادياً....

٨٧. الإمبراطور وزوجته فى سباق نحو النوبة

البدايات الأولى: من المعروف أن المسيحية دخلت إلى النوبة فى القرن السادس الميلادى ولكن كانت هناك بدايات للمسيحية عن طريق هجرة من آمنوا بالمسيح نحو الجنوب، بسبب الإضطهادات القاسية.. ولقد أمعن كثيرون منهم فى الهجرة جنوبا حتى بلاد النوبة، وإستقروا هناك .. ودخلوا إلى أعماق أفريقيا حتى أن المسيحية بدأت فى عهد الملك "عيزانا" فى القرن الرابع الميلادى رسمياً قبل أن تبدأ رسمياً فى النوبة المتآخمة لمصر..

ودخلت المسيحية على السودان ، عن طريق مصر.. وقد كان أيضا يهود مصر بين من حضروا يوم الخمسين فى أواخر النصف الأول من القرن الأول ، وعادوا يحملون المسيحية فى مصر وينقلونها مع التجار إلى السودان.. كما أن أول مسيحى آمن ، كان وزير الملكة كنداكة وهى ملكة سودانية إسمها" أمانى تيرى".. وقام رجال القوافل التجارية بالحديث مع سكان السودان عن المسيحية دين جديد وفكر جديد.. ولم تكن قبضة الرومان المضطهد على مناطق الصحراء قوية.. ولهذا دخلت المسيحية إلى هناك ، وكانت المنطقة من وادى النيل بين الشلال الثانى والرابع أكثر ملاءمة لهؤلاء النازحين من المنطقة الواقعة شمال الشلال الثانى .. ففى المنطقة الأولى ، تكثر الجزر فى النيل ، فيمكن للقادمين أن يجدوا بالإضافة إلى الآمان ، متسعا للرزق.. وما كشف عنه فى هذه المنطقة من بقايا الكنائس والأديرة ، يؤيد هذا الرأى بحسب رأى " بودج" Budge .. وزاد عدد المسيحيين فى الواحة الخارجية وهى طريق القوافل القديم إلى السودان حتى أنه لم يأتى القرن

الرابع إلا وأنشئت أسقفية قبطية لهم.. وفى هذه المنطقة آثار مسيحية ، ترجع إلى القرن الأول..

وقد أتى القديس " متى الرسول" إلى بلادنا السودان حيث كانت هذه قرعته أن يخدم فى الحبشة ، ولكن الأب فانتينى يرى أنه ليس ما يؤيد هذا الرأى.. وذلك بسبب صمت الكُتاب والمؤرخين ، ولكن هذا ليس دليلا لأن مؤرخين آخرين كتبوا عن هذا، من بينهم الأسقف "إيسيذوروس" فى كتابه " الخريدة النفيسة" فى تاريخ الكنيسة ، حيث يقول : أن القديس " متى" ذهب إلى بلاد حبشة آسيا ويرى أنها اليمن ، ومنها إلى بلاد فارس، ورجع إلى حبشة أفريقيا أثيوبيا، وهناك إلتقى بوزير الملكة كنداكة المسيحى الأول فى السودان، والذى عمده الشماس " فيلبس"..

وعلى يد القديس متى آمنت إبنة ملك الحبشة وإسمها" أفجانيا" وترهبنت رافضة الزواج ، مختارة أن تكرس حياتها للرب ، ولكن الملك الذى أتى بعد أبيها ، رغب فى الزواج منها.. ولما رفضت ،علم أن السبب هو تبشير " متى الرسول" فأرسل اليه رسلاً ضربوه حتى مات شهيداً..

وحديث هذا الأسقف القبطى عن حبشية آسيا ، اليمن ، يؤكد أن الشعب الأسمر فى اليمن ، لا يتجزأ من الشعب الأسمر فى النوبة ، لأن كوش هو أبْ القبائل النوبية..

٨٨ . جزيرة الفيلة

الموقع والتاريخ: تقع جزيرة فيلة فى النيل الذى يحيط بها.. وهى وراء سد أسوان.. وسميت هكذا لأنه فيها كان يتجمع سن الفيل من قلب إفريقيا.. ويقولون ان إله المنطقة هو الفيل.. وأطلق عليها العرب إسم آنس الوجود.. وترتبط فيلة ارتباطاً تاريخياً ببلاد النوبة ، حيث كانت مركزا تجارياً يتجمع فيها العاج وباقى السلع.. كما كانت مركزاً دينياً ، وكان النوبيون يذهبون فى مواكب إلى معبد" الألهة إيزيس" ، فى جزيرة " فيلة".. ويأخذون تمثال إيزيس لكى يجلب المطر والخير لبلاد النوبة ، لأن هذه الألهة إيزيس هىّ ألهة الخصب والنماء..

وكانت جزيرة فيلة تمتلىء باليهود.. قال البعض أن عددهم وصل إلى إثنين مليون يهودى.. وفى جزيرة فيلة وجدت مخطوطات ، تسمى مخطوطات " الألفنتين " نسبة لفيلة .. وهذه المحطوطات تؤكد صحة الكتاب المقدس الذى بين أيدينا الأن، وقد وجد فى ١٩٠٥... وثائق آرامية من عهد الفرس ، يستصرح فيها يهود

الجزيرة حكومة الفرس ، ليعينوهم على تشييد معابدهم المخربة وإسترداد ما سلب من حقوقهم. كما دلت الوثائق على وجود حملات تجارية بين يهود الجزيرة وأمثالهم فى الأقطار الأخرى.. والجزيرة تمتلىء بالرسوم والنقوش التى يمكن أن تكون مرجعاً لدراسة العقائد الدينية.. فقد كانت الألهة إيزيس ، ليست للمصريين فقط ، إنما أيضا للسودانيين .. وظل هذا حتى القرن الخامس الميلادى ، وقد إمتلأت فيلة بالكنائس خلال العصر المسيحى.. ولكن هذا لم يلغى وجود معبد الآلهة إيزيس.. وفى بردية معاصرة لأواخر عهد " ثيودوسيوس" الثانى ما يفيد عن إغارة مشتركة قام بها البلميون والنباطيون على كنائس فيلة.. ولهذا إلتمس " أبيون" APPION أسقف أسوان وفيلة من الامبراطور أن يكلف القائد الرومانى الذى ترابط قواته فى تلك المنطقة ، أن يحمى هذه الكنائس من إغاراتهم.. وأصدر الإمبراطور " مركيانوس"MARCIANUS أوامره إلى القائد " مكسيميانوس " بضرورة إخضاع البلميين والنباطيين بالقوة وفعلاً قد كان .. ولكنه أخيرا عقد هدنة بينهم والرومان لمدة مائة عام فى معاهدة وجدت منقوشة .. وتبقى على أن يرد البلميين السرى الرومان ويدفعوا تعويضات عن الأفرار ويرسلوا عددا من الرهائن وفى مقابل هذا يسمح لأهل النوبة ، الحج إلى جزيرة فيلة ، ونقش نص المعاهدة على جدار معبد ايزيس.. وإستمرت روما تدفع آتاوة للبلميين والنوبة منذ عهد دقلديانوس.. وسماح روما للنوبة بزيارة معبد إيزيس للحج يدل على أنها لم تكن ترغب فى فرض المسيحية بالقوة ...

أول المبانى : كان ينظر إلى جزيرة فيلة ، على إنها موقع بعيد ، ولهذا كرست هناك عدة مبانى للإلهة " حتحور" ربة الأماكن القصية، والتى كانت قد فرت إلى صحراء الجنوب الملتهبة بمعنى المناطق الحارة.. ثم إستعادت إطمئنانها..

وكانت تلك الجزيرة ، هى أول أرض مصرية تطؤها قدماها عند عودتها.. أما معبد إيزيس فقد كان صرحاً كبيراً وهناك متسع من الأرض يزهو بالأزهار ويحده صفان طويلان من الأعمدة ، يؤدى إلى أول صرح ويتبعه فناء يحده من أحد جوانبه " بيت الولادة" .. ومن الجانب الآخر طريق أعمدة.. وصرح ثان خلف مظلة صغيرة ذات أعمدة .. وتأتى بعدها حجرات المعبد الداخلية وبهوها..

وتقول المصادر الفرعونية أن أول بناء فى جزيرة فيلة كان فى عهد آخر ملوك مصر " نخبتو" الأول... وكانت آنذاك حديقة ناضرة فى قلب دائرة متسعة من الجبال المظلمة المقفلرة.. وبقربها يقع فى جزيرة بيجا Bigga الجرانيتية يقع أباتون Abaton ذلك المكان الذى يتعذر الوصول إليه ، والذي نام فيه " أوزوريس" آخر نومة له.. ولا يستطيع أى رجل أن يضع قدمه فى ذلك الموضع ..

وكان قبر ذلك الإله فى ظل دغل تحيط به ٣٦٥ مائدة للتقدمات تتلقى كل يوم لبناً مسكوباً.. وبقربه كهف ترتفع فيه المياه مرة كل عام ، فى عيد ميلاد الملك الإله..
وفي الموقع عدة هياكل للآلهة " حتحور" ألهة الأماكن البعيدة ، ولكن هذه الجزيرة بكل ما فيها من أمجاد تاريخية غمرتها مياه السد العالى...

٨٩. عدالة ملوك النوبة

العدالة الإنسانية: ترتبط العدالة الإنسانية بالسلوك تجاه الآخرين وبخاصة فيما يتعلق بحقوقهم فى مجال الأعمال.. وتأتى الآوامر بالعدالة من اله حيث يقول: لا ترتكبوا جورا فى القضاء، لا فى القياس ولا فى الوزن ولا فى الكيل، ميزان حق ووزنات حق تكون لكم.. وتقضى العدالة عدم محاباة الوجوه فلا تفرق بين الغنى والفقير.. والمواطن والغريب.. لا تحرف القضاء ولا تأخذ رشوة العدل..العدل تتبع (تثنية ١٦).. وقد وصف القاضى الظالم بأنه لا يخاف إلها ولا يهاب إنساناً..
وهناك علاقة بين البر والعدل وقد يتداخل المفهومان ، لأن العدل لا يعنى فقط مجرد إعطاء الآخرين حقوقهم ، بل ضمان آداء هذه الحقوق.. أطلبوا الحق.. أنصفوا المظلوم.. أقضوا لليتيم .. حاموا عن الأرملة.. وللعدل جانب روحى حيث يعد ¨جراء العدل جزءاً لا يتجزأ من شريعة الله ، مبنياً على أساس قداسته.. وللعدل معايير واضحة ، هى النزاهة وعدم إستغلال النفوذ .. لأن الرشوة تعّوج القضاء.. وأهم إمتياز للملك التقى الذى يحيا حياة التقوى هو إجراء العدل.. ودليل على أنه يسلك فى طريق الله.. وقد تحدث الكتاب المقدس عن عدالة الملوك فيما يلى :-

١. وملَكَ داؤد على جميع إسرائيل وكان داؤد يجرى قضاء وعدلاً لكل شعبه (صموئيل الثانى ٨:١٥)..
٢. عندما مَلكَ سليمان وجاءت إليه ملكة سبأ وهى ملكة سودانية، لأن هو إبن كوش جد أهل السودان ، قالت الملكة الكوشية تمتدح سليمان : ليكن الرب مباركاً، الرب إلهك الذى سر بك وجعلك على كرسى إسرائيل، لتجرى حكماً وبراً (ملوك الأول ١٠:٩).. وهذا يعنى وعى ملوك الحبشة كوش نحو العدل وأهميته..
٣. طلب سليمان من الرب فى صلاته آن يعطه قلباً فهيماً ، ليحكم الشعب ويميز بين الخير والشر.. وعندما حكم حكماً عادلاً فيما يخص إمرأتين تنازعتا على ولد واحد.. وكانت كل واحدة تدعى أنه إبنها، وكانت حكمة سليمان أن يشطر الحى إلى

شطرين، وصرخت إحدى المرأتين رافضة هذا الحكم ، فحكم بأنه إبنها وكان أن الناس خافوا الملك لأنهم رأوا فيه حكمة الله لإجراء الحكم(ملوك الأول١٣)..

٤. فى نبوة أشعياء عن المسيح المنتظر ، لأنه يولد لنا ولد ونعطى إسماً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً آباً أبدياً رئيس السلام.. يثبت مملكته ويعضدها بالحق(أشعياء ٨)..

٥. فى صلوات داؤد فى الزبور اللهم أعط أحكامك للملك وبرك لإبن الملك يدين شعبك بالعدل ومساكنك بالحق(مزمور ٧٢ :١)..

٦. وفى الأمثال ، أنا الحكمة أسكن الذكاء.. بىّ تملك الملوك وتقضى العظماء عدلاً (أمثال ١)..

عدالة ملوك النوبة: وفى العصر المسيحى عاش ملوك النوبة تحت مظلته هذه القيم الروحية التى فى الكتاب المقدس.. وعرفوا أن العدل أساس الحكم.. وكان لهم فى البلاد المجاورة صيتاً رائعا فى إحقاق الحق وتنفيذ العدل.. وكانت شبه الجزيرة العربية قريبة جداً إلى مملكة النوبة.. ولم يكن لسان البحر المتوسط قد فرق بين المنطقتين..

وعندما بدأ الإسلام ، شهد الرسول الكريم شهادة حق لملوك النوبة ، عندما قال لهم : أن يذهبوا فى هجرتهم إلى ملك الحبشة وهو ملك لا يظلم الناس عنده.. وكما أن ملكة الحبشة كنداكة ، وهى ملكة مروية فى مروىكبوشية ، وهى " أمانى تيرى".. هكذا كان ملك الحبشة هذا.. وهو ملك سودانى نوبى.. وقد إشتهر بالعدالة.. ولم يظلم إنساناً.. وكان المقهورين والبؤساء يجدون العدل عنده.. وقد أثبت بروفسور" عبد الله الطيب" بأن هذا الملك الذى آوى المهجرين هو ملك نوبى، وهكذا إتفق معه البروفسور " الفاتح غريب الله" الذى أكد أن الملك ، ملك سودانى وإن العدل كان قوام كرسيه، وقال: إن المهاجرين عندما ذهبوا إليه كانوا حفايا ، فآواهم وإهتم بهم وناصرهم ضد القبائل العربية التى كانت تريد أن تقضى عليهم..

لقد كان ملوك النوبة يحبون الله ويحبون العدل ، حتى أن بعضهم تنازل عن عرشه لكى يحيا مع الله ، ولكى لا يوقع ظلماً على الناس.. إن حضارة العدالة كانت تميز ملوك النوبة فى سلوكهم مع الشعب.

٩٠. حكام الجنوب في النوبة

الأسرة السادسة: يتألق فى هذا الحديث عن الأسرة السادسة الفرعونية إسم النوبة تألقاً باهراً.. فلقد بدأ إهتمام من مصر بهذا الجار العزيز الذى يمد مصر بالذهب وسن الفيل وريش النعام،حتى أن جزيرة فيلة فى أسوان سميت هكذا لأن فيها كان يجمع سن الفيل وأيضا لأنه تسكنها قبيلة إتخذت من الفيل رمزاً إلهياً مقدساً لها.. وفى الأسرة السادسة تظهر أسماء لامعة لما دعى حكام الجنوب.. وكان فرعون يعين حاكماً للجنوب من طرفه كان يسمى إبن فرعون ، وهو ليس إبنه بالطبع ، بل بالوضع والمكانة..

ومن بين حكام الجنوب تلمع أسماء مثل " أونى" " وحرخوف" " وبيبى نخت"PEPINEKHT و"سبنى"SEBNI..بل تذكر نقوش الصخور الموجودة على شاطىء النيل فى المنطقة من أسوان إلى فيلة، ما يدل على أن فرعون مصر" مرن رع" قد زار منطقة الشلال الأول، فأقبل آمراء النوبة ليقبلوا الأرض بين قدميه.. وعندما تسجل الصخور على القبور كلمات حكام الجنوب، إنما تقف فى الوقت نفسه على أسماء أطلقها الفراعنة على النوبة، فهى بلاد الواوات WAWAT و"إرتت"و" إيام" "ومازوى ومجا".. وسوف نذكر هنا ما ورد من وثائق عن حكام الجنوب، ذكرها الدكتور " شوقى الجمل" فى الجزء الأول من تاريخ سودان وادى النيل وحكام الجنوب هم:-

١. أونى قائد الجيش: فى عهد الملك " ببيى الأول" تجمعت قبائل على حدود مصر الشرقية، لغزوها فإنتدب الملك رجلاً من رجال القصر كان قد بدأ موظفا صغيرا حتى صار " قاضيا" للقصر وعينه قائداً للجيش وهو " أونى" وكان أفراد الجيش الكبير العملاق هم من بلاد النوبة المهرة فى إستخدام القوس ، رماة الحدق.. وجاء فى نقش على مقبرة "أونى" ومن تأليفه ما يلى: لقد ألف صاحب الجلالة سيدى ملك القطرين" ببيى الأول" جيشاً كبيراً من عشرات الآلاف من الجنود الذين جلبهم من المنطقة الجنوبية(النوبة) الواقعة جنوب جزيرة الفانتين (الفيلة).. من بلاد إرتت IRTHET وبلاد مازوى MAZOI وبلاد إيام IAM ثم من بلاد " كا " أو KA-AW التى يسكنها الزنزج .. وأرسلنى صاحب الجلالة على رأس هذا الجيش الكبير.. وقد عيّن "أونى" حاكماً للجنوب وهى وظيفة بدأت تظهر أهمية شاغلها منذ الأسرة السادسة.. وكان حكام الجنوب يلقبون.. إبن فرعون.. قواد القوافل المصرية المتجهة للجنوب والتى تجلب الخيرات لملك مصر وحراس الباب

الجنوبى.. وفى نص آخر تحدث " أونى" عن الأعمال الهندسية التى أسندت إليه ، وكيف إستعمل شجر السنط المزروع فى بلاد الواوات والذى تصنع منه الأن " فلنكات" السكه الحديد فى مصر والسودان.. وقال فى النص بالنص: أرسلنى جلالة الملك "مرن رع" لحفر خمسة ترع فى الجنوب ولأضع ثلاث نقالات وأربع قوارب تجر بالحبال من خشب سنط بلاد الواوات.. وقد كان رؤساء أقطار " إرتت" وواوات " وإيام ومجا" يقدمون الخشب لهذا الغرض.. وقد أجزت العمل فى سنة يدخل فى ذلك السياحة وتحميل الجرانيت بكمية لهرم" مرن رع"...

٢. حرخوف حاكم الجنوب: وقد كان فى الأصل أميراً على جزيرة فيلة .. وعينه الفرعون "مرن رع" ليكون حاكماً للجنوب ، وجاء على صخور مقبرته فى الضفة الغربية بأسوان حديثه الذى يقول فيه : أرسلنى جلالة الملك "مرن رع" إلى منطقة" إيام" لفتح الطريق إلى ذلك القطر، ففتحته فى سبعة أشهر وأحضرت كل المحاصيل التى تحصد من هذه المنطقة ، ومدحت كثيراً لأجل هذا العمل، وكذلك أرسلنى سيد القطرين جلالة الملك مرة ثانية إلى هذا القطر ، فسرت فى طريق جزيرة فيلة ووصلت إلى "إيام".. ورجعت مخترقاً بلاد " إرتت". وماخر" فى نحو ثمانية أشهر وجلبت معى محاصيل هذه البلاد بوفرة عظيمة لم يجلب مثلها أى شخص إلى هذا القطر ، وهذا ما لم يفعله من قبل أى شخص ذهب إلى " إيام".. وأرسلنى جلالة الملك ، مرة ثالثة إلى "إيام" .. متوجهاً إليها عن طريق الواحة ووجدت أن حاكم "إيام" كان قد ذهب إلى بلاد " التمحو" TEMEHW وهى ليبيا ، وعدت من هناك إلى مصر ومعى" ثلاثة ألف حمار أو مائتين ، الآمر يحتاج إلى مراجعة الرقم".. والحمير محملة بالبخور والأبنوس وزيت الكافور والحبوب وجلود النمور والعاج وعصى الرماية.. وحكىَ أنه فى طريق عودته، عاد من طريق الواوات وليس الواحات .. وإهتم به حكام البلاد وأكرموه وأرسلوا معه من يدله على طريق العودة.. وإذا كان" حرخوف " قد قام بثلاث غزوات فى أيام " مرن رع" فإنه قام بغزوة رابعة بأمر من الملك " بيبى" الثانى.. والذى كان طفلاً لم يتعدى السادسة من عمره.. وفى الرحلة الرابعة أحضر معه" قزماً" يحسن الرقص.. وإهتم الملك" بيبى" الثانى إهتمام طفل ووعده بالهدايا وحذره من أن يغرق القزم فى النيل...

٣. بيبى نخت: وهو أيضاً أمير جزيرة فيلة وحاكم الجنوب .. وذكر فى مقبرته: أرسلنى جلالة سيدى رب القطرين لغزو الواوات ، فقمت بهذا العمل مما جعل سيدى يمدحنى .. وقد جلبت عدداً من الآسرى منهم أبناء الرئيس والعظماء ، لأننى كنت بطلاً على رأس رجال أشداء ، وقد أخضعت حكام بلاد الواوات" وإرتت" لمصر.. وجلبت معى عدداً لا يحصى من الماشية والماعز..

٤. سبنـــى: SEBNI وهو من حكام الجنوب وتبدأ قصته بأنه سمع بموت أبيه فى السودان وسافر ليحضر جثة أبيه بإذن من الملك ، وكتب على مقبرته: توجهت مع فرقة رجال إقطاعيتى ومعى مائة حمار، محملة بالعطور وعسل النحل والملابس المصرية ومصنوعات آخرى مختلفة.. ووصلت إلى بلاد الواوات .. فوجدت جثة أبى محملة على حمار، فأسرعت وصنعت تابوتاً من الخشب وطلبت من رجالى أن يحملوه .. ورجعت به إلى مصر ومعى كثير من الهدايا مثل البخور وأنياب الفيل ، طول الواحد منها ثلاثة أذرع (٣×٥، ٥٢سم= ١٥٧.٥).. وبعضها طوله خمسة أذرع ، ثم أحضرت كل ما كان سيحضره والدى من هذه البلاد...

٩١. وثيقة الكنائس حول القدس

لقاء الرؤساء : إجتمع رؤساء الكنائس فى القدس ، للتفاكر والتشاور فى وضع المدينة المقدسة ، وذلك فى يوم ١٩٩٤/١١/٢٣.. إنطلاقا من إحساس رؤساء الكنائس بالمسئولية الملقاة على عاتقهم نحو مدينة القدس ، تلك التى هى رمز من الرموز المقدسة عند سائر أهل الأديان.. والتى ينجذب المؤمنون الى الروحانية المنبعثة منها.. ولكن وضعها الحالى مؤلم ومعثر للكثيرين ، حيث يسير موكب السلام والقدس على هامش المسيرة.. والمواقف نحو القدس ، مواقف إنفرادية متباعدة جدا ، بل متصارعة.. لهذا كان لابد من موقف..

وثيقة القدس : وأصدرت الكنائس وثيقة القدس ، وفى المقدمة تكلمت عن مسيرة السلام والمواقف الراهنة وعبر التاريخ ، فلقد شهدت القدس فتوحات وحروب.. ودمرت عدة مرات.. عادت لتولد من جديد.. وتنهض من بين خرائبها مثل طائر العنقاء فى الأساطير.. وحاول كثيرون الإستئثار بالمدينة ، مع أن دورها المقدس، هو دور عالمى يجعلها مدينة السلام والتآلف بين جميع القاطنين فيها.. وهذه المدينة ، لا يمكن أن تكون ملكا لشعب أو لدين واحد فقط ، بل تكون مفتوحة للجميع.. فهى " عاصمة الإنسانية كلها "..

عيون النصارى : وتحدث البيان عن القدس من رؤية مسيحية حيث أن القراءة الورعة للتوراه تؤكد أن القدس شهدت تاريخ الخلاص.. وعلى أرضها تم تنفيذ خطة الله للإنقاذ.. والتى تحققت فى يسوع المسيح الناصرى وبواسطته.. فالقدس إختارها الله ، لتكون مقرا لإسمه القدوس.. ومستقرا لتمجيده.. وفيها تتم العبادة

المرضية.. فهى مدينة العدالة.. المدينة الأمينة (أشعياء ١:٢٦،٢٧).. وفيها القداسة كما فى طور سيناء..

وقد وضع الله المدينة فى وسط الأمم (حزقيال ٥:٥).. وفيها الهيكل الثانى ، بيت الصلاة لكل الشعوب.. والقدس متالقة بحضرة الله ، وهى مدينة مفتوحة أبوابها أبدا ، يحكمها السلام ويسودها العدل (أشعياء ٦٠)..

والقدس هى أورشليم مكان الخلاص التى بكى عليها يسوع ، لأنها لا تعرف ما هو لسلامها (لوقا ١٩ :٤٢).. وقد شهدت القدس ، خدمة يسوع وخدمة الرسل.. وفى سفر الرؤيا مدينة السماء هى أورشليم الجديدة.. المدينة المقدسة التى لا بكاء فيها ولا وجع ولا دموع (رؤيا ٤،١٢،٣)..

ولقد صارت أورشليم الأرضية فى طقوس الكنائس وعباداتها هى صورة لأورشليم السمائية .. وصارت القدس موطن النبوات .. فكان يحج إليه المؤمنين يقدسون المكان.. والأزمان.. وصار لاهوت الحج .. لاهوت روح وكتاب وزهد.. وعودة الى الينابيع.. وزمان إختبار لغرباء عن الأرض ، يحملون صليب يسوع ويسيرون خلفه.. فكل مسيحى ولد فى أورشليم مدينة الجذور ، ولهذا يشعر أنه فى بيته.. والقدس حضور مستمر لجماعة مسيحية حية.. لا يمكن فصله عن الأمكنة التاريخية .. لأنه من خلال " الحجارة الحية " تستمد الأماكن الأثرية المقدسة ، حياتها...

دعوة محبـــة : وقدم المسيحيون " دعوة محبة " .. وقعت عليها كل الكنائس فى القدس.. وفيها مطالب الشرعية للمسيحيين والتى تتلخص فى:

١. القدس فى جوهرها مدينة مقدسة ، لهذا يجب أن تتمتع فوق أى إعتبار بحرية الوصول الى أماكنها المقدسة وفى حرية العبادة ،وما عند الكنائس من وثائق تاريخية عبر العصور ينبغى أن تبقى كما هى مستمرة فى الكنائس..

٢. يجب أن يكون لمدينة القدس وضع خاص قانونى وسياسى ، يعكس الأهمية العالمية للمدينة ويبين معناها..

٣. من أجل تلبية الطموحات الوطنية لجميع سكان القدس ، يهود ومسيحين ومسلمين ، ولكى يشعر كل واحد إنه فى بيته ، ينبغى إشراك ممثلين الأديان الثلاثة، بالإضافة الى القوى السياسية المحلية ، لكى يحدد وضع خاص ، ويطبق من أجل القدس..

٤. للقدس بُعد عالمى.. ولابد ان يلتزم المجتمع الدولى فى تثبيت هذا .. لأن القدس أعز وأثمن من أن تكون منوطة بسلطات بلدية أو سياسية أو قومية.. إن الضمانات الدولية أمر ضرورى..

٥. لا ينبغى أن يكون القدس ضحية قوانين تمنع المؤمن من الوصول الى الأماكن المقدسة.. وفي الختام ، دعى البيان كل الأطراف المعنية ، الى تفهُم وقبول طبيعة الشمولية مدينة الله مكان المصالحة بين جميع أبناء البشر..

٩٢. اليوبيل الذهبي لثورة الشعب

ثورة يوليو : إحتفلت مصر العزيزة بمرور خمسين عاما على ثورة يوليو المجيده.. وهذه الثورة هى فعلا ثورة شعب. ومهما قيل عنها.. ومهما قيل ضدها أو فى حقها.. فهى ثورة شعبية بكل المقاييس..

لايمكن تجاهل دورها المتعاظم، ليس فى مصر فحسب ولكن فى كل بلادنا العربية.. وعلى مستوى العالم كله تأكد ما قاله أبو القاسم الشابى : إن إذا الشعب يوما أراد الحياة.. فلابد أن يستجيب القدر.. ولابد لليل أن ينجلى، ولابد للقيد أن ينكسر..

ولقد كانت قيود مصر صعبة الإنكسار ، ولكنها إنكسرت أمام حفنة من أبناء مصر، وهم الضباط الأحرار، وبهذا كان محمد نجيب الذى أعلن ثورة مصر، وكان أول رجل فيها صار هو أول حاكم مصرى.. بعد مضى ما يقرب ألفى عام من الزمان.. لأنه عند إنتحار كليوباترا وعشيقها أنطونيو ، بعد قصة غرام من نار فى السنة الثلاثون قبل الميلاد، إنتهى حكم الفراعنة وصارت مصر تحت حكم الرومان ، ثم بعد هذا فى القرن السابع الميلادى ، كان فتح العرب لمصر ، وخلال كل هذه المدة لم يحكم مصر ، مصري واحد.. كان الحاكم دوما أجنبيا يلبس جلابية مصر، بل كثيرا ما كان يلبس مصر بدلته الوافدة من الخارج.. ولم يكن المعز لدين الله الفاطمى مصريا.. ولم يكن محمد على سوى البانيا ..

ولم يكن ملك مصر والسودان سوى تركيا.. وبهذا وضعت ثورة يوليو نهاية لحكم الأجانب لمصر.. ودوى فى الأفق صوت مصر من حناجر مصرية .. ومن قلوب مصرية تعشق مصر عشقا.. وترفض اى كلام ضد مصر.. وتتغنى بمصر أغنية جميلة .. مصر التى فى خاطرى وفى دمى.. أحبها لظلها الظليل.. بين المروج الخُضر والنخيل..

أول مصري يحكم مصر : وخلال خمسين عاما تعاقب على مصر أربعة رؤساء: أولهم" محمد نجيب" والذى إستمر قليلاً .. فلقد كان" جمال عبد الناصر" شخصية

قوية ولا يمكن إلا أن يكون رئيسا.. وقاد جمال عبد الناصر سفينة مصر ، وكان رئيسا قويا.. كان خطيبا بليغا.. كان صوته يدخل الى أعماق المواطنين.. وتمكن عبد الناصر من أن يقف فعلا مع الشعب.. فرغيف الخبز فى مصر لم يزد فى عهده عن خمسة مليمات.. وكان نصف الرغيف ، سندوتشا شهيا بخمسة مليمات.. وكنا أطفالاً .. وكنا نسعد بسماع صوته.. وننتظر خطبه ، وكان عندما يتكلم عن الشعب وحقوق الشعب تنفرج أساريرنا بهجة .. لأننا نحن الشعب..

وتمكن الإعلام المصرى من أن ينفذ الى أعماق الناس ولم يكن سوى إعلاما مسموعا أو مقروءا.. وكان جمال عبد الناصر عندما نكتب إليه خطابا، لابد أن يصلنا الرد خلال إسبوعين على الأكثر، وفى الرد يكتب إلينا ولدى العزيز.. وبعد هذا يرد على الخطاب.. ويوقع بإسمه.. وكنا نعتز بأنفسنا ، فنحن لسنا كما مهملا.. إن لدى كل طفل فينا خطاب من الرئيس جمال عبد الناصر.. وقد زار عبد الناصر أغلب بلاد مصر .. شمالا وجنوبا.. وعشنا معه لحظة بلحظة.. وعندما كانت نكسة ١٩٦٧ تألمنا لأجله.. وعندما أعلن تنازله قلقنا جدا وخرجنا الى الشوارع، نطالب باستمراره .. وعندما ذهب الى الرفيق الأعلى ، بكيناه بدموعنا الحاره.. وكانت الأناشيد الوطنية لعبد الحليم حافظ وأم كلثوم وشاديه .. كلهم كان منهم من يخدم قضية الثورة مع كل فنانى مصر وأدبائها وشُعرائها..

ثورة مستمرة : ويقولون أن ثورة يوليو لم يبقى الأن منها شيئا، ولكنها فى الحقيقة مستمرة.. فلقد أتى بعد جمال عبد الناصر ، أنور السادات ، والذى سار فى نفس الطريق ، ودخل الى إنتصار أكتوبر المجيد . وكان رجل سياسيا قويا ، ولقد أعجبت جدا به ، عندما كسر حواجز الجمود وقبل الآخر، وذهب الى إسرائيل ونال بالسلام مكاسب لم تحققها الحروب. وإستمرت المسيرة .. وأتى مبارك .. والذى يقولون عنه : إن الأقباط ظلوا يقولون : مبارك الآتى بإسم الرب ، حتى أتى مبارك ، ولقد كان لى معه لقاء أثناء فتور العلاقات بين مصر والسودان.. وعندما عرفته بنفسى قال : أنه يعرفنى جدا .. وهمست فى أذنه ، لا يمكن أن يتخاصم الأخوان مصر والسودان ، ولم يقصر الرجل فى لم الشمل.. إن الحديث يطول، ولكن الوقت لا يغطينا.. تهانينا الى شعب مصر وكلنا شعب واحد.. تهانينا لدبلوماسية مصر فى سفيرنا المصرى السودانى" أحمد عاصم" وفى القنصل العام" محمد فوزى".. وأرجو فى اليوبيل الذهبى أن تكون هدية يوليو الى السودان إلغاء تأشيرة الدخول بين البلدين..وأعتقد أنها هدية قيمة .. ومنذ طفولتنا تعودنا أن تأتينا الهدايا فى عيد الثورة..

٩٣. سر العبادة في المعابد

بيوت اللــه : هناك سر روحى تحمله بيوت الله .. فى بيت الله يتمتع المؤمن ببهجة القلب.. ومسرة النفس.. هناك تنطلق نفسه نحو السماء لكى تستقر فيها.. حيث تهرب الأرض من تحت قدميه ويختفى العالم بمادياته عن بصيرته.. ويصعد روحيا على أجنحة الروح الى العرش الإلهى.. وهناك فى ورع وتقوى .. وخضوع وخشوع.. يرتمى فى أحضان الله.. ويتكىء على صدره.. ويعرض همومه وبلواه.. ويروى للرب أسراره وخفاياه.. ويناجيه ويعاتبه.. ويسمع صوته .. ويدخل أمجاده .. وقديما رنم داؤد : مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات.. تشتاق وتذوب نفسى للدخول الى ديار الرب.. قلبى وجسمى قد إبتهجا بالإله الحى.. ويستمر داؤد متأملا .. لأن العصفور قد وجد له بيتا.. واليمامة عشا لتضع فيه فراخها.. ثم يطّوب الذين يحبون بيت الرب قائلا : طوبى لكل السكان فى بيتك ، لأن يوما فى ديارك خير من الآف (مزمور ٨٤)..

مع اللــه : وفى بيوت الله ، نحن مع الله.. نجتمع مع الله.. نقدم إليه عبادتنا العقلية.. وتأملاتنا الروحية ليس كفرض على الأرض ، إنما كرحلة سياحة سماوية.. وكدخول الى مراعى الرب الخضراء.. وكجلوس الى مائدته الدسمة.. نتغذى من خبز الحياة .. ونتقبل التعزية من الله.. ونشرب من كأس الخلاص. ونصلى فى بيوت الله .. لا نطلب من أجل أنفسنا بقدر ما نصلى من اجل الأخرين .. من أجل كل الناس .. من أجل الرئيس والجند والوزراء والمشيرين .. والرهبان .. والراهبات .. المتزوجين والأغنياء والفقراء .. والأرامل.. والمرضى والمسافرين.. والمسجونين .. والذين فى الآسر.. والمتضايقين والمهمشين.. ولا ينغلق المؤمن نحو ذاته .. إنما يصلى من أجل الآخرين بشرا ، وزرعا ، وهواء ، وماء .. بل حيوان وإنسان..

ونحن فى بيت الله ، مع الله.. نستقبل من الله بركات الروح القدس وقيادته الحكيمة.. وفيضه الكبير على كل المؤمنين ، لأنه حينما يوجد بيت اله ، يوجد روح الله ،

وحيث يوجد روح ، تقوم كل نعمة.. ويتشكل الله نفسه فينا.. ويطبع علينا سماته.. ونصير شركاء فى الطبيعة الإلهية ويصير جمال لاهوت الله حيا فى طبيعة الإنسان من جديد.. وتفوح فينا رائحة زكية عبير طيب ينبعث من بيت الله وسط عالم قد فقد طعمه ورائحته وصار لا لون له ولا طعم ولا رائحة .. يكون لحياة المؤمن لونا روحيا.. وطعما شهيا.. ورائحة طاهرة زكية ، هى بخور يصعد أمام الله.

جمال اللقــاء : نحن في بيت الله ، يتم لنا أعظم لقاء.. ونتمتع ببركات اللقيا مع الله.. ومع الأخرين.. ومع أنفسنا.. نحن نلتقى بشمس البر فيضىء علينا ، لكى نأخذ من نوره ونصيركواكب حية وفعالة ، تسكب حبا فى العالم وتخدم الأخرين فى إتضاع.. وتجعلنا شهود حقيقين لنور العالم.. وعندما نشهد بالله فى بيت الله ، يصير لنا فكرا جديدا.. وقلبا جديدا.. ونرى كل ما حولنا مقدسا ومباركا.. تصير الشموع بركة وبذلا.. والبخور صلوات تصعد أمام عرش الله.. والماء مباركا.. والخبز مقدسا.. بل حتى تراب بيت الله، يصير مكانا لــه..مكانا فينا ومقاما.. واللقاء بالله فى بيت الله، هو لقاء مع طغمات السماء.. يصبح بيت الله عرشا ، نرى فيه رؤساء الملائكة.. والملائكة وطغمات القديسين الذين جاهدوا وإنتصروا..

وفي بيت الله ، نلتقى بالأخرين.. ونحيا مع العابدين ، وحدة الروح ، لأن الله يكون دوما فى وسط العابدين.. إذا كان قد قال : إذا إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى وسطهم.. فكم يكون مع جماعة المؤمنين وهى تجتمع معا.. فى بساطة قلب .. وبهجة روح.. تتحد معا فى السجود أمام الله.. وفى طرق أبواب مراحم الله. وفى كلمات العبادة التى تخرج من القلب حماسا يملاء المكان من رائحة طيب ذكى مسكوب لله..

وفي بيت الله ، نلتقى بأنفسنا ، نحن الهاربون من أنفسنا ، بسبب زحمة الحياة.. تكون لنا الفرصة لنجد أنفسنا التائهة فى دروب العالم.. الضائعة في ملذاتها.. الغارقة فى ماديته.. وعندما نجد أنفسنا ، نحفظ الطريق ولا نتعثر.. ولا نلتفت الى الوراء .. ونحفظ أنفسنا من التقهقر ، لأن بيت الله يضع أمام عيوننا صورة رحمة الله ، وعنايته وقوته ووجوده معنا وفينا ، كموضوع لا يحتاج الى دليل أو برهان..

وهكذا تبقى بيوت الله " دعوة محبة " لكى نجد الله فيها.. ولكى نتمتع بنعمة الإجتماع مع الآخرين.. ولكى نجد أنفسنا.. ونحكم أنفسنا لأن ضابط نفسه خير من حاكم مدينة..

٩٤. المرأة المصرية وعيد الأم

عيد الأم : يحتفل بلدان العالم بعيد الأم.. البعض فى يوم ٢١ مارس والبعض الآخر فى يوم ٢٣ مارس.. وفى الشرق يرتبط عيد الأم بعيد الربيع ، حيث أن الأم نفسها ربيع مشرق.. فالربيع يأتى بعد الشتاء ، ويأتى فى دفء منضبط ، وهكذا الأمومة

هي دفء حنان يشرق على البشرية كلها..وللأم مكانة رفيعة وراقية عند كل الحضارات.. وهى تتربع على عرش كل الثقافات.. والأم لها حنانها ليس فى محيط الإنسان فحسب ، إنما فى عالم الحيوانات.. وعالم الطيور..

وفف سائر الأديان ، تعاطف نحو الأم ، ففى اليهودية هناك العديد من الآيات التى تطالب بإكرام الأم ، حيث فى أول الوصايا التى تهتم بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ، فى الوصايا العشر، تأتى الوصية الخامسة لتقول: أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك ، (خروج ٢٠ :١٢).. وفى سفر التثنيه : أكرم أباك وأمك كما اوصاك الرب إلهك لكى تطول أيامك ، ولكى يكون لك خير على الأرض التى يعطيك الرب إلهك (تثنيه ٥ :١٦)..

وهذه هى أول وصية بوعد ، فقد وعد الله كل من يكرم أباه وأمه ببركة مزدوجة ، أولها أن تطول أيامه على الأرض.. وثانيها : أن يكون له خير (أفسس ٦ :٣).. وهذا يعنى طول العمر ، وتكاثر الخير.. وإذا كانت الوصية واضحة بإكرام الأب والأم ، فإن من لا يكرم أباه وأمه يقع تحت طائلة اللعنة والموت ، حيث تقر شريعة العهد القديم ، بأن من ضرب أباه وأمه يقتل قتلا.. ومن شتم أباه وأمه يقتل قتلا (خروج ٢١ :١٥،١٧)..

ويؤكد الرب هذه العقوبة الحازمة بقوله : كل إنسان سبَّ أباه أو أمه، فإنه يُقتل، قــد سبُ أباه وأمه ، دمه عليه (لاوين ٢٠ :٩).. وهذه عقوبة قاسية تتناسب مع كرامة الأب والأم ، لأن السب والضرب فى كل القوانين ليست عقوبته الموت ، إلا إذا كان هذا ضد الأب أو الأم.. وكما يقول الحكيم: من سبْ أباه أو أمه ينطفىء سراجه فى حدقة الظلام (أمثال ٢٠ :٢٠).. وكان من حق الأب والأم عندما يكون لهما إبن متمرد معاند أن يأخذاه الى شيوخ المدينة ، حيث يتم رجمه أمام الناس، وبشهادة شهود ضده.. وهنا تقول الشريعه : إن كان لرجل إبن معاند ومارد ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه، ويؤدبانه ولا يسمع لهما، يمسكه أبوه وأمه ويأتيان به الى شيوخ مدينته والى باب مكانه ويقولان: إبننا هذا معاند ومارد ولا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكير.. يرجمه رجال مدينته بحجارة حتى يموت، فتنزع الشر من بينكم (تثنية ٢١)..

هذه القوانين لم يتمكنوا من إلغائها.. ولكن تظل الأسرة هىّ الأسرة التى لا يستغنى عنها أى مجتمع ولا عن دورها، حتى أن العالم المتحضر الأن يحاول أن يضع التشاريع لحماية الأسرة مثلما أتاتورك فى تركيا.. والحبيب بورقيبه فى تونس.. وعبد الناصر والسادات فى مصر.. وقد حاولت الدوله فى هذه التشريعات، الحفاظ على حيوية الأسرة ، بفرض حد أدنى للزواج وشروط عقلانية للطلاق

وحقوق مدنية للمرأة ، وما يحدث هكذا ليس سوى محاولة لإنقاذ الأسرة من التحولات الإقتصادية والتكنولوجية التى تعصف بالمجتمع ، لأن الأسرة كائن حى ، يتأثر بما يحدث من تغيرات فى البيئة التى ينتمى إليها..

التربية الروحيــة : وتُعد التربية الروحية والحياة الأسرية أمران متلازمان منذ بدء الخليقة.. فقد إهتم الله بالحياة الأسرية وقال : ليس جيدا أن يكون آدم وحده ، فأصنع له معينا نظيره.. ثم تأتى شريعة موسى تطالب أن يحكى الأب والأم قصة عناية الله بشعبه ، ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم ، على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك.. وأربطها علامة على يديك.. وأكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أعتابك (تثنيه ٦)...

وتأتى التربية الروحية فى ربط الأسرة كلها، رباطا روحيا ، بالمبادىء الروحية ، حتى يظل نور الإيمان مشرقا على كل أفراد الأسرة.. وفى عيد الأسرة تبذل كل أسرة محاولة جادة ، لتعود الأسرة الى مكانها أسرة مقدسة.. عائلة تحيا فى المحبة.. عائلة مترابطة متماسكة، لا تهزها رياح الزمن العاتية ، ولا تدمرها تيارات الإستهتار.. ولكل أسرة نهنىء بعيد الأسرة.. ولتظل العائلة مقدسة ، وبارة، وفاضلة.. وهذا فى إشعاع نور الإيمان على الأسره ، ليس فى عيد الأسرة فحسب ، بل فى كل أيام زماننا المبارك..

٩٥. أسبوع المواطنة

في فرنســا : تنظم وزارة التربية والتعليم في فرنسا.. وهي تسمى وزارة التعليم الإبتدائى ، تنظم ما يسمى بإسبوع المواطنة.. وهو أسبوع تحتضنه الدولة كلها.. ويهدف الى إشعار أولياء أمور التلاميذ ، بواجب مشاركتهم في توعية الأبناء بأهمية القيم التربوية والمدنية والأخلاقية التى من شأنها المساهمة فى بلورة وصياغة شخصية التلميذ، الى جانب التعليم التقليدى، ويقع هذا الأسبوع فى شهر مايو المبارك من كل عام.. وفى هذا العام تحدثت الوزيرة الفرنسية فى تلفزيون فرنسا، لكى تؤكد للمواطنين أن أسبوع المواطنة يدخل فى سياق الإستراتيجية السياسية العامة ، التى ينتهجها رئيس الحكومة .. والهادفة الى إعادة الإعتبار للأخلاق الإجتماعية والمدنية التي إختفت نهائيا في حياة التلاميذ، وأصبح غيابها مصدر إنحرافات خطيرة ، تهدد هوية وأمن المجتمع.

ويتمثل أسبوع المواطنة عمليا فى شروع كافة المدارس والمعاهد والثانويات فى تطبيق برنامج تربوي، يهدف الى خلق وعي للحث على إحترام القيم الوطنية والتقيد بضوابطها وتعميق الثوابت الحضارية المحددة للشخصية الفرنسية والخصال الإجتماعية، والأخلاقية التى تفرض إحترام الآخر.. وحماية الممتلكات العمومية والقوانين..

ونجد التسامح والحوار.. ونبذ العنف.. وكل أشكال السلوكيات المنافية للتحضر والتمدن والكرامة الإنسانية.. وقد قالت الوزيرة الفرنسية : إنه إذا إنتفت هذه الثوابت الأخلاقية فى المؤسسات التعليمية والتربوية ، فلا داعى أن نرسل أولادنا الى المدارس.. وقالت الوزيرة : إنه لكى يتم إستدراك ما فات فى هذا المجال واللحاق بركب الوطنيه .. فإن التربية المدنية والأخلاقية ، سوف تصبح حقيقة حياتيه يوميه وعمليه ، ولن يسمح مستقبلا بإهمال هذه التربية كما حدث من قبل.. بإعتبارها مادة ثانوية كما يعتقد أولياء التلاميذ.. وحتى بعض الأساتذة ظنا منهم أن النجاح الدراسى يتوقف على تفوق التلاميذ فى المواد العلمية المحضه ، متناسين أن التحصيل لا ينفصل عن السلوك الأخلاقى والتوجيه العام..

نحن والوطــن : وهذه الصحوة الوطنية المتوجهة نحو تعميق القيم الأخلاقية فى المجتمع الفرنسى ، لها دلالاتها الواضحة .. فهى تؤكد أن مجتمع القيم .. هو هدف منشود الأن.. وعندما تناسى المواطن دوره نحو السلوكيات الأخلاقية المتحضرة ، وصار التعليم هدفا لتحصيل المعلومات.. كانت النتيجه خواء فى خواء أو باطل الأباطيل .. الكل باطل..

ونحن فى مجتمعنا السودانى ، لدينا إلتزام روحى بالقيم الروحية وإحترام الآخرين.. وتقدير الكبار.. ولكن يحتاج منا الأمر الى الإهتمام الشديد بالتربية الوطنية ،بحيث تصبح التربية الوطنية هاجسا كبيرا ، يتحمله الكل.. الدولة والمواطن.. والمؤسسات التربوية .. أساتذة وطلبة وأولياء أمور.. وأتمنى أن يكون لدينا أسبوع للمواطنة على مستوى المدارس والجامعات.. وكل المصالح الحكومية.. وذلك لإنعاش الروح الوطنية فى المجتمع السودانى..

وفي هذا الأسبوع، تتحدث كل منابر الإعلام عن حب السودان وإمتيازات وطننا المتميز المتحضر، الذي يعلى من شأن القيم الروحية .. وينبغى أن نعبر فى هذا الأسبوع الى المغتربين عبر أى وسيلة نراها ، لكى نحى فى المغتربين حب الوطن.. ونضرب على الوتر الحساس.. لأن معلوماتى المتواضعة تقول: إن أهل السودان يضعون أموالهم خارج السودان .. وإنه لدى السودانيون فى الخارج رؤوس أموال تكفى لكى تحول السودان الى جنة تتباهى نعيماً ...وتكشف ثرواته

وتخرجها الى العالم.. كما تفيد معلوماتى أن لدينا زخما غير هين من العلماء والأطباء والأدباء ، يعيشون خارج السودان، وهؤلاء نحتاج إليهم لكى يبنوا معنا ، السودان الجديد.. ومن الممكن أن يخدموا الوطن.. وهم فى قواعدهم وأماكنهم ويكونون سفراء للسودان فى الخارج.. ولو فكروا فى الوطن ، لتغير حال هذا الوطن العظيم..

إننى من المعجبين جدا بإسبوع الوطن والمواطنة.. وأقترح على مجلس الوزراء الموقر.. أن يتبنى إقتراحى هذا ونبدأ وبسرعة فى أسبوع المواطنة.. وبعدها تكون كل أيام العام ، إنعاشا للمواطنة وحب الوطن.. فإن مخلصنا وملكنا المسيح أحب وطنه وعاش فيه.. ورفض أن يخرج منه قبل أن يملأه بتعاليمه السمحة ويُرجع أهله وعشيرته الى قيم حب الوطن، التى كانت باهتة وضعيفة.. ولكنه آزرها وقواها وعمقها .. وهذه " دعوة محبة " نحو حب الوطن .. وتفعيل المواطنة الصالحة..

٩٦ .كمبوني ومواثيق المحبة

طريق العظماء: إن المحبة هي طريق العظماء.. وللمحبة مواثيق.. والذي يسلك في طريق المحبة يصير عظيماً.. ويلتزم بمواثيق المحبة.. ويعرف دروبها.. ويتكلم بلغتها.. ويبلغ إلى قوتها. فالمحبة قوية كالموت.. السيول لا تغمرها. ومياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة.. وإن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تحتقر إحتقاراً (نشيد ٨).. والمحبة لا تعرف الحقد ولا البغضة ولا الحسد.. والمحبة لا تعرف الفروق بين الأجناس.. فالبشر كلهم موضوع محبة.. ليس أسود ولا أبيض.. وليس عبد ولا حر.. والمحبة لا تسقط أبداً.. تسقط الممالك وتتهاوى العروش وتبقى المحبة في عرشها هىّ ميثاق المواثيق.. لأن المحبة من الله.. ومن يعرف الله يعرف المحبة.. لأن الله محبة.. والذين يعيشون فى المحبة هم عظماء وعمالقة لأن العظمة الحقيقية فى محبة الآخرين.. وفى خدمة الآخرين.. فالعظمة ليست أن يخدمنا الناس بل أن نخدم نحن الناس.. العظمة ليست أن نتقدم الصفوف ، وإنما أن نترك أنفسنا لأجل الآخرين.. ومن أراد أن يكون عظيماً فليكن للكل خادماً.. ولا يدخل مدينة الملك العظيم .. إلا الإنسان العظيم.. الذى يصير له إسماً فى السماء كإسم العظماء. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن للجميع عبداً (متى ٢٠:٢٥)..

المطران والعطاء: ولقد سلك كومبونى المطران ، *طريق العظماء*. وكان يحب خدمته جداً.. وكان مفتونا بحب أفريقيا حتى كّرس لها حياته.. وأعطاها الكثير من جهده وعرقه وفكره ورحلاته..وأسس لها جماعة هى الأن مستمرة حتى بعد رحيله إلى ملكوت الله.. وفى زمن أقل ما يقال عنه : إنه زمان الظلمة فى القرن التاسع عشر بدأ عطاء كومبونى لأفريقيا ومعه جماعته من المبشرين.. أتوا إلى أفريقيا يحملون الكتاب وعاشوا به وله.. نوراً.. وحباً.. وميثاقاً أبدياً.. وتمكن كومبونى عندما كان قساً صغيراً، أن يلفت إنتباه البابا الكبير والمطارنة إلى خدمة أفريقيا.. وعندما أحضر مجموعة من الخدام ، إستشهدوا جميعهم بمرض الملاريا فلم يتوقف. ولم يتخلف.. بل عاد ثانية.. وكان كلامه كله هو غرام وهيام فى حب خدمته ، وسط شعبنا الطيب فى السودان، ومن بين كلماته الدافئة أقوال تعبر عن أنه وجد نفسه فى خدمة أهل السودان.. وعندما يسافر عنهم ، كان يفكر فيهم لأنه يفارقهم بالجسد.. وقلبه يظل فى السودان.. وله الحق فى ذلك ، فنحن كسودانيين ، كل من يعاشرنا يجد طيب المعشر.. وكل من يشرب من مياه نيلنا العظيم ، يعود إلينا ثانية.. ويعشق قلوب أهل السودان ويعجب بما عندهم ، من عفو وعافية.. وتآلف وتعاطف.. وتوادد وتكافل.. وذات مرة قال المطران: لقد عدت إليكم مرة أخرى.. ولا شىء يمنعنى من أن أكون معكم.. وقد كرستُ نفسى لأجل مصالحكم.. ستجدوننى دائماً مستعداً لمساعدتكم.. إذا كان نهاراً أو ليلاً.. فى الشمس أو المطر..سأكون خادماً للغنى والفقير وللمريض والسليم.. وللصغير والكبير.. وستجدون دائماً طريقاً إلى قلبى.. إن منفعتكم هى منفعتى.. والآمكم هى ألآمى.. وسيكون أسعد أيام حياتى ذلك اليوم الذى فيه أتمكن من أن أعطيكم حياتى..

حب متبادل: لقد أحب كومبونى أفريقيا .. وأحب السودان قلب أفريقيا.. وجال فى ربوع بلادنا ينشر المحبة.. ويرفع ألوية السلام.. ويحارب الرقيق ويحاول أن يلغى تجارته .. وكلما مَلكَ مبلغاً من المال من تبرعات كنيسته فى العالم ، يأخذ المال ليحرر به العبيد.. يشتريهم ويحررهم ويدخلهم إلى خدمة الرب.. وأعطى هو حياته فعلاً.. ومات فى السودان آثر حمى شديدة لم يقدر أن يتخلص منها. ولقد بادله أهل السودان الحب.. وبيننا وبين كومبونى حب متبادل.. وكثيرون منا حتى الأن يصممون على أن يتعلم أولادهم فى مدارس كومبونى وبناتهم فى مدارس الراهبات.. وهى الأن فى كل عواصم ومحافظات وولايات السودان..

وكمبونى جدير بالحب ، لأنه عرف مواثيق المحبة.. وأهل السودان ، هم أهل المحبة الذين أيدوه ، ويؤيدون رسالته من واقع نفس مواثيق المحبة.. ومن لا يعرف المحبة ، فليس منا .. وأعتقد أنه ليس فينا..

٩٧. تاريخ تعايش الأديان في السودان

السياسة والتعايش: عرض بروفسور حسن مكي رؤية تاريخية عن التعايش في السودان.. والحديث هنا عن المؤثرات الرسمية والسياسية وآثرها على تجربة العيش المشترك فى السودان..

علاقة العالمى بالمحلى وإشكالية التدخل الأجنبى في تشكيل الهوية السودانية: ويمكن القول بأن مؤثرات الآخر الرسمية بدت تخشى وتؤثر على الحياة السودانية ، إبتداءاً من هذا القرن، أى مع دخول رسل الوالى التركى العلمانى المتمصر محمد على باشا.. وبرزت تلك المؤثرات فى تحويل التخوم السودانية إلى حدود..وإيجاد جيش مركزى واحد، تقوم عليه حكومة مركزية واحدة، ملغية تدريجياً، المشيخات والسلطنات والممالك المتصالحة، والتى عرفها السودان، حيث تم القضاء على ممالك الشايقية والجعليين ثم العبدلاب والسلطة السنارية، ثم إدخال القبائل الجنوبية، كذلك فى إطار فكرة الدولة، ومثل ضم دارفور فى عام ١٨٧٤ م.. مسك الختام لهذه التجربة التى كانت تعمل أحيانا بقوانين عفوية إلى أن تم ضبطها بميسم الدولة..

ونعود للمنظور الأول الذي يعبر عن حركة الفعل الرسمى فى تشكيل الدولة والمجتمع فى تجارب العيش المشترك.. وكان من أكبر مهددات تجارب العيش المشترك وجود الأجنبى ذاته ممثلاً في جيش الوالى، محمد على ورسله من الأوربيين، مما أدى إلى المقاومة الوطنية الأولى التى قادها المك نمر، ثم المقاومة الوطنية الثانية والتى تم إستيعابها ممثلة فى مدرسة الزبير باشا، ثم المقاومة الوطنية الثالثة ممثلة فى المهدية والتى إستطاعت ان ترث العهد التركى لقرابة الآربعة عشر عاماً.. ولكن ادت تجربة المهدية إلى أولى تجارب الصراع والإستقطاب وتهديد تجربة العيش الواحد المشترك، وكان للتدخل الخارجى ممثلاً فى بريطانيا ومصر الخديوية القدح المعلى في إذكاء الصراع حول مآلات الهوية السودانية وزيادة الإستقطاب، حيث حسم هذا الأمر بقوة الحديد والنار، في معركة كرري وما سبقها من حروب وما تلاها من حروب، يقال إن السودان قد فقد ثلث رجاله فى فترة العشرين سنة الممتدة من ١٨٨٠-١٩٠٠ بفعل الحروبات وما أدت إليه من مجاعات..

تجربة العيش المشترك ومحاولات تجسيد علاقة السياسى والدينى والدنيوى فى المجتمع السودانىودخل السودان على القرن العشرين بسلسلة التشريعات ، التى أشرنا إليها إبتداءاً من إتفاقية الحكم الثنائى، وإنتهاءاً بدستور السودان لعام

١٩٩٨م، ومن الغريب إنه طيلة الخمس وثمانين سنة من القرن العشرين أى فى عام ١٩٠٠-١٨٨٥ م، لم تعترف الدساتير السودانية المتوالية بالأحزاب صراحة، فإتفاقية ١٨٩٩م وضعت سلطة التشريع والتنفيذ والقضاء فى يد الحاكم العام. وألغت الشعب السودانى، وإتفاقية ١٩٣٦م أشارت على حياء الشعب السودانى حينما تكلمت عن رفاهية السودانيين، أما قوانين المناطق المقفولة فقد إعتمدت سودانيين بحجة أن فرص الثقافة الأفريقية التقليدية فى التعلق بالحياة ضعيفة جداً، إن لم يتم حمايتها بأحزمة من الكنائس والسياسات الثقافية التى تلحق النخب الجنوبية بالحضارة الغربية ممثلة فى اللغة الإنجليزية والكنيسة الغربية..

ثم برز أول تطور دستورى فى عام ١٩٤٣م بتكوين المجلس الإستشارى لشمال السودان والذى ركز سلطة التشريع فى أيدى الجماعات التقليدية كحليف للسلطة الإستعمارية، وتكّون المجلس الإستشارى فى عشرين عضواً معيناً يمثل ١٤ منهما لإدارات الأهلية. وأثنين طبقة التجار وأربعة من كبار موظفى الحكومة، ثم جاءت الجمعية التشريعية فى عام ١٩٤٨م، وعلى رأسها حكومة نصفها من السودانيين، وإشترك فى إنتخابات الجمعية التشريعية أقل من ٢٠% من السودانيين، بل ربما لا يتجاوز العدد ١٠% من السودانيين، وكانت الغلبة فيها للادارة الأهلية وكبار التجار والموظفين، ولم يبشر قانون المجلس الإستشاري لشمال السودان أو الجمعية التشريعية لسنة ١٩٤٨م، لحق التنظيم السياسى أو الأحزاب السياسية أو حتى الحريات، ولكن مع ذلك فان الفعل السياسى السودانى تجاوز القانون وبرزت الأحزاب السياسية كحركات الأشقاء وحزب الأمة والحزب الجمهوري الإشتراكى والجماعات. الإسلامية واليسارية منذ النصف الثانى من الأربعينات ، علماً بأن أول وثيقة سودانية نصت على حق السودانيين فى تكوين الجمعيات هى دستور الحكم الذاتى لعام ١٩٥٣م، وحتى هذا الدستور الذى تم فى إطاره رفع العلم السودانى، لم ينص على التعددية السياسية والحزبية ، حتى بروز دستور الإنتفاضة فى عام ١٩٨٥م..

ويمكن إستنباط أهم الدلالات السياسية والإجتماعية لتجربة العيش المشترك في إطار السياقين الرسمى المنضبط بالقوانين والشعبى الذي يحكى تجربة الإستمرارية في المجتمع السودانى فى الآتى:-

١. إن الهوية السودانية هوية منفتحة حتى فى قانون الجنسية ، لأنه لم يبرز تعريف للجنسية السودانية حتى عام ١٩٢٤م، وحتى هذا التعريف كان تعريفاً فضفاضاً جعل السودان مفتوحاً من بوابته الغربية والجنوبية والشرقية ، بينما قيد الدخول للسودان من البوابة الشمالية للحصول على تصريح، وإستمر الحال هكذا

إلى الخمسينات حيث فرض سؤال تعريف السودانى نفسه ، وبروز قانون السودانى بالميلاد والسودانى بالتجنس..

٢. إن الثقافة السودانية لم تعرف التعصب أو كراهية الآخر أو الحرب على الآخر، اللهم إلا ما يحدث فى إنفجارات وصراعات حول المرعى والمياه والحزازات ما بين القبائل..

٣. إن كثيراً من العقد التى أزمّت العلاقات بين مكونات المجتمع السودانى ، زرعها الإستعمار الذى أستن وبذر بذور ثقافة الكراهية..

٤. إن هناك هجمة منظمة على إرث السودان التاريخى ، وتقاليده السمحة في التعايش الدينى وفي الإعتراف بالآخر..

٩٨. مهددات العيش المشترك، ما بين ورقة دكتور مكى وتعليقات الأب القمص فلوثاوس

لقاء التعايش: في ندوة العيش الواحد والمشترك في الخرطوم فى أول سبت من شهر مايو ٢٠٠٣، قدم بروفسور حسن مكى، ورقة عن التجربة السودانية، تحدث فيها عن رؤية تاريخية للتعايش فى السودان، وإختتم بحثه الرائع فى حديث عن مهددات العيش المشترك، ولقد عقب الأب القمص فلوثاوس فرج ، على هذه الورقة وإهتم بإبراز مهددات العيش المشترك فى السودان.. لكى نكون ساهرين على وحدتنا الوطنية ونقلع أولاً بأول الحشائش الضارة فى زرع تعايشنا النضر..

ورقة حسن مكى : وقد قدم المحاضر مهددات العيش المشترك فى السودان فى ثلاث مهددات:

١. حرب الجنوب، وما أسفرت عنه من ثقافة كراهية، وما نتج عنها من قتلى ومفقودين ويتامى ومعوقين وتسميم للعلاقات الداخلية والإقليمية..

٢. أحزمة الفقر والبؤس التى إنتشرت حول المدن وقسمت المجتمع السودانى ما بين اللائزين بالمتون ، والهاربين للهوامش ، مما قد يؤدى إلى نسف نموذج الخرطوم الذى هو نموذج المدينة المسالمة المتعايشة، والذى يعتبر هدية التجربة السودانية، علماً عكس نموذج جوهانسبرج، ولوغوس، ونيروبى الحاملة لثقافة الكراهية والقسمة والصراع..

٣. ثقافة العولمة وما فيها من أفكار متفرقة وشعارات تتعجل اللحاق بالعصر، حتى لو كان ذلك خصماً على الإستقلال الإجتماعى والسياسى، مستصحبة أحياناً العنف، ومدثرة بثياب قسمة السلطة والثروة دون إعتبار للإرث الثقافى والإجتماعى والمرجعيات الروحية مما قد يقود إلى كسر أسس التوازن الاجتماعى والروحى والثقافى، التى تم بناؤها عبر الآف السنين ، والتى تمنح الهوية السودانية دفعها وقوتها وعبقريتها فى الزمان والمكان..

تعقيب الأب فلوثاوس: كان التعقيب على ورقة حسن مكى، وورقة القس أيدى أمبروز، رئيس إدارة الكنائس بوزارة الإرشاد والذى كانت ورقته نفسها تؤكد أن السودان ليس متعدد الأديان فقط، إنما متعدد اللغات، فهو لا يعرف أن يعبر عن نفسه إلا باللغة الإنجليزية، مثل كثيرين من أبناء الجنوب، وقد أكدت ورقة أمبروز على أهمية الهوية وطريقنا إلى الوحدة الوطنية.. وقد قدم الأب فلوثاوس للمؤتمر هذه الملاحظات:

١. إن تجربة العيش المشترك فى السودان هى تجربة غنية.. وثرة ثرية.. وهى تجربة ناجحة وتصلح لأن تقدم نموذجاً لكل بلدان العالم.. وأعتقد إننا ينبغى أن نقدم السودان لجائزة عالمية رفيعة فى التعايش.. وذلك لأن التعايش عندنا له إيجابيات كثيرة جداً.. وتعيش الأديان فى بيت واحد وتحت سقف واحد وفى ظل أسرة واحدة وعلى مستوى الدولة.. هناك نائب مسيحى لرئيس الجمهورية ، ونائب مسيحى لرئيس المجلس الوطنى ، وهناك عدد من الوزارات والقيادات المسيحية تعمل معاً فى وزارة واحدة ومصلحة واحدة.. وبرغم من التهامس بضعف سلطات المراكز من المسيحيين ، ولكن هذا تهامس مردود وإعتراض مرفوض.. وقد كانت الدولة تساهم فى رسالة المؤسسة الدينية، كنيسة أو جامع.. بمجانية الكهرباء، ولكن فجأة كشرت الهيئة عن أنيابها وأوقفت هذا العطاء ، وهناك بعض الحلول ولكن الحل الأمثل هو أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه، لأن المؤسسة الدينية ينبغى أن تضىء إضاءة شديدة بنور علم الروح وبنور كهرباء حكومتنا الرشيدة، ووزارة الكهرباء الوليدة، والتى كان قطع الكهرباء عن الكنيسة والجامع هو أول إنجازاتها البائسة..

٢. كثيراً ما لا يفهمنا الناس، ويستغربون تعايشنا ، فلقد مثلت السودان في مؤتمر حقوق الإنسان فى فيننا.. وفى مؤتمر U.R.I مبادرات وحدة الأديان فى سان فرانسيسكو.. ومثلت السودان فى" إفطار الصلاة" فى واشنطن.. وقد جلست فى مقعد السودان الرئيسى..إما مع زملائى أو أننى كنت الوحيد، أمثل السودان ، وأمثل هنا كل السودان ، ولم أعفى من تعليقات بعض الأجانب الذين لا يفهمون تجربتنا وهم يسألون: أليس فى السودان مسلماً ليمثله ؟..

٣. بعض مهددات العيش المشترك:

أ. المتطرفون وصوت النشاذ: إن التعايش موجود، ولكن يعكر صفوه بعض المتطرفين.. وهم نشاذ فى سيمفونية الوحدة الوطنية ، ولكن ينبغى أن يزداد المجتمع حرصا على حصر أصوات النشاذ ، وبدء حوار موضوعى فيها ، فهؤلاء المتطرفين يتمسكون بنصوص مقدسة تحتاج إلى إعادة تفسير متعمق لها..

ب. محاولة الإستيلاء على الآخر: فعندما يرى المسلم صديقا مسيحيا ممتازا فى علاقاته يقول له: إنت خساره فى النصارى.. ومالهم النصارى ؟.. وهكذا المسيحى على نفس المستوى.. إنها رغبة إستعمارية دفينة فينا.. وهى ليست منا..

ت. صغار الناس وصغار النفوس: وصغار الثعالب ، أو الثعالب الصغيرة كما يقول الكتاب المقدس، وأولئك يعقدون الأمور.. ويسلبون حقوق الآخر.. ومشكلة الثعالب الصغيرة، إنها تفسد زراعة الكروم، فتقطف الثمار ولا تاكلها.. إنما تشتتها.. قد يراود أحد صغار النفوس أفكارا تعطه حقوقا ليست له..

ث. إعلان تطبيق الشريعة وما رافقه من سلبيات أحدثت خلخلة فى المجتمع ، أدت إلى هجرة العقول والأموال إلى الخارج.. فهناك كثيرون مسيحيون لجأوا فى الخارج، بسبب توحش ثورة الإنقاذ فى أيامها الأولى، وبسبب التسرع فى إعلان الشريعة الإسلامية.. وهناك مسلمون لاجئون دينياً أيضا فى الخارج.. أما المواطن السودانى المقيم فى السودان ، فقد لجأ إلى الله وصلى صلواته حتى يعّم الرخاء والسلام، وهما قادمان والحمد لله..

ج. إفرازات الحروب من نزوح ووفود إلى العاصمة، لقد أكد هذا النزوح وجود التعايش.. ولكنه أفرز إفرازات مؤلمة ، منها ضياع الهوية ، فلقد إخترنا للنازحين أطراف العاصمة ، مما جعلهم لا يعملوا.. إنما يحترفوا أن يشحذوا.. وضاعت هويتهم ومستقبلهم أمام نوافذ المساعدات..

ح. الخطاب الإعلامى وما يحدث فيه من هجوم على الإيمان والمعتقد المسيحى فى الإذاعة، فى التلفزيون، فى وسائل الإعلام كلها.. وليس لدى المسيحيين فى الإعلام الحكومى سوى مساحة محدودة جدا..

خ. سيطرة الإتجاه الإسلامى على مناهج التعليم، وهذا أمر لن أتكلم فيه، لأن الحكومة نفسها شعرت وفى أول عام للمنهج الجديد، إنه منهج غير موفق، ليس فيه أى محبة للآخر.. يمتلىء بالنصوص من القرآن الكريم، وليس فيه آية واحدة من الإنجيل.. هذه هى عيوبنا أن نعترض عليها.. ثم نقدم العلاج..

٩٩. التجربة السودانية في العيش الواحد والمشترك

رؤية تاريخية: قدم بروفسور حسن مكى، ورقة لها قيمتها فى ندوة العيش الواحد، والتى إنعقدت فى الخرطوم بحضور مجموعة من رجال الحوار من مجمع كنائس الشرق الأوسط.. ومن لبنان وسوريا.. وكانت ورقة دكتور مكى عن التجربة السودانية.. وقد قدم عرضا تاريخيا من خلال منظورين ، أولهما يقوم على الهندسة الروحية والفكرية، وثانيهما المنظور الروحى والإجتماعى.. كما تحدث عن عبقرية المكان ودورها فى تجانس وتعايش المجموع الوطنى.. وقد قدم نفسه مفسرا إسمه، بأنه ليس إسماً إسلامياً، إنما لإسم شائع فى وسط المسيحيين فى السودان.. والحقيقة أن السودان بالذات لم يقسم الأسماء إلى أسماء إسلامية ومسيحية.. وعندنا النائب الأول ، كان الزبير ورئيس أساقفة الكنيسة الكاثوليكية هو الزبير.. وبين أسماء رجال الدين المسيحى خميس.. جمعه.. مثل الشيخ جمعه كنده ، عبد الرحمن، وهكذا.. وإلى محاضرة بروفسور حسن مكى :-

تجربة العيش المشترك فى الوعى التاريخى السودانى: يمكن تناول تجربة العيش الواحد فى السودان من خلال منظورين : المنظور الأول يقوم على الهندسة الروحية والفكرية بهياكلها الدستورية والقانونية ، كما برزت فى مشروع السودان الحديث، إبتداءا من الاتفاقية الإنجليزية المصرية لحكم السودان، الموقعة فى يناير ١٨٩٩م.. بما تم فيها من تعديلات عكستها الإتفاقية المصرية الإنجليزية لعام١٩٣٦م..ثم سياسة الجنوب وقوانين المناطق المقفولة، مرورا بقانون المجلس الإستشارى لشمال السودان، ثم قانون الجمعية التشريعية ثم دستور السودان المؤقت لعام١٩٥٦م.. ثم دستور السودان لعام ١٩٧٣م.. وإتفاقية الحكم الذاتى لإقليم جنوب السودان.. ثم قوانين الشريعة الإسلامية إبتداءاً من ١٩٨٣م.. ثم دستور الإنتفاضة لعام ١٩٨٥ م.. ثم مسلسل إتفاقية السلام وما دار فيها من حوار..

وبإستعراض المفردات التى قامت عليها كل هذه السياسات والتشريعات، فإنها قد إرتكزت على المواطنة ، ولم تفرق بين مواطن ومواطن، بإستثناء القوانين التى سنها المستعمر الإنجليزى.. والتى عرفت بسياسة الجنوب، وقوانين المناطق المقفولة، والتى سعت لخلق نمطين فى المواطنة، مواطنة أساسها الثقافة العربية الإسلامية ، ومواطنة جديدة أساسها العرقية الزنجية، والهوية الكنسية على أساس أن هناك تناقضا وتنافرا ما بين الهويتين.. وعقدت هذه الرؤية تجربة العيش

المشترك الواحد، والتعدد الذى يتميز به المجتمع السودانى وما كان فيه من تعايش بين الأديان..

أما المنظور الثانى فهو المنظور الروحى الإجتماعى الذى تبلورت فى شخصية السودان .. وقد نضجت شخصية السودان فى فترة السلطة الزرقاء وهى الفترة الممتدة من عام ١٥٠٠-١٨٠٠.. وكان من أبرز مصانع التفاعل الإجتماعى ، الحركة التعليمية التى إعتمدت على تعليم القرآن الكريم، وإجتهدت فى تكوين مرجعية أخلاقية فكرية روحية، أساسها القرآن الكريم.. وقامت الجهود العلمية والفكرية والروحية على أسس طوعية بحتة، بحيث لم تتدخل المشيخات والسلطانات الموجودة.. لا فى تفضيل مذهب على مذهب.. ولا طريقة صوفية على آخرى.. بل تركت الأمر للتنافس ما بين الشيوخ، ولذلك إزدهرت فى هذه الفترة الطرق الصوفية.. والتصوف المؤسس، ولكن إزدهار الحركة العلمية النسبى قام على التمدد التدريجى والتسامح، حيث أنه وحتى القرن الثامن عشر ، ربما ضمت العائلة الواحدة المسلم الذى نشأ على الثقافة التقليدية التى لم تتعرف على الأديان وهدايتها، كما وأنه فى داخل العائلة الواحدة تتعدد المشارب الدينية.. بين الذى هو على مزاج الفقهاء ، ومن على منهج الصوفية ، ومن هو لا إلى هؤلاء.. ولا إلى هؤلاء.. ولكنه قابل للإستيعاب فى إطار الحياة الإجتماعية الروحية..

عبقرية المكان السودانى ودربها فى تجانس وتعايش المجموع الوطنى

وهناك دلالات هامة تتصل بوضعية السودان الجغرافية، حيث أن السودان لم تكن له حدود محددة.. وإنما تخوم ممتدة، وربما يعكس الحاضر الشاخص شيئا من فاعلية الماضى.. فمثلاً حدود السودان الغربية والتى شكلت فيها فى ظل سياسة القرن العشرين

ثلاثة دول هى : ليبيا، تشاد، وأفريقيا الوسطى، تبلغ أكثر من ٢٥٠٠ كلم.. وظلت هذه الحدود مفتوحة للقبائل الوافدة فى شمال وغرب أفريقيا.. لأسباب إقتصادية تتعلق بالمرعى والتجارة.. ولأسباب دينية تتعلق بالحج إلى بيت الله الحرام فى مكة.. وكانت هذه القبائل تتخذ الهوية السودانية تلقائياً دون مساءلة أو تنظيم.. ويمكن القول أن ربع سكان السودان المعاصر تعود جذورهم إلى غرب أفريقيا.. أى أن من كل ٤ سودانيين ممن ينحدر من تلك الأصول، وكذلك فإن السودان الشرقى ظل يتلقى هجرات ، ولكنها كانت أضعف من الهجرات القادمة فى الغرب ، نسبة لأن المناطق الأكثر شرقية منها مثل : الحبشة وغيرها.. وربما كانت أكثر عمراناً وأمناً من غيرها..

كما أن عبور الحجاز واليمن ، لم يكن بالسهولة عليها اليوم، ولكن مع ذلك ظلت بعض القبائل تهاجر بكاملها عبر البحر الأحمر، مثل قبيلة الرشايدة، والتى أصبحت رافداً من روافد الهوية السودانية والتى جاءت هجراتها فى الثلث الآخير من القرن التاسع عشر.. وتمتد القبائل المشتركة على طول الحدود السودانية الحبشية ، والبالغ طولها ألف ميل..

أما من ناحية الجنوب ، فقد ظل مستوطنة لقبائل وعشائر منعزلة، إنتشرت فى ربع مساحة السودان.. أكثر من ستين قبيلة ، لكل قبيلة ، أرضها.. وحرمها.. ولغتها.. وطقوسها.. وثقافتها..

١٠٠ . رجل روحاني على تلال من ذهب

خمسون عاماً : مرت الأيام تلو الأيام ، وسارت الأعوام خلف الأعوام.. ومضى خمسون عاما على حياة قدسية طاهرة .. حياة رهبانية مقدسة.. فيها إنفصل راهبا عن الكل، لكى يرتبط بالواحد، بإله الكل ، الكائن على الكل إلهاً مباركاً..والرهبنة ليست هروبا من العالم.. إنما هى شعور بالرهبة نحو الله.. ومن خلال الرهبة التى هى بداية الحكمة ، حيث رأس الحكمة مخافة الله.. تبدأ رحلة العمر.. والعمر هنا ليس عمرنا الأرضى.. إنما هو الأبدية.. نبدأ الأبدية قبل الأبدية.. نبدأ أولاً وسط صراعات الأرض.. ومتاهات الحياة ، وآنات الزمن .. وآهات العمر.. وصاحب الطريق الرهبانى.. يعلم هدفه علمًا جيداً.. ويرفض أن يعوق أى شىء طريقه القدسي ، حتى ولو كان أباً أو أماً.. أو أختاً.. أو أخاً . أو مالاً وأرضاً.. فالله هو أبوه السماوى.. والسماء هى سماؤه.. هى أمه.. هى هدفه فى هذه الحياة.. وعندما يكون الهدف واضحا.. تنمو الرهبنة فى القلب.. رهبنة وعمقاً.. وقداسة.. ونعمة فوق نعمة.. وتعبر سفينة الحياة بحر هذا العالم العجاج.. الزاخر بالأمواج.. أمواج تدفع السفينة إلى فوق وإلى أسفل.. ولكن السفينة قوية.. ليس فيها ثقب واحد على بحر العالم... لهذا فهى تتجه إلى ميناء الأبدية ولا ترسو إلا هناك.. ولا تستريح إلا فى أمجاد السماء.. وبركاتها ونعيمها.. ويسهر صاحب السفينة سهراً روحياً.. لكى يعبر بسفينة حياته نحو أورشليم السمائية..

رحلة روحية: وهكذا يأتى اليوبيل الذهبى لنيافة مطراننا الأنبا دانيال.. الذى يصر دوما أنه راهب يرهب الله.. ويرهب ألوية البشر.. ويحيا الأبدية السعيدة وهو هنا على الأرض.. ورحلته فى الرهبنة وصلت خمسون عاماً.. وسط كل محبيه الذين

يدعون له بالصحة وبطول العمر.. وهو يحيا زهده ، ونسكه كمثل حى بيننا.. يعيش فى عصر الروح، وهو عصر غريب على عصرنا.. ولهذا لم يفهم كثيرون شخصية الأنبا دانيال، ولم يعرفوا أعماقها.. فهو غريب على الأرض، يفكر بغير طريقتنا.. ويعالج الأمور بغير أدواتنا.. وينظر نظرة غير نظرتنا.. ولكنه يصمم أن يرفعنا نحن إلى مستواه.. ولا يوافق أبداً أن ينزل إلى مستوانا.. يظل هائماً فى الروحانيات.. ونحن ننغمس فى الماديات.. يظل ساهراً يقظاً مصلياً.. ونحن نائمون أو متثائبون.. وسوف يأتى اليوم الذى يحقق فيه هدفه، ويدخل إلى السماء، ومعه جيش من أبنائه الذين سلكوا دروب الروح.. مثلما سلك.. وعلى أبواب السماء يقول الأنبا دانيال : هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب.. بعد أن كان يقول دوماً على الأرض : أما أنا وأهل بيتى فنعبد الرب..

الأيام الأولى: وصاحب اليوبيل له أيام أولى ، هى أيضا فى السماء على الأرض.. فقد ولد طفلاً فى ظل أسرة هى الأغنى والأوفر فى المال.. ولكنها أغنى وأعمق فى الإيمان.. أسرة هى نموذج الإيمان الحى، فى إيمانها قدمت كل شىء، حتى أرواح أبنائها ، شهداء الإيمان فى السودان..

وفي اليوم العاشر من الشهر العاشر للعام تسعمائة وعشرون بعد الآلف.. دخلت زوجة إبن الباشا إلى حجرتها وهى فى الآم الولادة.. وسمع الكل صرخة طفل صغير.. وفتح الباب لتعلن الأخت الكبرى للطفل ، أن المولود هو ذكر.. وتعالت زغاريد الفرح..ورنمت السماء بالمولود.. لأن إسمه سجل فوراً ، ليس فى شهادة الميلاد فحسب، بل أيضاً فى سجل الخدام والنساك فى السماء.. وإختارت الأسرة إسم "دميان" للطفل المولود ، وفى هذا الإختيار تعبير واضح عن مجلة الأسرة للقديسين.. فالإسم لقديس عظيم من عصر القديسين، فى تاريخ كنيستنا الخالدة..

همسات العابدين: وشبّ الطفل " دميان" عن الطوق فى وسط روحى ممتع.. كان وهو جالس فى حجرته تتناقل إلى أذنه همسات العابدين.. وهم أبوه وأمه.. كان يفتح عينيه فى الصباح الباكر ، ليرى رجلاً يصلى.. وإمرأة ساجدة بين يدى الله.. كان يسمع صوت أبيه وهو يرتل بالمزامير، فلقد كان حافظاً للمزامير.. وحفظته المزامير.. ومعه حفظت كل أولاده.. كانت هذه هى سمة عصر الروح.. كان الأطفال يدخلون الكتاتيب ويحفظون المزامير عن ظهر قلب.. ويترنمون بها.. ويخشعون.. ويصلون.. ويتعبدون.. من فمهم ومن قلبهم.. ولا يضيع وقتهم فى التيهان وسط الصفحات.. ومعهم كان الطفل " دميان" يذهب إلى الكنيسة.. ومعهم يسمع القراءات مثلما سمعها الشاب أنطونيوس وعمل بها.. وكان معهم يتناول من الأسرار الإلهية المقدسة.. ثباتاً فى المسيح ، ونمواً فى النعمة.. وكان يرى مدى

الإستعداد الروحى للتناول في داخل أسرته.. فالأب أنطونيوس يلبس أبهى الثياب.. والأم ورده تلبس ديباجاتها كوردة بيضاء.. فلقد كانت النساء يذهبن إلى الكنيسة بثياب بيض.. حتى يكنَ مع لابسى بيض الثياب فى عرس الحمل.. وهكذا كان ينمو الطفل " دميان" فى النعمة والقامة أمام الله والناس.. فى بيت قد فتحت كل كواه على أورشليم السمائية.. فى دار قد إمتلأت برائحة الطيب، حتى أن الكل يشتم رائحة المسيح الذكية فى بيت " البيه" .. ذلك البيت العتيق ، صاحب الأسوار العريضة.. والذى كان بيتاً حضاريا فى أحسن موقع فى الخرطوم.. يطل على بلدية الخرطوم شامخاً شموخ عائلة إبراهيم بك خليل، جد مطراننا المكرم الأنبا دانيال..

قديس ونبوة : وقبل مولد الفتى " دميان" كانت هناك نبوة من عملاق ، فى عالم الروح عن هذا الفتى.. ويرجع هذا إلى عام ١٩٠٤ عندما أتى القديس البابا كيرلس الخامس إلى السودان، لكى يضع حجر أساس كاتدرائية السيدة العذراء بالخرطوم.. وكان الإحتفال مهيباً والحجر الذى وضع، فعلاً كان حجراً كبيراً.. أرسل الحاكم الإنجليزى " ونشأ" من بلدية الخرطوم ليحمل الحجر.. وكان البشر على قلتهم محبين للكنيسة.. وكان البيت الذى إستضاف بطريرك الأقباط ، هو بيت الفتى " دميان ".. وأثناء زيارة البابا كانت لديه رغبة خفية أن يرسم أحد أفراد عائلة إبراهيم بك ، كاهناً.. لكى يرعى شئون الأقباط فى السودان.. ولقد كان البابا على حق.. ولكن يبدو أن إبراهيم بك شعر برغبة البابا ، وشعر برهبة المسئولية ، وأمر أن لا يذهب أى من شباب الأسرة أمام البابا.. حتى لا يرسم واحداً منهم..

وقام البابا كيرلس فى هذا اليوم ، برسامة أبونا فيلوثاوس قلاده ، قمصاً على أمدرمان، ورسامة أبونا حنا إيلياس قمصاً على الخرطوم ، ويذكر التاريخ الخدمة الجليلة التى قاما بها هذان القمُصان.. وهما فارسان قويان مغواران.. فأبونا فيلوثاوس قلاده هو صاحب أول زواج جماعى ، أقيم فى منزل المرحوم يسى تاوضروس فى أمدرمان.. وذلك ليس وقاية للشباب ، إنما حماية لهم من خطر كان يتهددهم أيام المهدية الأولى ، وحتى لا يفرض عليهم الزواج بغير طريقتهم ونظامهم.. وأبونا حنا إيلياس قمص الخرطوم ، كان رجل علم وتقوى ونعمة وفضيلة..

ولما رجع البابا كيرلس الخامس ، إلى قصر الضيافة ، فى قصر إبراهيم بك ، قال لمضيفه : أنت عرفتها يامسيو (سيد).. لقد هربت بأولادك ، ولكن تأكد أنه من نسلك سوف يخرج خادم للرب..

تحقيق النبوة: وأتى زمان تحقيق النبوة.. وأتى الشخص المناسب لذلك.. فكل أمر تحت السموات له وقت.. وقد أتى الوقت.. وكان سلوك الفتى " دميان"، سلوكاً

سمائياً.. كان متفوقاً على أقرانه.. ليس فى العلم فقط، ولكن في عالم الروح.. الذى هو علم معرفة ربنا يسوع المسيح.. ولم يشغله أحد عن معرفة دينه.. وصعد على سلالم الفضيلة درجة درجة.. واضعاً يده على المحراث.. غير ناظر إلى الخلف.. كان يعطى غذاءه لمن لا غذاء له.. وتجنب كثرة المآكل.. لأنها تحرك الشهوات.. كان يريد فقط أن تكون شهوته هى السماء.. لقد إشتهى غذاء السماء.. وأعطته السماء الغذاء.. والعزاء.. وراح يسأل عن التكريس.. وعن الحياة الرهبانية.. كان مفرزاً من بطن أمه.. لكى يحظى بنعمة لا تعطى لمن يستشر لحماً ودماً.. وتعرف على راهب تقى.. هو أبونا كيرلس المحرقى.. وبدأ الفتى " دميان" يفكر في الطريقة التى يحقق بها حلمه.. وأمله.. وطموحه.. ودعوته.. ويلبس ثياب الرهبنة ، قدسيةً وإجلالاً..

جذور وطنية : والراهب " دميان" أو دماديوس، والذى هو الأن الأنبا دانيال المطران.. هو رجل له جذور وطنية عميقة.. فهو سودانى مخلص.. لديه سمات أهل السودان.. من بساطة وتدين، ولديه صفات الأقباط.. من مشاركة فاعلة ومواطنة مخلصة.. ومطراننا من عائلة إبراهيم بك خليل.. الذى هو سليل عائلة الجوهرى ، التى ظهر منها أعظم رجال القرن التاسع عشر..

وقد كان الجد خليل ، مسئولاً عن إدارة مصالح الحكومة السودانية.. فيما يسمى " بالديوان ".. ولما أراد أن يستقيل ، رُفضت إستقالته.. أما إبراهيم بك خليل، فقد كان عضواً فى مجلس إستئناف السودان.. وقد نال رتبة بكباشى ، لخدماته وهى رتبة لها حصانتها.. ولها إعفاء من الضرائب.. مكافأة له على خدمته بالشرف والأمانة.. فى حكومة السودان.. وقد نال أيضا رتبة البكاوية ، وكان إبراهيم بك ، يملك حديقة الحيوان ، وقد رأس لجنة تكشيف أراضى الخرطوم.. وكان بيته كنيسة حيث أقيم فى بيته أول قداس فى السودان بعد المهدية..وإستقبل فى بيته البابا كيرلس الخامس والوفد المرافق له مرتين عام ١٩٠٤ م وعام ١٩٠٩ م.. فى سراية البك التى تمّ بناؤها عام ١٨٩٩م.. كأول مبنى من دواوين الحكومة فى الخرطوم..

ولقد كان إبراهيم بك خليل،هو أمين مال فى ثورة المهدى.. وكان مشهوراً بأمانته ونزاهته..وكان له ثلاث أولاد هم: خليل وغبريال، وأنطونيوس.. وأخت وحيدة هى: ماريا.. تزوجها إبن خالها بولس جرجس نخله ، الجد الأكبر للجراح الشهير فى لندن دكتور بول وشقيقه رجل الأعمال روبرت برنارد فى الخرطوم.. وأنطونيوس هذا هو والد " دماديوس" الذى هو الأن نيافة الأنبا "دانيال".. والذى

يخدم الآن مطراناً فى السودان.. وما يتبعها جنوباً ، وتستمر رسالة الرب على يديه الطاهرتين.. عملاً روحياً مجيداً..

الراهب الهارب: وحبَكَ الفتى "دميان" خطة طموح مع الراهب كيرلس المحرقى.. وإتفق معه أن ينتظره فى محطة أسيوط.. وكان لابد أن يهرب ليحقق أمانيه.. والهروب هنا ، هو هروب إلى الله، وليس من الله.. كما يفعل الكثيرون.. وترك كل شىء فى بيت أبيه، وخرج ذات يوم فى الصباح إلى مدرسته.. وكان فى السنة الرابعة ثانوى، ومن المدرسة هرب دون علم أى أحد.. وركب قطار حلفا.. متجهاً إلى القاهرة.. وكان هذا فى عام ١٩٤٣ م.. وقد وصل فعلاً إلى حلفا.. وركب الباخرة وهو لاهث الأنفاس.. وعندما جلس لكى يسترد أنفاسه.. ويشكر الله أن خطته قد نجحت وسعادته قد إكتملت.. وفى أثناء سعادته بنجاح خطته، فوجىء برجال البوليس يقفون أمامه ويقبضون عليه.. إن جريمته، أنه هرب إلى الله.. وعلم وقتها إن الأمر قد صدر من الحاكم العام الإنجليزى بعودته إلى الخرطوم.. والتلغراف من الحاكم العام يقول : أن يقبض على شاب إسمه "دميان"، طويل القامة، أبيض اللون، ذو صليبين بيده اليمنى.. وكان الإسم مطابقاً والعلامات مطابقة.. وعاد "دميان" أسيراً إلى الخرطوم..وكل هذه الإجراءات الرسمية لم تجعله يغير قصده.. بل بالعكس إزداد تصميماً ، وسلمّ أمره للرب.. حتى يأتى وقت دعوته المقدسة..

حل مؤقت : وعاد الفتى "دميان" إلى الخرطوم وفى محطة القطار ، كان وفد فى إنتظاره.. الأسرة كلها فى المحطة.. والآباء الكهنة.. القمص يوحنا سلامه، والقمص بطرس سلامه، والمعلم راغب.. وكلهم يتطلعون إلى هذا الفتى.. الذى إحمرّ وجهه خجلاً.. وأتى بالبوليس لكى يسلم إلى أسرته.. وبدات التساؤلات وعلامات الإستفهام.. وكانوا يتكلمون وبعضهم يتهامسون.. وبعضهم يندهشون.. لفتى يترك كل أمجاد العالم ويمضى ، لكى يحيا شظف العيش.. ويترك الغِنىَ ويختار الفقر ، والزهد، والنسك.. وعلا صوت أحدهم ينتهره قائلاً : لماذا عملت هذا العمل الأسود ؟.. وهنا إنفجر الشاب الهادىء بكاءً ودموعاً.. بالمفاهيم المقلوبة فى عالم مقلوب.. فالعمل الأسود هو إعاقته عن طريق التكريس.. وليس ذهابه هارباً إلى حياة التكريس..

وبعد هذه المظاهرة الصاخبة الرافضة لهروبه، وفى مساء نفس اليوم ، جلس أنطونيوس والد دميان، يسترجع ذكرياته القديمة.. ويتذكر نبوة البابا كيرلس الخامس.. وشعر بأن هناك خطأ فى الأمر.. وقال لزوجته ورده: لن نقف فى طريق الولد.. لئلا نُدان بسببه.. وفكر فى حل مؤقت لقضية الفتى "دميان".. وقرر أن يبنى

له قلاية فى الجريف ، لكى يعتكف فيها .. ويتعبد ويصلى.. فالرب فى كل مكان موجود.. ولا يوجد من يمنعه من أن يكون راهباً ، عابداً ، مصلياً..

كهف فى الجريف: وقبل الراهب الهارب الحل المؤقت.. وهل كان فى إمكانه أن يصنع غير هذا ؟.. وذهب إلى الجريف.. وعاش فى معبده هناك.. يقضى كل أيام الأسبوع، يسلك سلوك المتوحدين فى البرارى.. وكان يحضر إلى الخرطوم مرة كل أسبوع، لكى يعترف ويتناول من الأسرارالمقدسة.. وكان أب إعترافه هو القمص اثناسيوس المحرقى.. وكان أب الإعتراف فاهماً للسلوك الروحى.. وللمسالك الرهبانية.. فلقد كان راهباً تقياً.. وكان دوماً يذكر نفسه برهبنته.. وكان مشهوراً بأنه حبيب أهل العزوبة المؤقتة.. وكان دوماً يذهب بيوت الشباب، الغير متزوج.. ويوزع وقت وجباته بينهم... لكى يكون لهم درعاً واقياً.. ضد الإنفراد بالخطية، وضد سيادة الشهوات الشبابية عليهم.. وكان مرشداً روحياً للشاب "دميان".. الذى كان يعيش فى كهف ، فى الجريف.. كل الأيام ويأتى فى الأصوام.. وعلى الأخص الصوم المقدس، لكى يعتكف فى الكنيسة.. وظل الحال على هذا المنوال ، قرابة أربعة أعوام، من ١٩٤٣-١٩٤٧..

من أنطونيوس إلى أنطونيوس : وفى عام ١٩٤٧م.. تمت سيامة نيافة الأنبا يؤانس،أسقفاً للخرطوم.. والأنبا باخوميوس (أب إعتراف دميان).. أسقفاً لأمدرمان.. كانت الرسامة فى يوم ٣٠ يونيو... وهو تاريخ صار مشهوراً فى كنيستنا.. حيث فى نفس التاريخ أيضاً تمت رسامة راهبنا القديس أسقفا بإسم الأنبا دانيال.. ونعود إلى يونيو ١٩٤٧/.. سريعاً لكى نشهد معاً مجىء الأنبا يؤانس إلى الخرطوم والإحتفال الكبير.. الذى أقامه الشعب ، فرحة بقدومه بعد سبعة أعوام، من خلو كرسى الخرطوم، بنياحة القديس الراحل الأنبا صرابامون، الذى غاب عن كرسيه قبل نياحته بعدة سنوات..

كانت أشواق الناس كبيرة ، وكان الطريق صعباً.. وذهب وفد من كبار الأقباط بالخرطوم، إلى حلفا.. يستقبلون الأسقف القادم فى باخرة مصر.. وفى الطريق بدأت قصص وحكايات.. عن أخبار الخدمة فى السودان.. وحكوا له عن الشاب دميان وعن رحلته إلى دير المحرق.. وعن هروبه الذى إنتهى به راجعاً.. فى حراسة البوليس إلى الخرطوم.. لكى يستقر فى كهفه فى الجريف..

ولفت الأمر نظر الأسقف الجديد.. وقرر أن يرسمه راهباً .. فتمت راهبا فى الساعة الرابعة فجر اليوم الثانى من شهر نوفمبر١٩٤٧م.. وإزداد حماس الأسقف له حيث بعد أيام قلائل ، وفى عيد الشهيد العظيم مارجرجس، تمت سيامة الراهب "دوماديوس" النطونى ، قساً.. ولم يمضى عام آخر، حتى تمت سيامة راهبنا

قمصاً.. لكى يبدأ خدمته فى الخرطوم، وهو هدية روحية من أنطونيوس الذى كان من البكوات ، ولكنه ترك كل شئ.. وباع كل ما يملك ، لكى يصير ملكاً لله.. والآن ومنذ ١٩٤٧/١١/٢ وحتى ١٩٩٧/١١/٢.. مضى على رهبنته خمسون عاماً ، ونحن الآن نحتفل باليوبيل الذهبى له.. ونكرّم القديس العظيم الأنبا أنطونيوس فيه.. فهو إبنه البار الذى يحمل إلينا رسالته ونسكه وتقشفه وتقواه وفضيلته..

الرعاية الساهرة: وعندما صار الراهب قمصاً ، بدأ فى رعايته الساهرة.. كان مثالاً للراعى الصالح ، يبحث دوما عن الخراف.. ويفتش على الضال، ويحل المشاكل الأسرية.. وعندما يتضايق من الإختلافات الأسرية ، يعتز أكثر بالرهبنة.. وكان فى كل هذا راهباً نقيا طاهراً.. يعرف حدوده كراهب.. وظل زهاء ربع قرن يخدم فى الخرطوم، بل يخدم فى السودان ، حيث مرّ وقت كان فيه يصلى الأربعاء فى الخرطوم بحرى، والجمعه فى أمدرمان، والأحد فى الخرطوم.. وكان يحمل شمسيته السوداء ويطرق بقلبه الأبيض أبواب سكان الخرطوم.. وكنت تراه يمشى على قدميه يوم السبت بالذات، يفتقد الناس من على الباب، ويذكرهم بالكنيسة ويدعوهم إلى الحضور مبكرين، لكى يجدوا الله ، ويجدوا أنفسهم..

ومرّ به الزمان ، وهو أب حنون.. وخادم باذل.. يؤازر الضعيف.. يسند المسكين.. ويرعى الأرملة.. يعد طريقاً للرب فى كل قلب.. يؤسس سلاماً وصلحاً فى كل بيت.. يصلى ، يعظ، يعلم، لا يكل ولا يمل.. يعظ من قلبه.. فى لغة عربية صحيحة.. ودقيقة ، وبليغة.. يحمر وجهه حماساً.. يزداد صوته إرتفاعاً، وهو يدعو إلى التوبة والحياة مع الله.. والجهاد ضد الخطية.. وقد أشفق كثيرون عليه نظراً للجهد الكبير الذى كان يبذله.. ولكنه كان يعتمد على أصدقاء كثر ، هم الذين يثرون حياته..

أصدقاء الراهب: وراهبنا له أصدقاء كثر، فهو عندما ينعزل عن الناس، يكون الكتاب المقدس هو الصديق الألزق من الأخ.. يجلس إليه ويقارن الترجمات ويحفظ الكلمات ويتعمق فى الآيات.. ويتداول فى التفسيرات .. والكتاب المقدس هو كنز من ذهب، يذهب إليه هو فى كل يوم ، يقرأ كلماته، ويحفظ آياته.. وإذا كان يجلس يومياً إلى الكتاب المقدس ، فإنه قارئ جيد ، لكتب الآباء.. ودارس ممتاز للاهوت المسيحى بفروعه المتعددة.. يناقش العقائد الإيمانية ويشرحها بإسهاب.. يتكلم فى حماس عن سر تحول الخبز إلى جسد المسيح.. وعصير الكرمة إلى دم المسيح.. ويصمم على إنه ذكرى حية من نفس الشئ.. والتحول حقيقة يتم فى سرية مجيدة.. وهو يعمق الفكر الأورثوذكسى فى قلوب من حوله.. ليس كمجرد عقيدة تناقش، إنما كإيمان يعاش.. وله عشرة طيبة مع تراث الآباء فى كتب اللاهوت..

والمجلات القبطية القديمة.. وسجلات تاريخنا الخالد المجيد.. وله أفكار لاهوتية عن الحكم الألفى والإختطاف والأبدية.. واليوم الآخير..

ومن خلال صداقته للكتب، يتكلم اللغة العربية ، ويعرف سر البلاغة فيها.. ويتحدث بالعربية ، حديث الفاهم البارع ، ويندهش عندما يسمع الناس يخطئون فى اللغة العربية، ولا يتحمل هذا الخطأ ، لأنه يرى مع الأدب القديم، ان اللغة العربية تنتحر على أفواه المتكلمين ، غير الفاهمين لقواعدها.. وعندما يأتى إليه الأدباء والشعراء ، يجالسهم كأديب وكشاعر.. ويتحدث مع المسلمين مقنعاً لهم ، فاهماً لنصوص القرآن الكريم ، حافظاً له عن ظهر قلب، من سورة البقرة على الناس..

وعندما حاضر مؤتمر حوار الأديان ، أعاد قراءة نصوص القرآن فى ضوء حوار الأديان.. ففهم الحاضرون كيف يحترم القرآن والمسيحية.. وكيف يضع كنائس المسيحيين فى مستوى قدسية الجامع وصومعة الراهب.. وأصدقاء الراهب ليس كتباً فحسب، ولكن عنده جيش من القديسين هو صديق لهم ، وهم له أصدقاء.. فهو عندما يذكر المجمع المقدس، يضيف إليه أصدقائه ويذكر الأنبا أبرآم والبابا كيرلس الخامس، والبابا كيرلس السادس، ويذكر أيضاً الأنبا صرابامون مطران الخرطوم الأسبق.. والقمص ميخائيل البحيرى.. والأنبا باخوميوس مطران أم درمان وأب إعترافه..وكلهم له أصدقاء.. وهو يعتزبهم إعتزازاً ويعيش معهم، وهم يتحدثون معه.. ويحلون له مشاكله فى الخدمة.. وهو يحيا حياتهم..

فالبنك الذى كان للأنبا أبرآم، له فرع عند الأنبا دانيال.. وخزينة بنك الأنبا أبرآم الأن تحت مخدة الأنبا دانيال.. يضع ما يملك تحت وسادته كلما يوزع.. ولا يوفر شيئاً.. ولا ينضب للبنك معين.. ولا تفرغ خزائنه أبداً.. وله أصدقاء ولا يذكرهم فى المجمع، ولكنه يذكرهم دوماً فى آحاديثه.. مثل : المعلم راغب، ذلك المغلق العينين ، المفتح البصيرة الذى لقنه الألحان ، وعلمه اللغة القبطية ، والذى كان أول من قال عن الشاب الهارب، بأنه قد ذهب إلى الدير.. فقد كان يعلم رغبته..

ومن خلال صداقات الراهب مع الكتب وسير القديسين ، صار فاهماً لحياتهم، ومرجعاً روحياً لسيرتهم.. وعندما نفتح معه سيرة الأنبا صرابامون الذى خدم فى السودان منذ عام ١٨٨٩ حتى عام ١٩٣٥ نسمع منه حكايات.. ومعجزات لهذا القديس العظيم.. الذى كان عظيما فى بساطته، وأسس فى السودان كنائس من عدم.. وسجل تاريخا مجيداً للأقباط.. وإهتم بالتعليم.. وكان أول أعماله بناء مدرسة بجوار الكنيسة ، عندما تعذرت فى المال، وإضطربت أحوالها، باع حماره بستة جنيهات، وأعطى المرتبات للمدرسين.. ثم ذهب إلى مصر يجمع التبرعات..

ويجمعها من الكنائس فى بطن جلابيته السوداء.. ويأتى لكى يبنى المدارس والكنائس..
ومن المدارس يتخرج رجال السودان وبناة نهضته وتقدمه.. ونحن حتى الآن لم نكتب كتاباً عن تاريخ الأقباط فى السودان، ولن يحقق لنا هذه الرغبة سوى الأنبا دانيال.. ففى بطون أفكاره سجل تاريخى ، للتاريخ القديم والحديث، لأقباط السودان
رسامته أسقفاً : وكان لابد بعد هذا ، أن يوضع المصباح على المكيال لكى يكون نوراً وسط عالمنا المظلم.. وفى عهد البركات.. فى أيام المعجزات.. بينما كانت العذراء مريم تظهر عدة ظهورات، والقديس البابا كيرلس السادس، تتم فى عهده الكرامات.. وجسد القديس مارمرقس يعود فى موكب مهيب.. من البندقية إلى الكنيسة المرقسية فى مصر.. فى هذا العهد الملىء بالمعجزات والإنجازات، نالت إيبارشية الخرطوم أعمق البركات ، بسيامة القمص "دوماديوس الأنطونى" أسقفاً عليها.. والأغلبية ذكته.. ولكن السماء هى التى رشحته.. فقد أرسل البابا كيرلس السادس برقية إلى القمص "دماديوس" الذى كان مريضاً يقول فيها: شفاكم الله.. نأمل حضوركم القاهرة لأمر عاجل وهام.. ولكن المر العاجل هو رسامته أسقفاً ، والتى تمت فى يوم الثلاثون من شهر يونيو ١٩٦٨.. ولقد كنت هناك شاهد عيان لكل ما يجرى.. وفرحت مع الفرحين.. وشاهدت فرحة أهل السودان الذين حضروا الرسامة وهم فرحون.. شاكرون..متفائلون بأيام سعيدة لمطرانية الخرطوم التى كانت فعلاً فى حاجة شديدة إلى سلام مع الله.. يحمله إلينا راهبنا العابد الناسك الأنبا دانيال.. وهو أسقف، ومطران، ولكن فى حياته تستمر الرهبنة ينبوعاً ودموعاً ونسكاً وزهداً وطاعة للله، وفقراً إختيارياً..
إستمرارية الرهبنة: وهو حتى الآن راهب..راهب.. راهب.. يرهب الشر.. ويرهب الخطية.. ويعيش فى مخافة الله ورهبته.. ويخشى على نفسه من النوم.. وعندما يطير النوم من عينيه يكتب شعراً.. ويصلى من أجل أبنائه.. يطلب لهم العون.. ويتحدث مع أحبائه القديسين.. فهو واحد من فاهمى لغة حديث الأيقونات.. قلايته تمتلىء بالصور.. القديسون من حوله حالون.. حاضرون بقلوبهم وأرواحهم وكلامهم وكتبهم، يزدحم بهم مكانه.. ويتكلمون حديث الروح بالروح.. ويملأون قلاية المطران برائحة ذكية.. هى رائحة قديسى المسيح، وهو راهب حتى الآن يخاف من كثرة الأكل.. وذات مرة دُعيت إلى وليمة على شرف حضوره، وكنت بجواره ، وكان عمره يقترب إلى السبعين عاماً... وأكل وقام سريعاً.. فقلت له ياأبى: إننى أريد أن أكل.. لماذا تترك الأكل سريعاً وكأنك تهرب من وحش مفترس؟.. فقال لى : ألا تعلم أننى راهب.. وأن الأكل عند الراهب يحرك

الشهوات؟.. قلت فى نفسى : أى شهوات يحاربها رجل له من العمر سبعين عاماً ؟.. إنه يصر على محاربة الشهوة ولا تغفل عن هذا عيناه.. وهو راهب حتى الأن يجلس كثيرا إلى كلمة الله..

وكلما دخلت إليه منذ أن عرفته عام ١٩٦٤ وحتى الأن ، أشاهده يجلس القرفصاء مشدود الظهر، ممشوق القوام ، وكتابه أمامه.. ويقرأ ويقرأ، لهذا فهو كنز .. ولكنه مرصود ، لايفك ختومه إلا من يناقش.. ويسأله.. ويطلب منه أن يتحدث.. هؤلاء فقط هم الذين يتعرفون على كنوزه الروحية.. ولكن الذين يجلسون إليه، ويتحدثون فى أمور أخرى غير عالم الروح، لا يستفيدون منه شيئاً.. ويضيعون وقته.. ويحرمون من تلمذته الروحية للكتاب المقدس ، وكتب الأباء..

وهو راهب حتى الأن ، يحفظ كلام الله، ويحفظه الله... ويهتم بالحياة الأبدية.. ويعظ أهم عظاته عن الموت.. والحياة بعد الموت.. وينبذ عشاق الدنيا.. مثل حيوانات..يجتمعون حول لحوم عفنه.. ويتحدث عن السماء.. وعن أهل السماء، ويحفظ كل الكتب التى تتحدث عن طريق السماء.. يحفظها عن ظهر قلب.. بمجرد قراءة واحدة تنطبع الكلمات فى رأسه.. ففى أعماقه آلة تصوير، تصور الكلمات قبل إختراع الآت التصوير.. والفاكس.. والكومبيوتر..

وهو حتى الأن يرغب فى قيادة شعبه نحو السماء.. وينمو، وصوته حماسى، وكلماته قوية، وأحياناً يكون إيقاع الكلام أبطأ من حماس القلب.. فيزداد وجهه إحمراراً.. وصوته حماساً.. وهو يصلى وكأنه يغزو السماء ويطلب دوماً من الله أن يرفع غضبه عنا.. وهو حتى الأن يتحدث عن مقر المطرانية على أنه قلايته.. مكان سكنه.. وهذا نموذج لكل أهل المراتب المقدسة فى الكنيسة، حتى لا ينسوا الهدف ويضيع منهم الطريق..

وهو كراهب حساس يحيا أرقى إحساس، ويشعر بأعمق مما يحسه الناس.. فهو واحد من البشر السمائيين.. والملائكة الأرضيين.. يرقى به الإحساس إلى مستوى الشعراء الذين هم أهل صفاء وتأمل ونقاء وعمق فى بهاء..

وراهبنا يقرض الشعر.. ويرتله أحياناً.. ويحضره أحياناً أخرى.. وفى هدأة الليل يكتبه وهو ساهر يناجى السماء، ويعد نفسه للرحيل.. إلى بلده الأصلى.. وذات مرة عندما لم يجد النوم طريقه إلى راهبنا ، كتب يقول:

طوبى لمن سهرت بالليل عيناه
وبات فى قلق من حب مولاه
وبات يرعى نجوم الليل منتصباً
خوف العذاب وعين الله ترعاه

يانائماً غافلاً من ذكر مـــــولاه
العمر فيك مضى، والشيب ولاه
كيف الرحيل إلى بلد ، بلا أمل
واخجلتى من إلهى ، حين ألقـــاه

وهو كراهب كان دوماً يخاف من ركوب الطائرات.. لا أدرى لماذا ؟.. ولم يركب الطائرة إلا عندما إستدعاه البابا كيرلس السادس إلى مصر، لكى يأتى إليه عاجلاً.. فلقد كان الرهبان يركبون السحاب وينتقلون من مكان إلى مكان.. ولما لم يجد سحابة ليركبها إضطر إلى ركوب الطائرة، ولم يزل السحاب حتى الآن طوع امره فى سياحته الروحية..

وهو حتى الآن راهب يصر على أن لا يبدأ يومه إلا بعد صلوات المزامير التى يصليها فى مدينة الأحياء.. فى المقابر التى تمتلىء بالراحلين إلى فوق.. وهو حتى الآن راهب.. لا يعزله عن شعبه إلا إعتزاله بالله.. ولا يفصله عن الناس أحد.. بابه مفتوح، قلبه مفتوح، يستمع إلى أنين المظلومين ، كأنه واحد منهم.. وينفعل بالمتضايقين، وهو محصور بضيقاتهم.. ولا يترك المتضايقين يائسين، إنما يملاء بالرجاء قلوبهم ، وبالأمل طريق حياتهم.. ويطالبك أن تتنازل، فأنت الكبير.. ويجعلك كبيراً أمام العقبات ، قوياً فى الضيقات، صنديداً فى الملمات، وهو فى هذا مرساة نجاة.. وينبوع أمل.. تذهب إليه تعاتبه.. فيملأك حناناً ينسيك كلمة العتاب.. تذهب إليه لكى تناقشه ولديك الإعتراضات الفكرية، فتخرج منه وأنت أشد إقتناعاً بفكر كنيستك.. ولاهوت أورثوذكسيتك.. هكذا هو دوماً مع الناس يصلى لأجل آلامهم.. وشقائهم.. والألم فى نظره هو الإبتعاد عن كلمة الله.. والشقاء هو النأى عن إرادة الله.. فالشعب شقى إذا لم يصلى، يائس إذا لم يصم، عريان إذا لم يتب..

وهو حتى الآن راهب يقسم الليل إلى هجعات ثلاث ويكون نصف الليل صلاة من أجل أبنائه.. وطلبات من أجل الذين ليس لهم أحد يذكرهم.. يذكر القائمين والقاعدين والراقدين والمطروحين والمسافرين والمأسورين والمربوطين برباط السلاطين والشياطين.. يطلب من أجلهم، أن يأتى بهم الرب معه إلى ميناء سالمين غانمين.. كاسبين معافين فى النفس والجسد والروح.. ويضع روحه فى يدى الله .. طالباً أن يستره بأجنحة صلاحه.. وهو فى نصف الليل، وهو فى نصف الليل ، يذكر يوم حشر الناس، ووقف الملائكة، وفتح الأسفار، وكشف الأعمال، وفحص الأفكار، ويطلب الرحمة لكل المؤمنين، طالباً لهم يقظة روحية.. ومغفرة إلهية، وبركة سماوية.. ولم يزل راهبنا.. راهباً يحافظ على رهبنته حتى الآن..

كتاب مفتوح: وبدأ الأنبا دانيال، أسقف الخرطوم، بدأ كفاحه.. كتاب مفتوح.. بدأت فصوله بالعمران الشديد.. والبناء الروحى المجيد.. وكتب صفحات كتابه.. تأسيساً لكنائس جديدة فى نيالا.. وكادوقلى.. وسنار.. والرهد.. وكسلا.. ومقابر الخرطوم.. والشجرة.. وفى عهده إنتعشت حركة العمران.. وإعادة تجديد الكنائس فى كنيسة الشهيدين والخرطوم بحرى والأبيض ومدنى.. وإهتم بخدمة المحتاجين.. وسعى وأسس مع أخيه نيافة الأنبا صرابامون ، أسقف أم درمان، شركة الفادى الخيرية، لكى تكون سنداً للفقراء، وعضداً للشباب، ولقمة خبز طاهرة، تمتزج بعرق الكفاح، والأمل كبير فى تعاون مستمر بينه وبين شقيقه الطوباوى الأنبا صرابامون، فهما معاً ملاكى الكنيسة فى السودان..

وسوف يستمر بهما عمل الرب فى السودان نمواً روحياً.. وتنمية إجتماعية.. وعمقاً فى الحياة مع الرب.. وبركتهما معاً هى رصيد روحى أثمن من الذهب وأغلى من الأبريز.. وكل اللالىء لا تساوى وحدة قلبيهما.. وفى عهديهما يمتد ملكوت الله.. وتنتشر كلمة الله.. ويكون بهما عصراً روحياً فيه الكل يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون.. وهذه توقعاتنا من خلال محبتهما الكبيرة لبعضهما، والتى هى قدوة لنا..

ومع الكنائس بدأت نهضة روحية فى إنشاء دير القديسين: الأنبا أنطونيوس والأنبا موسى الأسود، كأول دير للرهبان فى السودان.. ثم دير الأنبا بولا بجبل الأولياء.. وأديرة الراهبات فى كنيسة السيدة العذراء بالخرطوم.. وفى كنيسة مارجرجس بالخرطوم بحرى.. وتمر الأيام وراهبنا القديس، يهتم بشعبه.. ويهتم بممارسة الديمقراطية فى إختيار الأباء الكهنة.. وفى إختيار الجمعيات القبطية فى الخرطوم والخرطوم بحرى..

وأغلب بقاع الإيبارشية حيث يمارس الشعب إختيار أعضاء الجمعية فى ديمقراطية تتناسب مع حضارة أقباط السودان، حيث يشاركون فى الإختيار وصنع القرار.. وخلال حبريته.. وفى عام ١٩٧٨ أتى إلى السودان قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث، وفى زيارته، زرع المحبة.. وملاء القلوب بالكلمة الحلوة.. وفرح به أهل السودان.. وكان ضيفاً عزيزاً على حكومة السودان.. وهنا سمعنا عن عطائه.. وترنمنا بقصائده فى الشعر الروحى.. وسافرنا معه فى ربوع السودان..وملأ إذاعة أمدرمان.. وشرف تلفزيزن جمهورية السودان، مناقشة وفهماً.. وأعماقاً روحية.. وفى فترة وجود غبطته، تمت ترقية نيافة الأنبا دانيال إلى مطران.. وسط فرحة أقباط السودان.. كمفاجأة سارة.. وذلك فى يوم الأحد ٢٦ فبراير ١٩٧٨.. وفى نفس اليوم وضع قداسة البابا شنوده حجر الأساس لبناء المطرانية الجديدة.. والتى

هى صرح يفتخر به أقباط السودان ، على شارع النيل العظيم.. حيث يتلاقى شموخ الأقباط ، مع شموخ النيل وامجاده..

ومطراننا المكرم، صاحب اليوبيل الذهبى.. للرهبنة فى عهده، دام السلام والإحترام بين كنيستنا المقدسة وباقى الكنائس.. وفى عهده تقف المؤسسات القبطية بعراقتها من خلفه.. تشجعه ويشجعها.. تسانده ويساندها.. يشجع نشاطها الثقافى.. وتشجع هى عمله الروحى..

وقد كانت ولم تزل المكتبة القبطية بروحها العريقة الأصيلة، مركزاً لنشاطه الثقافى.. وقد ولد على يديه الطوباويتين، مولود قوى، ولد عملاقاً، وهو النادى القبطى.. الذى هو فى شباب هذا الجيل.. وقدم الأجيال القديمة.. يؤدى دوره الرياضى، والثقافى، والإجتماعى فى أسلوبه المتحضر.. وكذا المكتبة القبطية بالخرطوم بحرى، والتى كانت ولم تزل تراثاً قبطياً وثقافياً ورياضياً.. كل هذه المؤسسات وغيرها إنتعشت فى عهد الأنبا دانيال وإرتفعت فوق مستوى الصراعات إلى مستوى العطاء الكريم..

تلال الذهب : والكتاب المفتوح مستمر بمشيئة الله.. ونحن نصلى أن تكثر الصفحات.. وتكبر الكلمات.. وتستمر الإنجازات.. وتتحقق المعجزات.. وتلال الذهب هى خمسون عاماً فى الرهبنة، تشكل اليوبيل الذهبى.. وتلال الذهب هى كلمة الله.. لأن كلمة الله أشهى من الذهب والإبريز ، وأحلى من العسل وقطر الشهد..

ولقد إكتشف سفر الرؤيا الذهب عندما رأى سبع منابر من الذهب.. وفى وسط السبع منابر شبه إنسان، متسربلاً بثوب إلى الرجلين، ومتمنطقاً عند قدميه بمنطقة من الذهب.. وقدم ملاك الرؤيا مشورة لكل شقى وبائس وأعمى وعريان وفقير.. أن يشترى ذهباً مصفى بالنار.. لكى يستغنى.. وثياباً بيضاً لكى يلبس.. وكان أيوب البار متأكداً أنه كالذهب.. وإن الله يعرف طريقه.. وإذا جربه فهو يخرج كالذهب..

وراهبنا الذى نحتفل باليوبيل الذهبى لرهبنته، يقف على تلال الذهب، ليس لكى تملكه، إنما لكى يملكها لكل الناس ويوزعها على أبنائه، فيكونون دوما فى نقاء الذهب.. وصفاء الذهب.. وهم معاً يكونون تلالاً من الذهب.. تستمر فى حياة العطاء.. وحتى ينالون أكاليل من ذهبٍ توضع على رؤوسهم مع حبيبهم وراعيهم... الرجل الروحانى الذى يقف حتى الأن على " تلال من ذهب"..

١٠١ . أمسية شعرية في النادي القبطي

روحانية الشعر: أنا من المؤنين جدا بروحانية الشعر. وفى ملتى وإعتقادى أن الشاعر الصادق يقدر أن يملأ القلب سلاماً وهدوءاً.. وفى الوقت نفسه يشعل فى داخله ثورة على الظلم.. والكذب.. والنفاق.. ويصفى الروح وينقيها ويطهرها ويذكيها.. والشاعر الذى كان نجم الأمسية الشعرية فى النادى القبطى هو " عبد الرحمن الأبنودى".. والذى أحبه أهل السودان وحفظوا كلماته لأنهم شعروا أنها كلماتهم. هو قالها عنهم.. وهو قال عن نفسه " أنا شاعر جاى من ضمير الشعب" ولقد لاحظت فى هذه الأمسية الشعرية أن عبد الرحمن الأبنودى.. معروف جداً لدى الكثيرين من الشعب السودانى .. وأهل السودان أهل حساس .. ووجدان .. وهم يقدرون الكلمة، ويقرأون الكلمة ، والمقولة التى تقول : القاهرة تكتب.. ولبنان تطبع.. والسودان يقرأ.. هى مقولة صادقة... وأبسط أهالينا فى السودان يشترون الجريدة اليومية قبل الخبز لأنهم يحبون خبز الحياة.. ولأنهم يفهمون أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله..

والشعراء هم أنبياء العصر ، يحملون لواء الكلمة قوية .. زعيمة.. رائدة.. لها القدرة على التغيير ، نعم لهم القدرة على التعبير.. وبصدق التعبير ، يتغير المجتمع إلى أحسن وإلى أفضل.. وفكرتى الروحية لهذه المرة هى دعوة إلى النادى القبطى وكل المؤسسات القبطية والنوادى الثقافية ، إلى تبنى أمسيات شعرية لا تزورنا كل كذا سنة مرة.. وبعدين تنسانا بالمرة.. إنما على الأقل ليالى شعرية يتم التعاون فيها مع كل المؤسسات الثقافية لكى تكون كل شهر مرة... وسوف نجد رواداً.. وسوف تكون راحة للروح .. وهدوءا للنفس.. وعبوراً إلى الراحة وسط متاعب الحياة..

دعوة إلى الحديث: وقد قدمنا دعوة إلى شاعرنا الشعبى " عبد الرحمن الأبنودى".. من واقع كلماته البسيطة.. النفاذة.. النارية.. وبدأت حديثى بقول: شاعرنا " طه القدال" الذى يقدم شعره ليس باللهجة السودانية الشعبية فقط، إنما باللهجة الشامية، لهجة فلسطين وبيروت ودمشق.. وكان الكلام: النهارده.. نحن أهل الفرحة جينا.. لا المدافع وقفتنا .. ولا الحكايات الحزينة.. ولما كان الفرحة راحت، ما فرحنا إلا بالحق ما بكينا.. ولما درب الرايحه جابنا.. جابنا فى هذى المدينة.. الخرطوم.. النادى القبطى..

وطالبنا الأبنودى أن يتكلم.. خللى عينيك زى فاطنة.. بالنون وليس بالميم.. نايمة صاحية.. زى عروس النشيد " أنا نائمة وقلبى مستيقظ".. أحلى ما يعمل

ياولدى الإنسان فى حياته يزرع ضل "ظل".. والأبنودى يحب أن يغنى ، ونحن أحببنا أن نغنى معه.. مدى الخطاوى يابلدى . مدى الخطاوى.. وغنى وسط حافينها وعارينها.. هو اللى يعشق عيون بلده بيكون خاطى.. خليك وربنا يخليك ، ياأبنودى شايل صراخ اليتامى ولوعة المساكين.. ونحن.. نحنا العرايا.. نحن الحفايا.. نحن فى عرى من الروح.. ومن خفة الروح.. ومن عمق الروح.. نحن جوعى إلى البر..عطشى إلى الكلمة الحلوة التى هى جواز سفر نعبر به إلى قلب الآخر.. حباً وهياماً وسلاماً.. طوبى للجياع والعطاش إلى البر.. إن سفر الرؤيا ، سفر الروح والكشف والجليان ، يخاطب كل واحد فينا ويقول : لأنك تقول أنك غنى.. وقد إستغنيت ولا حاجة لى إلى شىء.. ولا تعلم أنك أنت الشقى والبئس وفقير وأعمى وعريان.. أشير عليك أن تشترى ذهباً مصفى بالنار لكى تستغنى ، وثياباً بيضاً لكى تلبس.. وكحّل عينيك بكحل لكى تبصر (رؤيا ٣:١٣)..
حاول سيدى: ومن كلام الأبنودى قلنا له : فجر النسمة بيندى على القلب الصبور.. والنور بيدخل من حجارة السور.. تبكى سعادة ومحبة ورضى وتسليم.. وكانت أطرا من لمسة حشيش البير... لا تكف عن المحاولة ، بل حاول. لو سكتنا ، يقولوا ضاعوا.. لو وقفنا يقولوا باعوا. وإذا قلنا يقولوا فين الكلمة من رمية حجر.. أعذروا الشعرا إذا خرسوا النهاردة.. وأعذروا الكلمة إذا إحتارت ودارت. وأعذروا العواجيز إذا صمتوا النهاردة.. وإستكانوا للرقاد فى صمت مدة.. وليصمت العاقل فى هذا الزمان ، لأنه زمان ردىء.. وطبعاً نطمئن الشاعر بأنه سوف يأتى وقت ، الصامتون فيه يتكلمون.. ويبدعون.. ويقنعون.. ويعبرون.. إلى الميل الثانى.. وقدر ما قريب ، يا بكره قدر ما إنت بعيد.. وطلبنا من الشاعر أن يسن القلم من جديد.. إتهد السور طلع الإنسان.. ما عادتش الدمعة مكتومة .. صحت صرخة روح محمومة.. مواويل الثورة مواويلك. عطر الأنبياء فى منديلك.. أولادك يا أبو شرار.. أولادك نار.. أفكارك نار. بنات أفكارك نار.. بالطوب عدلوا المقلوب.. وإرمى الطوبه فى القلب ، تهد ميت طوبه، ومش هانتوب عن همك ياأوطانى.. نحن نتوب عن شر الشر ، لكن كيف نتوب ياإنسان عن هم الأوطان ؟.. إنتَ فى عصر للتأمل.. مدفوع الثمن.. والثمن غالى جداً.. عرقك ، تعبك ، فكرك، سجنك، عذابك، أنطق شعرك.. هيا أنطق فمك.. نطق قلبك.. نطق ذهنك.. وأشكر الله الذى نطقك كأشعياء الشاعر الذى تنبأ عن السيد المسيح ، قبل المسيح بما يقرب من ثمانمائة عام..
بارك الرب الذى أفهمك كقول داوُد الشاعر ، صاحب الزابور.. أخرج عن صمتك.. وإتكلم.. إفتح صالونك وعلِم.. من كل القلب .. نحن ندعو لك بالخير ..

بزرع المحبة.. بغرس الفضيلة.. بإحماء وتسخين الروح.. التى فينا ، هى أعظم ما فينا.. والوطن الذى فى أعماقنا..
قصيدة المسيح: وفى الليلة الشعرية سمعنا بصوت عذب شجى ، هو صوت الإبن " مجدى جرجس شفيق" وموسيقى" رفعت عزمى".. سمعنا قصيدة المسيح من تأليف الأبنودى وغناها من قبل " عبد الحليم حافظ" والذى قال عنه مذيعنا المبدع دكتور " إبراهيم عوض" أن الأبنودى كان يقدم لعبد الحليم ، أغانى عاطفية كرشوة لكى يغنى الأغانى الوطنية.. ولقد كان عبد الحليم فى صدق مشاعر الأبنودى.. وياكلمتى لفى ولفى الدنيا طولها وعرضها.. وفتحى عيون البشر للى حصل على أرضها.. على أرضها ، طبع المسيح قدم، على أرضها نزف المسيح ألم.. وإبنك ياقدس زى المسيح، لازم يعود ، يعود على أرضها..

١٠٢ . فم الذهب في وطن الذهب

القرن الرابع: شهد القرن الرابع الميلادي رجلا شهد له الكثيرون بأنه صاحب كلام من ذهب وسمى يوحنا فم الذهب، وبدأ حياته وثنياً، وكان خطيباً مفوهاً وعندما سئل لبيانوس أعظم خطباء عصره وهو يحتضر عمن يخلفه كانت إجابته: يوحنا لو لم يسلبه المسيحيون منا، ولكن يوحنا كان إبناً لقائد الجيش الرومانى، وكانت له أمه أنثوسا مسيحية متدينة عندما رحل زوجها إلى الرفيق الأعلى كرست حياتها لإبنيها حتى قيل عنها : لله در النساء عند المسيحيين، ولم يسرق المسيحيون يوحنا، ولكن يوحنا بإرادته أراد أن يكون مسيحياً وتشّرب روح الحق على يدى أمه التقية التى أرضعته لبن الإيمان وهذبته بالعلوم والمعارف..
لقد كان يوحنا دارساً للقانون ومارس المحاماة نحو عامين.. ولكنه قرر أن يكون مع الروح القدس محامى المؤمنين ، وعاش بالإنجيل حياة الإنجيل، وإنجذب نحو حب الله وإشتاق لحياة التكريس ونال المعمودية وعمره ثلاث وعشرون عاماً.. وزامل القديس باسليوس وتقابل مع الأب مقار، وقيل عنه: إنه لم يحلف قط، ولا إفترى على أحد ما ، ولا نطق بكلمة باطلة، ولا سبّ ولا سمح لنفسه بأى مزاح لطيف، وشعر رئيس كنيسة أنطاكية بهاء طلعة يوحنا، وإنجذب إلى جمال شخصيته وسمح له بمرافقته على الدوام مدركاً ما سوف يكون عليه..
وقرر أن يكرس حياته للرب ويعتكف للعبادة، وشعرت أمه بدنو لحظاته إلى هذا التكريس فدخلت به إلى حجرتها الخاصة وقالت له والدموع تملأ عينيها والكلمات

نبرات حزن وقالت له: إنى أرى فى وجهك صورة أبيك الراحل عنا، ولقد كنت سر تعزيتى فى ضيقتى، وعندما كنت رضيعاً كنت أتعزى بك، فلا تدفعنى إلى الترمل ثانية، ولا توقظ فىّ الحزن القديم، إنتظر موتى، لقد بقى لى قليل ثم أرحل، عندما توارى جسدى التراب، لا يوجد ما يعوقك، لكن ما دمتُ حية فإقبل الحياة معى..

وأخر يوحنا رهبنته وعاش ناسكاً ومعلماً للإيمان ونبغ فى الوعظ نبوغاً عظيماً، وكان معلماً قوياً مفصّلا كلمة الحق بإستقامة، وشعر الناس بقيمة كلماته وشعروا بأنها أغلى من الذهب، وأعطوه لقب " فم الذهب" وإستمر فم الذهب يقدم كلمات من ذهب ويكتب كتابة من ذهب حتى إنتهت رحلة حياته، وذهب وإعتلى كرسى بطريركية أنطاكيا وعاش رحلة آلام إجتازها بقلب من ذهب، وكان دوماً يقول: مبارك هو الله فى كل شىء، ليكن إسم الرب مباركاً إلى الأبد..

وطن الذهب: وإذا كان السودان هو وطن الذهب، فقد حمل إسم النوبة التى تعنى " الذهب" فإن المواطن النوبى كان يهتم بذهب أنقى من هذا الذهب الفانى ولم يشغله الذهب عن حياته مع الله، جاء كثيرون من الخارج وسرقوا الذهب وجاء آخرون وعاشوا بجوار مناجم الذهب وعمرّوا ميناء الذهب، ولكنهم ذهبوا وتركوا الذهب بل بعضهم راح ضحية المعارك التى دارت حول هذا المعدن النفيس، وعاش بعض الملوك يحملون صليباً من ذهب والبعض الأقل منهم يحملون قلوباً من ذهب، والأقل جداً يتكلمون بفم الذهب ويدركون قيمة الكلمة ويستمعون لنصيحة سفر الرؤيا" أشير عليك أن تشترى منى ذهباً مصفى بالنار لكى تستغنى " وكان هذا توبيخاً له لأنه يقول " أنا غنى وقد إستغنيت ولا حاجة لى إلى شىء، لقد عاش ملوك النوبة يحتقرون الذهب، وعندما أرسل قمبيز إمبراطور الفرس هدية هى سوار من ذهب، إعتذر قائلا: عندنا من هذا كثير، ولم يهتز قلبه لذلك الذهب إنما أرسل حاملو الذهب الموفدين إليه إلى سجون النوبة، وفى السجن رأوا أن القيود التى يكبل بها المساجين هى من ذهب فإندهشوا لهذا، وقال لهم كلام من ذهب هو : قولوا لملك الفرس إن ملك النوبة لا يرغب فى توسيع مملكته ولا يرغب فى السطوة على أملاك الآخرين، وكأنه يرسل رسالة إلى الملك يؤكد فيها : إنه غنى، وإن عينه مملوءة بخيرات الله التى أعطيها، ولا يرغب فيما للآخرين..

وعاش ملوك النوبة يحملون صولجان عدل من ذهب، كان الصليب فى أيديهم ذهباً رمزاً للنقاء والطهارة والعدل، وعدم إختلاط بالمبادىء الفارغة لأن الذهب يرفض التعاون مع المعادن الرخيصة.. وفاقت شهرة ملوك النوبة كل شهرة.. وصار موضوع حديث العالم هو كلامهم الذى كالذهب فى النقاء، والصفاء، وإختيار اللمسات الحانية الرقيقة، ونطق الرسول الكريم عنهم: بأنهم عندهم ملك لا يظلم

الناس عنده، وجاء أول المسلمين هجرة إلى ممالك النوبة ليس مرة واحدة، وإنما مرتين..
وعندما طلب من الملك تسليمهم للإعداء رفض رفضاً باتاً وقال كلمات من ذهب في حق هؤلاء المهاجرين، وقال الرسول الكريم إعجاباً بأبناء النوبة حديثاً شريفاً طالب فيه : من ليس له أخ أن يتخذ أخاً نوبياً لأن عنده الجرأة، ولأن له الإمكانية أن يقدس الأخوة، لقد كانت كلمات الملوك الذين تركوا عروش الذهب وذهبوا إلى حياة أغلى من الذهب، هى كلمات من ذهب، والأمر يحتاج إلى مزيد من متابعة كلمات ملوك النوبة التى أكدت إن فمهم كان فم الذهب..

١٠٣ . من ذهب مروي إلى سد مروي

ذهب مروى: قام الدكتور صلاح عمر الصادق بترجمة كتاب " كارل هانز بريشة" عن ذهب مروى، ذلك الذى إمتلأت به مملكة مروى والتي حكم ملوكها السودان لمدة ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وبصورة متواصلة من ٩٠٠ ق.م إلى ٣٥٠ م.. وفى متحف برلين وميونيخ الآن ثلاث قاعات تمتلىء بذهب مروى والتى شيدت في حضارتها ٢٦١ هرماً ، وكان كل هرم يمتلىء من الداخل بذهب الملوك وفوق قمة الهرم كان هناك هرم من ذهب.. ومر على مملكة مروى ملكات كنداكات، والمرأة لها رغبة لا تتوقف فى إقتناء الذهب، وما وجد عند الملكة " أمانى شختو" من حلي ذهبية شىء كثير جداً، وجميل جداً، تتجلى فيه صور رقى وتقدم وحضارة مملكة مروى في نقوش ذهبية جميلة تضارع وتتفوق على نقوش اليوم..
وفي تقرير متحف برلين ومتحف ميونيخ حديث عن ملك بافاريا لودفيج الأول والذى إشترى سنة ١٨٤٠ أجمل القطع من الكنز الذهبى غير العادى، والذى مثله مثل قصة خرافية، وكان قراره شجاعاً فى نظرهم لأن جذب الذهب السودانى إلى هناك سوف يساعد على زيارة أهل أوربا له.. وعندما نذكر ذهب مروى نذكر أمهر لصوص الآثار سارق الذهب الطبيب الإيطالى جوزيف فرلينى والذى قال عنه صلاح الصادق: إنه لص وضيع يسرق ضحيته ويتعالى عليها، وأما اللص الإيطالى فيقول: إنه عندما فحص الذهب كان الفرح يغمره كلياً وأعجب بصناعة القطع الذهبية وعندما رأى كمية الذهب أدرك إنها تفوق عدداً وعظمة كل ما يوجد فى متاحف أوربا، وأحس بأن أعمال نحت الحجر فى مروى ليس لها نظير وهى أحسن من أعمال الإغريق بل تفوقها روعة ، وإنه عندما فكك الهرم عثر على قطع من الحبل

المجدول من أغصان النخيل ومطارق من الخشب يبدو إنها تركت سهواً من بنات الأهرام، ونشر فرلينى تقريره عن مكتشفاته لكى يبيعها..

إن مروى حضارة قديمة وأصيلة ذات فن مروى متميز فى صناعة الذهب، وفى تماثيل الآلهة والملوك، وفى علامة الحياة والنحت البارز وأختام الدروع خواتم الصوابع وعقود اليشب والعقيق وأقراط الأذن الصغيرة والجميلة ، والدلايات والخرز، ورؤوس الثعابين والجعارين والعين والقلب والسمكة والفواكه والتمائم.. والكباش، والأسود الصغيرة.. ورسومات الحية ربما ترمز إلى وعد الله لحواء إن نسل المرأة يسحق رأس الحية ولأن الحية أحيل حيوانات البرية ، ولأن الحية أيضا تمتاز بالحكمة، كونوا حكماء كالحيات، والحكمة مطلوبة لملوك مروى الذين ينبغى أن يكونوا حكماء وعادلين..

سد مروي: وننتقل من الذهب إلى الذهب، لأن ذهب مروى قد ذهب منا وضاع والآن مروى موعودة بما هو أثمن من الذهب بذهب يأتى إلى السودان بالكهرباء والزراعة من ماء النيل الذى كان يذهب هباءاً منثوراً.. وسوف تصبح مروى هى مملكة الزرع والضرع والطاقة حيث تبدأ حضارة بيد الإنسان فى مشروع القرن..

سد مروى.. ولقد ولدت فكرة السد منذ ستين عاماً بالتمام والكمال كما يقول إستطلاع العربى سبتمبر ٢٠٠٦م، وكان تقرير العلماء إن منطقة مروى هي أفضل موقع لإنشاء خزان لحماية الآراضى المصرية، لأن التقرير من دراسات مصرية، من الفيضانات المدمرة وتخزين كميات المياه الزائدة عن الحاجة للإستفادة منها فى فصول الجفاف..

وأثبتت الدراسة إن ماء يمكن أن يحجز حتى مستوى ٢٩٨ متراً، وقد بدأت منذ أمد عدة دراسات كلها أكدت على موقع السد الحالى ، وبدأ العمل والذى يقف وراءه التمويل العربى والحس العربى الذى حول حلم السودان إلى حقيقة..وكان التمويل من صناديق عربية، الصندوق العربى للإنماء الإقتصادى والإجتماعى، والصندوق السعودى للتنمية، وصندوق أبو ظبى، ومساهمات حكومة قطر وما دفعته دولة الصين الشعبية.. وبدأ العمل فى السد على قدم وساق، وعرض السد الخرسانى ثمانون متراً .. وإرتفاع سبعون متراً، وتستخدم فيه الحجارة الطبيعية..

وقد تم تحويل مجرى نهر النيل بسهولة لأن السد يقع فى جزيرة صغيرة وإن كان أمر التهجير ليس سهلا بل تقابله العديد من المشاكل التى سوف يجتازها الشعب السودانى من أبناء مروى لصالح أخوانهم فى الوطن ولصالحهم أيضا..

وكما تقول مجلة سد مروى : إنه مع مضى عجلة الزمن يرتفع جسم سد مروى ويزداد كل يوم شموخاً يحكى ملحمة إلتقت فيها الخبرات المتعددة من أجل نماء

السودان.. وخلف الكواليس تعمل الأيدى بصمت من أجل بلوغ الهدف والوصول إلى الغاية بسريان الكهرباء عبر الأسلاك إلى كل أجزاء السودان..

وإننى أرجو وأصلى أن يكتمل المشروع بخير وسلام وأن يكون خيراً لنا وتخفيضاً لسعر الكهرباء، وأرجو أن لا يكون حلمنا فى كهرباء سد مروى مثل أحلامنا عن البترول الذى رغم إننا ننتجه يتزايد سعره زيادة لا تحتمل، لقد رأى يوحنا الرائى فى رؤياه سبع منائر من ذهب، وآمل أن أرى مروى تنتقل من الذهب الأصفر لى ذهب هو الكهرباء يملأ حياتنا رخاء ونماء.. والتحية لكل العاملين فى السد وفى إنتظار الخير أتمنى لكم كل خير..

١٠٤ .دبلوماسية الذهب

سفر أيوب: إن الحديث عن الذهب يملأ صفحات الكتاب المقدس، فالذهب معدن له بريق لامع جميل ولا يتقادم مع الزمن ولا يفقد لونه ولا ألق الجمال فيه..وفى سفر أيوب تحديداً أكثر من حديث عن الذهب.. ويبدأ الحديث بمناجاة نحو الله يقول عنه أيوب: لأنه يعرف طريقى.. إذا جربنى أخرج كالذهب، بخطواته إستمسكت رجلى.. حفظت طريقه ولم أحد من وصية شفتيه لم أبرح.. أكثر من فريضتى ذخرت كلام فيه (أيوب ٢٣)..

لقد كان الله واثقاً من أيوب وكان أيوب واثقاً من مكانته عند الله.. وعندما مثل الشيطان أمام الله وسأل فى خبث ماكر : هل مجاناً يتقى أيوب الله ؟ أليس لأنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية ؟..باركت أعمال يديه فإنتشرت مواشيه فى الأرض.. وكان لابد لأن يرفع السياج عن أيوب لأن الرب كان متأكداً منه.. وهكذا أيوب يقول: إنه يخرج كالذهب من التجربة وفعلا قد كان.. وإذا كانت التجربة ناراً فإن الذهب ينقى بالنار ويستخرج منه أى معدن رخيص عالق به.. ولكن لنار الذهب ميزان لا تتخطاه، ولنار التجربة ميزان لا تتعداه تأديباً أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى.. الرب يعطى التجربة ومعها المنفذ، والمنفذ كوى تنفتح نحو سماء التعزيات..

جزنا فى النار والماء وأخرجتنا إلى الراحة.. وعاد أيوب ينطق بمثله فقال: حى هو الله الذى نزع حقى.. والقدير الذى أمرّ نفسى إنه ما دامت نسمتى فىّ ونفخة الله فى أنفى لن تتكلم شفتاى إثماً ولا يلفظ لسانى بغش.. ثم بدأ يتحدث عن معادن الأرض حيث لها مكان محدد ولكن الحكمة أين توجد وأين هو مكان الفهم ؟

والحكمة غالية ثمينة لا توزن بذهب أوفير أو بالجزع الكريم أو الياقوت الأزرق، لا يعادلها الذهب ولا الزجاج، ولا تبدل بإناء ذهب إبريز.. لا يذكر المرجان أو البللور، وتحصيل الحكمة خير من اللآلىء، لا يعادلها ياقوت كوش الأصفر، ولا توزن بالذهب الخالص.. ولكن الله نظم كل شيء لأنه يوجد للفضة معدن.. وموضع للذهب حيث يمحصونه..

الحديد يستخرج من التراب، والحجر يسكب نحاساً ، حفر منجماً بعيداً عن السكان بلا موطىء للقدم متدلين بعيدين عن الناس يتدلدون.. أرض يخرج منها الخبز.. أسفلها ينقلب كما بالنار، حجارتها هى موضع الياقوت الأزرق وفيها تراب الذهب.. سبيل لم يعرفه كاسر ولم تبصره عين باشق، ولم تدسه أجراء السبع ولم يعده الزائر.. ينقر فى الصخور سرباً وعينه ترى كل ثمين، يمنع رشح الأنهار وأبرز الخفيات إلى النور (أيوب ٢٨)..

وكل هذا الحديث عن الذهب وعن الياقوت يعنى إن لكل شيء مكان.. وإنه الله نظم المسكونة وضبط كل الأشياء لأنه ضابط الكل، ولكن الحكمة تحتاج إلى بحث وتدقيق.. والله يعرف ما هو مخفى، ويقول للإنسان: هوذا مخافة الرب هى الحكمة والحيدان عن الشر هو الفهم، وهذا أغلى الجواهر فى الحياة.. ويعود أيوب ليقول : إنه إعتمد فقط على الحكمة ولم يتكل على الثروة ذهباً أو أبريزاً أو ثروة حيوانية تغوى القلب وتبعد الإنسان عن الله، وأيوب عاش لله كل الحياة وهو يقول: إن كنت قد جعلت الذهب عمدتى أو قلت للإبريز أنت متكلى، إن كنت قد فرحت إذ كثرت ثروتى ، ولأن يدى وجدت كثيراً ، إن كنت قد نظرت إلى النور حين ضاء أو إلى القمر يسير بالبهاء، فهذا أيضا إثم يعرض للقضاة لأنى أكون قد جحدت الرب من فوق (أيوب ٣١).. لقد كان أيوب يملك إيماناً وكانت تزكية إيمانه أثمن من الذهب الفانى مع إنه يمتحن بالنار، وتزكية الإيمان توجد للمدح والكرامة والمجد فى اليوم الأخير..

دبلوماسية الذهب: كان الذهب السودانى فى أيام الفراعنة أهم سلعة متبادلة بين مصر والسودان، لقد حظى الذهب بأهمية قصوى عند قدماء المصريين لأنهم عرفوا قيمته الجمالية ، وميزته بين المعادن الأخرى، فهو بالإضافة لبريقه ولمعانه الجذاب لا يصدأ ولا يتحلل، لقد كان رمزاً للخلود المجيد والأبدية السعيدة، لقد صنعوا منه أجمل الحلى والتماثيل الصغيرة.. شبّهوا أجسام الآلهة بالذهب عندما قالوا: " حورس الذهبى".. ومن ناحية اخرى كما تقول دكتورة سامية دفع الله فى كتابها" تاريخ الحضارات السودانية القديمة" إكتسب الذهب فى عصر الدولة الحديثة قيمة دبلوماسية خاصة بعد إتصال المصريين بحكام سوريا وملوك الحثيين حيث أصبح

الذهب وسيلة إغراء لهؤلاء الحكام والملوك يقدمها فرعون مصر لتقوية أواصر الصداقة مع عميل متذبذب أو لإكتساب حلفاء وأصدقاء جدد..

وفي داخل مصر كان يهدي في ميداليات للمتميزيين والمقربين رفعاً لمكانة الملك الأدبية ، وعملا على بسط نفوذه على موظفيه، وحثاً لهم على الإستمرار فى العمل الدؤوب.. وفى السودان عندما أرسل الملك قمبيز الفارسى هدية من ذهب لملك النوبة قال: إن عندنا كثير منها، وأرسل رسل الملك لزيارة السجن وهناك وجدوا إن قيود المساجين من ذهب.. وعن دبلوماسية الذهب أقول : إن الدبلوماسية عليها الآن أن تقدم كلاماً من ذهب تكسب به الآخر.. وتحترم حقوقه، وسيادة بلاده، ودبلوماسية الذهب تعنى أن نكسب كل دول الجوار، نكون نحن كالذهب نقاءً وشفافية.. ونعطهم ذهباً هو تصريحات بعيدة عن التوتر وقريبة جداً إلى السلام والإطمئنان، بكلمات مصفاة منتقاة لا تجرح مشاعر الغير، إنما تدفعهم نحو تبادل المحبة معنا..

١٠٥ . أفكار من ذهب

كفاح فيّاض: سلك اللبنانى الحالم طريق الكفاح.. وصار كفاح مثلا أعلى فى الكفاح، فلقد تخصص فى تطوير الموارد البشرية وهو يعيش الآن فى دولة الإمارات تجربة ناجحة حيث أسس مركز " برين باور" للتدريب والتطوير.. ويشغل منصب مديره العام، وقد قفز قفزة نوعية فى فترة زمنية قصيرة على الصعيد المهنى من خلال تطبيق التقنيات، وإكتسب أسلوباً متميزاً فى التدريب وتوصيل المعلومة، وقام بتدريب آلاف الأشخاص ومئات المديرين فى عواصم بلادنا العربية، ولديه المؤلفات العديدة التى تعتمد على الوسائل السمعية والبصرية والمكتوبة والتى تجيب على أسئلة مهمة..

كيف تبتدىء وتدير عملا حراً ؟.. كيف توظف، تحفز، تدرب، وتقيّم مندوبى المبيعات ؟.. كيف تكتسب ذاكرة ممتازة ؟.. وقد قالوا عن كفاح: إن لديه الحماس الصادق ويملك علماً ومعرفة ودراية بفنون الإدارة ومهارات التنمية للموارد البشرية.. وقالوا عنه: إن أسلوبه سلس، وسهل، وشيّق، وراقى، يساعد المشتركين على الإستفادة بسرعة كبيرة وبطريقة عملية، وإن أسلوبه جديد من نوعه، عملى ومتميز، حيث إن المعلومات ترسخ فى أذهان المشاركين من خلال الأمثلة والقصص والآداء المتميز.. ويقول كفاح: إنه يحب قراءة سير الأشخاص

الذين بدأوا كفاحهم من الصفر، ويقدم تجاربهم وخبراتهم دفعاً لمسرة النجاح فى الحياة، ولكى يقتفى رجال الأعمال إثر خطوات هؤلاء الناجحين.. وينظروا إلى سيرة جهادهم ويتمثلوا بعطائهم..

وفي كتاب " أفكار من ذهب" والصادر عام ٢٠٠١م مجموعة من الكلمات المكثفة المختارة بعناية ودقة بحيث تشكل كل كلمة منها حكمة، وكل حكمة درساً من تجارب الحياة.. ويهدى كتابه إلى كل إنسان يطمح أن يكون حاضره أفضل من أمسه.. وغده أفضل من حاضره.. وذلك من خلال التطوير المستمر والتنافس مع الذات، وزرع الأفكار الإيجابية بانتظام وإستمرار.. والكتاب من مائة صفحة ويختتم بقوله: تعلمت أولا وأخيراً أن أحمد الله على كل حال.. وهو يبدأ أقواله: بأن يقول تعلمت.. لقد تعلم.. وتعلم.. وهو يفتح أمام من يقرأ له.. ومن يستمع إليه طريق التعلم من تجارب الآخرين.. والوعى بمكنونات الحياة..

أفكار من ذهب: قال الدكتور كفاح: إنه إنسان مدمن على القراءة والتعلم من تجارب الآخرين، وإنه كان يجمع ما يتعلمه من دروس وعبر كالذى يقطف أزهاراً من بستان الحياة الملىء، والغنى بمختلف التجارب، وكانت تجربته كمحاضر للآلاف لها الفضل الكبير فى الإحتكاك مع العديد من الناس بمختلف أفكارهم وميولهم وقناعاتهم.. ويتمنى كفاح أن يكون كتابه خفيف الظل.. قوى التأثير.. رافعاً للمعنويات لنواجه الحياة بطريقة متماسكة..

وعن رفع المعنويات أذكر هنا عدداً من كتبة الكتاب المقدس والذين تخصصوا فى ذلك.. أذكر منهم أشعياء فى العهد القديم ، وبولس الرسول فى العهد الجديد، ويقول أشعياء: لا تخف ياعبدى يعقوب لأنى أسكب ماء على العطشان وسيولا على اليابسة.. أسكب روحى على نسلك، وبركتى على ذريتك فينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجارى المياه.. لا ترتعبوا ولا ترتاعوا، أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك ؟ فأنتم شهودى، هل يوجد إله غيرى ولا صخرة لا أعلم بها؟.. قد محوّت كغيم ذنوبك.. وكسحابة خطاياك، إرجع لأنى فديتك، ترنمى أيتها السموات لأن الرب قد فعل، أهتفى ياأسافل الأرض، أشيدى أيتها الجبال ترنماً (أشعياء ٤٤)..

أما بولس الرسول فإنه يرفع شعارات من ذهب لرفع المعنويات يقول فيها: الرب معنا فمن علينا ؟ لذلك قوّموا الأيادى المسترخية والركب المخلّعة.. أشكر إلهى كل حين ذاكراً إياك فى صلواتى، سامعاً بمحبتك، والإيمان الذى لك نحو الرب يسوع وجميع القديسين.. لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح..

أما الدكتور كفاح فقد ذكر العديد من الكلمات لرفع المعنويات.. وقصد أن يتعلم من كثيرين، ولهذا هو يقول: (١) تعلمت الكثير من"أنديرا غاندى"عندما قالت: لقد علمنى جدى إن هناك نوعين من البشر، النوع الأول هو الذى يقوم بالعمل وينجزه.. والنوع الثانى الذى يتلقى الثناء والتقدير، وقد طلب منى أن أكون من النوع الأول لأن المنافسة هناك أقل بكثير.. (٢) تعلمت من "روس بيرو" قال: تذكر دائماً إن الحياة تشبه كثيراً مباراة للملاكمة، لا يهم إذا خسرت أربعة عشر جولة ، كل ما عليك هو أن تسقط منافسك بالضربة القاضية خلال ثوان، وبذلك تكون الفائز الأول.. (٣) تعلمت الكثير من قصة حياة "براهيم لنكولن" فى الصمود والإصرار والعزيمة، لقد فشل فى الأعمال الحرة أكثر من مرة، وخسر فى الإنتخابات أكثر من مرة.. وفشل فى أن يكون نائباً للرئيس أكثر من مرة، ولم يوفق أن يأخذ لقب سناتور، بدأ هذا الكفاح من عمر ٣١ سنة ولم يحقق النجاح سوى فى عمر الستين عندما أصبح الرئيس الثانى عشر للولايات المتحدة الأمريكية..

١٠٦ . المدينة الذهبية

رمزية الذهب: لقد شبه الإنسان بالذهب، وذلك تأكيداً لمدى نبل الإنسان الذي وإرتفاع قدره.. وقد إستنكر أرميا النبى الباكى على الإنسان ،قدره قدر الذهب، كيف يتكدر، وقال: كيف ! كدر الذهب تغير الإبريز الجيد إنهالت حجارة القدس فى كل شارع، بنو صهيون الكرماء الموزونون بالذهب النقى كيف حسبوا أباريق خزف عمل يدى فخارى (مراثى أرميا ٤).. وهذه إشارة إلى أن الإنسان الذى هو ذهب ، ويوزن بالذهب، قد تكدر وتغير وصار فى قيمة الخزف والذهب طبعاً أغلى من الخزف بكثير..

على نفس المنوال يتحدث بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس ذاكراً ما يحدث بين الناس، فبعضهم نقى كالذهب له قدر وقيمة ، وبعضهم مثل الخشب أو الخزف، ولكن فى بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط، بل من خشب وخزف أيضا، وتلك للكرامة ، وهذه للهوان، ويطلب من المؤمن أن يكون فى نقاء الذهب وكرامة وصفاء الإبريز لأنه إن طهر أحد نفسه من الشرور يكون إناءً للكرامة ، مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح..

ويتحدث داؤد فى الزابور عن جمال إبنة الملك كلها مجد، إبنة الملك في خدرها، منسوجة بذهب ملابسها (مزمور ٤٥:١٣) ويصف يوحنا فى الرؤيا الملائكة :

بأنهم يتمنطقون بمناطق من ذهب ويحملون جامات من ذهب، (رؤيا ٤).. أما الكهنة فإنهم يمسكون مجامر من ذهب مملوءة بخوراً هو صلوات القديسين..
المدينة الذهبية: وفى الجزء العاشر من كتاب " مصر القديمة" يكتب الأستاذ سليم حسن عن علاقة مصر ببلاد النوبة ، وعندما يذكر العصر الطينى يستشهد بما ذكره علماء الروس فى بحثهم فى القبطيات : إنه منذ العهد العتيق أخذ المصريون يوطدون التجارة والعلاقات الثقافية مع الأقوام والقبائل المجاورة فى حوض وادى النيل، ويؤكد ذلك أنواع المواد التى جلبت إلى مصر من البلاد المجاورة وبخاصة الذهب والعاج والنحاس، فقد تسلم المصريون الذهب من الصحراء الشرقية الواقعة بين النيل والبحر الأحمر، وكانوا يجلبونه غالباً من الجزء الجنوبى من هذا الإقليم الواقع جنوبى طريق قفط القصير، والواقع إن المركز الرئيسى على أية حال للذهب هو النوبة الواقعة على الحدود الجنوبية لمصر، وقد أرسل المصريون إلى بلاد الجنوب فى أثناء طلبهم الذهب منذ الأزمان القديمة، وقد إجتهدوا أولا فى إختراق مجاهل هذه الأقاليم ثم عملوا على الإستيلاء عليها ، وفى الوقت نفسه عملوا على إيجاد روابط تجارية مع القبائل المتوطنة هناك..

يقول العلماء الروس : إنه من الجائز إن هذا السبب نفسه هو الذى من أجله سميت العاصمة الجديدة لمصر العليا المدينة الذهبية (نبتى).. ومن هذه العاصمة ؟ وهو يقصد هنا (نبتة) كانت تخرج الطرق التجارية ممتدة شرقاً وجنوباً، وهذا يعنى إن إسم الذهب يطلق على النوبة الوطن، كما يطلق على العاصمة نبتة، وقد عثر على مقابر قديمة وجد فيها كميات من القلائد الذهبية والإسورة الذهبية والسكاكين الذهبية المحلاة بالذهب، بل إن الكلمة المصرية الدالة على الذهب كانت تكتب بإشارة هيروغليفية تدل على قطعة من المجوهرات، ويدل شكلها الظاهرى على إنها قلادة محلاة بالخرز..

ومن المعروف إن الذهب كان كثير جداً فى النوبة وطن الذهب، بينما كان النحاس قليلا، ولهذا فقد إستعمل أهل النوبة واهل مصر الذهب فى الزينة رجالا وسيدات، بل إنه فى النوبة كانت السلاسل التى تقيد المساجين مصنوعة من الذهب، وكان مواطن النوبة عينيه قد إمتلأت من نظر الذهب، كما إستعمل سن الفيل العاج فى مصر والسودان لصناعة مختلف أدوات الزينة، وكان سن الفيل يجلب من النوبة إلى مصر، حيث يكثر إستعماله، وقد سميت جزيرة الفيلة فى أسوان بهذا الإسم لأن الفيلة كانت تصل إلى أسوان مُحمّلة بالهدايا، وكان سن الفيل يستعمل فى الزينة، ووجدت فى المقابر القديمة الكثير من هذه الآثار وأطباق الزينة والقلائد، وكان المصرى القديم يحب الذهب حباً جماً، ولهذا إتجه إلى جنوب الوادى إلى النوبة

ليسميها بلاد الذهب، ويحصل منها على الذهب سواء كان بالحروب أم بالتبادل التجارى..

١٠٧. هل يصدأ الذهب ؟

نقاء الذهب: إرتبط الإقتصاد بالذهب منذ الآزمان القديمة، وكان الملوك كنوع من الأبهة والجلال يلبسون تيجاناً من الذهب، وإهتمت المرأة بالذهب زينة لامعة تتلألأ فى يديها وفى أذنيها وعلى صدرها.. وأحياناً فى قدميها سلاسل وأساور وخواتم وخلاخيل وحلقان.. وعندما بدأ جدعون يكون حاكماً وقاضياً لأبناء يعقوب طلب منهم أقراط الذهب التى عندهم، وفرشوا رداءً وطرحوا عليه كل واحد أقراط غنيمته وكان وزن أقراط الذهب ألف وسبعمائة شاقل، ما عدا الأهلة والحلق وأثواب الأرجوان والقلائد التى فى أعناق الجمال (قضاة ٨)..

وهذا يعنى إن الإنسان لم يتزين بالذهب فقط، وإنما زين الحيوان أيضا به.. وعندما بدأ عزرا الكاهن بجمع تبرعات لبناء هيكل الرب كانت حصيلة التبرعات واحداً وستين ألف درهم من الذهب (عزرا ٢:٦٩).. وكان فى هذا الزمان قد تعامل الإنسان بدراهم من ذهب، وكان هذا التعامل بالذهب سارياً فى زمن السيد المسيح حتى إن بطرس على باب الهيكل نظر إلى الرجل الأعرج الذى كان يتطلع إليه طمعا فى ذهب أو فضة وقال له : ليس لى ذهب ولا فضة ولكن الذى لى فإياه أعطيك ، بإسم يسوع المسيح الناصرى قم وإمش، فوثب ووقف وصار يمشى ويطفر ويسبح الله (أعمال ٢)..

وبولس الرسول يفتخر بأنه خدم الناس خدمة مجانية ولم يتقاضى منهم أجراً ذهباً أو فضة وقال: فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته، أنتم تعلمون إن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان (أعمال ٢٠:٣٣).. والذهب يوضع فى النار لكى يتحرر من الزغل الذى فيه ويصبح ذهباً نقياً.. والمؤمن يجرب بالتجارب ويمتحن بالإبتلاءات حتى يصير نقياً أمام الله والناس، وهوذا أيوب يفتخر بأن الله عندما جربه وإبتلاه خرج نقياً كالذهب، لأنه يعرف طريقى إذا جربنى أخرج كالذهب بخطواته إستمسكت رجلى (أيوب ٢٣:١٠)..

وكانت نصيحة صديق أيوب لأيوب : أن يلقى أغلى شىء عند قدمى الله حيث قال : إن رجعت إلى القدير تبنى، إن أبعدت ظلماً من خيمتك، وألقيت التبر على

التراب وذهب أوفير بين حصا الأودية ، يكون القدير تبرك وفضة أتعاب لك، لأنك حينئذ تتلذذ بالقدير وترفع إلى الله وجهك (أيوب ٢٢)..

صدأ الذهب: والذهب الذى ينبغى أن لا يصدأ يعلوه الصدأ عندما يكون الإقتصاد ظالماً للآخرين، عندما لا يهتم صاحب العمل بالعمال الذين هم جزء لا ينسى فى الإنتاج، عندما لا يعطون أجرهم قبل أن يجف عرقهم، ولهذا يتحدث يعقوب عن حقوق العمال ويبكت الأغنياء ويؤكد لهم صدأ الذهب الذى فى أيديهم بسبب ظلمهم الصارخ لعمالهم وأجرائهم، ويأتى التوبيخ قاسياً وعنيفاً ، يتنبأ بمستقبل مظلم للظالمين : هلم الآن أيها الأغنياء أبكوا مولولين على شقاوتكم القادمة ، غناكم قد تهرأ، وثيابكم قد أكلها العث، ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار.. قد كنزتم فى الأيام الآخيرة، هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المنجو منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود.. قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما فى يوم الذبح، حكمتم على البار، فتلتموه، لا يقاومكم (رسالة يعقوب ٥)...

ونحن هنا نقف أمام أبلغ رسالة إنسانية فى عالم الاقتصاد، رسالة توجه رأس المال نحو الطهارة والنقاء، وتطالب أهل الإقتصاد أن لا ينمو رأس المال على حساب الضعفاء والمقهورين من العمال، وهذه الرسالة هى من أقوى الرسائل في حقوق الإنسان، وعلى الأخص حق الأجر لمن يعمل، وهذا تعليم لكل المؤمنين أن لا يحاولوا التوفيق بينهم وبين مواقف العالم نحو الغنى والثروة، لأن مجد الثروة يخبو، ولأن الثروة لا مانع من تحقيقها لكن مع إحترام حقوق العاملين معنا، ونحن جميعاً مسئولون عن كيفية إستخدام ما لدينا، وينبغى أن لا نسعى إلى إدخار المال لأنفسنا دون أن نكون كرماء نحو الآخرين، كما لا يجب أن ننبهر بالأثرياء ونزدرى بالفقراء، وليس فقط إرتكاب الخطأ هو الخطية ، ولكن الخطية تكمن فى عدم فعل الصواب.. والحديث ليعقوب ليس عن حقارة الآثرياء بل عن حقارة الثروات التى تجمع ظلماً من أناس ضعفاء..

ويكمل رسالة يعقوب ما جاء فى مراثى أرميا: كيف أكدر الذهب ؟.. تغير الإبريز الجيد، الكرماء الموزونون بالذهب النقى كيف حسبوا أباريق خزف عمل يدى الفخارى، إن الذهب يصدأ إن لم ندخله فى نار معترك الحياة، ونجعله خادماً لنا وتحقيقاً للقيم النبيلة وطريقاً للفضيلة.. وعطاء للآخر وعلى الأخص حقوق العمال الفعلة الذين يحققون للإقتصاد وفرة الذهب..

١٠٨ . بدأ بالسجن ثم إقتنى الذهب

بدأ بالسجن: إن السجن تجربة قاسية ، وقرأت فيما سبق لقاضى قانونى لديه إحساس بالعدالة ، نصح أهل القانون أن يتجنبوا عقوبة السجن لما تتركه من آثار إجتماعية، وخراب للبيوت، ودمار للمستقبل، وذلك لأن السجين نغلق أمامه الأبواب ويكون رزقه صعباً، وربما يكون هذا سبباً في إنحدار الأخلاق عنده رغم إن الذى يملك الأخلاق يملك الحياة كلها، ويملك الحرية حتى ولو كان فى غياهب السجون، وبدأ يتردد عند الناس إن السجن للرجال ربما لأن الرجل الذى هو رجل فعلا يحّول السجن إلى تجربة روحية ناجحة ، وأعلم إن كتاب " سياحة المسيحى" وهو كتاب رمزى قوى كتبه مؤلفه وهو فى غياهب السجون..

والسجين الذى نتحدث عنه اليوم ، دخل إلى السجن ظلماً وبهتاناً، دخل إلى السجن لأنه إلتزم بالفضيلة ، كان عبداً فى بيت مدير البوليس ولكنه فى داخله كان حراً لا يستعبده الشر ولا يخضع لنزوة ما، ولا يغير مبادئه لأجل ثروة، ولا يرغب فى لذة الخطية أو وهم اللذة لأنه يعرف سر السعادة الحقيقية، هذا السجين طلبت منه إمرأة رئيس الشرطة أن يختلى بها ويتلذذان أو يسرقان اللذة معاً ، وهو عبد لا حول له ولا قوة، وكان عليه أن يطيع، وأن يخضع،وهذه المرأة قد إفتتنت به وبجماله حتى إنها لكى تؤكد للنساء اللاتى أوقعاها فى ملامة إنهن ممكن أن يقعن مثلها، وأتت بأطباق من تفاح وسكاكين من ذهب حاد وقدمته للنساء وطلبت من عبدها أن يمر أمامهن فأدخلن السكاكين فى أيديهن لأنهن إنبهرن بجماله، وكانت الجروح غائرة، ولكنه هو نفسه لا يعبأ بهذا، رفض أن يخون سيده وقبل كل هذا رفض أن يخون الله الذى يعبده وقال : كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله ؟ ولكن وبكل أسف كانت التهمة ثابتة، ترك الرداء رفضاً للخطية ، ولكن صار الرداء دليلا ضده، وحكم عليه بالسجن ولكنه أكرمه بأن وضع مع أسرى الملك، وهناك أحبه رئيس السجن حتى إنه جعله مسئولا لأنه كان ناجحاً..

من السجن إلى العرش: كان السجين وطبعاً عرفتموه إنه يوسف الصديق فى داخل السجن أميناً مع الله، وأميناً مع نفسه، وأعطى السجين نعمة تفسير الأحلام وكان ساقى الملك والخباز وجهما متغير بسبب حلم كل واحد، لم يعرفا تفسيراً له.. وفسّر يوسف الحلم، فلقد حلم الساقى إذا كرمة عنب أمامه وفى الكرمة ثلاثة قضبان وهى إذ أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنباً، وكانت كأس فرعون فى يده، فأخذ العنب وعصره وقدمه إلى فرعون، وكان هذا يعنى : إن صاحب الحلم سوف يعود إلى عمله..

أما الخباز فقد حلم بأن ثلاث سلال فوق رأسه وفى أول سلّ طعام فرعون، ولكن الطيور السماء أكلت طعام فرعون، وكان هذا الحلم يعنى : إنه بعد ثلاثة أيام سوف يتم فيه حكم الإعدام، ودخل الساقى عائداً إلى القصر، وعندما حلم فرعون بحلم السنابل الممتلئة والسنابل الفارغة، والبقرات الضعاف التى أكلت البقرات السمان، تذكر يوسف، وعرض الأمر على الملك ، وطلب فرعون يوسف من السجن، وجاء إلى الملك وفسّر الأحلام لفرعون، وإختاره فرعون لكى يكون نائباً أولا له وحاكماً لأرض مصر، وألبسه طوق ذهب فى عنقه وجعله منظماً وموزعاً للذهب الأصفر الذى هو القمح..

وهكذا بدأ الإقتصادي عن طريق الأحلام، وتحققت الأحلام الإقتصادية بدأ بالسجن ثم إقتنى الذهب إنه صار ملكاً يملك الذهب، ولكن الذهب لم يمتلكه، وهذا هو الإقتصاد النظيف كالذهب..

١٠٩. سد مروى وتكنولوجيا الذهب

سد مروى: عندما بدأ السودان تنفيذ سد مروى قامت المسوحات الآثرية ونشطت بعثات التنقيب عن الآثار الغالية المطمورة تحت الرمال والتى يهددها الماء بالغرق، وقد فوجئت فرق إنقاذ الآثار بالعديد من الآثار الكثيرة التى تدل على وجود إستيطان فى هذه المناطق وحضور إجتماعى كبير، ووجدت مقابر عديدة وأعمال فنية منحوتة على الحجر، وفى المقابر التى ترجع إلى العصر المسيحى وجدت جثة لرجل من العصر المسيحى وكأنه قد دفن منذ لحظات، أى أن البكتريا لم تتخلل جسده وهو ما يسمى بالتحنيط الطبيعى، وقد وجد أيضا جثمان بنفس المواصفات لرجل دين مسيحى وهو من رجال الدين عند النوبة، وقد عرف إنه رجل دين مسيحى من خلال ملابسه التى يرتديها عندما يذهبون به إلى المقابر، فهو يلبس صليباً ويمسك بصليب.. ويرجع الفضل فى إكتشاف جثمان المسيحى إلى البعثة البولندية، أما رجل الدين المسيحى فيرجع الفضل فى إكتشافه إلى البعثة السودانية..

وفى عام ٢٠٠٦م إحتفل المتحف القومى السودانى بهذا الإكتشاف مع آثار أخرى فى عرض فنى جميل أيقظ فى المواطن السودانى أمجاد أجداده، وقد عثر على ٧١١ موقعاً أثرياً، وجاء فى تقرير " ويلسى" من المتحف البريطانى فى مجلة " أركيولوجى" إن منطقة مروى غنية جداً بالآثار، إلا أن مستوى مجهودات إنقاذ

الآثار حتى الآن لا يمكن مقارنتها بما يحدث فى الستينات لدى بناء خزان أسوان، والذى غمرت فيه مناطق النوبة بالماء، لأن المعابد التى أقامها فى أبى سنبل وفيلة جرى تفكيكها وأقيمت مرة أخرى فى أراضى مرتفعة بيد أن الكوشيين لم يتركوا مثل هذه الآثار المعمارية الكبيرة كى يتم إنقاذها..

ذلك إن مملكتهم تدهورت وإختفت فى نهاية الأمر بنهاية ممالكهم، ولكنها ظلت باقية تغمرها الرمال وتفتش عن من يستخرجها، وقد تم إكتشاف الكثير من الآثار ونحن نأمل من مشروع سد مروى العملاق تمويل هذه الأبحاث، ونأمل منه أيضا أن يتبنى معرضا حياً لهذه الآثار تعاوناً مع المتحف القومى للآثار السودانية، ويكون هذا المعرض فى متناول الرؤيا، وعلى أرض متحف الخرطوم العامرة..

تكنولوجيا الذهب: وبريق الذهب بريق جذاب منذ الآزمنة القديمة، ومملكة مروى ذات أمجاد قديمة فى صناعة الذهب ذلك المعدن الأصفر الجذاب الذى من فرط حب الناس فيه كتب يوحنا صاحب سفر الرؤيا فى الأصحاح الأول من رؤياه: إنه رأى سبع منابر من الذهب وفى وسطها شبه إبن إنسان متسربلا بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً بمنطقة من ذهب، رأسه وشعره أبيضان كالصوف النقى، وعيناه كلهيب نار، ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب. وفى آثار مروى إكتشف الفريق التابع لجامعة " شيكاغو" أدوات كوشية كانت تستخدم فى تنقية ومعالجة الذهب، والذى نعتبره تكنولوجيا الذهب فى ذلك العصر..

كان الذهب مصدر ثروة مملكة كوش، وعثر أيضا على بقايا عمال تتعلق بتنقية ومعالجة الذهب فى المنطقة وإن كان ما عثر عليه فى منطقة سد مروي أقل مما في " حوش الجروف" .. ولقد عثر على ٥٥ حجراً ضخماً فى أماكن متفرقة كانت تستخدم في عمليات طحن كتل التراب المعدنى بغرض إستخراج الذهب، وكانت المادة المطحونة تغسل بماء النهر بغرض فصل الذهب، ويقول " بروس ويليامز الباحث فى جامعة شيكاغو: إن البحث عن الذهب لا يزال حتى الآن نشاطاً تقليديا فى هذه المناطق ويرى علماء الآثار وقد وقفوا على ما هو أكثر من مجرد بريق الذهب إن حجارة الطحن التى عثروا عليها أكبر حجماً، وأكثر عدداً مما يجعلهم يقولون: إن إستخدامها ليس لمجرد التجارة المحلية، وإعتبروا هذا كدليل على الإستقرار المرتبط بنشاط تنقية الذهب فى مدينة " كرمة القديمة" فى منطقة الشلال الثالث على بعد ٢٥٠ ميلا، فى إتجاه مجرى النيل حيث تمتد مدينة " كرمة الحالية" على مساحة الموقع القديم، إلا ان بعض الآثار حفظت لإجراء المزيد من البحوث عليها بواسطة علماء آثار من سويسرا سوف يستمرون بحثاً ولن يتأثر عملهم ببناء السد الجديد ، سد مروى، والذى كان سبباً فى الكشف عن هذه الكنوز

الآثرية.. وكما قال الأستاذ عبد الماجد وزير الثقافة السابق: نحن في السودان نبنى السدود وسائر البلدان تأتى لكى تكتشف آثارنا، وهذا يعبر عن محبة بلدان العالم كله لكل أثر قديم لأنه مهم جداً فى تاريخ حضارة الإنسانية جمعاء..

١١٠. النوبة العليا

ثلاث مناطق: قسم الجغرافيون إقليم النوبة إلى ثلاثة أقسام هى: وادى النوبة العليا، ووادى النوبة الوسطى، ووادى النوبة السفلى..ولهذا الجزء من وادى النيل ظواهر جغرافية خاصة ، أثرت فى تاريخ الجماعات البشرية التى إستوطنته فى مختلف العصور، ومن أهم هذه الظواهر إنحناءات المجرى فيما بين مدينتى أسوان والخرطوم.. فضلا عن إعتراض الجنادل..

وعاش أصل النوبة حول النيل شريطاً ووديانا.. وتتسم النوبة بإختلاف الأحوال الجوية بين مناطقها ، فترى منطقة نادرة الأمطار أو تكاد عديمة الأمطار من شمال بربر إلى أسوان ومنطقة تغمرها الأمطار بنسب متفاوتة..

النوبة العليا: يمتد وادى النوبة العليا من منطقة إلتقاء النيلين الأبيض والأزرق إلى دنقلة.. وهذه المنطقة الآن فى الخرطوم ، ولكن الخرطوم إسم جديد لمنطقة جديدة، وقد تحدث الدكتور يوسف حسن مدنى : إن الخرطوم مدينة جديدة.. كانت سوبا هى العاصمة.. وكانت توتى لها مكانتها القديمة، وكان فيها كنيسة كبيرة..

وعن وادى النوبة العليا أن حافة الوادى كانت تبتعد بعض الأحيان قليلاً على جانبى نهر الوادى ، وتصبح له صفة الحوض الذى تنغمر بعض أجزائه خلال أيام الفيضان.. ويتمثل ذلك فى الجزء الذى يقع فيما وراء شندى ، وكذلك الجزء الذى يمتد إلى وراء الجانب الأيسر من النهر ، فيما بين مروى وأبو فاطمة ، وتمثل هذه المناطق التى يتسع فيها الوادى على أحد الجانبين مركز تجمع السكان الذين تساعدهم البيئة الطبيعية على مباشرة الزراعة معتمدين على مياه النهر..

ويقع إقليم النوبة العليا على الحافة الصحراوية التى تتضاءل فيها بكميات المطر السنوى إلى حد كبير إذ يلاحظ المتتجه شمالا من الخرطوم تناقص كمية المطر السنوى ، فهى فى الخرطوم ١٦٣ مليمتراً سنوياً ، وفى عطبرة ٧٥ مليمتراً، ومن ثم يزداد الجفاف شمالا فتنخفض كمية المطر السنوى فى كريمة إلى ٣٥ مليمتراً ، وتتساقط هذه الكمية المحدودة فى شهور الصيف ما بين يوليو وسبتمبر ، والتى

تسمى في السودان موسم الخريف حيث ترتفع الحرارة وتسود الرياح الجنوبية الساخنة ...

وهذه المياه تتجمع فى بطون الأودية الجافة ما يسمى بالأخوار ، وتسيل في إتجاه الوادى من الصحراء التى تشرف على الجانبين ، فتبعث بعض النشاط في بطون تلك الأودية ، حيث تمرح الحيوانات فى مناطق العشب القصير، الذى يتبع فصل أمطار الخريف.. وتمثل هذه الأودية من ناحية أخرى طرق المواصلات التى تنساب من الشرق والغرب إلى الوادي قرب الدبة.. ووادي مقدم الذي ينساب في قلب صحراء بيوضة نحو الشمال.. أما من ناحية الشرق فهناك وادى عامور الذى ينساب من السفوح الغربية لتلال البحر الأحمر..

دولة كوش: وفى وادى النوبة العليا قامت دولة كوش العظيمة.. وكوش هو إبن حام.. وهو شقيق مصرايم أبُ المصريين ، وهو والد سبا مؤسس مملكة سبأ فى اليمن أو أرض التيمن كما يقول الكتاب المقدس.. وقد كانت نبتة هي أول عاصمة لدولة كوش.. وبعدها تأتى مروي.. والمنطقة تعمل بالزراعة وتتمتع بإستقرار الزراعة..

وكانت مروى عاصمة تجارية ، تربط البلاد بواسطة نهر النيل ، وأيضا تربط سهول غرب السودان بموانىء البحر الأحمر فى الشرق.. والنوبة العليا غنية بالثروة المعدنية ، والثروة الغابية.. وقد كانت مركز تجمع للسكان غير أن الصحارى لم تكن سوى أرض خلاء ، ما عدا الواحات..

وفي منطقة النوبة العليا قامت دولة علوة فى منتصف القرن السادس الميلادى ، وكان طرفها الشمالى منطقة الأبواب وهى كبوشية الحالية ، وتمتد إلى جنوب إلتقاء النيل الأبيض والأزرق والعاصمة سوبا على الضفة اليمنى للنيل الأزرق..

ويرى نعوم شقير إن النوبة الآن قد إنقرضت من تلك البلاد وإنقرضت لغتهم ولم يبق منهم إلا نفر قليل فى نواحى شندى وجريف ود قمر قرب سوبة، وإعتنقوا الإسلام وإتخذوا لغة العرب ، لغة لهم ولم يزالوا مميزين عن العرب أخلاقاً وخلقاً وهم رغم إنهم مسلمون يرى نعوم شقير إنهم لا يحترمهم الآخرون وإن العرب تأنف من مصاهرتهم ، إلا إنهم قد يتزوجون الجميلة من نسائهم ويزوجون كبارهم غير الجميلة من نساء العرب ، ولا شك إن الأمر قد تغير منذ كتب نعوم شقير والأمور صارت إلى أحسن ، على الأخص عن طريق المصاهرة..

وتحفل النوبة العليا بالآثار المسيحية التى حتى وإن طمرتها الرمال ، فإن بناء سد مروى أعاد إليها الروح من جديد ، حيث تقوم البعثات الآثرية بالكشف عن

الآثار المطمورة تحت الرمال ، وقد وجدوا فعلا ضالتهم المنشودة.. في كنيسة الستة عشر عاموداً.. ودير الشهيد واللوحات الفنية والأيقونات الكنسية..

وكانت النوبة العليا تخضع لكنيسة الإسكندرية هي التي ترسل إليهم المطارنة ، وكانت لغة كنائس النوبة ، هي اللغة القبطية واللغة اليونانية ، وطقوس الكنائس النوبية هى نفس طقوس الكنيسة القبطية أو اليعاقبة كما يحلو للعرب أن يسموهم ، حيث يقول المقريزى..

وبعث إليهم من أساقفة اليعاقبة ،فصارت النوبة من ذلك العهد يعاقبة ، والعهد هو خلافة هشام بن عبد الملك فى مصر من عام٧٢٤-٧٤٣ م أى القرن الثامن الميلادي..

١١١ . التعايش السلمي في اللاهوت المسيحي

بحث مقدم إلى مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي يوليو ٢٠٠٧م

الكتاب المقدس: يعتمد اللاهوت المسيحى أساساً على الكتاب المقدس وكلمة اللاهوت تعنى ما هو مرتبط بالله، وكل شىء يرتبط بالله إرتباطاً وثيقاً لأن الله هو سيد التاريخ.. واللاهوت هو مساندة كلام الله لقضايانا الإجتماعية والسياسية والحياتية.. لأن كلام الله هو النور الذى يضىء أمامنا طريق الحق حتى نسلك بإستقامة ونفصّل كلمة الله بإستقامة.. وهنا وفى الكتاب المقدس مصدر الحقائق اللاهوتية نتعرف على رسالة التعايش السلمى، كيف نحيا فى سلام مع الآخرين ؟.

والسلام يبدأ بأن نحيا مع الله في سلام ومع أنفسنا فى سلام، ومن خلال هذا نعبر إلى مسالمة الآخرين وتبادل المحبة معهم بل مع كل الناس، ونحن لا نسالم الذين يسالموننا فقط، ولكن نرتقى أكثر إلى أن نسالم الذين يعادوننا، وما دمنا فى طريق الحياة فنحن مطالبون أن نسالم حتى خصومنا حتى لا تتفاقم المشاكل ونجد أنفسنا متهمون بعدم المسالمة: كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن.. الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الآخير (إنجيل متى ٥:٢٥)..

أما العيش فى سلام حتى مع الأعداء فهو درجة روحية يؤكدها اللاهوت المسيحى من واقع كلام السيد المسيح ووصاياه لنا وإلينا.. قد سمعتم إنه قيل: تحب قريبك

وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات، فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين (إنجيل متى٥ :٤٣-٤٥).. ويقدم السيد المسيح الدليل على أن محبة الأعداء هى طريق الكمال من منطلق أن أولاد الله يعملون أعمال الله، ومن أعمال الله إنه لا يفرق بين الأشرار والأخيار فى عطاياه لأنه يعطى الجميع دون من أو قيد أو تعيير..

وأيضا من منطلق إن محبة من يحبك أمراً عادياً يصنعه حتى الأشرار، فقد يتضافر اللصوص معاً ويتعاونون معاً وعندما يدخل أحدهم فى السجن تجد أسرته كفالة إجتماعية من عصبة اللصوص ولهذا يقول السيد المسيح: إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك ؟ وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون أليس العشارون أيضا يفعلون كذلك، ؟ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل (إنجيل متى ٥:٤٦، ٤٨)..

والعيش مع الآخرين في سلام يقتضى تبادل الإحترام وتجنب الكلمة الرديئة وإعتماد الكلمة الطيبة، ورداءة الكلمات تؤدى إلى الممات موتاً أدبياً، وموتاً روحياً، وموتاً فعلياً.. لهذا يزخر اللاهوت المسيحى بطلب إختيار الكلام قبل الكلام، وإعتماد قلة الكلام بدلا من كثرة الكلام.. وعدم إيذاء مشاعر الآخر حتى ولو بالكلمات الأقل قبحاً والتى قد يتبادلها الناس مزاحاً وهنا نذكر :-

قول السيد المسيح : قد سمعتم إنه قيل للقدماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما أنا فأقول لكم: كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مسوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال ياأحمق يكون مستوجب نار جهنم (إنجيل متى ٥:٢١، ٢٢).. وأرجو أن أوضح هنا إن كلمة " رقا" ترجمت بكلمة " تافه" ، وهنا يظهر أكثر ثقلا خطأ الذين يتفهون الآخر..

إشترط السيد المسيح فى خطاب العرش والذى هو دستور المسيحية فى العظة على الجبل الإلتزام بالمصالحة، وعندما يقدم الإنسان ذبيحة صلاة أو تقدمة ركوعاً أم خشوعاً ، ينبغى أولا أن يكون فى صلح مع أخيه، فإن قدمت قربانك على المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فأترك هناك قربانك قدام المذبح وإذهب أولا وإصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك (إنجيل متى ٥:٢٣، ٢٤)... وهنا نتعرف على من هو الأخ ؟ ولم يقصد المسيح هنا الأخ جسدياً من أب وأم إنما يقصد الأخ فى الإنسانية عموماً وليس الأخ فى الأسرة أو الأخ فى الدين الواحد.. وكلنا إخوة أليس إله واحد خلقنا ؟.. أليس أب واحد لجميعنا ؟.. وهنا يصبح حوار

الأديان حواراً مطلوباً من واقع إننا شركاء فى الإخوة معاً ، ولنا إله واحد، وأب واحد ، ومصير واحد..

وفي ظل اللاهوت المسيحى يصبح الإنسان مطالباً أن يرجو الخير للآخر بل أكثر من هذا أن يكون لديه الإستعداد أن ينقص هو ويتألق الآخر زيادة فى خيرات الأرض وبركات السماء، وقد قدم يوحنا المعمدان يحيى مثلا فى هذا عندما سألوه عن السيد المسيح وأرادوا أن يوقعوا بينه وبين المسيح، فلقد كان كلاهما يعتمد التطهير بالماء معمودية، وذات مرة إجتمع جماعة من اليهود مع تلاميذ المعمدان وكانت عندهم مباحثة موضوعها " التطهير" ولكن يبدو أن القلوب لم تكن طاهرة وهى تناقش قضية التطهير فأتى المتباحثين إلى المعمدان يقولون له: يا معلم هوذا الذى كان معك فى عبر الأردن الذى أنت قد شهدت له، هو يعمّد والجميع يأتون اليه.. وكأنهم يقولون : هوذا الذى علمته الرماية ذات يوم لما إشتد ساعده رماك، ولكن المعمدان أجاب إجابة عميقة فى عالم الروح وقال: ينبغى أن ذلك يزيد وإنى أنا أنقص..(راجع الإصحاح الثالث من إنجيل يوحنا)..

وتستمر المسيرة تطالب بإعتماد الكلمة الحلوة وتجنب كثرة الكلام، وكما يوضع الملح على الطعام لإصلاحه يكون كلامنا مملحاً بملح: ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف أن تجاوبوا كل واحد (رسالة كولوسى ٤:٦).. وفى تراث الآباء الروحى ما يؤكد أهمية الصمت عن الكلام لأن الكلمة نملكها عندما تكون فينا وتملكنا عندما تخرج منا.. ولأننى تكلمت كثيراً فندمت أما عن الصمت فلم أندم قط، وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضا الكل الغضب السخط الخبيث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم (رسالة كولوسى ٣:٨) ونحن مطالبون بالكلام الجميل مع أهلينا مع أسرتنا مع زوجاتنا وأولادنا وما نصل إليه بالكلمة الحلوة لا يمكن أن نحققه بالكلمة غير المصلحة بملح أو " الماسخة" كما يقولون..

في سجل الأمثال خلفية لاهوتية تطالبنا أن نحترم الآخر، أن نحبه، أن لا نؤذى مشاعره بكلمة، حتى العدو إن جاع نطعمه وإن عطش نسقه، وكل هذا يمثل ركناً ركيناً فى التعايش السلمى مع الآخر حباً وإحتراماً، تعاوناً وإنسجاماً، ونقول الأمثال: إن جاع عدوك فأطعمه خبزاً، وإن عطش فأسقه ماء فإنك تجمع جمراً على رأسه والرب يجازيك (أمثال ٢٥:٢١).. وقد كتب سفر الأمثال سنة ٩٦٠ قبل الميلاد وبعد الميلاد، وفى عام ٥٧م يكرر بولس الرسول نفس النصيحة: فإن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فأسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، لا يغلبنك الشر بل أغلب الشر بالخير (رومية ١٢:٢٠،٢١).. ونعود إلى ما قالته أمثال سليمان الحكيم..

كثرة الكلام لا تخلُ من معصية، أما الضابط شفتيه فعاقل، لسان الصديق فضة مختارة، قلب الأشرار كشيء زهيد ، شفتا الصديق تهديان كثيرين أما الأغبياء فيموتون من نقص الفهم (أمثال ١٠:١٩،٢١)..

ونفس المعنى يأتى فى سفر الجامعة لسليمان الحكيم: لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله، لأن الله فى السموات وأنت على الأرض.. فلذلك لتكن كلماتك قليلة لأن الحلم يأتى من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام (جامعة ٥:٢،٣).. كلام الأشرار كمون للدم أما فم المستقيمين فينجيهم (أمثال ١٢:٦).. الصديق يبغض كلام كذب والشرير يخزى ويخجل (أمثال ١٣:٥).. الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط. لسان الحكماء يحسن المعرفة، وفم الجُهال ينبع حماقة، هدوء اللسان شجرة حياة، وإعوجاجه سحق فى الروح، شفاه الحكماء تذر معرفة، أما قلب الجُهال فليس كذلك (أمثال ١٥)..

حكيم القلب يدعى فهيماً، وحلاوة الشفتين تزيد علما، الفطنة ينبوع حياة لصاحبها، قلب الحكيم يرشد ويزيد شفتيه علماً، الكلام الحسن شهد عسل حلو للنفس، وشفاء للعظام.. نفس التعب تتعب له لأن له فمه يحثه (أمثال ١٦)..

والسيد المسيح له المجد أوضح فى تجربة الشيطان له عندما أراده أن يحوّل الحجارة إلى خبز، ولم يكن هذا صعب المنال أمام قوة السيد المسيح ولكن لأن الشيطان يحب دوماً أن يعزف على الوتر الحساس وكان يسوع جائعاً بعد صوم كبير مدته أربعون نهاراً وأربعون ليلة، رفض السيد المسيح فكرة الشيطان وإقتراحاته التى فى مستوى مكره ودهائه ، ورد المسيح قائلا: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله (إنجيل متى الإصحاح الرابع)..

ويطالب داوُد النبى بأن يوضع باباً حصيناً للشفتين وحارساً للفم : ضع يارب حارساً لفمى وباباً حصيناً لشفتى (مزمور ١٤١:٣).. أما بولس الرسول فيقول: لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كى يعطى نعمة للسامعين (أفسس ٤:٢٩).. وأما الآن فإطرحوا عنكم أنتم أيضا الكل الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم (كولوسى ٣)..

مبادرات التعايش: واللاهوت المسيحى يطالب الإنسان أن يبادر إلى السلام مع الآخرين وأن تكون له مبادرات حية مع الخصوم ، والإنسان المؤمن يسعى نحو السلام قدر طاقته.. ويجاهد لكى يكون مقبولا عند الآخر.. وقابلا ومُرحباً بالآخر.. وأن يكون المؤمن واقعياً لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يُرتئى، بل يَرتئى إلى التعقل، وتأتى إلينا الوصايا الروحية أن نود بعضنا بعضاً بالمحبة، وأن نشترك فى

إحتياجات الناس ونبادر إلى عمل الخير وفى مثل السامرى الصالح فى العاشر من إنجيل لوقا البشير، إن هذا السامرى لم يطلب منه شيئاً ولكنه بادر إلى عمل الخير مع شخص يختلف عنه فى الملة والدين، فهو سامرى والطريح يهودى، وهو له عبادة وجبل يسجد فيه، ولليهودى عبادة أخرى وجبل آخر.. وهنا تأتى نصائح بولس الرسول:

المحبة فلتكن بلا رياء..

كونوا كارهين للشر..

ملتصقين بالخير..

وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية..

مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة..

غير متكاسلين فى الإجتهاد..

حارين فى الروح..عابدين الرب..

فرحين فى الرجاء..

صابرين فى الضيق..

مواظبين على الصلاة..

مشتركين فى إحتياجات القديسين..

عاكفين على إضافة الغرباء..

باركوا على الذين يضطهدونكم..

باركوا ولا تلعنوا..

فرحاً مع الفرحين..وبكاءاً مع الباكين..

مهتمين بعضكم لبعض إهتماماً واحداً.. لا تكونوا حكماء عند أنفسكم.. لا تجازوا واحداً عن شر بشر..

معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس..

إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس (رومية ١٢)..

لا تكونوا مديونين لأحد بشىء..

إلا بأن يحب بعضكم بعضاً..

لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس (رومية ١٣)..

يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء..

ولا نرضى أنفسنا، فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان (رومية ١٥)..

أتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب (عبرانين ١٢)..

أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله لأن الله محبة.. ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه (يوحنا الأولى ٤).. أيها الحبيب لا تتمثل بالشر بل بالخير لأن من يصنع الخير هو من الله، ومن يصنع الشر فلم يبصر الله (يوحنا الثالثة ١١)..

تجربة التعايش

لقد جرب الكثيرون التعايش فعاشوا فى أمن وناموا فى سلام وقاموا فى سعادة لا يعبر عنها.. وعندما إختبروا المحبة ثبت لهم إنه باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح، وإنه ينبغى مهما إختلفنا حول الله فإن الله نفسه هو الذى يجمعنا ، وما جمعه الله لا يفرقه إنسان..

ولقد وعى الإنسان الأول درساً كلفه الكثير لأنه عندما إختلف قايين مع شقيقه هابيل كان الإختلاف إختلافاً دينياً. قبل الله ذبيحة هابيل ولم يقبل ذبيحة قايين، تقبّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر.. وكان الحل أن يراجع قايين نفسه فى ضوء تعاليم الله، ويسأل كيف يمكن أن تكون ذبيحته مقبولة أمام الله، ولكن لم يسأل، ولم يتفاهم، وإتجه إلى التصفية الجسدية أن يتخلص من أخيه.. ولم يكن الصراع بسبب ضيق الأرض.. ولا بسبب ذات اليد، إنما كان بسبب ضيق العقل الذى عندما يفقده صاحبه ولا يقدر أن يكون مقتنعاً يتجه نحو إستعمال العضلات وتكون التصفيات ، وكلها لحساب دولة الباطل ووهم الأباطيل وخداع فساد الدنيا وشهواتها وقناع الغرور الغرور..

وفي أيامنا نقول أحياناً : ما أشبه الليلة بالبارحة.. محاولات لتصفيات جسدية بين مسلمين ومسيحيين، وبين مسلمين ومسلمين حتى تجرأ المسلم لقتل أخيه المسلم وهو راكع أمام الله، ساجداً فى محراب السجود.. جامعاً أفكاره الروحية نحو الله فى الجامع.. ولهذا قامت جمعيات الحوار وبدأ حركة حوار الأديان فى كل الأقاليم والبلدان.. ولكل جماعة حوار أجمل التعليقات وأقوى البيانات وأشد المواثيق إخاءاً

وأذكر هنا جمعيات حوار الأديان المتعددة ومؤتمرات حوار الأديان الكثيرة، ولقد بدأ الحوار مطالباً إعترافات الدول، وإنتهى الآن بتدخل الدول فى الحوار حيث تدار بعض جمعيات حوار الأديان تحت مظلة الدولة حرصاً من الدولة على إستمرار الحوار، وأذكر هنا:

نموذج جمعية الإخاء الدينى: وميثاق الإخاء الدينى الذى يقول: اللهم إليك نتوجه وعليك نتوكل وبك نستعين وإياك نسأل أن ترزقنا قوة الإيمان بك وحسن الإهتداء بهدى أنبياءك ورسلك، ونسألك الله أن تجعل كلاً منا وفياً لعقيدته، أميناً على دينه، فى غير تزمت نشقى به فى أنفسنا ولا تعصب يشقى به مواطنونا، ونقرع إليك- ياربنا- أن تبارك إخاءنا الدينى، وأن تجعل الصدق رائدنا إليه، والعدل غايتنا منه.. والسلام ذخيرتنا فيه، ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام...(١)

الميثاق العربى الإسلامى المسيحى: بدأت مجموعة الفريق العربى للحوار الإسلامى المسيحى سنة ١٩٩٥م بواسطة عدد من المثقفين العرب بمبادرة من مجلس كنائس الشرق الأوسط، وبعد عدة إجتماعات توصل هذا الفريق إلى بلورة مكتسبات سنوات الإجتماعات فى ميثاق صدر ٢٠٠١/١٢/١٩م، تحت عنوان " الميثاق العربى الإسلامى المسيحى" جاء فيه :- يعلن الميثاق إن الحوار المستهدف لا يقتصر على حوار بين مواطنين ينتمون إلى نفس الوطن، وإنما هو أيضا حوار بين مؤمنين يرون فى المجهود الذى يقومون به تعبيراً عملياً عن قيمهم الدينية المشتركة، والتى تعد أساساً للمعنى الذى تكتسبه التعددية بالنسبة لهم ، وللتعارف المتبادل والقيمة المطلقة للإنسان ولقيم العدالة والحق والعمل الصالح والعاطفة والحب والرحمة، وكذلك إعمار الأرض وللتشديد على التواصل بيننا يؤكد الميثاق على أن الإختلاف الدينى لا يلغى شيئاً من واقع الإنتماء المشترك والواحد للحضارة العربية الإسلامية التى ساهم فى بنائها المسيحيون والمسلمون جنباً إلى جنب.. إن صياغة هذه النقطة الأخيرة قد خضعت لدراسات مستفيضة حتى لا تفهم وكأنها إلغاء لغيرية غير المسلمين فى الثقافة والحضارة العربية.. إن إدماج المسيحيين فى مصطلح " الحضارة العربية الإسلامية، يفترض بالفعل التمييز ين الإسلام بوصفه ديناً وبالطبع هذا يخص المسلمين وحدهم، والإسلام بوصفه ثقافة وحضارة التى يمثل فيها المسيحيون العرب جزءاً لا يتجزأ منها وساهموا فيها مساهمة مهمة فى جميع العصور..

ويدعو الميثاق إلى المعالجة المشتركة المستمرة للتوترات الداخلية ومن بينها التوترات الدينية من أجل تفادى التدخل الأجنبى والذى لا يؤدى إلا إلى تفاقم الأوضاع ، وفى هذا الصدد يطالب الميثاق بعدم التهوين من المشكلات، ولا المبالغة فيها، ومذكراً فى أغلب الوقت إن أسبابها الحقيقية تكمن فى الظروف السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، والثقافية التى تخلق مناخاً مساعداً لكل أنواع التوترات التى تسىء للمجتمع فى مجمله ، كما يدعو إلى التمييز بين التدين الأصيل والتطرف والتعصب والعنف..

ويلاحظ النص ضعف المجتمع المدنى وهو رغم ذلك عنصر جوهرى فى بناء مجتمع ديمقراطى، كما يلاحظ بأسف الغياب النسبى لأماكن العيش المشترك فى بعض مجتمعاتنا للسنوات الأخيرة وهو ما يعنى أن التعارف يقل بينما يزيد الحذر والخوف المتبادل وهو ما يؤدى إلى تنامي الخلاف والعنف اللفظى، كل هذا يقتضى جهداً جاداً لتشجيع التعارف المتبادل، وكذلك إحترام الإختلاف بين الأديان، وكذلك الإختلافات المشروعة بين الإتجاهات والآراء والتفسيرات فى داخل كل دين..

وأيضا من المطلوب بذل جهد لتصحيح الصور الزائفة والكاريكاتورية المتبادلة التي قد توجد لدى الطرفين، وهذا قد يتطلب أحياناً التحرر من صور الآخر الموروثة أو الراسخة فى الخيال الشعبى، ويؤكد النص أيضا على الجهد المبذول لتجاوز الخطاب المزدوج - خطاب يوجه إلى أبناء الدين الآخر، وآخر للإستخدام داخل نفس الدين - وكل نفاق وبالتالى لغة الإسطوانات المتكررة، ويطلب الميثاق تدعيم القواعد الدينية للحياة المشتركة فى نفس الوطن، ويحذر فى الوقت نفسه من أى جمود عقائدى، كما يؤكد إن الفريق يرفض أن يستخدم الحوار كوسيلة للدعاية، كما يعارض أيضا كل إغراء غير مشروع بتغيير الديانة.. (٢)

الجماعات الصوفية: للجماعات الصوفية دور مقدّر فى قبول الآخر، فالصوفى إنسان حكيم يقصد الله ويعتبر كل الخليقة من الله.. والصوفى يهتم بالمحبة ويرسى قواعدها بين جميع بنى البشر، والصوفى يدين بدين المحبة، أنى توجهت ركائب المحبة ولا يفرق بين جامع وكنيسة، ومرعى لغزلان ودير لرهبان كما يقول الشيخ الكبير محى الدين بن العربى:-

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى
إذ لم يكن دينى إلى دينه دانـــى
أدين بدين الحب أنى توجهــت
ركائبه فالحب دينى وإيمانـــى
لقد صار قلبى قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان (٣)
وبيت لأوثان وكعبة طائـــــف
وألواح توراة ومصحف قرآن (٤)

لقد فهم رجال الصوفية ما يسمى " الموت التضحوى التعويضى" وكتبوا عنه، وإحترموا صليب المسيح دخولا إلى قلوب المسيحيين، وإهتموا بإهداء المهج والأرواح والدم :

ضحّى الحبيب بنفس يوم عيدهـــم
والناس ضحوا بمثل الشاة والنعـم
للناس حج ولى حج إلى سكنـــى
تُهدى الأضاحى وأهدى مهجتى ودمى
على دين الصليب يكون موتـــى
ولا البطحا أريد ولا المدينـــة

ويهتم الصوفى بذكر الله، نهاراً وليلا، فالصوفى فارس مجاهد فى النهار وراهب يشعر برهبة الله فى الليل ويقسم الليل إلى نصفين لكى يصلى، وهو فى هذا يتشبه بمسيحى الشرق الذين يصلون نصف الليل ثلاث هجعات ويقولون :-

فمن يخشى أن يذكر الله فى المـــلا
فقد أشرك المخلوق مع مالك الأجـــر
ومن يعش كاف فى الوعيد لمن لـــه
بصيرة قلــب يهتــدى منــه للأمـــر (٦)

والتصوف فى الحقيقة نزوع واع نحو الكمال، وتعلق جاد بالواحد المتعال، وهو مطلب ذوى العقول السامية والنفوس الراقية بغية نيل السعادة القصوى والتلذذ بمطالعة الجمال الإلهى الأسنى، إن لم يكن الفناء فيه شعوراً لا حسا وغيبة لا واقعا، إنه الأمل لكل من أحسن إستخدام عقله فوازن ما بين مدرك عرضى، وآخر غير مكافىء له يند عن الوصف بالجوهر أو العرض، وقارن ما بين مؤنس رحيم كبير ، وآخر ضعيف فقير ذليل، وسبر غور الجمال فآثر منه ما هو مطلق مقارناً بما هو كلى وجزئى.. التصوف هو شوق متواصل نحو السعادة الداخلية لا الخارجية، والدائمة لا المؤقتة، والجوهرية لا العرضية، إنه إنقلاب فكرى عارم، وثورة روحية جامحة على الآداء والأسلوب، والمنهج الذى تؤدى به العبادة، وعلى الصلة المتردية التى تربط العبد بربه، والتفكير المعّوج الذى يقيس به المخلوق أمور دينه ودنياه..(٧)

وعن الإستغراق فى جمال الله وحب الله تقول رابعة العدوية :-

أحبك حبين حب الهـــــوى
وحباً لأنـــك أهـــل لــــــذاك
فأما الذى هو حـــب الهــوى
فشغلى بذكرك عمن سواكـــا
وأما الذى أنت أهل لـــــــه
فكشفك للحجب حتى أراكـــا
فلا الحمد فى ذا وذاك لـــى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاك (٨)

وعندما تكون الصوفية فلسفة بهذا الرقى وذاك الحب الإلهى العجيب فإنها لن تكون سبباً لفرقة أديان بل تستوى عندها الأديان طالما هى تعبير عن حب الله.. وهنا يقبل قلب الصوفى كل صورة لأنها تستمد جمالها من الله، ويقبل كل إنسان لأنه مخلوق على صورة الله ومثاله، ويستوى عنده ألواح التوراة مع أوراق المصحف الشريف، ومرعى الغزلان مع دير الرهبان (٩) ، وهذا هو أجمل تصور لحوار الأديان..

تجربة رهبان الأديرة: وتأتى الرهبنة كرافد جميل من روافد حوار الأديان، وفى الصحراء حيث الهدوء والصفاء.. والسكون لسماع صوت الله، عاش الرهبان يقدمون الفكر الروحى السليم ، ويقدمون الخدمة لمن يحتاج إليها، وكان يقصد الأديرة كثير من غير المسيحيين ويديرون مع الرهبان حواراً روحياً هادفاً ويحكى إن المعز لدين الله الفاطمى كان يذهب إلى دير الخندق وموقعه الآن الأنبا رويس بالعباسية، وكان يحاجج الرهبان ، وكان يعقد فى مجلسه أيضا منتديات حوار أديان بين المسيحية والإسلام، وكان يهودى هو يعقوب بن كلس فى بلاط الخليفة ، وطلب الخليفة بدء حوار المسيحية واليهودية فى حضوره، ولكن الحوار خرج عن دائرته ليصبح مؤامرة ضد أقباط مصر حيث ذكر اليهودى آية كتابية تقول: من له إيمان مثل حبة خردل يقول للجبل إنطرح فينطرح، وقصد اليهودى من المؤامرة نقل جبل المقطم وطلب الخليفة من البابا أنبا أبرآم هذا ، وصلى البابا منسكباً أمام الله، وفعلا تحّرك الجبل فى موقعه إثر صلوات نابعة من الأعماق بأصوات قوية مؤمنة ، واهتز الجبل فى مكانه مثلما يقول البابا شنودة :-

إسألـــــى عهـــد المعـــــز
فهــــو بالخبـــرة يعلــــم
إسأليــــه كيـــف بالإيمـــان

حركــــــت المقطـــــــم
جبــــل قـــد هـــز منــك
وإذا شئـــــــت تحطــــــم (١٠)

ولم تزل الأديرة حتى الآن تحتفظ بسجلات ومخطوطات وتدير حوارات بدون مؤتمرات لأن من يذهب إلى هناك يجد إجابة لأسئلته بدون توتر أو إنفعال، ويجد سلامه فى كلام الله..

تجربة مجموعة مظهر المويلحى: فى المغرب الجميل ظهرت مجموعة جميلة من المسيحيين والمسلمين تآخوا معاً وإتفقوا معاً ، وشعروا بالمسئولية معاً، وقرروا محاولة الإقتراب نحو الآخر، وساهموا فى إختزال مسافات التباعد إعتقاداً منهم بأن التقوقع والإنكماش الحضارى والثقافى بسبب إنسداد الأفق قد أضاع الكثير من الثراء الروحى والفكرى، ونادوا بأن لوناً واحداً لا يشكل لوحة بل موتاً وجمال الكون لا يتأتى فقط من وحدة التنوع، ولكنه يأتى من خلال التنوع فى الوحدة، وقرر كل واحد فيهم أن يكبر فى الآخر لأن حياته جزء من حياته، وتألموا لأنهم فى وقت ما حكموا على الآخر حكماً قاسياً دون أن تترك له حرية الشهادة عن نفسه فى نسيان وتوهان، إن حرية الآخر قاسم حريتهم، وإن سلب حرية الآخر يسلب حريتهم، لأن الذين يأخذون بالسيف بالسيف يؤخذون.. وأعلنوا عدم الخوف من أى خطر إذا إنفتحت أبوابهم على ثقافات العالم وقالوا: إن كنا ثابتين على صخرة معتقدنا وإيماننا، فإن رأى الآخر يجب أن لا يخيفنا، إن كانت قناعتنا ثابتة لأن إن رفض الآخر معناه ضعف فى قناعاتنا، وبهذا يصبح التحدى عاملا صحياً يصقل الفكر والمعتقد.. وقالوا: إن الإنسان عدو ما يجهل، وإذا إزددنا حكمة لقلنا إن الإنسان صديق من يعرف، وإن معرفة الآخر مطلب حضارى وثقافى وإنسانى وأساسى لوجودنا وكينونتنا، وكيف الحال وهذا الآخر جزء غنى من تراثنا وحضارتنا.. ومعرفة الآخر يجب أن يكون كمعرفة الذات، ونحن أهملنا معرفة ذواتنا ومعرفة الآخر، وهذا شكل لنا نوعاً من أنواع الضياع (١١)..

وقد قدمت هذه المجموعة كتابان أحدهما هو : الإنجيل قراءة شرقية ، وهو دراسة فى إنجيل لوقا، ثم قراءة صوفية لإنجيل يوحنا.. والكتابان صدرا عن مطبعة دار الجيل ببيروت وجاءوا فى مقدمة قراءة صوفية لإنجيل يوحنا بقول الدكتور محمد فاضل الجمّالى من مؤسسى ميثاق الأمم المتحدة ورئيس وزراء سابق بالعراق: بكل أسف لقد أهملنا عن قصد وجهل التراث الروحى المسيحى الذى هو جزء من تراثنا، ولقد آن الآوان لنفتح صدورنا لهذا التراث الغنى (١٢).. وفى

المقدمة يقول الدكتور على حرب عن نفسه : فأنا وإن كنت عربياً مسلماً فإننى مسيحى لإعتقادى بأن الحق يتجلى فى الخلق، فإذا كان الغير يتعصب وينغلق فتلك مشكلته، فإن التعصب ضد الغير، ولأقل ضد الحقيقة، إنما يرتد ضد الذات وينفجر عنفاً وإرهاباً كما شهدنا وعانينا، ولهذا لا مندوحة من الإنفتاح على العالم للتعرف عليه وإستيعابه أكان صديقاً أم عدواً (١٣).. وقدم لإنجيل يوحنا الدكتور رضوان السيد وبروفسور محمد ياسر شرف وقدم لإنجيل لوقا بروفسور هاشم العلوى رئيس شعبة التاريخ بجامعة فاس المغرب..

تجربة السودان: وفى إعتقادى إنه لم يكن هناك ما يدعو لإقامة حوار أديان فى السودان وذلك لأن الحوار موجود له أصول وجذور فى وطننا العظيم منذ بدء دولتنا القديمة ، منذ أقدم القرون، منذ ترهاقا..وبعنخى مروراً بالعصر المسيحى الذى عاش فيه السودان حاكماً ومحكوماً، حكومة وشعباً أعماق المسيحية، عاشوا بركاتها وفضائلها، ومحبتها للآخر مجيئاً إلى دخول الإسلام وإزدهار الجماعات الصوفية فى السودان وحتى الآن، ولكن كتب علينا أن ندخل هذا الميدان، هذه خطوة خطوناها ومشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها.. لقد بدأت تفسيرات غريبة لحرب الجنوب على إنها حرب بين مسيحية فى الجنوب وإسلام فى الشمال، رغم إن الحضور الإسلامى فى الجنوب ليس قليل، والحضور المسيحى فى الشمال حضور مقدّر، وكان لابد من الحوار ولابد من حضور مؤتمرات حوار الأديان فى العالم، وقد تأسست أول لجنة لحوار الأديان من مجموعة محترمة من المسيحيين والمسلمين، أذكر منهم: بروفسور يوسف الخليفة بابكر وبروفسور مدثر سليمان والسفير طه الروبى والمهندس عبد الجبار حسين وزير الزراعة لولاية الخرطوم الآن، والشيخ زكرى رزق والإذاعية اللامعة ليلى المغربى، والمطران خميس كوركيل والمدير الإدارى لمطرانية الكاثوليك سيزار أركل أنجلو..

ومنذ اللقاء الأول صمم المجتمعون على إنتخاب رئيس لهم وتوجهت أنظار الجميع نحو الأب القمص فيلوثاوس فرج والذى وبالإنتخاب الحر المباشر صار أول رئيس لأول جمعية حوار أديان.. وبعد هذا تم عقد المؤتمر الأول وحضر إلينا ممثلون من ١٣٦ بلداً من أنحاء العالم.. ثم بعد هذا تم تسجيل أول جمعية لحوار الأديان والتى إنتهت أخيراً إلى إسم " مجلس التعايش الدينى "..

وإننى أرشح السودان لأرفع جائزة فى حوار الأديان لأننا وطن يسع الجميع وتعيش فيه المسيحية والإسلام وكريم المعتقدات فى عيش ودود ومتحاب يكمل بعضنا

الآخر، وهذا لا يعنى إننا ملائكة لأنه يوجد أحياناً ما يعكر صفو هذا التعايش، ولكننا والحمدلله لسنا شياطين وما يحدث من خلاف لا يفسد لقضية ودنا طرفاً..

وأريد أن أقول: إن اليهود كانوا معنا فى السودان حتى زمن قريب، وعندما تركوا السودان ظل وطناً فى قلوبهم به يحلمون وإليه يشتاقون وعليه يشفقون ومعه يتعاطفون.. كان لليهود معبد فى شارع القصر وكانوا يمارسون حياتهم الدينية بكل إحترام لهم ، وكانوا مع أفراد المجتمع يتعايشون، وكان لديهم النادى اليهودى والذى كان يمتلىء كثيراً بغير اليهود من أبناء السودان، وكانت لديهم مقبرتان واحدة فى الخرطوم وأخرى فى أم درمان..

وكانوا يستوردون إحتياجاتهم للعبادة من الخارج ولم يتغير الأمر إلا بعد عام ١٩٥٦م ومن الطريف إنه فى أيام حكومة عبد الله خليل ذهب إلياهو سولومون ملكا اليهودى السودانى وإشتكى إلى عبد الله إن الصحف تهاجم اليهود، وكان رد عبد الله خليل: أن لا يكترث اليهودى لأن الصحف تهاجم عبد الله خليل نفسه..

وعندما لم يتمكن المخلّص الجمركى من تخليص شحنة " ماتزا" لإستعمال المجمع اليهودى عليها شعار نجمة داؤد، ذهب إلياهو لمدير الجمارك وهو يقول: إن نفس نجمة داؤد هى شعار مصلحة الجمارك السودانية والضابط الذى رفض دخول الماتزا بحجة ما رسم عليها يحمل هو نفسه نفس الرسم، وقام أمين فريد مدير الجمارك بحل هو أن ترتفع النجمة ويتم التخليص، ومن الطريف إن أول رئيس للكينست اليهودى هوإلياهو بن اليسار من خريجى جامعة الخرطوم ..(١٤)

تبادل المحبة: وفى الشرق كله تحيا المسيحية بجوار الإسلام أحياناً فى محبة متبادلة وأحياناً فى صراعات متعددة، ولم تأت الصراعات بأى نتيجة سوى القطيعة ونبذ الآخر وجهل الآخر، وخيالات وأوهام تلقى من كل طرف نحو الآخر هى كرات من نار تزيد الحريق إشتعالا، ووسط هذا تظهر أصوات الحكمة وينادى الحكماء بأن تعالوا إلى كلمة سواء ويبدأ الحوار الجهير الهادف إلى فرش بساط المحبة وتكوين جيل متحابب متوادد وتبدأ الأبحاث والأطروحات التى تؤكد عمق التواصل وبأن المسيحية جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية.. ويبحث الباحثون عن القواسم المشتركة، المبادىء المشتركة بين المسيحية والإسلام، وأهمها الإيمان بإله واحد حى قيوم خالق السموات والأرض محب البشر ذو الغفران والرحمة، الحميد المجيد الذى يحيى الأموات ويرضى الأنفس..(١٥) ويبذل الباحثون الجهد الجهيد ليؤكدوا أن المسيحية كان لها موقعا فى الجزيرة العربية قبل الإسلام.. وكانت الكنيسة لها خيمة مع خيام العرب فى رحلاتهم نحو الماء والكلأ.. وكان المسيحيون العرب يتكلمون العربية وبينهم العدد الكبير من الشعراء قبل الإسلام ، وقدم الأب لويس

شيخو كشفاً بأسماء الشعراء المسيحيين فى بلاد العرب وقدم الأب حشيمة رسالة دكتوراة عن " المسيحية والأدب المسيحى فى جزيرة العرب قبل الإسلام".. وقدم جدولا ضخماً لهؤلاء الشعراء مثل عمرو بن كلثوم والذى قال:

ملأنـــــا البـــر حتى ضــــاق عنــــا
وظهـــر البحـــر نملــــؤه سفينـــــــا
لنـــــا الدنيــــا ومن أضحـــى عليهـــا
ونبطــــش حين نبطــــش قادرينــــا
إذا بلــــغ الفطــــام لنــــا صبيــــا
تخـــــر لـــــه الجبابـــــر ساجدينــــا

وشعراء آخرون مسيحيون مثل: أمية بن أبى الصلت المتوفى سنة ٦٣٠م وبسطان بن قيس الشيبانى المتوفى سنة ٦٠٠م ، وعدى بن يزيد الذى قال:

إسمــع حديثــاً لكى يومــا تجاوبـــه
عن ظهـــر غيب إذا ما سائــل سألا
أن كيف أبـدى إلــه الخلــق نعمتــه
فينــــا وعرفنــــا آياتـــه الأولا
كانـــت رياحــاً ومـــاء ذا عرائية
وظلمــــة لم يـدع فتقـــا ولا خلـــلا
فأمـــر الظلمــة الســـوداء فإنكشفت
وعـــزل المـــاء عما كان قد شغـــلا

وما كتبه عدى إنما من واقع رواية سفر التكوين فى الكتاب المقدس عن الخليقة.. والشاعر الأعشى الذى توفى سنة ٦٢٩م والذى تحدث عن طقوس النصارى وعن حمامة نوح والطواف حول الصليب (١٦).. وإستمر المسيحيون العرب شعراء فيما بعد الإسلام.. وقامت دار الفن والأدب خلال عام ١٩٨١م فى بيروت بعقد ندوة دراسية حول " المسيحيون العرب " وقد جاء كتاب " المسيحيون العرب" تسجيلا لهذه الندوة وحرره إيلياس خورى وصدر عن مؤسسة الأبحاث العربية فى بيروت سنة ١٩٨٦م..

وقدم لطفى حداد كتاباً عنوانه " الإسلام بعيون مسيحية" صدر عن الدار العربية للعلوم وفيه تركيز على أقوال من مسيحيين حباً فى إخوانهم المسلمين، وقال الأستاذ محمد السّماك فى مقدمة الكتاب: إنه يرى إن معرفة المسلم بالمسيحية هى

معرفة سطحية ومهزوزة ، ومعرفة المسيحى بالإسلام معرفة مشوهة (١٧).. وتمنيات الكتاب أن يكون هناك كتاب آخر عنوانه " المسيحية فى عيون المسلمين "، وقد حقق هذه الأمنية الأب القمص فيلوثاوس فرج فى كتابين ، واحد عنوانه " المسيحية فى عيون المسلمين" وآخر عنوانه " مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام ".. ويأتى كتاب " المسيحية فى عيون المسلمين قبل الإسلام بعيون مسيحية بعدة سنوات.."

ولابد أن أشير إلى ندوة أخرى ضمّت حلقتان نقاشيتان عقدتا فى عمان سنة ١٩٩٧م وجمعها عواد على فى كتاب عنوانه " العربى المسيحى اليوم" صدر عن المعهد الملكى للدراسات الدينية الأردن ١٩٩٩م.. وفيه مناقشات صريحة لأوضاع المسيحيين العرب فى لبنان وفى مصر والأراضى المقدسة والبلاد العربية الأخرى مثل: السودان والأردن والعراق.. ولم يترك البحث منضدته إلا وكان قد أشار إلى مسئولية العربى المسلم تجاه العربى المسيحى، ومسئولية العربى المسيحى تجاه مجتمعه، والمسئولية المشتركة لضمان مستقبل المجتمع العربى..

ومازلنا نأمل أن تستمر مسيرة المحبة.. وأن نكتب عن تبادل المحبة كتابات تترجم إلى أعمال روحية تدفعنا للعيش فى سلام ومحبة ووئام، ويفهم كل واحد منا الآخر.. ويحترم فكره وعقيدته.. وأقترح على مؤتمرنا هذا الذى يرعاه الوزير أزهرى التيجانى وزير الإرشاد أن يقدم أبحاث هذه الندوة فى كتاب يرشدنا إلى كلمة سواء ويعمق محبتنا وإحترامنا لبعضنا البعض..

الأب القمص فيلوثاوس فرج
أول رئيس لأول مؤتمر حوار أديان بالسودان

المراجـــــــع :

كرستيان فان "مسيحيون ومسلمون إخوة أمام الله" المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٦م صفحة ٥١
المرجع السابق صفحة ٨١،٨٠
القمص فيلوثاوس فرج " مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام" الخرطوم ٢٠٠٦م صفحة ٢٥،٢٤
محيى الدين إبن عربى ترجمان الأشواق، دار صادر، بيروت صفحة ٤٤،٤٣
ديوان " الحلاّج

بروفسور حسن الشيخ الفاتح قريب الله " الدور الدينى والإجتماعى والفكرى للطريقة السماينة " الخرطوم ٢٠٠٤م صفحة ٣٧
بروفسور حسن الفاتح قريب الله " إشارات الجمال والإبداع فى الفلسفة الصوفية" مطابع السودان للعملة ٢٠٠٤م صفحة ٢٩،٢٨
المرجع السابق صفحة ٤١ المرجع السابق صفحة ٤١
١٠. مدارس الأحد " إنطلاق الروح" ١٩٧٤ القاهرة صفحة ١٠٩
١١. نخبة من المختصين مظهر الملوحى وآخرين،" الإنجيل قراءة شرقية" دار الجيل بيروت ١٩٩٨م صفحة ١٠،٩
١٢. الملوحى وآخرين " قراءة صوفية فى إنجيل يوحنا " دار الجيل بيروت ٢٠٠٤م، المقدمة
١٣. المرجع السابق، المقدمة
١٤. مكى أبو قرجة " اليهود فى السودان" مركز عبد الكريم ميرغنى ٢٠٠٤م
١٥. الأب الدكتور جورج شحاته قنواتى " المسيحية والحضارة العربية" دار الثقافة الطبعة الثانية القاهرة ١٩٩٢م صفحة ٣٢،٢٦
١٦. المرجع السابق صفحة ١٥٤،١٤٥
١٧. لطفى حداد " الإسلام بعيون مسيحية " الدار العربية للعلوم ٢٠٠٤م بيروت.

١١٢. نحو الأمية

عالم مجنون : يتحدث أهل الروح عن العالم المجنون الذى يتجه نحو الأمية الروحية أى عدم فهم أهمية الروح وعدم التعرف على عالم الروح فالإنسان مشغول بالجسديات والماديات دون الروحانيات ولهذا هو يحتاج إلى محو أمية روحية وهم يعتبرون أن هذه الأرض كوكب متمرد وأن الناس يركزون إهتمامهم فى أنفسهم فالانسان الآن يهتم بالوصول إلى القمر اكثر مما يهتم بالوصول الى السماء..وينشغل بقهرالفضاء وركوبه وارتيادة أكثر مما يفكر فى قمع الجسد وقهر شرور النفس ويهتم بالضمان المادى ولا يفكر بالضمان الروحى المتمثل فى النقاوة الداخلية..وأننا نهتم بما نلبس وبما نأكل وبما نشرب وبما نستطيع أن نفعله حتى نسترخى ونستريح اكثر مما نهتم بمن اننا نميل كثيرا للأشياء الزائلة ولا نهتم

بالباقية ولذلك يواجه الانسان نيرانا كثيرة تحاول أن تحرقه وأهمها ان عدم الاهتمام بالروح يشكل خطرا كبيرا ويخرج جيلا يهتم بالجسد ولا يتعاطف مع الروح وعندما نتألم اننا أمام شباب يحبون المادة أكثر من الروح علينا ان نفكر أننا نحن انفسنا مسئولون أمام الله عن هذا ومهمتنا هى محو الأمية الروحية بطرق متعددة نقدم نحن فيها انفسنا ونهتم قبل أى أحد بأمورنا الروحية وننشط ارواحنا..ونسجد أمام الله بالروح لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح ينبغى أن يسجدوا..ولأننا لو لم نهتم بعالم الروح سوف تكون العاقبة أن عالمنا المجنون يحرق نفسه بنفسه ويتعدى على دائرة الروح ويستبيح الروحانيات ويمجد الماديات ويتعدى الخطوط الحمراء وتزداد الجريمة وينفلت الزمام..ولكن شكرا للرب الذى أعطى لبعض من يحبونه الاهتمامات الروحية نسكا وتعبدا وتصوفا وسجودا وركوعا أمام الله الذى هو روح .

نحو الأمية : هناك نكته يتندر بها الناس فى أمر محو الأمية حيث كان أحدهم وهو كبير فى السن يحمل كتابا وكراسا وقلما..سأله احدهم أين تذهب؟ فقال نحو الأمية..وربما يكون هذا سخرية بالجهود الكثيرة التى تبذل فى محو الأمية دون أن تحقق مكاسبها المطلوبة ولكن محو أميه الابجديات أمر هام جاد..والأمية كثيرة الانتشار ومساحتها واسعة فى بلادنا المتخلفة وبينما بلاد العالم المتقدمة تتحدث عن أمية التقنيات نحن نتعثر فى محو أمية الأبجديات ورسالة الدولة فى محو الأمية هى رسالة مهمة وينبغى أن يكون للدوله فى محو الأمية دور واضح ودعم مالى كبير ولقد فكرت فى هذا كثيرا عندما حضرت الاجتماع الأول لعام ٢٠٠٣ للمجلس القومى لمحو الأمية وتعليم الكبار وكان الاجتماع يوم ٢٠٠٣/٧/٢٦ فى مكان متواضع جدا علمت أنه ينبغى أن يخلى هذا المكان وبعدها يبحث المجلس القومى لمحو الأمية عن مكان آخر..والمكان الآخر الذى ينبغى أن يحتله هذا المجلس هو قلب كل سودانى حر..وهو أيضا قلب كل مسئول فى السودان لأن الأمية قادرة أن تدمر كل الخطط..وتهزم كل التطلعات القومية..وتبدد كل الرؤى نحو المستقبل السعيد..

المجلس القومى لمحو الأمية : اننى أتشرف بعضوية هذا المجلس وأعتز بالدور الذى يمكن أن يقوم به..وكما قدم الاستاذ عبد العزيز عبد اللطيف خطابا قال فى مستهله إن علماء التخطيط يلخصون الآداء العلمى بثلاث وقفات وقفة أولى ونظرة إلى الخلف لنرى كيف كان مسارنا وكيف وصلنا الى ماوصلنا اليه ووقفة ثانية ونظرة إلى موقع أقدامنا لنرى أين نقف وماذا يحيط بنا ووقفة ثالثة ونظره إلى الأمام إلى الهدف لنحدد هدفنا ونحسب خطواتنا ونعد مسارنا الى الهدف

المنشود..وكل هذا كلام ممتاز ولكن هذا المجلس لم يعقد اجتماعا واحدا لمدة أكثر من عامين وهذا لظروف مختلفة قال عنها الأمين العام انه على رأسها الظروف المادية للأمانة وظروف وزراء التربية والتعليم أى أن المال هو السبب فى التأخير وهذا أمر خطير وهو مسئولية الحكومة وأيضا تغيير الوزراء وهذا أمر نحن نعتبر الأوائل فيه على مستوى العالم فالوزير عندنا لايستقر كثيرا ربما بسبب عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وربمابسبب المجاملات والتى تجعل الحكومة أحيانا تخترع وزارات بسبب الترضيات السياسية ومعروف أن وزير الأعلام المصرى صفوت الشريف منذ أن بدأ وزارته وحتى الآن غيرنا نحن أمامه مالا يقل عن ثلاثين وزيرا..

ومحو الأمية يحتاج الى تخطيط جديد والى مساندة مالية من الدولة..واذكر أن أستاذى فى التخطيط الدكتور عاطف غيث كان يتحدث معنا عن أهمية كل صغيرة وكبيرة لكى يكون التخطيط ناجحا..وقال لنا ان الدولة فى مصر أعدت خطة كبيرة لمحو الأمية..ولكن ما أن بدأ التنفيذ حتى انتهى وفشلت الخطة وسألنا ماهو السبب كما تعتقدون وكانت اجاباتنا متعددة..الخطة لم تنجح بسبب عدم رغبة أهل الأمية فى محو الأمية..الخطة لم تهتم بالجانب الاجتماعى..الخطة نفذها مدرسون من الشباب لم يقبلهم كبار السن..وهكذا عددنا الأسباب ولكن الأستاذ قال لنا ان الخطة قد فشلت لأن ميزانية الخطة خالية من ثمن الطباشير واندهشنا الطباشير يفشل خطة دوله..نعم يفشلها.. وعندنا فى السودان قال الأمين العام للمجلس القومى لمحو الأميه أن الذين جاهدوا من أسرة المجلس جاهدوا ايمانا بالعمل وولاء للمؤسسة وأنه قفز الجميع خارج دائرة الاحباط وابعدوا من قاموسهم كلمة المستحيل وقدموا ما قدموا فى مواقف تستحق التسجيل..وأنا بالحق معجب جدا بهذا الأسلوب من الآداء ولكنى أشفق على هذا المجلس لأن له تطلعات ليس فى محو أمية الأبجديات بل فى محو أمية التقنيات واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجساد وإذا كانت الطموحات كبارا تعبت فى مرادها الميزانيات..ياسادة الأمر أخطر من هذا..وعلى الحكومة أن تقوم بدورها وتساند المجلس القومى لمحو الأمية مساندة قويه وإلا وبكل أسف نحن نتجة نحو الأمية..أمية الأبحديات وأمية التكنولوجيات وأمية الروحانيات .

١١٣ . نفوسنا هل هي أرواحنا ؟!

هنـــاك فــــرق : هناك فرق بين النفس والروح ولكن أحيانا تستعمل كلمة نفس بمعنى روح..ولكن الفرق واضح جدا..ففي الإنسان روح ونفس وجسد..أما الجسد فهو الكيان المادي الترابي..والنفس هي الحياة الحسية المرتبطة بالجسد ارتباط الحرارة بالنار كما يقول العالم الراحل عنا نيافة الأنبا غريغوريوس وهو اكثر إنسان فهم هذه المعاني وعبر عنها..وعلى تشبيه الحرارة والنار إذا انطفأت النار زالت الحرارة بزوالها وأما الروح فهو الجوهر العاقل..وكل من الجسد والنفس يفنى بالموت واما الروح العاقلة فهي خالدة لاتموت..

حـــيوان نـــاطـــــق : كان أول درس لى الفلسفة عندما كنت غضا في الثانوي.. ودخل الأستاذ سيد أستاذ الفلسفة وطرح علينا سؤالا يقول فيه من هو الإنسان ؟! وبدأنا في الإجابة وكلنا لم يخطر ببالنا إلا أن الانسان هو كائن حي..الإنسان حر الإرادة الإنسان مخلوق الله..الإنسان قلب وضمير..الانسان روح حي..وتفلسفنا نحن الطلبة وطبعا تفلسفت معهم.. واستمر الأستاذ سيد وكان فيلسوفا يسأل ونحن نجيب ولم تنفع معه أي إجابة ولكن طالبا زميلا مرحا اسمه سعيد قال : يا أستاذ الإنسان حيوان ناطق.. وفرح الأستاذ بالإجابة..وطلب منا إن نصفق..ولكننا اعتبرنا السائل والمجيب كلاهما مجنون ولكن هذا هو رأى العلماء إن الإنسان حيوان ناطق وكلمة حيوان أفهمها ألان أنها ليست كما كنا نتصورها إنما هي تعنى أنه كائن حي..وأذكر إن الأستاذ جعفر ميرغنى عندما كان يتحدث عن الحيوانات الأربعة المذكورة في حزقيال والرؤيا قال لى إن افضل إن نسميها الكائنات الحية وقال الكائنات الحية الأربعة والتي ذكرها الكتاب المقدس بترجمة حيوانات هي كائنات روحية حية تشفع في مخلوقات الله فلأحدها وجه إنسان يشفع في بنى الإنسان وللثاني وجه نسر يشفع في الطيور وللثالث وجه أسد يشفع في الحيوانات المفترسة وللرابع وجه ثور يشفع في الحيوانات الأخرى..

وأعود الى النفس والروح أن الإنسان والحيوان يشتركان معا في أن كلا منهما حيوان ويختلفان في إن الإنسان حيوان ذو عقل فالإنسان يمتاز ويعلو عن جميع الحيوانات بالعقل هذا الجوهر العاقل هو الروح الإنسانية التي لاوجود لها في الحيوانات العجماوات والتي انفرد بها الإنسان وتميز بان الله نفخها من عنده في كيانه الحسي فصار بها أنسانا أسمى وأرفع من جميع الحيوانات والطيور لأن هذه الروح على صورة الله ومثالة إن الإنسان بالروح العاقلة التي نفخها الله فيه صار

على صورة الله ومثالة سيدا قويا حاكما متسلطا قويا يعتز بنفس ويرفض أن يدمر نفسه ويحافظ على الروح طاهرة عفيفة نقية..وهنا يقول سفر أيوب :

١-قال اليهود أنا صغير في الأيام وانتم شيوخ..لقد اعتذر عن أن يبدى رأيه ولكنه قال : ولكن في الإنسان روحا ونسمة القدير تعقلهم (ايوب٣٢:٨).

٢-وقال نفس الفيلسوف صديق ايوب وهو اليهو طالبا من زملائه أن يستمعوا لراية : لنمتحن لانفسنا الحق ونعرف بين انفسنا ماهو طيب (ايوب٣٤:٤).

٣-روح الله صنعني ونسمة القدير أحيتني (ايوب٣٣:٤).

٤-فحقا إن الله لايفعل سوءا والقدير لايعوج القضاء إن جعل عليه قلبه إن جمع إلي نفسه روحه ونسمته يسلم الروح كل بشر جميعا ويعود الإنسان إلى التراب (ايوب٣٤،١٥:١٤). وفى نفس المعنى يقول اشعياء : هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها.. باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا (اشعياء٤٢:٥).

النفـــس غيـر الـــروح : إن النفس شئ والروح شئ أخر..إن بينهما نقطة التقاء كما أن هناك بينهما نقطة افتراق وكلمة الله حية وفعالة وتستطيع أن تبلغ المفترق بين النفس والروح ولهذا يقول بولس : وإله السلام نفسة يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلالوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح (تسالونيكى الاولى٥:٢٣) وهذا يعنى أن في الإنسان ثالوث متميز هو الروح والنفس والجسد ولكل منهم كمال ينبغي إن يحافظ عليه والخلود ليس للروح وحدها إنما للنفس والجسد أيضا.

١١٤ . نوافذ على العالم الأخر

العالم الآخر : مجده ملء كل الأرض فاهتزت أساسان العتب مـن صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا ويل لى انى هلكت لأني إنسان نجس الشفتين نحـن نعلم أنا نمضى من هذا العالم إلى عالم أخر وهذا العالم الآخر معلوماتنا عنه بسيطة جدا ولكن إيماننا بوجوده كبير جدا والعالم الآخر ليس حلما من أحلامنا بل هو واقع تجدده رؤيانا فـنحن مؤمنون ونحن من الله وإليه راجعون نعيش حياتنا هنا وبعدها نحن كـما يقول القران الكريم منقلبون إلى الله لنحيا معه في العالم الآخر يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قالوا أنا إلى ربنا منقلبون قالوا لاضير آنا إلى ربنا منقلبون والذين يؤتون

مأتوا وقلبوهم وجلة انهم إلى ربهــم راجعون الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وأنا إلية راجعون وكما قال القديس أوغسطينوس : يارب أننا خلــــقتا لك ولن تستريح الافيك ...

نوافذ مفتوحة : ونحن نعلم بعض العلم عن العالم الآخر ولكننا عندما نصل إلى هناك سوف نعرف الكثير عن العالم الآخر وسوف يسعدنا الملكوت هناك وأذكر أن المطران الراحل نيافة الأنبا دانيال كان يكرر كثيرا أنه إذا عرض عــلى أحد الراحلين إلى العالم الآخر إن يعود إلى هذا العالم فأنة سوف يرفض رفضا باتا وان لمن ذاق حلاوة الآخرة إن يفكر في دنيانا ولذاتها الخاسرة ؟ وعــلى مر تاريخ البشر انفتحت نوافذ من هنا على الآخرة ونوافذ من الآخرة علينا ونذكر هنا بعضا من هذه النوافذ التي انفتحت على العالم الآخر :

أول نافذة : يــذكر سفر التكوين عن الآباء الأوائل للبشرية كيف عاشوا وكيف عمروا وكيف وصلوا إلى العمر مايقرب من ألفي عام كما حدث مع اكبر معمر في الدنيا وهو (متوشالح) الــذي عاش ٩٦٩ سنة ثم مات وبين هؤلاء يذكر لنا سفر التكوين قصة رجل اسمه (اخنوخ) وهو والد متوشالح ولدة وكان له من العمر ٦٥ عاما وعاش بعد ولادته ويبدو أنة ابنة الوحيد مدة ثلثمائة عام وعندما اكتــمل له من العمر ٣٦٥ عاما وهو عمر قصير بالنسبة لغيرة رحل اخنوخ إلى السماء ويقــول عنة الكتاب : وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لان الله آخذة (تكوين ٥:٢٣) وسار اخنوخ مع الله ثم توارى من الوجود لان الله نقلة إلية وقد عرف الجميع إن اخنوخ صعد حيا إلى السماء وجاء بولس الرسول بعد خمسة آلاف سنة من هذا الحدث يؤكد إن اخنوخ كان أول الصاعدين إلى السماء أو أول من فتحوا نافذة على السماء إذ قال : بالأيمان نقل اخنوخ لكي لايرى الموت ولم يوجد لان الله نقلة (عبرانيين١١:٥) واخنوخ هذا عند الإسلام هو النبي إدريس واذكر في الكتاب إدريس أنة كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا (مريم٥٧،٥٦)

ولقد أطلق علية قدماء الفراعنة (حورس) واليونانيون اعطوة اسم (هارماكيس) والعبرانيون (خنوع)

والعرب (اخنوخ) وقد ترك اخنوخ أثارا روحية عظيمة. .وكلمات قيمة فلقد كان صاحب دعوة واضحة

إلى التوحيد ووصفة الرواة أنة كان طويل القامة، حسن الوجه، كث اللحية،نحيفا، كثير التأمل، قليل الكلام،

ولاينجة ببصرة الى السماء ألا عند الدعاء.. وقد احتضنته السماء عائدا إلى هناك.

٢-ايليا النبي : وكانت النافذة الثانية على العالم الآخر هي صعود ايليا حيا إلى السماء وسط جمع كبير من الأنبياء على مرأى ومسمع منه وكان تلميذه اليشع واقفا معه وعندما صعد ايليا أمسك اليشع بــرداء معلمه وترك ايليا رداءه في يد اليشع وصعد إلى السماء وفتشوا عند في كل البقاع لعله يكون قد صعد أمامهم لينزل في موضع آخر ولكنة صعد إلى السماء ولم يعود ثانية ويؤمن المسيحيون أنه سيعود ثانية مع اخنوخ ويشهد ان لله في وسط عالم شرير ويقتلان ويموتان كعلامة من علامات نهاية الأزمنة وقد ذكر ايلياس في القران الكريم على أنة من الصالحين ومن المرسل.

٣- وكثيرون مــن الأنبياء انفتحت امامهم نوافذ على العالم الآخر ورأوا العديد من الرؤى ونذكر هنا رؤيا أشعياء التي رآها عندما قال : في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسى عال ومرتفع واذياله تملأ الهيكل والسيرافيم واقفون فوقة لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطى وجهة وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس قدوس رب الجنود وآنا ساكن بــين شعب نجس الشفتين لان عيني قد رأتا الملك رب الجنود فطار إلى واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد آخذها بملقط مــن على المذبح ومس بها فمي وقال إن هذه قدست شفتيك فانتزع آثمك وكفر عن خطيتك ثم سمعت صوت السيد قائلا : من أرسل ومن يذهب من أجلنا فقلت هاأنذا أرسلني فقال اذهب وقل لهذا الشعب (اشعياء٦)

ولقد كان لهذه الرؤيا الأثر الكبير في حياة اشعياء فلقد انطلق يحدث الناس عن السماء وعــن التعزيات السماء وعن العالم الآخر وطلب من جميع الناس إن يغنوا أغنية جديدة للرب وان نسبحه أقاصي الأرض وبــدا يشدد الناس لاتخف لأني فديتك دعوتك بأسمى أنت لى إذا اجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك إذا مشيت في النار فلا تلدع واللهيب لايحرقك لأني آنا الرب لقد استمد اشعياء قوته الروحية من رؤياه لمجد الرب وللعالم الآخر وراح يؤكد للناس وحدانية الله آنا الرب وليس آخر لااله سواي نطقتك وانت لم تعرفني لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها إن ليس غيري آنا الرب وليس آخر مصور النور وخـــالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر والفكرة الروحية هي أننا كلما تطلعنا إلى العالم الآخر سوف نـــأخذ قوة روحية تدفعنا لانتصار الروح في هذا العالم وتجعلنا نتحمل الآلام في مسيرتنا لان آلام هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجـــد العتيد إن يستعلن فينا .

١١٥ . هابطون وصاعدون الى السماء

رأى مسيحي : يرى المسيحيون أن الله عال ومتعال فوق كل مافى العالم..وهم يسبحون الله سبحانه وتعالى.. تعالى على شرور الناس..وتعالى على الزيف والضلال والخداع الذى يحيا فيه بنى البشر..ولكن من ناحية أخرى يتحدثون عن تنازل الرب وكأنهم يقولون أن الله سبحانه وتنازل..أى نزل الى أرضنا وهو طبعا موجود فى كل مكان وفى الكتاب المقدس نرى عدة مواقف يذكر فيها ان الله نزل من السماء فعن سدوم وعمورة يقول : فنزل الرب لينظر المدينة (تكوين ١١:٥) وعن برج بابل يقول ننزل ونبلبل هناك لسانهم (تكوين ١١:١٧) وفى سفر الخروج الرب نزل عليه بالنار (خروج ١٩:٧) وفى المزامير طاطأ السموات ونزل (مزمور ١٨:٩)..وفى الأمثال يتساءل من صعد الى السموات ونزل..من جمع الريح فى حفنتيه..من صر المياه فى ثوب..من ثبت جميع أطراف الأرض ماسمه ومااسم ابنه أن عرفت (أمثال ٣٠:٤)..وفى النشيد حبيبى نزل الى جنته (نشيد ٦:٢)..وفى أشعياء : ليتك تشق السموات وتنزل (أشعياء ٦٤:١) يارب طاطىء السموات وانزل المس الجبال فتدخن (مزمور ١٤٨:٥)..والسيد المسيح فى حوار مع نيقوديموس الذى أتى اليه ليلا كان الحوار عن الولادة من فوق وهى ولادة روحية تؤهل لدخول الملكوت ولما لم يفهم نيقوديموس الكلام سائلا هل يقتضى هذا أن يدخل بطن أمه ثانيه قال يسوع : إن كنت قد قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات وليس أحد صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء..وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣)..وبعد حوار بين السيد المسيح ونثنائيل قال له الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السموات مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان (يوحنا ٢) ولقد بدأ ميلاد السيد المسيح بانفتاح السماء على الأرض حيث ظهر الملاك المبشر مرة لزكريا وأخرى لمريم..كما ظهرت جوقة من ملائكة السماء للرعاة ورنموا : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة..وقد انتهت خدمة السيد المسيح بعد قيامته بالصعود الى السماء لأنه بينما هو يتكلم مع التلاميذ أخذته سحابة وارتفع عنهم صاعدا الى السماء..وكان الحضور هم شهود على هذا الصعود وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وهذان طبعا ملاكان وقالا : أيها الرجال مابالكم واقفين تنظرون إلى السماء إن يسوع هذا الذى أرتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه

منطلقا إلى السماء (أعمال ١)..وفى كل هذا نذكر رؤيا يعقوب فى أول طريق حياته عندما نام على وسادة من حجر وكانت السماء له غطاء ورأى رؤيا أن سلما يصل بين الأرض والسماء فى قمته الله يتحدث معه ويطمئنه وملائكة صاعدون ونازلون على هذا السلم وقد كان يعقوب يعتز بهذه الرؤيا..ولقد نصب الحجر الذى كان له وسادة عمودا فى بيت الرب ونذر أن يبنى مذبحا للرب فى مكان الرؤيا.

لسنا وحدنا : وعندما نتحدث عن الهابطين من السماء والصاعدين اليها يرى بعض العلماء أننا لسنا وحدنا فى هذا الكون..ويتحدثون عن قارة اطلانطس التى غرقت وقد تكلمت الحضارة الفرعونيه عن هذه القارة وأنه كانت هناك حضارات غرقت فى طوفان نوح وحضارات أحرقت بالنار والكبريت فنزلت النيران والأحجار الملتهبة من السماء وطبعا لاشك أن بعض الناس تركوا المكان وسكنوا فى بيوت تحت الأرض اذا تمكنوا أن ينجوا من هذه النيران التى كانت عقابا الهيا فى صورة كوارث فلكيه..ويقول سفر التكوين عن كارثة سدوم وعمورة فأمطر الرب عليهما كبريتا ونارا من عند الرب من السماء وكان دخان الأرض يصعد كدخان الآتون..وقد وصف هذا بأنه انقلاب لأن الرب قد قلب هذه المدن (تكوين ١٩)..وعن الحضارات القديمة يذكر أنيس منصور أن الآثار فى زمبابوى بأواسط أفريقيا تؤكد لنا وجود سفن فضاء من عشرات الالوف من السنين وأن النقوش فى كهوف بيرو تؤكد لنا وجود انسان كان يطير مستعينا بآلات متطورة جدا ويذكر أن الرحالة النرويجى تورهايردال وهو أحد المؤمنين بأن الفراعنه هم الذين صنعوا المعجزات وأن الحضارات اذا كانت قد ظهرت كلها فى الغرب فان نورها قد انطلق من الشرق ولا تزال أخبار " رع ٢" تلقى نفس الأهمية التى تلقاها سفن الفضاء فى رحلاتها الى القمر.. والسماء أمامنا تمتلئ بالأسرار التى لم نكتشفها بعد وكما قال انيشتين : ان أروع شعور يملأ نفس الإنسان وهو يتطلع الى السماء أن هناك سرا هائلا وراء كل شئ..ان هذا السر هو المصدر الحقيقى لكل علم وكل إنسان لم يستشعر جلال هذا السر هو انسان أعمى..واذكر هنا أن نيوتن كان يسير الهوينا ويخلع قبعته اجلالا وتكريما لخالق الطبيعة التى لم يعرف أحد حتى الآن كل أسرارها..ونحن لانعلم شيئا عن الحضارات السابقة ولا نعرف ماهى التفاصيل لأن صوت الأحداث اعتقلته الصخور ويرى العالم الفرنسى بيقون ان كتلا من الجرانيت قد ألقيت من السماء الى الأرض..ولقد درسنا صغارا عن الشهب والنيازك وكنا قبلها نسمع رأى كبار السن الذين عندما تنزل الشهب والنيازك إلى الأرض يقولون لنا أن نجما كبيرا قد سقط أو أن زعيما قد مات وسقط نجمه..والعالم الرياضى لابلاس يقول : هناك شعوب عظيمة لا نعرف اسمها ولا حتى لغتها وقد اختفت فى

ظروف غريبة عن هذه الأرض ولم تترك لنا اثرا من علم أو صناعة..ولقد اعترف العلماء بالطوفان وأن حضارتنا الجديدة ولدت بعد موت حضارات سابقه..والأساطير القديمة تتحدث عن يوم اقتربت فيه السماء من الأرض..إن الكون الذى نحيا فيه هو كون كبير يبدو أن لانهاية له وهذا فقط أمام ناظرينا لأن لكل شئ بداية ونهاية..والحديث عن سفن الفضاء والأطباق الطائرة وزيارة كائنات غريبة من الكواكب الأخرى هو حديث ذو شجون..وقد عثر على صندوق به أحجارا نادرة ورأوا فيه نقوشا غريبة غير مفهومة وعبارة تقول : إخواننا الزائرون الطيبون الذين جاءوا الينا من قلب السماء وأن هناك كائنات على درجة عالية من الرقى العلمى والأجتماعى أقامت فى مصر..ولقد اختفت حضارات قبلنا ولكن السماء تمتلئ بالأسرار..الهابطون من السماء..الصاعدون اليها..كائنات تحتاج الى المزيد من الدراسات ونحن بشر محدودون نحتاج الى صبر لكى نعرف أكثر .

١١٦ . هل الإنسان روح لاجسد

تجربة الموت : رغم أن الموت حق على كل الناس. .رغم أنه ذكر في الكتاب المقدس أنه قد كتب على جميع الناس أن يموتوا مرة واحدة وبعد ذلك الدينونة فان تجربة فقد أحبائنا تجربة صعبة.. والتجربة هي امتحان والتجربة هي ابتلاء وكثيرون يتحملون وكثيرون لايتحملون..وموضوع أن الإنسان روح لاجسد بدأت أتعرف عليها عندما كنت في الجماهيرية الليبية منذ ما يقرب من خمسة وعشرون عاما..وكنت قد ذهبت لافتقاد أقباط السودان هناك بواسطة أحدهم..واحدهم هذه لا تعنى انه شخص غير معروف..كلا. .لقد دعاني للزيارة ودفع في هذه الدعوة ثمنا غاليا وكانت أول تضحية له أن صاحب العمل فصلة عن عملة لأنة يستضيف كاهنا..ولكن المضيف تحمل لأنة كان يحب جدا هذه الرسالة ولم استأذنة لكي اكتب اسمه..وخلال هذه الزيارة طلب منى إن ازور أستاذا جامعيا يعيش مأساة ويحتاج منى إلى المواساة..وكان هذا الأستاذ أستاذا للقانون في كلية الحقوق في طرابلس..وكانت مأساته أنة تزوج بعد أن كبر أو تزوج على كبر كما يقولون..وسرعان ما فرح مع زوجته واستعد لاستقبال القادم الجديد ولكن أتت الرياح بما لا تشتهى السفن فلقد رحلت الأم وانتقلت إلى مكان الراحة..وعاشت الطفلة الصغيرة بدون أم..وكانت الصدمة قاسية على الرجل..فكان يبكى متألما ويحمل طفلته الصغيرة في عطف وحيرة. .واتجه نحو الكتب ليقرأ وشاع في

قلبة شعــور بأن روح زوجته مــوجودة في المكان..وان هذا الروح تحيط به..وبالطفلة وتملأ حياتهما حنانا..وكانت أمه تسكن معه.. وكانت تقول عنه انه حنين جدا وحزين جدا وترى انه لادعى لهذا الحزن فلم تكن زوجته تستحق هــــذا. .لقـــد كـــانت متعبة ود لوعة..وخفيفة وهى مشكلة أعرفها جيدا فهي حماتها وطبعا أخذت منها ابنها بعــد أن عاش مع أمة أكثر مما يعيش الآخرون ..
الانسان روح : ودخل معي هذا الأستاذ في مناقشة وهى الإنسان روح لاجسد..وأنا لا أمانع أن الإنسان روح ولكنني لايمكن أن اقتنع أن الإنسان روح لاجسد فالجسد واضح وضوح الحق..بــل هو واضح أكثر من الروح فإذا أردت إن تثبت إن الإنسان جسد لاتقابلك مشكلة لان الأدلة كثيرة ولــكن عندما تريد أن تتكلم عن الروح في الإنسان تحتاج إلى أدلة وقلت في نفسي ربما فراق زوجته هو الذي جعلة يفكر بهذه الطريقة ولكنه أهداني كتاب كبير من ثلاث أجزاء وهو لأستاذ في القانون هو الدكتور رؤوف عبيد وكيل كلية الحقوق جامعة عين شمس مطبعةالاستقلال الكبرى ١٩٧٥ والكاتب مؤلف للـــعدد العديد من المؤلفات مثل مبادئ القسم العام من التشريع العقابي ، السببية في القانون الجنائي ، فى الجرائم وعقوباتها ، جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال..هذا في التشريع العقابي وله عدة مؤلفات أخرى في علم الأجرام ، فى فلسفة التشريع ، والــــذي يهمني مؤلفاته في علم الروح الحديث حيث له هذا الكتاب الذي اهداه الى صديقي الذي فقــد زوجته ، وله أيضا : عروس فرعون وشوقيات جديدة من عالم الغيب وهو دراسة عن الإلهام وعـــن الصلة بين عالمي الروح والمادة.. وقصتي العظمى وهو تعريب لتحقيق روحي اســتمر عشرين عـــاما قـــام بـــه الأديب المعروف (هانن سوافرن) نقيب الصحافة البريطانية وللمؤلف كتاب (ظواهر الخروج من الجسد أدلتها ودلالتها مدخل إلى عالم جديد. .وأيضا كتاب في العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم وهــو دراسة في تاريخ الإنسان الذي يتجاوز حياته الراهنة وربما للمؤلف كتب أخرى صدرت بعد هذه الكتب والتي رأى آخرها النور في عام ١٩٧٦..ولكن اعتقد أن صديقي أستاذ القانون في ليبيا قد فتح أمامي موضوعا كبيرا عن الروح باعتباره علما واسعا له قواعده وأسسه ومداخله وأنا شخصيا ما أوتيت من العلم إلا قليلا .

١١٧. هل حياتنا مثل بخار ؟!

نعم هي بخار : والتعبير للرسول يعقوب الذي قال : هلم الآن أيها القائلون نذهب اليوم أو غدا إلى هذه المدينة أوتلك وهناك نصرف سنة واحدة ونتاجر ونربح انتم الذين لاتعرفون أمر الغد لأنه ماهى حياتكم انها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل (يعقوب٤ :١٤). .إن أمجاد الإنسان وحضارة الإنسان وكل طموحات بنى البشر إنمـــا هي بخار يظهر قليلا ويأخذ له مكانا ثم لا يلبث أن يضمحل..إن حياة الإنسان كالدخان مصيرها إلى فناء وقـــد قال داود هذا عـــن الأشرار لان الأشـــرار يهـــلكون واعـــداء الرب كبهاء المراعى فنوا..كالـــدخان فنوا..(مزمور٣٧: ٢٠) وقـــال أيضـــا لأن أيامي قـــد فنيت في دخان وعظامي مثل وقيد قد يبست (مزمور١٠٢ :٣) وقال داود عن نفسه أيضا : لانى قـــد صرت كزق فى الدخان (مزمور١١٩ :٨٣)..

العشب اليابس : وهناك تشبيهات أخرى تشبة بها حياة الإنسان وأمجاد الإنسان..فكل أمجاد الإنسان مثل العشب الذي يبدأ اخضرا نضرا..يزهو ويتباهي ويتفاخر بلونه الجميل وملمسه الناعم..ولـــكن هذا العشب عندما تدركه اليبوسة يزبل ويتساقط..والفكرة الروحية هنا هي أن لايتباهى الإنسان بجلال أو جمال لأن الموت يدرك الإنسان عندما يقطع كالعشب وتتساقط أمجاده وأبهته ودواعي افتخاره.. فالإنسان كـــقول ايوب يخرج كالزهر ثم ينحسم (ايوب١٤ :٢)..وفى دعاء موسى النبي يقول يارب ملجأ كنت لنا في دور فدور.. من قبل إن تولد الجبال او ابدأت الارض والمسكونة. .منذ الأزل إلى الأبد أنت الله تـــرجع الإنسان إلى الغبار وتقول ارجعوا يا بنى ادم..جرفتهم كسنة يكونون بالغداة كعشب يزول..بالغداة يزهر فيزول..عند المساء يجز فييبس..(مزمور٩٠).. والغداة هي وقت شباب الإنسان الغض ورجولته القوية..أما المساء فـــهو زمان غروب الحياة وأفول نجمها عندما يرحل الإنسان عائدا إلى الأرض التي جبل منها..ويستمر هـــــذا التشبيه ويقدمه بطرس الرسول عندما يتكلم عن فناء الجسد وعن الميلاد الجديد الذي ليس من زرع يفنى بل مما لايفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد لان كل جسد كعشب وكل مجد إنسان كزهر عشب..العشب يبس..وزهره سقط وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد (بطرس الاولى١ :٢٤) وغنى الإنسان مصيره إلى ذبول لأنه كزهر العشب يزول لأن الشمس أشرقت بالحر فيبست العشب فسقط زهره وفنى جمال منظره...هـــــكذا يذبل الغنى أيضا في طرقه (يعقوب١ :١١)..وعند اشعياء الشاعر النبي يأتى هذا الكلام..صوت قائل نادى..بماذا أنادى..؟ كل جسد

عشب..وكل جماله كزهر الحقل..يبس العشب ذبل الزهر لان نفخة الرب هبت عليه. (اشعياء ٤٠:٦-٧) وكما شبهت حياة الإنسان بعشب تدركه اليبوسة..هكذا شبهت بوقيد مهما اشتعلت لابد ان تنطفئ.. عظامي مثل وقيد قد يبست (مزمور١٠٢:٣) فالحياة وقود.. ومهما اشتعل الوقود لابد أن ينطفئ وهـــكذا كل أمجاد الإنسان مصيرها إلى الزوال..كل مجد العالم يفنى ويزول..وبمثل ما يزول الإنسان هكذا سوف يزول العالم كله لان هيئة هذا العالم تزول لهذا يرى بولس فيلسوف المسيحية أننا ينبغي إن نستثمر الوقت لصالحنا الروحي ولحساب ابديتنا وهنا تتضاءل كل أمجاد هــذه الدنيا لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم..والذين يبكون كأنهم لايبكون..والذين يفرحون كأنهم لايفرحون..والذين يشترون كأنهم لايملكون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لايستعملونه.. (كورنثوس الاولى٧) وهـــذا يعنى أن يكون اهتمام الروح فوق كل اهتمام..والتزامنا بالحياة مع الله فوق كل التزام..وكلام الرب فينا اعمق من كل كلام حتى نحيا هنا في سلام ونذهب إلى الأبدية فى اطمئنان ووئام يكون سلامنا فينا الى التمام..

نحو النهاية : إن الحياة تسير بنا نحو النهاية..بعد ربيع الحياة تأتى أيام الحـــصاد.. وتغـــرب شمس الحياة عنا.. والإنسان يسير نحو الغروب.. نحو الموت وهو النهاية.. ولا ينفع الغنى في يوم السخط.. ولن يتمكن أحد من انقاذ أحد.. فالأخ لن يفدى الإنسان فداء.. كل واحد يحاسب عن نفسة. والغريب أن حياة الإنسان أسرع زوالا من جميع الأشياء.. يمكن للإنسان أن يضمن بقاء الثروة والبيوت والممتلكات ولكن لايضمن حياته لحظة واحدة ويأتى الموت فجأة.. ويباغت الناس والإنسان اشبة برجل نائم في غابة وحوله ألوف مـــن الوحوش والحشرات وكلها تجد وتكدح في طلب الفريسة وهو لا يدرى إن كـــل شئ حوله يسعى لافتراسه..في داخلنا ماينادينا بقضاء الموت المحتوم..فى لحظة نفارق..فى طرفة عين تتوقف انفاسنا..بغتة نموت (ايوب٣٤:٢٠) بغتة تكسر ولاشفاء (امثال٢٩:١) وإذا كان الطريق إلى النهاية هكذا فلا مناص من أن نجهز أنفسنا لمقابلة الموت وما بعد الموت .

١١٨. هل يمكن أن نرى الله ؟ !

أمـــر صعـب : معروف جدا في العهد القديم أنه لا يقدر أحد أن يرى الله..وبأي عين يمكن أن يراه..إن رؤية الله وجهاً لوجه أمر محال لأن الله روح..والروح لا يرى..ولأن مجد الله مجد عظيم لا أحد يقدر أن يراه.وقيل عن موسى أنه عندما صعد على الجبل لكي يستلم لوحي العهد أقيمت عدة احتياطات لكي لا يلمس أحد الجبل الذي سوف يتكلم الرب من عليه وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الآتون وارتجف كل الجبل جدا.وعندما نزل موسى كان وجهه يلمع كالبرق ووضع برقعا على وجهه..ويقول الأدب المسيحي في المدائح إن موسى لم يطق أن يرى من نور الله ثقب إبرة (خروج١٩) وقال اليغاز الثيمانى عن الله : هوذا الله في علو السموات وانظر رأس الكواكب ماأعلاه السحاب ستر له فلا يرى وعلى دائرة السموات يتمشى(أيوب٢٢:١٤) والقاعدة معروفة أن الله لا يراه أحد ويعيش. .وعـنـدما كان يرى أحد ملاك الرب كان يقول إننا سنموت لأننا رأينا الرب لمعرفتهم بكلام الرب : لا تقدر إن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش (خروج٣٣:٢٠) .

تـــوفيـــق الحكـــيم : لقد خطرت ببالي هذه القاعدة الروحية التي ذكرها العهد القديم عندما قرأت كتاب الاديب اللبيب توفيق الحكيم أرني الله.. وارني الله هي أول قصة ذكرها الحكيم وسط قصص وتأملات أخرى ممتعة.. ولقد ذكر الحكيم أنه كان فى سالف العصر والأوان رجل طيب السريرة صافى الضمير رزقه الله طفلا ذكى الفؤاد ذلق اللسان فكانت أمتع لحظاته ساعة يجلس إلى طـفلة يتحادثان صديقان فيلحظ كأن فارق السن وفاصل الزمن يرتفع من بينهما كستارة وهمية من حرير فإذا هما متفاهمان لهما عين العلم وعين الجهل بحقائق الوجود وجواهر الأشياء..نظر الرجل يوما إنى طفلة وقال : شكرا لله ! أنت لى نعمة من الله؟ أرني الله.. ماذا تقول يا أبني.. تريد أن أريك الله؟! كيف أريك مالم اره أنا نفسي..؟! سأل الطفل : ولماذا يا أبت لم تره ؟ أجاب : لأني لم أفكر في ذلك قبل الآن.. وإذا طلبت إليك أن تذهب لتراه ثم تريني اياه ؟! سأفعل يابني..سأفعل..

البحـث عــن رؤيــا الله : ونهض الرجل ومضى لوقته وجعل يطوف بالمدينة يسأل الناس عن بغيته فسخروا منه فهم مشغولون عن الله ومشاهدته بأعمالهم الدينوية.. فذهب إلى رجال الدين فحاوروه وجادلوه بنصوص محفوظة وصيغ موضوعة فلم يخرج منهم بطائل فتركهم يائسا ومشى في الطرقات مغموما يسائل نفسه أيعود إلى طفلة كما ذهب خلوي اليد مما طلب؟

وأخيرا عثر على شيخ قال له : اذهب إلى طرف المدينة تجد ناسكا هرما لا يسأل الله شيئا إلا استجاب له.. فربما تجد عنده بغيتك..فـذهب الرجل إلى ذلك الناسك وقال له جئـتك في أمر أرجو إن لا تردني عنه خائبا.. فقـال الناسك بصوت عميق لطيف : اعرض حاجتك .. أريد أن أري الله..أتعرف معنى ما تقول.. نعم أريد أن تريني الله..فقال الناسك : أيها الرجل أن الله لا يرى بأدواتنا البصرية.. ولا يدرك بحواسنا الجسدية.. وهل تسبر عمق البحر بالإصبع التي تسبر عمق الكأس..وكيف اراه إذن؟... إذا تكشف لروحك.. ومتى يتكشف لروحي؟ إذا ظفرت بمحبته.. فسجد الرجل وتوسل إلى الناسك سـل الله أن فقال الطفل انك يا أبت تتحدث كثيرا عن الله.. يرزقني شيئا من محبته.. قال الناسك تواضع أيها الرجل واطلب قليل القليل.. فلأ طلب إذن مقدار درهم من محبته.. يا للطمع. هذا كثير كثير.. ربع درهم إذن تواضع .. تواضع.. مثقال ذرة من محبته.. لا تطيق مثقال ذرة منها.. نصف ذرة إذن.. ربمـا.. ورفع الناسك رأسة إلى السماء وقال : يارب ارزقه نصف ذرة من محبتك وقام الرجل انصرف.. ومرت الأيام وإذا أسرة الرجل وطفلة يأتون إلى الناسك يخبرونه أن الرجل خرج ولم يعد حتى الآن.. نهض معهم الناسك قلقا ولبثوا يبحثون عنه زمنا إلى إن صادفوا جماعة من الرعاة قالوا لهم : إن الرجل قد جن وذهب إلى الجبال.. ودلوهم على مكانه.. فمضوا إليه فوجدوه قائما على صخرة.. شاخصا ببصرة نحو السماء.. سلموا عليه فلم يرد السلام.. قال له الناسك : انتبه إلى أنا الناسك فلم يتحرك الرجل تقدم إلية طفلة يا أبت ألا تعرفني فلم يبد حراكا وصاحت أسرته وذووه لكي يوقظوه من سياحته ولم يقدروا..قال الناسك : لا جدوى.. كيف يسمع كلام الآدميين مـن كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبة الله.. لو قطعتموه بالمنشار لما علم ذلك.. صاح الطفل الذنب ذنبي أنا الذي سألته ان يرى الله! فالتفت إليه الناسك وقال وكأنه يخاطب نفسة : أرايت ان نصف ذرة من نور الله تكفى لتحـطيم تركيبنا الآدمي وأتلاف جهازنا العقلي.. وأقول أنا أنني أومن بك يارب دون أن أراك حتى لوطلب منى هذا أحد أحفادي الأذكياء هذا الطلب ويقول لى الرب طوبى للذين آمنوا ولم يروا ؟!

١١٩ . وأخيرا وصل ملاك السلام إلينا

أخيرا وصل : الحمد لله..أخيرا..وبعد صبر طويل..بعد مائة يوم من الحوار الساخن..وأعوام عديدة منذ فجر الأستقلال..أطل علينا السلام..ساعدنا كل دول

الجوار..ووقف معنا كل العالم من الدول الكبار وغيرها..وجاء السلام هدية للفقراء.. والمسحوقين.. وذهبت الى غير رجعة الحرب التى جعلتنا نفقد مالدينا..غيرت طعم لقمة عيشنا وصعبت الحصول عليها..وجعلت للماء لونا..ورائحة.. وطعما.. وندرة وجاء السلام له الوان الطمأنينه ورائحة الهدوء.. وطعم الأمل فى مستقبل مجيد.. وصل الينا السلام بعد أرشيف المخاض المستحيل والعسير.

كانت الولادة متعسرة.. يقول الكتاب المقدس ان المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ولكنها عندما تلد تفرح لأنها ولدت أنسانا فى العالم واليوم نفرح لأن السلام ولد على أرضنا الطيبه.. ولد فى حرص.. وبعد مناقشات كانت مهمة لأن المرارات كانت مؤلمة.. قبل ان نبدأ مسيرة السلام كان النقاش طويلا ودقيقا.. عاش أهل التفاوض أسبوع الآلام والذى بعده كانت القيامة المجيدة.. قيامة الوطن فى سلام الوطن.. لقد سرنا فى طريق طويل مظلم.. قتلنا أنفسنا.. دمرنا بلادنا.. أهلكنا مواطنينا.. شوهنا حضارتنا.. رسمنا بصمات الحرب على تاريخ سلامنا.. أشبعنا كل رغباتنا الساديه أرتوت أرضنا بالدماء وعطشت الى الماء.. أوقفنا التنمية ووضعنا الأحزمة على البطون لكى يذهب طعامنا وقودا للحرب ويظل شعبنا تحت سطوة أمراض سوء التغذية ويزداد ضحايانا ليس فى الحرب فقط انما من الملاريا وضعف الغذاء.. الحمدلله وصل الينا ملاك السلام.. واليوم كأننا فى شم النسيم نشم نسيم السلام والحرية والديمقراطية هذا النسيم الذى كنا نشتمة أحيانا ولكن يحيس عنا أحيانا كثيرة..الآن كلنا اجتمعنا وأجمعنا على قبول السلام والترحيب بملاك السلام الذى تأخر آتيا الينا ولكن مرحبا به لأن الوقت مازال فى صالحنا لقد أشرق الوطن على واقع جديد ومجيد.. وأمامنا الآن طريق السلام لكى نعبر فيه وملاك السلام يحرس خطواتنا ويجمعنا معا ويوحدنا معا على البر والقداسة والتقوى فى نور السلام المجيد.

ملاك السلام : مجدا للرب.. شكرا للرب الذى يقودنا فى موكب النصرة كل حين..ان الملاك الذى رافق آباء الأستقلال هو اليوم معنا.. وصل الينا يحمل السلام.. لقد كانت دعوة يعقوب لأبنه يوسف الطاهر العفيف.. الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين أولادك.. وملاك السلام يحمل لنا رسالة أطمئنان مثلما حملها لرعاة الأغنام أهل البادية عندما ظهر لهم وقال : لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع الشعب وبغته ظهر مع هذا الملاك جوقة كامله من ملائكة السماء.. أنشدوا نشيدا هم الذين الفوه ولحنوة وغنوة.. المجدلله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. وبوصول ملاك السلام الينا صارت توجهاتنا نحو

التقوى وهوذا المؤتمر الوطنى يطالب بالقيادة الرشيدة والمعارضة المسئولة الأمينة.

والقوى السياسية ذات الشفافية والنقاء والمؤسسات الأجتماعية ذات لسان الصدق والسعى الحر للجميع وشرائح المجتمع التى تلبى حاجيات السلام.. فى قوة ووفاء وطهر ونقاء.. وهدوء وصفاء.. وملاك السلام كان مع المفاوضين يوما بيوم.. وكان يلهمهم ويرشدهم ويشد من ازرهم ويكبر رؤوسهم كان سلامنا فى خطر.. وكان حوارنا أحيانا بلا أمل.. ولكن ملاك السلام اشاع الأمل والرجاء وطمأن القلوب حتى ان اليوم الأخير تأخر الأعلان عن السلام فيه أمد طويلا والكل فى ترقب يصلى ويصلى لكى يتجرك ملاك السلام ويتم أمر السلام..ومن هنا كان رئيسنا البشير له دور ملاك السلام.. كان يشجع عندما يخور المتفاوضون..وكان يفتح باب الأمل عندما يسيطر اليأس.. وكان يدعو الشمس المشرقة ان تملأ بالسلام اجواء السودان..حتى تم هذا الميثاق السعيد.. وبدأنا الأمل السعيد فى المستقبل السعيد..والحمد لله كما يقول الشاعر أشرف خليل.. ومد الزمان..زمان السلام..تناسيت أن الجراح كثيرة.. وأن المنابر مثل المقابر..أولها مثل بقع الدماء..وكنت أراقب.. أنى هدأت.. وأنى فرحت.. بضاحية عند أقصى الجنوب.. تنفست وجدى وحبى المقيم.. وازمعت أنى.. إلى بعض منى.. مساء أفر.. أعود ونيفاشة..الأصطخاب الجميل.. وعود المساء.. وأطراقة المستحيل.. وصوتى.. سلام سيعدل كل الخطى ويحفظ للدمع سر الحنين.. شكرا لملاك السلام الذى وصل الينا أخيرا.. وأرجو أن لا يتركنا لأننا فى أحتياج الى بركات الملائكة وأخلاق الملائكة لكى نبنى السودان الملائكى الجديد .

١٢٠ . ولد السلام يوم مولد المسيح

مولد المسيح : عندما ولد السيد المسيح ولد معه السلام لكل العالم الذى كان عبارة عن دويلات صغيرة تتحارب وتتصارع ورغم أن روما ملكت زمام العالم وكونت وحدة سياسية غير أن البلاد لم تنج من الحروب تحت إمرة روما نفسها وكان العالم رغم تفتت أصابه ووهن وصل اليه وضعف جعله هشا رغم هذا توحدت السياسة فى روما..والدين فى دين الوحدانية الواحد عند اليهود وتوحدت الثقافة فى لغة عالمية راقية هى اللغة اليونانية التى حفظت تراث الأدب والشعراء والفلاسفة عبر العصور..وكان مولد السيد المسيح..مولد السلام..فلقد دوّت فى الأفق السماوى

ترنيمة صاغتها السماء وشهد عليها رعاة الأرض عندما ترنمت الملائكة وكانت جوقة ترنيم لاندرى ماعددها وكلمات الأغنية العذبة كلمات رقيقة هادئة هادفة تقول المجدلله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة..وكان الرعاة فقط هم الذين رأوا وسمعوا..ووعوا وأدركوا وقرروا أن يذهبوا ليروا الأمر الواقع..وكانت العلامة هى أن يجد الرعاة طفلا مقمطا مضجعا فى موضع غذاء ورعاية الحيوان وهو مزود البقر..وبدءا كانت رسالة السماء الى الأرض قد حملها ملاك السماء جبرائيل الواقف قدام الله..بدأت رسالة الملاك فى أول ظهور له بعد أربعة أجيال خلت من ملائكة السماء وخلت من رسالات الأنبياء..وخلت من الوحى والرؤى..وجاء الملاك الى الهيكل المقدس ووقف عن يمين مذبح البخور وتحدث مع زكريا الكاهن..لاتخف يازكريا لأن طلبتك قد سمعت وأمرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا..والرسالة رسالة سلام واطمئنان..رسالة تنزع الخوف من قلوب الخائفين رسالة تؤكد أن للمولود اسما حددته السماء اختارته القوى العلوية بنفسها.. والاسم يعنى حنان الله.. ولكن زكريا ارتبك.. واعترض.. ورأى صعوبات تحقيق مثل هذا الميلاد العجيب.. فهو رجل شيخ وأمرأته متقدمة فى الأيام.. وتضايق الملاك من ضعف ايمان زكريا الكاهن الذى اسمه يعنى أن الله لاينسى وأن الله يذكرنا والذي فهمه الكهنوتى يمتلئ باستجابات الله للبشر ويعرف كيف أن فيمن سبقوه جاء الولد فى أصعب الأوقات وعند تقدم السن مثلما حدث مع ابراهيم ومع حنه أم صموئيل وقرر الملاك أن يظل زكريا صامتا حتى ولادة الطفل يوحنا..وبعدها بستة أشهر جاء نفس الملاك الى الناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف واسم العذراء مريم وكانت البشارة فى بيت وتحمل نبأ بميلاد يسوع المسيح..الملاك يقول السلام لك ياممتلئة نعمة الرب معك.. والعذراء تقول ماعسى ان تكون هذه التحية.. والملاك يؤكد لا تخافى يامريم ان الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك والمولود منك يدعى ابن الله وتقبل مريم بشارة الملاك وتحيا فى سلامها الالهى لأنها سوف تلد ملك الملوك ورب الأرباب والذى السماء هى كرسياً له..والسماء هى وطنه ومنذ مجيئة صارت السموات مفتوحة وملائكة الله تصعد وتنزل عليه ليس فى عليائه انما فى تواضعه وفى خدمته للمحتاجين والمكروبين والمحبوسين والمرضى واللاجئين حتى انه وصف الموكب الاخير بأنه موكب المساءلة عن رعاية الآخر وحقوق الأخر وان من يهتم بالآخر انما يهتم بالله شخصيا.. وقال لأهل اليمين تعالوا الى يامباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.. ولماذا يرثون الملكوت؟ وماذا فعلوا لكى يحصلوا على هذا الشرف العظيم..قال يسوع.. لأنى جعت فأطعمتمونى.. عطشت فسقيتمونى.. كنت غريبا

فالجأتموني..عريانا فكسوتموني..مريضا فزرتموني..محبوسا فأتيتم الى..وعندما يتساءل الأبرار متى فعلنا معك هذا يجيب راعى الأبرار الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه باحد أخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم وبهذا يحدد أن المدخل لملكوت الله ان نحيا فى سلام ونملأ الآخر بالسلام ونرعى حقوق الآخر وبهذا نوجه اهتمامنا الى الله عن طريق محبتنا وتكريمنا واحترامنا للآخر ..

مولد السلام : والحمدلله..لقد ولد السلام على أرض بلادنا العزيزة..سلام حرمنا منه أمدا طويلا..يقولون أن حرب الجنوب بدأت رحاها منذ خمسون عاما..ويقولون أن الأحتراب استمر احدى وعشرون عاما..والحق يقال أن الحرب ولدت مع مولد الاستقلال أو قبله بعدة أشهر..ولكن الحمد لله..ولد السلام..وكما قال أمير الشعراء..

ولد الرفق يوم مولد عيسى .. والمـــروءات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت .. بسناه من الثرى الأرجاء
لا وعيد لا صولة لا انتقام .. لا خصام لا غزوة لا دماء
عيسى سبيلك رحمة ومحبة .. فى العالمين وعصمة وسلام
ماكنت سفاك الدماء ولا امرءا .. هان الضعاف عليه والأيتام

لقد بدأت مباحثات السلام واستمرت مكثفة لمدة تسعة أشهر بعدها ولد السلام فى اليوم الأخير من عام ٢٠٠٤ لكى يكون أول يوم فى العام الميلادى هو عيد السلام..والحمد لله الذى قادنا الى ميناء السلام بالسلام.. ولن ننسى أبدا مجهودات واخلاص المفاوضين وصبرهم وطول أناتهم فلقد تمكن النائب الأول للرئيس من تحقيق السلام مع شقيقه جون قرنق زعيم الحركة الشعبية..وكان فى الحركة بركة.. واذا كانوا يقولون أن السلام لن يكتمل الا بعد عودة دارفور الحبيبة وبعد وقوف الحرب هناك صمتا للمدافع وانطلاقا للحوار الحر فأنا من المتفائلين أن دارفور ستعود.. ومن المتفائلين بمقدرة المفاوض الجديد الدكتور مجذوب الخليفة وهو من اسرة صوفية عريقة وأهل الصوفية هم الحكماء لأن كلمة صوفى تعنى حكيم.. وبحكمته يتجاوب رئيسنا المسالم معه سوف يتحقق السلام فى دارفور وسوف يكون السودان هو سودان السلام.. صلوا معى.. صلوا معى.. وهنئوا معى كل بلادنا بل كل العالم بعيد ميلاد ملك السلام السيد المسيح الذى فى ذكراه جاء الينا سلام الله هابطا مستقرا على أرض وطننا العظيم سودان السلام .

١٢١ . ولقد كرمنا بنى أدم

كرامة الإنسان : ان كرامة الإنسان مثل حرية الإنسان كلاهما هبة من الله..الله هو الذى كرم الإنسان كرامة عظيمة واعطاه سلطانا على البر والبحر وعلى كل مخلوقات الله..وهذا ماتتفق عليه الأديان فالإنسان فى المسيحية مخلوق على صورة الله ومثاله..وله عند الرب مكانه عظيمة كجبار بأس ولأجل الانسان كان كل شئ على الدنيا.. ولقد أحب الله الانسان حتى بذل لأجله الكثير وجعله وارثا شرعيا للأرض عندما يكون وديعا طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض..ووارثا للسماء عندما يكون للسماء نصيبا فى حياته فالسماء هى المحطة الأخيرة للأنسان المؤمن بقيم السماء..وفى الاسلام تقول سورة الاسراء ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر..وحملناهم تعنى أننا محمولون من الله..الله يحملنا فى حنان دافق ورعاية كاملة..والارض ميراث للمؤمن قل لن يرث الارض الا عبادى الصالحين.. وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا..ولأن يوسف رجلا مؤمنا مكن الله ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء..والله وهو فاطر السموات والارض أعطى الارض لبنى آدم وجعله له خليقة على الارض والله يمن على المستضعفين فى الارض ويجعلهم أئمة..والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض أى أن الملائكة يطلبون المغفرة لبنى البشر..وقد خلق الله ارضا واسعة لبنى آدم وقال لهم : ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون..

البحث عن الانسان : ورغم كرامة الإنسان والتى هى هبة من خالق كريم ولكن الإنسان نفسه تاه اليوم فى عالم غريب وفى مجتمع عجيب هو مجتمع السوق..وصار الناس يتحدثون عن ثقافة السوق وسوق الثقافة..وصار الانسان مفقودا يحتاج إلى بحث شديد عنه..ونفتش بسراج موقد عن الانسان المفقود الذى فقد كرامته وتحول من كائن حى حر مريد إلى كائن فقد حريته وضعفت ارادته ومن كائن مبدع إلى كائن متقولب..ومن كائن هو سيد الكون الى كائن هو عبد لما انتجة..عبد لعادات لا تفيدة مثلما نضره..وتحول من إنسان متناغم مع الله الى إنسان بعيد عن الله..ولأجل هذا يقود رجال الروح فى عالم اليوم رحلة للبحث عن الإنسان ويقولون هذه الرحلة صعبه وأنها تحتاج إلى استعدادات أما من ناحية صعوبة الرحلة فهى فعلا منعبة غير أنها ضرورية لأنها رحلة البحث عن الذات..عن الآخرين..وبقدر أهمية الذات والآخرين تكون أهمية الرحلة وهى صعبة ولكنها واجبه لأن المسئولية التاريخية تلزمنا أن نصل الى مبتغانا ونحصل ونعثر على الإنسان وان لم نعثر عليه فعلى الأقل نترك علامات مضيئة على الطريق نترك

آثارا من يسير بمقتضاها يصل الى ضالته المنشودة..عن مستلزمات رحلة البحث عن الإنسان فهى تبدأ بالحب وتمر بمحطات هى الوعى،الرجاء المثابر،النقد البناء،شفافية النزاهة وتنتهى إلى محطة حيادية القرار فى عدم خلط للأوراق.
وأول محطة للبحث عن الإنسان محطة الحب..هى المنطلق الأساسي..هى نقطة البداية..الحب الأخوي الذى يجعلنا نبحث عن أنفسنا فيما نبحث عن أخواتنا فى الإنسانية..محبة هى موقف داخلى فينا لكشف ذواتنا..والحب هنا حب قادر معطاء..نبحث عن الإنسان من أجل من نحب وندخل معا فى إطارات البحث..أما محطة الوعى فالوعى هام جدا..لأن البحث عن الإنسان سوف يقوم بعودة الوعى الى الانسان الذى فقد وعيه وضعف قرارة وصار أجيرا فى كورة بعيدة يشتهى أن يأكل طعام الحيوان بينما مائدة بيته الروحى يفضل عنها الخبز المفيد..وفى الوعى يرجع الإنسان إلى نفسه ويقول كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أتضور جوعا وهنا وبسرعة والآن وليس بعد الآن نقول : أقوم الآن وأذهب الى أبى وأقول له ياأبى لقد أخطأت الى السماء وقدامك ولست مستحقا أن أدعى لك ابنا بل اجعلني كأحد أجرائك وفى محطة الوعى نصل الى منازلنا ومنزلتنا ونزلنا وتعود إلى بيتنا المتحضر ونجلس على مائدة الأب نأكل دسما ونشرب ريا..ونحيا أشد وعيا واستيعابا لكل المتغيرات ومن خلال وعينا بالذات وبالآخر يصبح الوعى مصباحا يضئ رحلتنا أما الرجاء المثابر فهو الأمل ونحن لا نفقد الأمل فى الإنسان ولا فى انفسنا فأنا إنسان ابحث عن الإنسان فى أعماقي وفى أعماق الآخر..ومهما كان الطريق وعرا فلن نتراجع ولن ننتكس ولن تصيبنا خيبه الأمل ولا رحفات الاحباط بل بالمثابرة سوف نستمر وننسى كل العقبات والضيقات.. أما محطة النقد البناء فهى لازمة جدا لنا..تقدنا لأنفسنا نقدا بناء منتجا..روحنا النقدية تخرجنا من سجن الاوهام وتهدم حصون الفشل وتجعلنا نفهم الامور فهما واسعا ودقيقا وعميقا..أما شفافية النزاهة فهى نقاء قلب يحدد أن لنا أهدافا نبيلة فى رحلة جميلة فلا يمكن أن نبحث عن الإنسان ونحن مرضى بالسطحية وأمراض السوق من فساد ورشوة وانتهازيه واستهلاكية والمحطة الأخيرة هى حيادية القرار حتى لا نعثر على أشباه إنسان أو بقايا إنسان ونقر أن هذا هو الانسان وهو ليس سوى ذكرى انسان..وللرحلة معوقات هى أوهام تضلل الرؤيا..وخضوع لسلطات غير شرعية سلطة أنماط جاهزة.. ومن المعوقات التعصب المر المقيت الذي لم نجنى منه سوى الخسارة وتكفيرنا الآخرين وتكفير الآخرين لنا.. ولقد قدم الاعلام صورة مشوهة للأنسان.. كما أن مصالحنا السياسية والاقتصادية هي عقبة كؤود فى رحلة البحث عن الإنسان لهذا أرجو من مفكرينا ومن الأدباء فى مجتمعنا والحكماء فى عالمنا

أن تستمر رحلة البحث عن الإنسان وان نتخطى العقبات وتجهيز لوازم الرحلة فلقد ثبت الله لنا الله كرم بنى آدم وينبغي لبنى آدم ان يكرم نفسه بالبحث عن نفسه.

١٢٢ . نوافذ على العالم الآخر

العالم الآخر : نحـــن نعلم أنا نمضى من هذا العالم إلى عالم أخر وهذا العالم الآخر معلوماتنا عنه بسيطة جدا ولكن إيماننا بوجوده كبير جدا والعالم الآخر ليس حلما من أحلامنا بل هو واقع تجدده رؤيانا فـــنحن مؤمنون ونحن من الله وإليه راجعون نعيش حياتنا هنا وبعدها نحن كـــما يقول القران الكريم منقلبون إلى الله لنحيا معه في العالم الآخر يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قالوا أنا إلى ربنا منقلبون قالوا لاضير آنا إلى ربنا منقلبون والذين يؤتون مآأتوا وقلوبهم وجلة انهم إلى ربهـــم راجعون الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وأنا إلية راجعون وكما قال القديس أوغسطينوس : يارب أننا خلـــقتنا لك ولن تستريح الافيك ...

نوافذ مفتوحة : ونحن نعلم بعض العلم عن العالم الآخر ولكننا عندما نصل إلى هناك سوف نعرف الكثير عن العالم الآخر وسوف يسعدنا الملكوت هناك وأذكر أن المطران الراحل نيافة الأنبا دانيال كان يكرر كثيرا أنه إذا عرض عـــلى أحد الراحلين إلى العالم الآخر إن يعود إلى هذا العالم فأنة سوف يرفض رفضا باتا وأني لمن ذاق حلاوة الآخرة إن يفكر في دنيانا ولذاتها الخاسرة ؟ وعـــلى مر تاريخ البشر انفتحت نوافذ من هنا على الآخرة ونوافذ من الآخرة علينا ونذكر هنا بعضا من هذه النوافذ التي انفتحت على العالم الآخر :

أول نافذة : يـــذكر سفر التكوين عن الآباء الأوائل للبشرية كيف عاشوا وكيف عمروا وكيف وصلوا إلى العمر مايقرب من ألف عام كما حدث مع اكبر معمر في الدنيا وهو (متوشالح) الـــذي عاش ٩٦٩ سنة ثم مات وبين هؤلاء يذكر لنا سفر التكوين قصة رجل اسمه (اخنوخ) وهو والد متوشالح وكان له من العمر ٦٥ عاما عند ولادته وعاش بعد ولادته ويبدو أنة ابنة الوحيد مدة ثلثمائة عام وعندما اكتـــمل له من العمر ٣٦٥ عاما وهو عمر قصير بالنسبة لغيرة رحل اخنوخ إلى السماء ويقـــول عنة الكتاب : وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله آخذة (تكوين ٥:٢٣) وسار اخنوخ مع الله ثم توارى من الوجود لان الله نقلة إلية وقد عرف

الجميع إن اخنوخ صعد حيا إلى السماء وجاء بولس الرسول بعد خمسة آلاف سنة من هذا الحدث يؤكد إن اخنوخ كان أول الصاعدين إلى السماء أو أول من فتحوا نافذة على السماء إذ قال : بالأيمان نقل اخنوخ لكي لايرى الموت ولم يوجد لان الله نقلة (عبرانيين١١:٥) واخنوخ هذا عند الإسلام هو النبي إدريس واذكر في الكتاب إدريس أنة كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا (مريم٥٧،٥٦)

ولقد أطلق علية قدماء الفراعنة (حورس) واليونانيون اعطوة اسم (هارماكيس) والعبرانيون (خنوع) والعرب (اخنوخ) وقد ترك اخنوخ أثارا روحية عظيمة..وكلمات قيمة فلقد كان صاحب دعوة واضحة إلى التوحيد ووصفة الرواة أنة كان طويل القامة، حسن الوجه، كث اللحية،نحيفا، كثير التأمل، قليل الكلام، ولاينجة ببصرة الى السماء ألا عند الدعاء.. وقد احتضنته السماء عائدا إلى هناك.

٢- ايليا النبي : وكانت النافذة الثانية على العالم الآخر هي صعود ايليا حيا إلى السماء وسط جمع كبير من الأنبياء على مرأى ومسمع منه وكان تلميذه اليشع واقفا معه وعندما صعد ايليا أمسك اليشح بــرداء معلمه وترك إيليا رداءه في يد اليشع وصعد إلى السماء وفتشوا عنه في كل البقاع لعله يكون قد صعد أمامهم لينزل في موضع آخر ولكنة صعد إلى السماء ولم يعد ثانية ويؤمن المسيحيون أنه سيعود ثانية مع اخنوخ ويشهد لله في وسط عالم شرير ويقتلان ويموتان كعلامة من علامات نهاية الأزمنة وقد ذكر إيلياس في القران الكريم على أنة من الصالحين ومن المرسلين .

٣- أشعياء والسماء: وكثيرون مــن الأنبياء انفتحت امامهم نوافذ على العالم الآخر ورأوا العديد من الرؤى ونذكر هنا رؤيا أشعياء التي رآها عندما قال : في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسى عال ومرتفع واذياله تملأ الهيكل والسيرافيم واقفون فوقة لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطى وجهة وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس قدوس رب الجنود فطار إليه واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد آخذها بملقط مــن على المذبح ومس بها فمه وقال إن هذه قدست شفتيك فانتزع أثمك وكفر عن خطيتك ثم سمعت صوت السيد قائلا : من أرسل ومن يذهب من أجلنا فقلت ها أنذا أرسلني فقال اذهب وقل لهذا الشعب (اشعياء٦) ولقد كان لهذه الرؤيا الأثر الكبير في حياة اشعياء فلقد انطلق يحدث الناس عن السماء وعــن تعزيات السماء وعن العالم الآخر وطلب من جميع الناس إن يغنوا أغنية جديدة للرب وان تسبحه أقاصي الأرض وبــدا يشدد الناس لاتخف لأني فديتك دعوتك بأسمى أنت لى إذا اجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك إذا مشيت في النار فلا تلدع واللهيب لايحرقك لأني آنا

الرب لقد استمد اشعياء قوته الروحية من رؤياه لمجد الرب وللعالم الآخر وراح يؤكد للناس وحدانية الله آنا الرب وليس آخر لااله سواي نطقتك وانت لم تعرفني لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها إن ليس غيري آنا الرب وليس آخر مصور النور وخـــالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر والفكرة الروحية هي أننا كلما تطلعنا إلى العالم الآخر سوف نــــأخذ قوة روحية تدفعنا لانتصار الروح في هذا العالم وتجعلنا نتحمل الآلام في مسيرتنا لان آلام هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجـــد العتيد إن يستعلن فينا .

١٢٣ . نحن ضحايا الإرهاب

مركز دراسات الإسلام والعالم المعاصر

قضايا الإرهاب والتطرف

ورقة بحثية مقدمة من الاب القمص فيلوثاؤس فرج كاهن كنيسة الشهيدين

ندوة المؤتمر :عندما أعلن عن ندوة موضوعها قضايا الإرهاب والتطرف يوليو٢٠٠٧ ويقيمها مركز دراسات الإسلام والعالم المعاصر شكرت أولاً الدعوة الكريمة للمشاركة وجلست أفكر فى الأمر ملياً وتأملياً ووجدت أننا كمسحيين لانمارس الإرهاب ولاصلة لنا بألإرهاب الا ما يقع علينا من الإرهابيين ، ومع البحث فى تاريخ كنائسنا لم اسمع ان انسانا فجَّر نفسه او فجر عربة او ارتكب تصرفا إرهابيا ونحن ضدّ الإرهاب وضدّ كل ارهاب تحت أى مسمّى ، لأنه حتى أصحاب القضيه الوطنية يمكن ان يصلوا الى أهدافهم دون اعتماد الإرهاب وسيلة لذلك وما نصل اليه بالحوار الهادئ الهادف الذى يحترم الأخر ويؤمن بوجود الآخر وحريته وكينونته ، لا يمكن ان نصل اليه عن طريق التفجير و التدمير ونشر العداوة وغسيل المخ بأنك دوما على حق وأن غيرك دوما على باطل ، ونحن ضدّ الإرهاب من عدة منطلقات لاهوتية مسيحية ، فالمسيحية التى تقبل لطمة على خد وتدير الآخر لإستقبال الطمة الثانية انما تعطى مكانا للهدوء ، لان تبادل اللطمات يوقع فى بؤرة التوترات ويحرق نارا لا تطفا وعالمنا اليوم عالم يحرق نفسه بنفسِهِ

وهو عالم يشعل حريقا فى داخل الإنسان ويحرق كيان الإنسان على نار هادئة احيانا وعلى نار فاترة احيانا اخرى وعلى نار ملتهبة قد حميت أضعافا لتحرق الآخر و نناقش معا بعض المنطلقات اللاهوتية المسيحية:

١- المسيحية تقر الفصل بين الدين والدولة والمسيحي ملتزم بحب وطنه ولكنه ليست لديه أجندة سياسية يريد أن يحققها بأى وسيلة، والمسيحى يحترم الحاكم ويعتبر انه من الله ولو كان حاكما غاشما ظالما قاسيا فإن هذا يكون عقاب من الله، ولو كان حاكما عادلا متزنا ووقورا فإن هذا يعنى رضا الله علينا ولا يحدث تصادم مع الحاكم إلا فيما يخص الطاعة لله وهنا ينبغى ان يطاع الله اكثر من الناس (اعمال الرسل ٥: ٢٩)، والسيد المسيح عندما أحضروا اليه عُملة عليها امبراطور روما سألوه هل نعطى جزية لقيصر قال سريعا " اعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله (متى٢٢: ٢١) .

٢- السيد المسيح له المجد لم يؤسس حزبا سياسيا ولم يتدخل فى المشاكل السياسية وقد قال بوضوح مملكتى ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ :٣٦) وقد كان السيد المسيح يقصد ان يملك على قلوب الناس وليس بأن يدير امورهم سياسيا ، فمملكته مملكة روحية ورعايته رعاية ساهرة لانه قال أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وعندما كان السيد المسيح فى كفرناحوم وجاء اليه جباة الضرائب وطلبوا منه ضريبة الدرهمين ، كانت ضريبة تدفع على كل رأس من الأجانب ، ولم يكن يسوع أجنبيا انما هو مواطن فلسطينى لكنه لكى لا يعثرهم دفع هذه الجزية ولم يكن يملك مالا ليدفعه غير انه أمر بطرس ان يلقى السنارة والسمكة التى تطلع يفتحها ويجد فيها مبلغا ليغطى ضريبتان عن السيد المسيح وضريبة عن بطرس ، ونورد هنا النص الكتابى من إنجيل معلمنا متي الاصحاح السابع عشر من الآية ٢٤ -٢٧ "ولما جاء الى كفرناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين الى بطرس وقالوا أما يوفى معلمكم الدرهمين قال نعم فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلا ماذا تظن يا سمعان ممن يأخذ ملوك الارض الجباية او الجزية أمن بنيهم أم من الأجانب ،قال له بطرس من الأجانب ، قال له يسوع فاذا البنون أحرار ولكن لئلاّ نعثرهم إذهب الى البحر والقى سنارة والسمكة التى تطلع أولا خذها ومتى فتحت فاها تجد إستارا فخذه واعطيهم عنى وعنك" .

٣- وقد أوصى السيد المسيح أن يبذل الإنسان جهداً حتى لايخضع لحكم القانون والجهد هنا جهد شرعى لأن الغاية لا تبرر الوسيلة والجهد هنا يعنى التسامح مع الخصم والتصالح معه حينما تذهب مع خصمك إلى الحاكم أبذل الجهد وأنت فى الطريق للتخلص منه لئلا يجرك الى القاضى ويسلمك القاضى إلى الحاكم

فيلقيك الحاكم فى السجن ، أقول لك لاتخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير (لوقا١٢: ٥٨،٥٩).

٤-وعلى نفس النهج كانت توجيهات بولس الرسول إلى المسيحين طالباً منهم الخضوع للسلاطين الفائقة لأنها جزء من خطة الله نحو إدارة البشرية ، وأوصى أن الإنسان الذى يريد أن لايقع تحت سلطة السلطان عليه إن يسعى للصلاح حتى لايقع تحت طائلة القانون ، وأوصى بأن الحاكم لايحمل السيف عبثاً ولكنه خادم الله ومنتقم للغضب من الذى يفعل الشر . وطالب بولس المسيحين بأن يدفعوا الضريبة وإن يعملوا كل هذا ليس خوفاً من الحاكم إنما إرضاءً لضميرهم الملتزم والمدقق فى أمور الروح وهذه هى نصائح بولس الرسول " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقه لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله حتى ان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سياخذون لأنفسهم دينونة فان الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة أفتريد أن لا تخاف السلطان إفعل الصلاح فيكون لك مدح منه لانه خادم الله للصلاح ولكن إن فعلت الشر فخف لأنه لا يحمل السيف عبثا اذ هوخادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير ، فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً . اذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه فاعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية والجباية لمن له الجباية والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام ، لا تكونوا مديونين لاحد بشئ الا بأن يحب بعضكم بعضا لأن من أحب غيره فقدأكمل الناموس" (رومية ١٣: ١-٨) .

٥- وعلى نفس المنوال كانت توجيهات بطرس الرسول ، حيث طالب المسيحين إن كانوا خداماً أن يخضعوا بكل إحترام للسادة بغض النظر عن حالة هؤلاء السادة إذا كانوا صالحين أو غير صالحين ، وطالبهم أن يتحملوا الالم ويستمرون فى عمل الخير تشبهاً بالسيد المسيح الذى لم يبادل الشتيمة بالشتيمة وإنما كان يحتمل من أجل الله . كما طالب بطرس بالخضوع للترتيبات البشرية للملك وللولاة وأن يخافوا الله ويكرموا الملك ويحاربوا الشهوات الجسدية لتكون لهم سيرة صالحة بين الأمم . وهذه هى نصائح بطرس الرسول "فإخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب إن كان للملك فكمن هو فوق الكل او للولاه فكمرسلين منه للإنتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير لأن هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر بل كعبيد الله ، أكرموا الجميع أحبوا الإخوة خافوا الله أكرموا الملك أيها الخدام كونوا

خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء ايضا" (رسالة بطرس الاولى ٢: ١٣-١٨) .
٦- والمسيحية بهذه الطريقة لايمكن أن تكون دافعاً للارهاب بل هى مسيحية المحبة والسلام مسيحية تتعامل مع القريب بكل لطف ومع الجار بكل حنان ومع الحاكم بكل أحترام ومع العدو بطريقة لايمكن الا أن تحوله إلى ولىٍ حميم، وهذا هو تعليم السيد المسيح له المجد فى خطاب العرش الذى القاه على جبل والذى يطلق عليه العظه على الجبل .. " أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم "(متى ٥: ٤٤)
٧- وأذا كان الإرهاب هو التطرف فأن المسيحية ضدّ التطرف قلباً وقالباً ، فبولس الرسول يقول فى رسالته الى أهل رومية الاصحاح الثانى عشر الاية ٣ " فإنى اقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم ان لا يرتئي فوق ما ينبغى ان يرتئي بل الى التعقل ". ويقول سليمان الحكيم فى سفر الجامعة الاصحاح السابع " لا تكن بارا كثيرا ولا تكن حكيما بزيادة لماذا تجرب نفسك"
ويوجد بعض المسيحين ذكوراً وإناثاً يعشقون التعبد لله ، ويرى البعض أنهم يتطرفون فى هذا ولكن تطرف مثل هذا لايمكن ان يتحول إلى إعتداء على الآخر، شديد التدين يصير راهباً ويرفض العالم والزواج رغم أن الزواج أمر محلل حيث يقول القديس بولس الرسول (عبرانيين ١٣ : ٤) " ليكون الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس " وهنا هو يهرب من العالم ويحيا فى رهبة الله ولهذا يسمى راهباً ، وهو يحقق فوائد أجتماعية عديدة منها أنه يصلى من أجل الناس ونحن فى حاجة ماسة إلى مثل هذة الصلوات ، ومنها أنه أيضاً يتفرغ للدراسات اللاهوتية والعلمية ولقد أنتعشت أغلب الأبحاث العلمية فى أديرة الرهبان حتى أن الذين يحملون رسائل الدكتوراه والشهادات العلمية الأخرى عند التخرج يرتدون (روباً) هو نفس العباءه التى يلبسها الراهب او الكاهن الآن.
واخيراً نقول إن المسيحية ضد الإرهاب ولا يجد الإرهاب أي مدخل مسيحى او مدخل لاهوتى وايضاً المسيحية ضد التطرف وتؤمن بالإعتدال ولا تُحمل نفساً فوق ما ينبغى أن تحتمل .

١٢٤. هل السماء تمطر جراداً ذهبياً ؟

نحوالسماء: نتطلع دوماً نحو السماء ننتظر خير الماء يمطر وابلاً علينا، وفى السماء كرسى الله الساكن فى الأعالى وكما فى المزمور: الرب فى السماء كرسيّه عيناه تنظران أجفانه تمتحن بنى آدم (مزمور ١١:٤) الله من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله ؟(مزمور ٥٣:٢)، إن إلهنا فى السماء كلما شاء صنع (مزمور ١١٥:٣).. ومطر السماء تنتظره الأرض فى كل موسم أمطار، وعندما تغلق السماء ولا يأتى المطر لا يجد الإنسان طريقاً إلا إسترحام السماء حتى يفرح الرب وجه الأرض، ولقد حاول الإنسان أن تكون هناك سماء على الأرض وتمكن من هذا بواسطة بيوت العبادة..

وعندما بنى سليمان أول هيكل للموحدين فى الأرض توجه نحو السماء وكانت يداه مبسوطتان نحو السماء وقال للرب: متى جاء أحد وصلى فى هذا البيت فإسمع أنت من السماء، مكان سكناك وإفعل حسب ما يدعو به إليك لكى يعلموا إنه قد دُعى إسمك على هذا البيت الذى بنيت، وقبل هذا وعندما كان هارباً من وجه أخيه كان يتطلع إلى السماء طالباً معونة الله، وفى حاران وعند غروب الشمس نام يعقوب بعد رحلة مضنية وكانت وسادته من حجر، ونام حتى حدثت الرؤيا، رأى حلماً وإذا سُلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها وقال له الرب: أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحق. الأرض التى أنا مضطجع عليها أعطيك لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض، وها أنا معك أحفظك حيثما تذهب، وإستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقاً إن الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء (تكوين ٢٨)..

ومنذ ذلك الحين صار الناس يتحدثون عن بيوت العبادة على إعتبار إنها باب نحو السماء يأخذنا إلى السماء ونقف أمام عرش الله، وكان وعد الله للإنسان أن يرى أيام السماء على الأرض، وصار الإنسان يتطلع دوماً إلى خيرات السماء وبركات السماء من فوق، وعندما تتوقف الأمطار خير السماء يراجع الإنسان نفسه، ويصلى وينسكب أمام الله سكيباً حتى يرفع غضبه عنا، وتأتى إلينا أمطار السماء بركة ونعمة وسلاماً وأمناً للمستقبل ورغداً للحياة..

الجراد الذهبى مطراً : ونحن نعلم إن السماء تمطر الماء ولكن هلى تمطر السماء جراداً ؟ وهنا يقول الأدب الإسلامى: إن السماء فعلا أمطرت جراداً من ذهب على أيوب البار مكافأة على صبره الدؤوب وعلى شكره لله رغم مشقة البلية، ويقولون

عنه: إنه عندما فقد كل شيء جلس على مزبلة ينبض فيها قلبه بعشق الله ويتحدث لسانه بشكره وحمده على كل حال.. وقد رسم الشاعر عدنان مصطفى هذه اللوحة شعراً على صفحات مجلة العربي نوفمبر ٢٠٠٦م :

جـــاء فـــي أخبـــار أمـــر الإبتـــلاء
إنـــــه إشتـــــد بحـــــال الإنبيـــــاء
إنمـــا كـــان فريـــداً شامـــلاً
عنـــــد أيـــــوب فأعيـــــاه البقـــاء

وفعلا قد أعيا أيوب البقاء وقال: ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه، والليل الذى قال قد حُبل برجل، ليكن ذلك اليوم ظلاماً لا يعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار، وتقول التوراة: إن إمرأته عانت من شقاء إبتلائه حتى قالت له: أنت متمسك بعد بكمالك، بارك الله ومت، ولم يتضايق أيوب من زوجته، إنما وصفها بالجهل بسبب عدم إحتمال الضيقة فقال لها: تتكلمين كإحدى الجاهلات، الخير نقبل من عند الرب والشر لا نقبل ؟.. ويأتى الأدب الإسلامى بإسم زوجة أيوب أنها " رحمة" ويعطيها مكاناً لائقاً ويتكلم عن تعاطفها مع زوجها، فلقد أتت إليه بغذاء طيب فسألها عن مصدره، فإضطرت إلى الكشف عن رأسها الحليق دون ضفائرها الذهبية فصاح هو: إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين، ويقولون: إن هذه المقايضة قام بها الشيطان :-

كـــم بكـــت رحمـــة زوجـــاً صابـــراً
بفـــؤاد منشـــد صفـــو الدعـــاء
عندمـــا قصّـــت ضفيـــرات لهـــا
وإشتـــرت زاداً لمـــن يرجـــو غـــذاء
فـــإذا الأواب فـــى عـــز الصبـــا
يشـــكر المولـــى علـــى فيـــض العطـــاء

ويقول القرآن الكريم: إنه قد أوحى لسيدنا أيوب" أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" ، ولقد إستحم أيوب بعد صبره الشديد ونجاه الله من بلاه، ويقول الحديث الشريف: لما عاف الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جراداً من ذهب، وتقول الصوفية الحكيمة " روئين" : حكى فى الخبر إن السماء أمطرت على رأس أيوب جراداً ذهبياً، فإذا كانت قد أمطرت الجراد الذهبى فوق رأسه، فهو أولى منى بالصبر لأنها تمطر فوق رأسى ذبابة نحاسية، وقالت رابعة أيضا: لقد تمردت ولم

أدر أن إباء الإنقياد يرد عقدة الحبل أضيق على عنقى، وقد سميت الذبابة النحاسية ذبابة روئين، وقد رسم الشاعر عدنان هذه اللوحة شعراً هكذا :

عندمـــا أقبـــل غيـــم ممطـــر
بجـــراد ذهبـــى دون مـــاء
عنـــد " روئيـــن" بوقـت لاحـــق
ميّـــزت رابعـــة شكـــل الجـــزاء
كـــم قبضـت النـــار أرجـو مخرجـاً
مـــن شقـــاء العشـــق كـــى أحيـــا لقـــاء
حُـــق لـــلأواب هـــذا ، كونهـــا
أمطـــرت فوقـــى ذبابـــاً مـــن ضيـــاء
ثـــم نســـر طـــاف فوقـــى زائـــراً
قـــال مـــا يضنـــى رفيقـــى فـــى العـــلاء ؟
قلـــت ظمـــآن بصحـــراء الهـــوى
كـــل مـــا أرجـــوه أن تمطر ماء..

١٢٥. محطة مقار

قبيلة الأقباط: عاشت قبيلة الأقباط وسط قبائل السودان مشاركة فاعلة ونشاطا إجتماعيا محترما.. وعندما نقول : قبيلة ، لا نقصد تقسيم السودان ، كلا.. إن القبائل المتعددة والتعايش بينها سببا رئيسياً فى الإستقرار في بلادنا.. ومن المعروف أن سيكولوجية السودانى هى سيكولوجية محبة ، وتوادد ، وتعايش..

ولقد شهد المؤرخ الكبير " بروفسور زاهر رياض " بهذا التعايش فى كتاب له عنوانه" كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا ".. والأستاذ هو أولا أستاذى .. وهو أستاذ مؤسس لقسم الدراسات الإفريقية وهى فوق الجامعية... أما الشهادة عن تعايش الأقباط فيقول فيها : أن عودة السودان إلى الحكم الثنائى عام ١٨٩٩، أعادت هجرة الأقباط إلى هناك ، ولم تمضى سنتان على الإستعادة حتى كان الأقباط قد إحتلوا رقعة كبيرة من الأرض شمال أمدرمان القديمة.. وإبتنوا فيها مساكن، فحملت إسمهم التقليدى ، حارة النصارى.

فإذا تباهى البريطانيون على أنهم عملوا على تمدين السودان ، كذّبهم الأقباط فى دعواهم.. إذ أسرعوا إليه وأنبثوا بين أرجائه يعملون فى مختلف نواحى النشاط، فشغلوا جزءاً كبيراً من وظائفه .. وقبل أن يجازف البريطانيون بقرش واحد من أموالهم فى هذا القطر المجهول المصير .. بادر الأقباط فى طرح أموالهم فى السوق والإشتغال بالتجارة .. ولم يمض على وجودهم أربعة عشر عاما ، حتى تزايدوا.. وتم تأسيس العدد الكبير من الكنائس والمدارس ، من تبرعات الأقباط..

وإذا كانت تجارة السودان قد بلغت فى عام ١٩١٤ م ، مليون وثمانمائة ألف جنيه ، كان الأقباط من ورائها يدفعونها بالجهد والعرق والدم.. وقد ذكر " مستر ستانلى" عن وجود عدد كبير من الأقباط ، عندما زار بحر الغزال ، وكان معه واحد وعشرون كاتبا ، شجعهم على الإستقرار فى السودان، إستتباباً للآمن.. وعندما أراد الإنجليز أن ينشئوا كنيسة فى السودان ، لم يتمكنوا من ذلك إلا سنة ١٩١٢م.. وقدموا دعوتهم للبابا كيرلس الخامس الذى لم يتمكن من الحضور ولكنه أرسل وفدا من المطارنة.. وعندما تحدث الأسقف " جوين " من الكنيسة الإنجليزية فى السودان ، إعترف للبابا القبطى بأن له الريادة.. وأنه رئيس لأقدم كنيسة فى أقدم أمة .. وأنه يعتبر الكنيسة القبطية هىّ الشقيقة الكبرى ، لكنيسته.. ثم ذهب الأسقف جوين إلى مصر وقابل البابا القبطى وشكره على الوفد الذى أرسله إليه.. وقال: أملنا أن تعمل الكنيستان كتفا لكتف لتنهض كل واحدة فيهما عزيمة الآخرى..

ثم تحدث بروفسور رياض ، عن نشاط الأقباط التجارى. والنشاط الثقافى ، والذى تجلىّ فى عدد المدارس القبطية. فى الإختراع القبطى السودانى الذى ليس له مثيل ، وهو " المكتبات القبطية " والتى تهتم بالنشاط الرياضى والثقافى ، وتدعم دور الثقافة من خلال المحاضرات والندوات والتى لم تقتصر على المكتبة القبطية بالخرطوم، ودار المكتبة القبطية بأمدرمان، إنما إتسعت لتشمل عطبرة وبورتسودان ومدنى والأبيض..

ولم تزل هذه المكتبات تؤدى دورها حتى الأن.. وكان آخر نادي ، تأسس هو : النادي القبطي والذي يعد صرحا ثقافيا قبطيا ، له عراقة الأقباط وله أصالة السودان، وله نشاطه الأن والذى كان آخر صيحة فيه إستضافة الشاعر الصعيدى " عبد الرحمن البنودى"..

محطة مقار: وكدليل للتعايش ، نذكر القبطى المبارك العظيم المتدين ، السخى فى العطاء ، المرحوم مقار سيدهم " الذى تخصص فى طحن الدقيق حتى أن عائلته الكبيرة الأن يطلق عليهم " ناس الطواحين" وفى شارع الحرية وعند طاحونته ، كان

الكمسارى فى البص ينادي " محطة مقار" أو محطة طاحونة مقار.. وهناك محطة مقار فى الخرطوم بحرى.. عند طاحونة الخرطوم بحرى...

وعندما كنت فى الأسبوع الماضى ٢٠٠٥/٨/١٩ فى زيارة لمولانا الطيب ، فى مدينة أم ضو بان والتى إنتشر منها نور ثقافة القرآن ، تحدث أحد مريدى مولانا الطيب عن الجد الخليفة حسب الرسول ود بدر.. وكيف كانت له علاقة طيبة مع مقار سيدهم.. كانوا يتبادلون الزيارات .. وكان مقار عندما يأتى إليه أهل مسيد أم ضو بان .. يخصص الطاحونة لهم ، دون غيرهم حتى ينتهى العمل معهم.. وكان مقار رجل خير وبر وإحسان ، يذكره تاريخ الأنبا صرابامون ، أول أسقف بالسودان ١٨٩٨.. كما يذكره مجلس بلدى الخرطوم بحري والذى ترحم عليه فقيدا فى ١٩٥٦/١/٢٥.. فى الجلسة الثالثة والأربعين، ترحم على روح المحسن الكبير السيد مقار سيدهم.. صاحب الأيادى البيضاء التى كفكفت دموع الكثيرين من المواطنين. وقالت الوثيقة أيضا أن فقد السيد مقار رزءُ على كل عارفى فضله وإحسانه .. وطلبوا أن يجزيه وأسرته أحسن الجزاء..

كان مقار ليس محطة لمواصلات فقط ، ولكنه كان تواصلا ومحطة للتعايش.. ولذا أقترح على لجنة الأسماء الجديدة ، لشوارع الخرطوم أن يسمى شارع المعونة، بإسم شارع مقار سيدهم.. فإسم المعونة لا يتناسب مع تطلعاتنا الواعدة.. والرجل بحق يستحق هذا التكريم...

١٢٦ . أول وزير قبطي

الدكتور موريس: رحل عنا إلى الأمجاد السمائية فى يوم السبت ٢٠٠٦/٩/١٦م الدكتور بروفسور موريس سدرة حنا ، وهو الرجل الذى تقلد العديد من الوظائف فى وزارة الصحة ، والذي كان كبيراً للجراحين وإرتقى حتى تم إختياره بواسطة الرئيس السابق جعفر محمد نميرى لكى يكون وزيراً للصحة عام ١٩٦٩ حتى ١٩٧١م، ولقد فوجىء هو وفوجئت أسرته بهذا الإختيار..

ويُعد موريس سدرة أول وزير قبطى ومعروف ما لدى قبيلة الأقباط من كفاءة عالية، ولكنهم أغلبهم عازف عن العمل فى دواوين الحكومة ويحيا بعيداً عن السلطة، ولكن ثقة نميرى بهم كانت كبيرة جداً حتى إنه وكما يحكى عنه طلب معلومات من وزارة المالية وعندما تلكأ الموظفون غضب وضرب المنضدة وقال

لهم: إهتموا بعملكم وإلا ملأت الوزارة أقباط، والذى حدث إنهم لم يتحركوا فى العمل الحركة المطلوبة ولم يملأ هو الوزارة ولا غيرها أقباط..

وموريس سدرة من مواليد ١٩٢٢ م وهذا يعنى إنه قد رحل عن أربع وثمانين ربيعاً، وأذكر إنه عندما كان وزيراً للصحة كانت كنيسة الشهيدين قد تم إفتتاحها فى ٦ أبريل ١٩٦٨م ، وقد تمت رسامتى لخدمتها فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٩م ، وفى الأيام الأولى لخدمتى كان موريس سدرة يحضر إلى الكنيسة ويشاركنا فى الصلاة والتى تساوى بين الوزير وأى مؤمن عادى ينسكب أمام الله ويطلب المراحم الواسعة، ويعرض رؤياه ويدق أبواب السماء طالباً المغفرة والستر..

وإذا كان موريس سدرة هو أول وزير قبطى ، فلقد جاء بعده الدكتور وديع حبشى وزيراً للزراعة، وكان حبشى مشهوراً بدقته اليقظة ومتابعته الواعية لمرافق الدولة الزراعية، وكان كل صباح باكر يطمئن على مشروع الجزيرة وغيره من مشروعات الدولة، كما كان قديراً فى اللغة العربية ، وكانت التقارير التى تأتى إليه تراجع لغوياً وكان يستغرب عندما تكون القواعد العربية غير صحيحة، وبدأ كاتبوا التقارير ينقحون الكلام لغوياً قبل أن يصل إليه، وحتى هذا الإحتياط لم يوقف الأخطاء..

ويأتى بعد هذا وزير ولائى هو منير إسحق وكان وزيراً للزراعة بعد أن كان مديراً لمصنع سكر ملوط ، ويذكر للرئيس نميرى إنه أول رئيس يُعين قبطياً وزيراً للصحة وقبطياً آخر وزيراً للزراعة، ويُعد الوحيد الذى إستفاد من كفاءة الأقباط خلال قناعته بهم، وبكل أسف لم تستفد الحكومات اللاحقة بالأقباط ، ولم تتمتع بكفاءتهم التى يتميزون بها كثيراً، وذات مرة طلب المقربون من القصر فى أيام الإنقاذ بعض الأسماء وقدمت لهم أسماء لموظفين في الحكومة مثل : مكين جاد من وزارة التجارة، وجورج زكى بطرس الذى قام بأعمال وزير فى أول أيام الإنقاذ ، والدكتور جون جندى بطرس أكبر خبير في الكهرباء وزاهر يعقوب والذى وصل منصباً رفيعاً في المالية والتخطيط.. والدكتورة الإقتصادية عايدة شفيق سعيد، والدكتور نادر سعد رياض الطبيب المدير لمستشفى الأطباء..

كما طالبت أكثر من مرة على صفحات الجرائد بأن يكون فى وزارات الحكومة وزراء أقباط حتى ولو وزير واحد ، وعندما تشكلت الحكومة الوطنية الحالية وفيها تعددت الوزارات وتزايد عدد مستشارى الرئيس لم يرد بينهم ومعهم أى كفاءة من قبيلة الأقباط، وربما من يأتى بعد هذا خلال الديمقراطية المستنيرة تكون له المقدرة على إستمرارية مسيرة الأقباط فى إحدى الوزارات.. وإن غداً لناظره قريب، ونحن ننتظر الغد بإيمان وثقة ورؤيا..

حواء الجديدة: وإذا كان كما هو معروف وراء كل رجل عظيم إمرأة عظيمة، فإننا نذكر هنا زوجة أول وزير قبطى، وهى من عائلة قبطية سودانية عريقة، كان تسكن فى شارع على عبد اللطيف وقد إستطلعت مجلة حواء الجديدة زوجات وزراء مايو وإلتقت بالسيدة سميرة ينى مقار وهى شقيقة لثلاث عشر أخاً وأخت، وقد حكت لى أمها إنها أنجبت أربعة عشر بطناً، وكانت هذه الأم المباركة تعرف أن تقرأ إنجيل يوحنا فقط، وحفظته عن ظهر قلب، وتحدثت حواء الجديدة عن بساطة وأناقة زوجة الوزير والتى قالت : إن زوجها سمع إسمه بين الوزراء من الإذاعة وإن هذا جعل أسرته فى دهشة وفرح بثقة ثورة مايو فى عائلها..

وكانت الشكوى إن الوزارة شغلته عن البيت ، وكان أباً لممدوح وعاطف ولوسيل وجمال، ومعنا الآن دكتور ممدوح موريس سدرة والذى نأمل أن يستعيد أمجاد أبيه ويكون له المستقبل الواعد فى خدمة السودان وطنه العظيم ووطن أهله ووطننا الذى سوف يعتز به كل مواطن .. ويستمر عطاء كل مواطن له، فالسودان دوماً لنا وبنا وفينا، وفى نفس مستوى كفاءة أول وزير قبطى ، يعمل كل قبطى متكاتفاً مع أخوانه من أجل بناء ونماء الوطن، والذى يملأ قلوبنا بحبه ودفئه..

١٢٧ . دار الثقافة بالخرطوم

أول محاضرة: نرجع مع القارىء العزيز عقارب الزمن إلى زمن الثقافة فى السودان ونبدأ بيوم ٣٠ مايو ١٩٤٠م عندما تم إفتتاح دار الثقافة بالخرطوم وبدأت الدار بمبادرة من كبار رجال الإدارة البريطانية وعلى رأسهم السكرتير الإدارى المثقف " سير دوجلاس نيوبولد " والسكرتير الإدارى الذى سبقه " سير أنجس جيلان " والسيد " بيلى وليامز" مساعد مدير المعارف والعميد السابق لكلية غوردون التذكارية بالتعاون مع عدة شخصيات سودانية، وتمكنت هذه المجموعة من إقناع الحاكم بأهمية " دار الثقافة" بإعتبارها تلبية للإحساس بالأمان لدى المواطن السوداني عندما يجتمع حول الثقافة والتي هي أكثر الحاجات الإنسانية رفعة وسمواً..

وبدأت أول محاضرة في دار الثقافة عنوانها " الوجه الإنسانى للثقافة" ولقد أهدانى بروفسور حسن أبشر الطيب ترجمته لهذه المحاضرة والتي فيها وقف بروفسور حسن على أخلاق البريطانى السير دوجلاس نيوبولد الذي كان مديراً إدارياً للسودان من ١٩٣٩-١٩٤٥م.. ويرى الطيب إن نيوبولد قد وظف مقدرته

الفكرية والإدارية البارزة للتأكد من تأسيس دار الثقافة على دعائم سليمة ، فهو سياسى موهوب وباحث شديد الإلتزام بالمبادىء الإنسانية، وهو مثقف واسع الإطلاع ذو علاقات محلية ودولية متينة، وقد أهدى مكتبته الخاصة والتى تضم أكثر من ثلاثة آلاف كتاب هى الآن نواة المكتبة الحالية لجامعة الخرطوم.. والحمدلله إن بدأ ركب الثقافة فى دار الثقافة منذ سنة ١٩٤٠م ولكن طبعاً الثقافة موجودة بكثرة وثقافة فى ربوع السودان منذ الأيام القديمة..

وأجدادنا ربما كانوا لا يقرأون ولا يكتبون ولكنهم كانوا على قسط كبير من الثقافة والمعرفة، ونحن هنا لا ننسى مثلا ثقافة الأصدقاء العرب الأربعة الذين أتوا إلى أرض عوص يشاركون أيوب الصديق ذلك الرجل العربى الذى كان يحيا فيما يسمى الآن سلطنة عمان والذى دفن هناك، وقد كانت ثقافة الأصدقاء العرب ثقافة رفيعة المستوى وكل واحد منهم قال قطعة أدبية عن الألم مشاركة فى آلام أيوب ومواساة له فى مأساته..

وأذكر هنا فقط حديث أليفاز التيمانى عن رأس الكواكب ودائرة السماوات وحياة التجرد التى هى طريق التلاقى مع الله عندما يتنازل الإنسان عن ذهب الأرض ويكون الله هو تبره وفضة أتعاب له فهو يقول: هل ينفع الإنسان الله؟ بل ينفع نفسه الفطن، هوذا الله فى علو السماوات وأنظر رأس الكواكب ما أعلاه.. السحاب ستر له فلا يرى، وعلى دائرة السموات يتمشى، تعرف به وأسلم بذلك يأتيك خير ، إقبل الشريعة من فِيه وضع كلامه فى قلبك وإن رجعت إلى الله القدير تبنى إن أبعدت ظلماً من خيمتك وألقيت التبر على التراب وذهب أوفير بين حصا الأودية يكون القدير تبرك وفضة أتعاب لك لك حينئذ تتلذذ بالقدير وترفع إلى الله وجهك تصلى له فيسمع لك (أيوب ٢٢).. وأرجو أن تعلموا إن هذا الزخم الثقافى بهذا المستوى الرفيع يرجع إلى العام الألفين قبل الميلاد..

الوجه الإنسانى للثقافة: كان عنوان أول محاضرة فى دار الثقافة عنوانها " الوجه الإنسانى للثقافة" فلقد بدأت الدار بقوة ثقافية وقاد نيوبولد منبر الثقافة فى السودان حتى قضى على دار الثقافة لا لسبب إلا لوهم مؤداه إنها صنيعة الإستعمار، ولكن أول محاضرة قدمت تشخيصاً باهراً وبليغاً قوى الأثر لمكنونات الشخص المثقف الذى عرفه نيوبولد بأنه رجل رفيع التعليم يعرف ويتذوق الكتب والأسفار واللغات القديمة والحديثة والعلوم والآداب..ويتمتع بصفة فى غاية الأهمية هى الإنسانية تتمثل فى الخيال والتسامح والفكاهة والبساطة..

ولقد كانت دار الثقافة معرضاً لكل ثقافة، فلقد شارك فى المحاضرات مصريون وسوريون ولبنانيون ونخبة من أبناء السودان، ونخبة من الموظفين الإنجليز الذين

كانوا فى ذكاء وثقافة يخدمون السودان، وكانوا يسجّلون خواطرهم وتأملاتهم ويبثون حبهم للسودان العظيم فى تقاريرهم ومقالاتهم وكتاباتهم، وقد إضطلع المثقفون من أهل السودان ومن رواد دار الثقافة بدور كبير فى إستقلال السودان..

وقال محاضر أول محاضرة فى دار الثقافة : بودى أن أعتبر دار الثقافة مكاناً بعيداً عن المدرسة، بعيداً عن الكلية، بعيداً عن المكتب، مكاناً لا يفعل المتعلمون فيه شيئاً سوى شحذ أذهانهم وتحسينها وجعلها إنسانية التوجه، أما المعدات المتاحة لهم فهى مكتبة وكتب ودوريات ومحاضرات ومناقشات وجدل وحديقة، وأخيراً وليس آخراً بعضهم البعض، أذهانهم وحوارهم، وفى إعتقادى إنه حتى لو كانت القراءة للإبتهاج والتفاخر وتنمية القدرات كما يقول " بيكون" فإن هذه أهداف سامية..

١٢٨ . خلود الديمقراطية

دار الثقافة : ما أكتبه اليوم عن الديمقراطية هو ما تناوله إدوارد سليم عطية فى محاضرة ألقيت فى يوم ٢٦ يونيو ١٩٤٠م، وإدوارد هذا هو إبن طبيب لبنانى مسيحى كان يعمل لدى الحكومة السودانية، وكان يعمل فى المخابرات البريطانية، وكان مهتماً بإطلاع الحكومة على أفكار المثقفين السودانيين، وكان فى السودان يتمتع بدائرة واسعة من الأصدقاء والمعارف من جميع المشارب هو وزوجته الإنجليزية " جين ليفنز" والتى أنجب منها إبنان أحدهما السير مايكل عطية عالم الرياضيات فى كمبردج، والثانى باتريك عطية أستاذ القانون الإنجليزى فى أكسفورد..

وقبل أن أبدأ بحديث عطية عن الدينوقراطية أورد كلمة جديدة إخترعها الأديب أنيس منصور تسمى " الدينوقراطية" وتحت عنوان " من الدينوقراطية إلى الديمقراطية إلى الدينوقراطية " فى جريدة الشرق الأوسط عدد ٢٠٠٥/٤/٦ م، قال أنيس : إن كلمة ثيوقراطية معناها حكم الله، وهى من كلمتين يونانيتين : ثيوس يعنى الله وكراتين حكم، وطبعاً دخلت الكلمات اليونانية إلينا أسماء وصفات، فكلمة فيلسوف تعنى " محب الحكمة" وإسم فيلوثاوس الذى أتشرف به يعنى " محب الله.. وكلمة ديموقراطية تعنى "حكم الشعب" وأول من إستعمل كلمة ثيوقراطية هو المؤرخ اليهودى فلافيوس جوزيفوس (٣٧-١٠٠م)..

وأراد بهذا التعبير أن يقول: إن اليهود يحكمهم الله نفسه ويدير حياتهم وينصرهم ويعزيهم، ولكنى أعلم أن اليهود هم الذين طلبوا ملكا لهم أيام صموئيل، وكان النبى صموئيل متضايقاً من هذا حتى إن الرب أوحى إليه قائلا: إفعل لهم ما يشاؤون لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى قد رفضوا.. وبعد هذا بدأ نظام الملكية عند اليهود وكان أول ملك هو شاول إبن قيس، وكان الملك يمسح من الكاهن ويكون مسيحاً لله، وكانت الحضارات القديمة ترى إن حكمها ثيوقراطى فالملك هو الإله والحكم إلهى ربانى والملوك عند الفراعنة آلهة.. ويعتبر أنيس منصور إن كلمة ثيوقراطى يمكن أن تكون دينوقراطى أى الحكم بإسم الدين..

أما إدوارد عطية محاضر سنة ١٩٤٠م فإنه يقول: إن محاضرة عن الديمقراطية تعد أمراً مهماً وحيوياً والملابسات تمنح الموضوع أهمية تجعله غريب الصعوبة فى اللحظة الراهنة لأن الديمقراطية تحاسب وتمتحن الآن ويظن البعض إن هذا هو إختبارها النهائى الحاسم، إنها تقاتل من أجل البقاء فى مواجهة أشكال حاسمة إجتماعية منافسة ومهددة فيما يتعلق بالنفوذ والسلطة وتخيم على الأفق سحب كثيفة وتهجم شياطين الشك على عقول كثير من المؤمنين بالديمقراطية..

هل فعلت الديمقراطية ما يبرر وجودها ؟ هل هي صالحة للبقاء ؟ هل ستبقى وتنجو ؟ إن هذه الآسئلة تجعل من يحاضر عن الديمقراطية كأنه يدافع عن شخص أمام المحكمة.. ويسرع عطية ليعلن فى محاضرة خلود الديمقراطية فيقول: إنى أحذركم بأنى أتيت لأمدح الديمقراطية لا لأرثيها، إنى قادم لكم وبإقتناع صادق وشديد أن موكلتى أبعد ما تكون عن الإحتضار والموت لأنها فى الأساس خالدة، وإن بدت أحياناً واهنة وعليلة بالمقارنة مع النظم الجديدة الصاخبة، ذات رصيد من القوة وذات مبادىء أدبية لتجديد الشباب تضمن شفاءها وبقاءها فى الدنيا حتى بعد أن ينتهى منافسوها بغرورهم ويطويهم النسيان..

إن جسد الديمقراطية وأعنى بذلك المؤسسات التى تعيش فيها قد تموت إذا أساء الناس معالجتها أو شوهوها ، أما روحها فهى شأنها شأن روح وطموحات البشر لا تموت لأنها ليست إلا تعبيراً عن أداة لتحقيق تلك الطموحات..

التعريف والبدايات: ويقول عطية: ثمة تعريفات كثيرة للديمقراطية لكن التعريف الذي إنطبع فى خيال وقلوب البشر هو ذلك التعريف الذي ذكره الديمقراطى العظيم إبراهيم لنكولن عندما قال: فلنعلن فى هذا المكان تصميمنا الجازم أن لا يكون أبطال الحرب الأهلية الأمريكية قد ماتوا سُدى، وإن هذه الأمة ستشهد وعين الله ترعاها مولداً جديداً للحرية، وإن حكومة الشعب بواسطة الشعب ولصالح الشعب سوف لن تزول من الدنيا..

ويذكر عطية النموذج اليونانى للديموقراطية عندما كانوا لا ينتخبون نواباً للشعب بل كانوا يلتقون جميعاً فى ساحة واسعة ويتفقون على القوانين التى تحكمهم، وكان للمواطنين جميعاً حق حضور تلك الإجتماعات كانت تلك حكومة مباشرة وديمقراطية خالصة فيما يتعلق بمواطنى أثينا، ولكن ديمقراطية أثينا لم تستمر كما لم تعطى فرصة للأجانب أن يتمتعوا بحقوق المواطنة كما كان الرقيق لا حقوق لهم، وإنهارت ديموقراطية أثينا ولم تؤثر على التطورات السياسية ولكنها بداية مهمة..

لقد نشأت الديمقراطية بحسب المحاضر كفكرة دولية شاملة وكنظام حكم موسع في الأزمنة الحديثة فى أوربا بداية بتاريخ البرلمان البريطانى الذى يعتبر أعظم مساهمات إنجلترا فى الحضارة، وعبر حدود بريطانيا إلى أمريكا ثم إلى كل قارات العالم، وصار نهر الديمقراطية نهراً يعبر قارات العالم ويواجه أرضاً صخرية أو يضل طريقه وسط تلال الرمال مما يستلزم جهداً أكبر للحصول على بركات هذا النور العظيم..

لقد هبت رياح الديمقراطية بداية ضد حكم الملك جون فى بريطانيا عام ١٢١٥م وكانت تلك أول مناسبة ينظم فيها إحتجاج وطنى ضد حكومة سيئة وأتت الثمار فى شكل " الماجنا كارتا" والتي هي أول محاولة ناجحة لكبح جماح النزوات الملكية، وأول إنتصار لحكم القانون فرض بإرادة الشعب، إن محاضرة إدوارد عطية عن" الديمقراطية" طويلة وعميقة، ولكننى أتخيل إنها كانت سبباً ودافعاً أن يحلم أهل السودان بها، وقد جاهدوا حتى حققوها وإنطلقوا من دار الثقافة ثم نادى الخريجين ينادون بالديمقراطية التى وإن كان قد خبا نورها ولكنها باقية خالدة، وسوف يكون لها الإنتصار بمشيئة الله..

١٢٩ . دامر المجذوب تودع جرجس

جريدة الوطن: في الصفحة الأخيرة لجريدة الوطن الغرّاء فى ٨ مارس ٢٠٠٧م كتب رئيس التحرير بإسلوبه الذهبى الجميل السودانى الأصيل قضية، والقضية قضية وطنية لوطن عظيم هو المثل الأعلى فى التعايش وما هان سوداننا يوماً علينا ، وما سقط سوداننا يوماً فى حفرة التعصب البغيض.. وكان صباح سيد أحمد خليفة موجه إلى دامر المجذوب وهى تودع الراحل عادل جرجس إلى العالم الأخير بعالم كبير من الناس في ملحمة وطنية رائعة، فى موكب مهيب يتقدمه الوالى

ويجمع ما يقرب من عشرة آلاف شخص يسيرون من الدامر إلى عطبرة حيث يوارى الثرى مواطن قبطى عاش بالمحبة مع غيره من أبناء الوطن وفارق الدنيا فى حادث تصادم، وكما يقولون: إنه توفى بصدمة سكّر خشية أن يفقد إبنه الحياة فقدها هو، وتعددت الأسباب ولكن الموت واحد..

ويأخذ سيد أحمد خليفة قصة الموكب من رجل الأعمال بسخيرون إبراهيم وهو صاحب الوجيعة لأن الراحل يقرب إليه قرابة شديدة، وبسخيرون هو زميل دراسة لرئيسنا المبارك عمر البشير، وفى كل إفطار رمضان يسأل الرئيس عن بسخيرون إذا غاب عن الحضور، وفى آخر إفطار عندما إفتقده أوجد له العذر بأنه مشغول فى إعداد مصنع السيراميك الجديد، فالرئيس مهتم جداً برفاق الدراسة وفخور جداً بالأقباط بإعتبارهم قبيلة سودانية نشطة متآخية متوادة متكافلة مع كل القبائل الأخرى.. ويقول سيد أحمد خليفة عن دامر المجذوب ولأهلها أعطيتم الدرس والمثال، فهذا هو السودان بأصله وفصله ووحدته العظيمة..

من الدامر إلى عطبرة آلاف المشيعين ساروا خلف جثمان الفقيد وواروه بمقابر المسيحيين، الوالى وأركان حكومته، الكل كان هناك وكأنه صاحب المآتم ومن أسرة الفقيد، ويقدم رئيس تحرير الوطن من خلال الحديث الحزين تحية خالصة وتاريخية وسودانية لكل أطراف هذا الطرف السكانى والسودانى الأصيل الممثل فى إخوتنا المسيحيين السودانيين الأقباط وغيرهم من الذين ما أشعروا أهلهم وأهلنا فى السودان يوماً بأن اللون أو الدين أو الأصل التاريخى لتفرقة أو صراعات أو نزاعات..

ويرى إن هذه الحادثة دليل على أن السودانيين متى ما أنعم عليهم الله بنور العلم والمعرفة والوعى بعُد عنهم كل متربص بوحدتهم أو مستغلا لإنتمائهم الدينى أو اللونى، ويشير خليفة إلى أن منطلق جنازة هذا الراحل المسيحى القبطيى مدينة دامر المجذوب أكثر مدن ومناطق السودان هماً وإهتماماً وإلتزاماً بالدين الإسلامى الحنيف، وعلومه، وأصوله، والحياة على هديه، وإن ما قام به أهل الدامر من واجب تجاه الراحل العزيز هو درس بليغ لكل الذين جعلوا من الدين مهنة يرتزقون بإسمه ويصعدون على أجساد الآخرين..

ويقدم التحية لدامر المجذوب ولمسيحى وأقباط السودان ولوالى الدامر وأركان حكومته، فلقد أعطى الكل المثال العظيم والمعنى الكريم لسودان سيبقى صامداً فى وجه كل هذه المخاطر مادام هؤلاء هم أهله الخلصاء..

هذا هو السودان: وليس غريب على السودان ما حدث فى موكب رحيل عادل جرجس، فهذا هو السودان.. وهؤلاء هم أهل السودان، وهؤلاء أيضا هم أقباط

السودان الذين ما عاشوا قط لأنفسهم ، بل عاشوا لله تحت شعارهم الإنجيلى ، إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت، إن عشنا أو متنا فللرب نحن.. لقد وضعوا الرب أمامهم فى كل حين، وشاركوا إخوانهم فى السّراء والضرّاء فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين، وأحبوا السودان ، وأحبوا إخوانهم فى الوطن محبة قوية ، وإهتموا بتنمية السودان وحملوا عبء التقدم الحضارى فيه، ودفعوا بإقتصاده نحو النمو والنجاح..

ولهذا أحبهم الجميع ، وأذكر ذات مرة أن قبطياً كان يسكن فى أطراف الخرطوم وباغته الموت وجاءت ساعة الرحيل، وإتصلت بى إبنته والتى لم يكن لديه فى الدنيا سواها، وكان يسكن فى أركويت ولا يوجد وقتها قبطى واحد بجواره، وذهبت بسرعة لكى أقف مع إبنته وأنظم مراسيم الوداع، وعندما وصلت وجدت كل شيء قد نُظم، الصيوان، الضيافة، وحاولت أن أشترك بأى شيء معهم ولكنهم كانوا قد فعلوا كل شيء وكلهم مسلمون وهو القبطى الوحيد بينهم..

وهذا هو السودان، وسوف يظل السودان هكذا، ولا يقلق أحد خوفاً من أن هذا الجيل ليس كالأجيال الماضية ، كلا، إن المحبة التى تملأ قلوبنا سوف ترافقنا فى كل رحلة الحياة، وتعزيات السماء فى عادل جرجس الذى تحدث فى مماته أكثر مما فى حياته، والذى جمع كل أهل السودان فى رحيله وملأ قلوبنا بالأمان والإطمئنان.. وهذا هو السودان وطن المحبة والسلام، والعفو والعافية، والدين والإيمان، وبر الأمان، وواحة الحرية ، وبركة هذا الزمان وكل الأزمان..

١٣٠ . لويس سدرة الشرطة والجمهور

على حديقة الماضى: في مجلة الشرطة عدد فبراير ٢٠٠٧م صفحتان كاملتان تحتويان على حديث شيق ولبق وجميل للشرطى العظيم لويس سدرة الذي كان في يوم ما أول رئيس تحرير لمجلة الشرطة وهو الذى وضع اللبنات الأولى فيها وتحدث حديثاً عن مظهر رجل الشرطة ثم المحتوى ثم العمل وزين المقال صورة للضابط العظيم مؤسس ومدير كلية الشرطة وهو لويس سدرة، وهى صورة تتسم بالجزم والحسم والمسئولية لأنه هكذا كان.. وقد وصل إلى هذا المكان كواحد من أقباط السودان الذين أحبوا الوطن وتنافسوا فى الولاء له مع غيرهم، وهكذا أقباط السودان الذي يسمون بهذا الإسم فى كل البلدان حتى عندما يرجعون إلى بلادهم الأولى مصر فهم يحملون إسم أقباط السودان، ويتشرفون به ويتوقون إلى معاودة

العيش فيه.. ومع إعتزازى بحديقة الماضى والتى يزينها رجال الشرطة فإن المجلة لم تذكر متى كان هذا الحديث ولم تتكلم ولو بإختصار عن جهود لويس سدرة فى بناء الشرطة فنياً وأكاديمياً حتى يعرف رجال الشرطة الآن من أين بدأوا ؟.. إنني أعلم ان هنالك ميداناً في كلية الشرطة بإسم لويس سدرة ومن يقف خلف تقدمهم؟.. وذكريات الآباء الآوائل من الشرطة السودانية..

الشرطة والجمهور: في المقدمة يقول: إن رئيس تحرير مجلة الشرطة طلب منه بحق الزمالة أن يكتب للمجلة، ولما كان لهذه المجلة مكانة خاصة عنده فهو لم يرفض الطلب ورأى أن يتحدث عن موضوع يهمهم جميعاً وهو علاقتهم بالجمهور، ويعتز سدرة أن الجمهور هو رأس مال الشرطة .. وكل شيء لهم فهو مصدر السلطات وهو دافع الضرائب الذى يدفع للصرف عليهم وعلى ذويهم، وهو إذا رجعنا إلى تاريخ إنشاء قوة الشرطة الذى أوكلهم للزود عنه والحفاظ على أمنه وأمانه.. أما أنا فإننى أكتب عن لويس سدرة وأنا أعرفه معرفة تامة وهو من رعية كنيستى وكانت له جلسات ودودة معى، وأتخيله اليوم ماثلا أمامي وأنا أعتز بدوره فى بناء المجتمع السودانى.. خيرة ونيرة.. وهو يرى أن رجل الشرطة هو بحق المظهر الدائم والمستمر لهيبة الحكم، وهو عين ويد القانون، وهو المصدر الذى لا ينقطع للأمن والأمان بين المواطنين، ويكفى أن يظهر رجل الشرطة فى مكان ما ليعيد الثقة بالنفوس وليؤكد بأن الحكومة والقانون لا يزالا ساهرين على أمن ذلك المكان..

ولهذا يرى لويس سدرة إن العلاقة بين الجمهور والشرطة يجب أن تكون على أحسنها فى جميع الظروف، وفى كل الأوقات، لأن كلا الطرفين فى أشد الحاجة إلى الآخر لبقائه وتطوره، ويقدم لويس سدرة ثلاثة عوامل أساسية تلعب دوراً هاماً في توثيق علاقة رجل الشرطة بالجمهور.

مظهر رجل الشرطة: وتنسحب كلمة مظهر على ملابس رجل الشرطة ومكتبه وما يظهره من وقار أو إحتقار لما حوله، هناك فرق كبير بين أن تتعامل مع رجل يهرجل في ملبسة يجلس في مكتب أكثر هرجلة من الملبس، وبين أن تقابل رجلا أخر يعتنى بملبسه حتى ولو كان يقف في زنك الخضار، وتؤدى هذه الهرجلة أو عدم النظام إلى تقليل ثقة الناس بهم ولسان حالهم يقول: لو أن فيهم خيراً لنظموا أنفسهم أولا.. لقد كان رجال الشرطة يخضعون لتفتيش دقيق جداً قبل الخروج إلى العمل حفاظاً على مستوى نظافتهم، كما تخضع المكاتب للتفتيش مرة كل أسبوع ، حتى منازل الشرطة الذين لم يتزوجوا والذين تزوجوا، ويتساءل سدرة: هل لازال الخلف الصالح يقوم بما تركناه من ميراث ؟.. ثم يتحدث عن مظهر الوقار أو

الإحتقار والإستهتار، ويرجو أن يكون كلامه خفيفاً على من يصل إليه طرف السوط، وأعتقد إنه قد وصل، فأحياناً تدخل عربات الشرطة خطأ طريق الإتجاه الواحد وتسير بسرعة جنونية وتدير صفارة الإنذار بغير سبب..

المحتوى: ويقصد بالمحتوى هنا ما يملأ رأس رجل الشرطة، وإجابته وتجاوبه عندما يستنجد به أو يقوم بواجبه، لا يمكن أن تكون إجابته إن هذه هى أوامر لأن العمل هو بالقوانين وليس بالأوامر حتى التعليمات، إنما تبنى على قوانين.. فعندما يقبض رجل الشرطة على المتشردين يقول: إن التشرد جريمة تحت قانون العقوبات.. ويقدم سدرة توجيهاً لأبنائه ممن يصدرون تعليمات وهى أن يوضحوا لمرؤسيهم السند القانونى لما يصدرون من تعليمات ولا يضعونهم فى موضع الحرج..

العمل: والكلام هنا كله موجه إلى رجال الشرطة.. وعمل الشرطة كثير ويتفرع ويتشعب ، وعندما يؤدى رجل الشرطة عمله ينبغي أن يتذرع بالصبر، والصبر الكثير تحت أسوأ الظروف وأقسى الظروف الطبيعية، ويتوخى الجودة في كل ما يعمل رغم قلة الإمكانيات يتفانى في الخدمة ولا يخلط بين الواجب والصالح الشخصى.. وأهم من هذا كله أن يخاف الله ويهاب القانون، أما سلطة القبض فإن لويس سدرة كان يرفضها وقد قال لطلبة كلية الشرطة: أنه يؤد لو أمكن أن يضعهم في الحراسة ٤٨ ساعة حتى يشعر بما يعانيه المواطن في الحراسة، وآخر الكلام قال: إن عمل الشرطة هو المقياس الحقيقى لما تكون عليه علاقة الجمهور به ، ولا يظن هو أن أحداً يشك فى أنها يجب أن تكون على أحسنها... والله الموفق..

الإنتاج الأدبي والثقافي للمؤلف

كتب صدرت:-

صدر منها :-

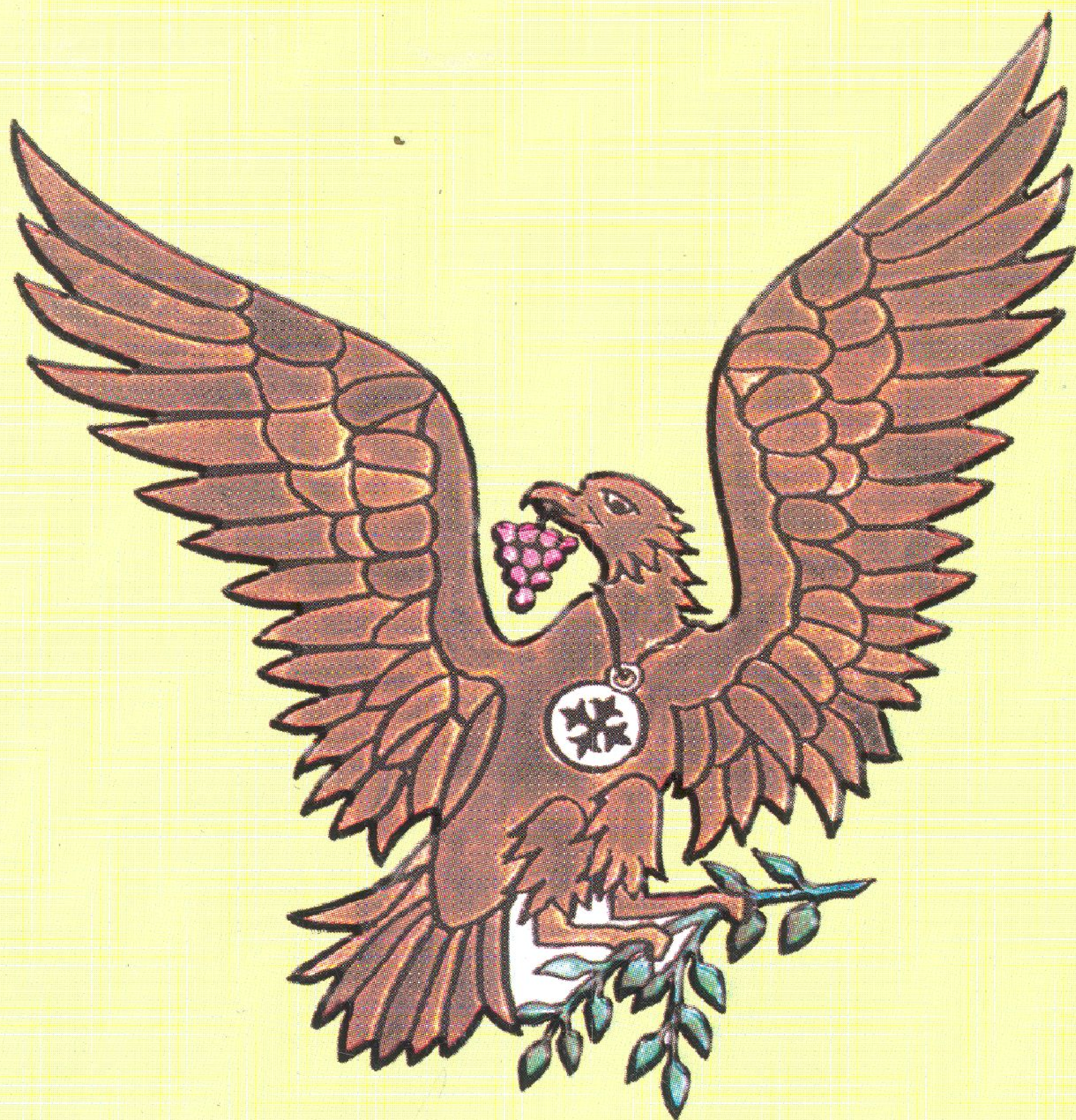
١- المسيحية فى عيون المسلمين.
٢- حديث الأيقونات .
٣- دراسات قبطية.
٤- سبعون مقالا عن الملائكة.
٥- خواطر قلم.
٦- مساحات الود والاحترام بين المسيحية والاسلام.
٧- شمس الأمل.
٨- المؤمنون يتنافسون.
٩- القادرون يحبون.
١٠- حصاد السنين.
١١- روحانية الروح والجسد.
١٢- النوبة ملوكا وشعبا.
١٣- أطروحات سودانية.
١٤- النوبة وطن الذهب.
١٥- الطبيب الروحاني الراحل إلى السماء.

تحت الطبع :-

١- النعمة امرأة .
٢- النيل أبونا والجنس سوداني.
٣- السودان زمان والآن.
٤- النيل والسودان الاصيل.
٥- أنا سوداني أنا .
٦- سر الابتسامة.
٧- الاحوال الشخصية لغير المسلمين.
٨- الهادئون في الارض.

٩- الواقفون على خط النار .
١٠- جامعة الحياة.
١١- وكان السودان للحضارة بستاناً.
١٢- المبتسمون مطمئنون.
١٣- السودان أبو الدنيا.
١٤- السودان عبر التاريخ.

رقم الإيداع (٧٤-٢٠٠٧)

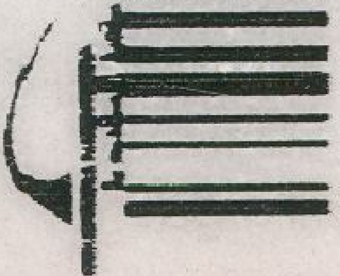


الذي يشبع بالخبز عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك

من مزمور (١٠٣) العدد ٥



Bibliotheca Alexandrina
0628630



اليوبيل الفضي